



مجلة

جامعة طيبة

للآداب والعلوم الإنسانية

العدد 18

السنة السابعة

1440 هـ / 2019 م

حقوق الطبع محفوظة لجامعة طيبة

مجلة جامعة طيبة للأداب والعلوم الإنسانية

- مجلة فصلية محكمة تصدر عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة.
- تنشر المجلة البحوث والدراسات الأصيلة، ومستخلصات الرسائل العلمية، وعرض الكتب، وتوصيات المؤتمرات والندوات العلمية، وباللغتين العربية والإنجليزية.
- البحوث المقدمة للنشر يجب ألا يكون قد سبق نشرها، أو مقدمة للنشر في جهة أخرى. وإذا قبلت للنشر فلا يسمح بنشرها، وبأية لغة أخرى إلا بموافقة كتابية من رئيس التحرير.
- يقدم الباحث طلباً بنشر بحثه متضمناً العناوين التي تمكن من الاتصال به ومراسلته عليها، ومشفوفاً بسيرته العلمية، والتزاماً بعدم نشر بحثه في أي جهة نشر أخرى.
- تخضع البحوث المقدمة للمجلة للتحكيم والتقييم من طرف محكمين متخصصين ومعتدلين لدى المجلة.
- تقدم المواد والبحوث من ثلاث نسخ ورقية، ونسخة إلكترونية على قرص (CD) باستخدام منسق الكلمات M.S.Word وعلى وجه واحد فقط، وبخط (Lotus Linotype) ويكون مقاس الخط للمتن (14) وللهامش (11)، وتكتب الآيات القرآنية وفق مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي.
- يشترط أن يكون عدد كلمات البحث 8000 كلمة بما فيها المراجع والمستخلص العربي والمستخلص الإنجليزي والكلمات المفتاحية.
- يكون لكل بحث ملخصان: أحدهما باللغة العربية، والآخر باللغة الإنجليزية، على ألا يتجاوز عدد كلمات أي منهما عن (300) كلمة، وكلمات مفتاحية باللغتين العربية والإنجليزية.
- يكون توثيق النصوص والاقتباسات باستخدام إحدى الطرق العلمية المعتبرة.
- تكتب المراجع في قائمة منفصلة في نهاية البحث مرتبة هجائياً وفق إحدى الطرق العلمية المعتبرة، مع إيراد كامل معلومات النشر المتعلقة بالمصادر والمراجع.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر صاحبه، ولا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.
- لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- يحصل الباحث على نسخة واحدة من المجلة، مع عشرين مستلة من بحثه.
- ترسل البحوث والمواد إلى العنوان البريدي التالي:
رئيس تحرير مجلة جامعة طيبة للأداب والعلوم الإنسانية
ص.ب (344) المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية
أو البريد الإلكتروني: ff99ff9@hotmail.com

هيئة التحرير

رئيساً للتحرير

أ. د. محمد بن سالم الصفراني

عضواً

أ. د. خالد بن عون العنزي

عضواً

أ. د. حسين عبدالرؤوف الأعظمي

عضواً

أ. د. أسماء بنت أبو بكر أحمد

عضواً

د. محمد بن سالم الحارثي

عضواً

د. خلود بنت محمد الأحمدي

عضواً

د. عبد الرحمن بن غالب دبور

عضواً

د. شكري بن محمود برهومي

عضواً

د. مبارك علي شرهاد

عضواً

د. حسام الدين أحمد عبد الوارث

عضواً

د. هند بنت مصطفى شريقي

المحتويات

الصفحة	اسم الباحث	عنوان البحث
أولاً: الدراسات الشرعية		
84 - 2	د. محمد بن عبد الرحمن التركي	دعوة الوافدين إلى المدينة المنورة في العهد النبوي وتطبيقاته المعاصرة ، دراسة تاريخية وصفية
134 - 85	د. خلود بنت عبدالعزيز المشعل	منهج الإمام أبي الفضل الرازي في كتابه (اللوامح في القراءة) تطبيقاً على جزء الأحقاف
192 - 135	د. محمد بن سند الشاماني	الأحكام الفقهية المتعلقة بالأوبئة التي تصيب البشرية، -جمعاً ودراسة مقارنة
ثانياً: الدراسات اللغوية والأدبية		
233 - 194	د. أشجان محمد حسين عبدالله هندي	إبداع الأجناس الأدبية و تلقّيها: بين سلطتي الموروث و التجديد
272 - 234	د. هاجد الحربي	التبعية اللغوية وأثرها على النهضة والتنمية العربية
291 - 261	د. مجدي الأحمدي	صورة الصحراء بين ديواني "موقف الرمال" لمحمد الثبتي و"مواقيت الرمال" لمحمد الصفراني : دراسة موازنة .

الصفحة	اسم الباحث	عنوان البحث
329 - 292	د. محمد الحازمي	الرناطة كنتيجة للاتصال بين اللغات : دراسة نظرية تركز على علم اللغة جتماعي لفهم ظاهرة الرناطة
ثالثاً: الدراسات الاجتماعية		
406 - 331	د. عبدالله بن علي آل خليفة	النظريات الجيوستراتيجية القديمة وتأثيرها على منطقة الخليج العربي
474 - 414	د. خلود الأحمدي	ديار العرب من مخطوط (صور الأقاليم) لأبي زيد البُلخي المتوفى سنة 322هـ/934م دراسة وتحقيق
رابعاً : علم المعلومات و مصادر التعلم		
495 - 476	Dr. Chokri Barhoumi	Evaluating the effectiveness of a university web site design based hierarchical information architecture technique

أولاً:
الدراسات
الشرعية

دعوة الوافدين إلى المدينة المنورة في العهد النبوي وتطبيقاته المعاصرة ، دراسة تاريخية وصفية

د. محمد بن عبد الرحمن التركي

أستاذ الدعوة المشارك ورئيس قسم الدراسات الإسلامية
بجامعة طيبة بالمدينة المنورة

1440هـ - 2018م

المستخلص

عنوان البحث : دعوة الوافدين إلى المدينة المنورة في العهد النبوي ، وتطبيقاته المعاصرة ، دراسة تاريخية وصفية ، وسترده فيه مقدمة ، وفيها إشارة إلى فضل الدعوة إلى الله تعالى ، وأنها وظيفة الدعوة إلى الله تعالى من بعد عصر النبي ﷺ ، كما سيقوم الباحث بشرح مفردات عنوان البحث ، وذكر نبذة مختصرة عن المدينة المنورة " وبيانه لضرورة معرفة الداعية للمدعو الوافد من أجل دعوته ، كما تم في عصر النبي ﷺ ، فقد كان ﷺ يقابل المدعو ، ويبلغه الدعوة إلى الله تعالى . ومع هذا يستدعي من الداعية - في العصر الحاضر - أن يعرف لغة المدعو الوافد للمدينة المنورة ، لتحذيره من البدع والخرافات المنتشرة في بلده .

كما على الداعية أن يبين للمدعو الوافد آداب زيارة النبي ﷺ ، وفضل الصلاة في مسجد قباء ، وتعريفه مسجد القبليتين ، وفضل جبل أحد وزيارة شهدائه للعظة والاعتبار ، ويهدف إلى النهي عن البدع والخرافات ، وتبليغ الدعوة للوافدين للمدينة كما فعل النبي ﷺ ، وسترده خاتمة البحث وفيها نتائج التي تلخص في : أن

الوافد إلى المدينة المنورة من جميع جنسيات العالم على اختلاف ثقافتهم ومعارفهم يجهلون - أحياناً بعض أحكام الدعوة إلى الله تعالى ، فعليه أن يبين لهم الدعوة الصحيحة وأن يحذرهم من البدع والخرافات المنتشرة في بلدانهم في العصر الحاضر، ومن ثم كانت التوصيات والفهارس لهذا البحث .

الكلمات المفتاحية: المدينة almadina ، الوافد alwafid ، البدع albadae

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فإن الدعوة إلى الله - عز وجل - هي مهمة الأنبياء والرسل، وواجب المؤمنين عامة وأهل العلم منهم خاصة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٣) فصلت: ٣٣ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٤) آل عمران: ١٠٤

وإن الدعوة الإسلامية في كل عصر من العصور التي جاءت بعد نبينا ﷺ لها دعواتها الذين يقومون بنشرها في كل وقت وحين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . ورسَل الله دعاء إليه سبحانه وتعالى ، ولقد قام بنشر هذه الدعوة بعد انقطاع الوحي العلماء والدعاة من الأمة الإسلامية . قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٤٥) ودَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿ (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّ اللَّهَ قَضَىٰ كَبِيرًا ﴾ (٤٧) الأَحْزَاب: ٤٥ - ٤٧ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا

قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ التوبة: ١٢٢ ، والدعوة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي وظيفة الأمة كلها حسب القدرة والاستطاعة والتخصص ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ آل عمران: ١١٠ . وهذه الدعوة أعظم ما تكون مع الوافدين والزائرين إلى المدينة المنورة ، ومعظمهم من الحجاج والمعتمرين وأصحاب الأعمال وغير ذلك ، وحينما وجدت بعض هؤلاء يحدثون أشياء ما أنزل الله بها من سلطان ، ويشغلون ببعض البدع المحملة في عقولهم من بلدانهم ، أردت أن أوجه إخواني وزملائي من الدعوة إلى الله تعالى من خلال هذا البحث المتواضع . تحت عنوان (دعوة الوافدين إلى المدينة المنورة في العهد النبوي ، وتطبيقاته المعاصرة ، دراسة تاريخية وصفية) . إلى القيام بواجب الدعوة ، ومقابلة الوافدين والزائرين ، ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ النحل: ١٢٥ ، كما فعل النبي ﷺ مع الوافدين إلى المدينة المنورة .

أهداف البحث:

- (1) بيان مفهوم مفردات عنوان البحث .
- (2) ذكر نبذة مختصرة عن المدينة المنورة .
- (3) معرفة المدعو الوافد في عصر النبي ﷺ ومقابلته ودعوته إلى الله تعالى .
- (4) معرفة لغة المدعو الوافد للمدينة المنورة في العصر الحاضر .

(5) تحذير الداعية من البدع والخرافات المنتشرة في بلد المدعو الوافد للمدينة المنورة في العصر الحاضر.

(6) تعريف المدعو الوافد آداب زيارة النبي ﷺ في العصر الحاضر.

(7) تعريف المدعو الوافد فضل الصلاة في مسجد قباء ، ومعرفة مسجد القبلتين.

(8) تعريف المدعو الوافد فضل جبل أحد وزيارة شهدائه.

أهمية البحث :

(9) دعوة الوافدين من شتى بقاع الأرض لها أهمية كبيرة حيث إنهم قادمون إلى البلاد التي نشأت فيها الدعوة الصحيحة ونزلت فيها الرسالة الخاتمة على نبينا

ﷺ فلا بد من دعوتهم بنفس الكيفية التي دعا بها النبي ﷺ الناس في عهده .

(10) بعض الوافدين عندهم ثقافات مخالفة للفهم الصحيح للدعوة وربما

يجهلون أنهم على خطأ ، فإذا ما وصلوا إلى المدينة فلا بد من دعوتهم وتعريفهم

هذا الخطأ ، وهذا لن يتم إلا عن طريق الدعاة إلى الله تعالى في المدينة المنورة .

(11) الوافدون إذا وصلوا إلى المدينة المنورة تشوقت نفوسهم إلى زيارة قبر

النبي ﷺ والصلاة في المسجد النبوي ، ومن الأهمية أن يقوم الدعاة إلى الله

تعالى في المسجد النبوي وفي غيره من المساجد ببيان آداب زيارة النبي ﷺ

والصلاة الصحيحة كما صلاها النبي ﷺ .

(12) ترجع أهمية هذا البحث في نشر الدعوة على أسماع المدعوين في المسجد النبوي ، ومسجد قباء ومسجد أحد ومسجد القبلتين ، وغير ذلك من المساجد ، وليبيان فضل الصلاة في مسجد قباء ، ومعرفة تاريخ هذه الأماكن ، وزيارة شهداء غزوة أحد للعتبة والاعتبار ، وفضل جبل أحد .

(13) معرفة بعض المفاهيم المتعلقة بالبحث لها أهمية كبيرة في فهم البحث والوقوف على أبعاده .

(14) تحذير الداعية من البدع والخرافات المنتشرة في بلد المدعو الوافد للمدينة المنورة في العصر الحاضر له أهمية بالغة وآثار عظيمة يعود نفعها على الدعوة وعلى الداعية وعلى المدعو وعلى أهله وأسرته بعد عودته إليهم .

حدود البحث:

سيقتصر هذا البحث على ((دعوة الوافدين إلى المدينة المنورة في العهد النبوي ، وتطبيقاته المعاصرة ، دراسة تاريخية وصفية)) وذلك لربط دعوة الوافدين بعرض الإسلام عليهم وتفقههم في العهد النبوي ، بدعوة الدعاة إلى الله تعالى للوافدين إلى المدينة المنورة ، في العصر الحاضر ، وذلك من خلال المنهج الصحيح الوارد عن رسول الله ﷺ.

الدراسات السابقة :

لم يجد الباحث غير هذه الدراسة ، وهي بعنوان : السيرة النبوية والدعوة في

العهد المدني ، أحمد أحمد غلوش - مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع -
الأولى 1424هـ - 2004م. ذكر فيه : التمهيد: التعريف بالمدينة المنورة "دار
الهجرة" وبيان أهميتها للدعوة ، الفصل الأول: السيرة النبوية من الهجرة حتى وفاته
ﷺ ، حركة الرسول ﷺ بالدعوة في المدينة المنورة.

المبحث الأول: بناء المجتمع الإسلامي - المبحث الثاني: تشريح الجهاد
وحركة الدعوة.

المبحث الثالث: السرايا والغزوات قبل بدر- المبحث الرابع: غزوة بدر
الكبرى.

المبحث الخامس: أحداث ما بين بدر وأحد - المبحث السادس: غزوة أحد
المبحث السابع: أحداث ما بين أحد والأحزاب- المبحث الثامن: غزوة
الأحزاب

المبحث التاسع: أحداث ما بين الأحزاب والحديبية- المبحث العاشر: غزوة
الحديبية

المبحث الحادي عشر: الأحداث بين صلح الحديبية وفتح مكة
المبحث الثاني عشر: فتح مكة وتطهير الجزيرة العربية كلها من الشرك
المبحث الثالث عشر: الاستقرار العام في الجزيرة ومواجهة غير العرب
المبحث الرابع عشر: السرايا والجهاد في الميزان- المبحث الخامس عشر:
وجاء نصر الله.

المبحث السادس عشر: انتقال الرسول إلى الله تعالى.
الفصل الثالث: ركائز الدعوة المستفادة من المرحلة المدنية
والبحث كما ترى عبارة عن كتاب في السيرة النبوية وتاريخ الدعوة في المدينة
وهو يختلف عن موضوع الدراسة حيث إنها تركز على دعوة الوافدين في العهد
النبوي وتطبيقاتها في العصر الحاضر .

مشكلة البحث :

إن الوافدين إلى المدينة المنورة لهم ثقافتهم المختلفة ، ومعارفهم عن الدعوة الصحيحة تتفاوت من واحد لآخر ، وتختلط المفاهيم - أحياناً - عند البعض فيخطئون عند زيارة المسجد النبوي وقبر النبي ﷺ والبقيع وأحد ، وقد تأثر البعض ببعض الخرافات والبدع ومن هنا يتحتم على الداعية أن يبين لهؤلاء الوافدين الدعوة الصحيحة وآداب الزيارة .

ويتفرع عن مشكلة البحث التساؤلات التالية :

1. ما تعريف مفردات عنوان البحث .
2. ما إذا كان يفعل النبي ﷺ عند مقابلته للمدعو الوافد ؟ .
3. ما أهمية معرفة الداعية بالمدينة المنورة للغة المدعو الوافد ؟
4. ما أهمية تحذير الداعية في المدينة المنورة للمدعو الوافد من البدع والخرافات المنتشرة في بلده ؟
5. ما أهمية تعريف الداعية في المدينة المنورة للمدعو الوافد آداب زيارة النبي ﷺ ؟
6. ما أهمية تعريف الداعية في المدينة المنورة للمدعو الوافد إليها فضل الصلاة في مسجد قباء ، ومعرفة مسجد القبلتين . ؟
7. ما أهمية تعريف الداعية في المدينة المنورة للمدعو الوافد فضل جبل أحد وزيارة شهدائه ؟

منهج البحث:

سأستخدم في هذا البحث المنهج التاريخي ، والمنهج الوصفي . كما سيقوم

الباحث بترجمة بعض الأعلام غير المشهورين .

ومنهج الباحث في القيام بإتمام هذا البحث يتلخص في :

- عرض الأماكن التي عادة يزورها الوافدون من خلال مصادرها ومطابقتها.
- ذكر المخالفات التي تحدث أحياناً من بعض الوافدين ، وبيان معالجاتها من خلال الدعاة في المدينة المنورة .
- توضيح الآداب التي ينبغي اتباعها عند زيارة هذه الأماكن كما ورد في الإسلام .
- بيان الحكم الوارد في كل بدعة لإقناع المدعو الوافد للمدينة المنورة .
- ذكر الآيات القرآنية التي سترد في البحث بالرسم العثماني وبخط غامق ليميزه القارئ عن غيره
- ذكر الأحاديث النبوية ، وإن كانت في الصحيحين اكتفيت بذلك ، وإن كانت في غيرهما ذكرت حكم الحديث كما يقوله صاحب المتن ، أو من كلام المحقق ، أو من حكم الألباني .
- وضع جميع النقول بين أقواس ، ولكن هناك بعض النقول من كتب الفقه مثلاً أو كتب العقيدة أو كتب التاريخ والسير ، وقد تخلل بعض هذه النقول بعض النصوص من السنة فأضع علامة تنصيص وأقوم بتخريجها .
- سترجم الباحث لبعض الأعلام الذين لهم وجود في نص له أهمية في بابها ، وفي الحدث الذي ورد فيه .

تقسيم البحث:

المقدمة : وفيها أهمية البحث ، و أهداف البحث ، و حدود البحث ،

الدراسات السابقة ، مشكلة البحث وتساؤلاته ، منهج البحث ، تقسيم البحث .
التمهيد : شرح مفردات عنوان البحث . ونبذة مختصرة عن المدينة المنورة .
المبحث الأول : معرفة المدعو الوافد في عصر النبي ﷺ - ومقابلته ودعوته
إلى الله تعالى .

المبحث الثاني : معرفة لغة المدعو الوافد .

المبحث الثالث : تحذير الداعية من البدع والخرافات المنتشرة في بلد المدعو
الوافد للمدينة المنورة .

المبحث الرابع : تعريف المدعو الوافد آداب زيارة النبي ﷺ

المبحث الخامس : تعريف المدعو الوافد فضل الصلاة في مسجد قباء ،
ومعرفة مسجد القبلتين .

المبحث السادس : تعريف المدعو الوافد فضل جبل أحد وزيارة شهدائه

الخاتمة : وفيها .

نتائج الموضوع .

توصيات الموضوع .

الفهارس :

فهرس المراجع .

فهرس الموضوعات .

تمهيد

المطلب الأول : شرح عنوان البحث .

عنوان البحث : ((دعوة الوافدين إلى المدينة المنورة في العهد النبوي ،

وتطبيقاته المعاصرة ، دراسة تاريخية وصفية)).

أولاً: تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً:

- تعريف الدعوة لغة : للدعوة الإسلامية عند اللغويين تعريفات كثيرة أذكر منها: (أنها (الصياح أو النداء والطلب ، تقول دعوت فلاناً . أي صحت به ، واستدعيته ، وقد تتعدى بحرف الجر .. إلى .. فيراد بها الحث على فعل الشيء ، تقول دعاه إلى الشيء تعنى حثه على قصده ، ودعاه إلى القتال ، ودعاه إلى الصلاة ، ودعاه إلى الدين وإلى المذهب حثه على اعتقاده (1) ، وجاء في أساس البلاغة: (دعوت فلاناً ناديته ، والنبى داعي الله ، وهم دعاة الحق ، ودعاة الباطل ، ودعاة الضلالة) (2) ، وفي المصباح المنير: (دعوت الله أدعوه دعاء ، ابتهلت إليه بالسؤال ، ورغبت فيما عنده من الخير ، ودعوت زيداً ناديته ، وطلبت إقباله ، ودعا المؤذن الناس إلى الصلاة فهو داعي الله ، والجمع دعاة ودعوات ، والنبى داعي الخلق إلى التوحيد) (3)

- تعريف الدعوة اصطلاحاً: يقصد بها هي : (تبليغ الإسلام عن طريق قيام دعاة بدعوة الناس إلى ما فيه من عقيدة التوحيد الخالص ، والإيمان النقي ، بكل ما جاء من عند الله ، في كتابه الكريم وفي سنة رسوله - ﷺ - والعمل به ، في جميع

1 - الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري - ج 6 / 2336 دار العلم للملايين - بيروت - بدون تاريخ ، وانظر المعجم الوسيط - ج 1 / 286 الطبعة الثانية 1392 هـ 1972 م - دار المعارف، والصحاح في اللغة والعلوم لأسامة ونديم المرعشليان - ص 315 الطبعة الأولى - 1975 م دار الحضارة العربية بيروت.

2 - أساس البلاغة - أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) ج 1 / 131 . - تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

3 (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ) - ج 1 / 194 .

شئون الحياة الدينية كانت أو سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية أو غير ذلك)
(1).

ثانياً : الوافد لغة واصطلاحاً :

- الوافد لغة : وفد (توافد القومُ/ توافد القومُ إليه/ توافد القومُ عليه: وَرَدُوا
وقَدِمُوا "توافد المتطوعون من كل صوب) (2) ، (توافد المتطوعون من كل
صوب- توافد الرؤساء إلى البلد الذي يعقد فيه مؤتمر القمة- توافدوا على جدهم
في يوم العيد)(3)

الوافد اصطلاحاً : (وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة
للحج،)(4) أو للدخول في الدعوة الإسلامية وإعلان الإسلام أمام الرسول -ﷺ-.
وورد (وما زال آحاد الوافدين وأفذاذ الوفود من العرب يغدون على رسول الله -
ﷺ- منذ أظهر الله دينه، وقهر أعداءه. ولكن انبعاث جماهيرهم إلى ذلك إنما كان
بعد فتح مكة، ومعظمه في سنة تسع، ولذلك كانت تسمى سنة الوفود.)(5) .

1 (الدعوة إلى سبيل الله أصولها وميادینها- د . عبد الخالق إبراهيم اسماعيل ص 10 - الطبعة الأولى - 1987 م .
مطبعة الأمانة - مصر .

2 (معجم اللغة العربية المعاصرة ، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) ج3/ 2471 ، بمساعدة فريق
عمل ، الناشر: عالم الكتب ، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

3 (المصدر السابق ، ج3/ 2471 .

4 (تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى،
الزبيدي (المتوفى: 1205هـ) ج1/ 22 ، المحقق: مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية .

5 (الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله -ﷺ- والثلاثة الخلفاء ، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان
الكلاعي الحميري، أبو الربيع (المتوفى: 634هـ) ج1/ 589 ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة:
الأولى، 1420 هـ.

ومن خلال هذا الكلام يفهم الباحث أن الوفود جماهير من الناس جاؤوا إلى النبي ﷺ بعد فتح مكة وفي سنة تسع ، لإعلان إسلامهم ، أو لمقابلته وصحبته ، أو لفهم الدعوة الإسلامية وأحكامها من رسول الله ﷺ . جاء في عيون الأثر ، (وإسلام الوفود) (1) ، (وتواترت الوفود هذه السنة وما بعدها على رسول الله ﷺ مدعنة بالإسلام وداخلين في دين الله أفواجا..) (2) .

والباحث يقصد بالوافدين كل من يأتي إلى المدينة من شتى بقاع الأرض لزيارة النبي ﷺ ومعالم المدينة المنورة وأماكنها المفضلة ، سواء قبل الذهاب إلى مكة لأداء العمرة أو مناسك الحج ، أو لزيارتها بعد أداء المناسك في مكة المكرمة للحج أو للعمرة ، كما يقصد بهم - أيضاً - الذين جاؤوا للعمل وكسب الرزق في مدينة رسول الله ﷺ .

ثالثاً : المدينة لغة واصطلاحاً.

-**المدينة : لغة :** [م د ن] مدن بالمكان: أقام، فعل ممات. والمدينة: الحصن يبني في أصطمة الأرض، مشتق من ذلك، (3) والجمع: مدائن ومدن. ومن هنا حكم

1 (عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربيعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: 734هـ) ج 1/10 ، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، الناشر: دار القلم - بيروت - الطبعة: الأولى، 1414/1993 .

2 (الفصول في السيرة ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ص 215 ، تحقيق وتعليق: محمد العيد الخطراوي، محيي الدين مستو، الناشر: مؤسسة علوم القرآن ، الطبعة: الثالثة، 1403 هـ.

3 (المدينة: الحصن يبني في أصطمة الأرض (أصطمة البحر: وسطه ومجمعه، وأصطمة كل شيء: معظمه) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل بيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها

أبو الحسن فيما حكى الفارسي عنه أن مدينة فعيلة. والمدينة: مدينة النبي - ﷺ - غلبت عليها تفخيما، وإذا نسبت إلى المدينة فالرجل والثوب: مدني(1).

- المدينة اصطلاحا : المعنى يعتمد على التعريف اللغوي فهي (المدينة المصر الجامع)(2) ، (المدينةُ معروفةٌ، وهي البُقعةُ المسورة المستولي عليها ملك)(3) ، ويعرفها الباحث بأنها تجمع كبير من المساكن الحضارية المشغولة بجمع كبير من الناس ، وتتوافر فيها معظم الخدمات من مؤسسات تجارية وتعليمية وصحية واقتصادية وإعلامية ونقل وخلافه .

رابعاً : العهد لغة واصطلاحاً:

-العهد لغة : (الوصية والتقدم إلى صاحبك (بشيء)(4) ، (وطواف آخر عهد بالبيت والعهد اللقاء وقد عهده بمكان كذا من حد علم أي لقيته)(5). ومن هنا

وبين معانيها) محمد حسن حسن جبل ، ج4/2047 ، الناشر: مكتبة الآداب - القاهرة - الطبعة: الأولى، 2010 م.

- 1 (المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: 458هـ] ج9/359 ، المحقق: عبد الحميد هندأوي ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م
- 2 (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، ج2/566.
- 3 (اللباب في علوم الكتاب - أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ) ج9/256 ، المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
- 4 (كتاب العين - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ) ج1/102 ، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
- 5 (طلبة الطلبة - عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي (المتوفى: 537هـ) ص32 ، الناشر: المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد - الطبعة: بدون طبعة - تاريخ النشر: 1311 هـ.

يكون العهد الوصية بشيء ، أو اللقاء . والنبوي: نسبة إلى نبوة سيدنا محمد ﷺ .
فالعهد عهده .

-العهد اصطلاحاً : (كل ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من المواثيق
فهي عهود)(1).

ويقصد بالعهد هنا : الفترة التي عاشها النبي ﷺ في مكة المكرمة - بعد نزول
الوحي عليه ﷺ في غار حراء - وفي المدينة المنورة حيث بلغ دعوة الله تعالى حتى
أتاه اليقين ، والبحث هنا يتعلق بالفترة التي عاشها النبي ﷺ في المدينة المنورة يبلغ
فيها الدعوة إلى الله تعالى ، ويقابل فيها الوفود ، ويعقد اللقاءات والمعاهدات
... الخ . وبعض العلماء ، يسمي الفترة التي عاشها النبي ﷺ في مكة بالعهد المكي ،
والفترة التي عاشها النبي ﷺ في المدينة المنورة بالعهد المدني . وقد ألف : أحمد
أحمد غلوش كتابين ، الأول بعنوان : السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي ،
مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى : 1424هـ ، 2004م . والثاني بعنوان : السيرة
النبوية والدعوة في العهد المدني ، مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى : 1424هـ -
2004م .

خامساً: تطبيقات لغة واصطلاحاً :

-التطبيق لغة : (" وافق شن طبقه " ... وليس هذا بطبق لذا أي بمطابق له .)
(1) ، و (المطابقة) الموافقة و (التطابق) الاتفاق. و (طابق) بين الشئين جعلهما

1 (معاني القرآن وإعرابه - إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ) ج3/ 238 ،
المحقق: عبد الجليل عبده شلبي - الناشر: عالم الكتب - بيروت - الطبعة: الأولى 1408 هـ - 1988 م .

على حذو واحد وأزقهما). (2) ، و(التطبيق: ويقال له أيضا المطابقة، والطباق والتكافؤ والتضاد) (3)، فالتطبيق هو الموافقة، أو الاتفاق بين شيئين .

-والتطبيق اصطلاحاً : من خلال التعريف اللغوي يفهم أن التعريف الاصطلاحي وهو : موافقة شيء لشيء ومطابقته به، وإذا تم ربط هذا التعريف بالبحث فيكون المعنى هو : محاولة دعوة الوافدين للمدينة المنورة في العصر الحاضر لتطابق وتوافق دعوة النبي للوافدين إلى المدينة المنورة في عهده ﷺ .

سادساً: المعاصرة لغة واصطلاحاً :

-المعاصرة لغة : (العصر الزمن والمدة من الدهر بفتح العين ويقال بضمها أيضا وقوله العصر من الدهر أي المدة والعصران الغداة والعشي وصلاة العصرين الصبح والمغرب قيل سميتا بذلك لمقاربة كل واحد منهما مغيب الشمس أو طلوعها) (4)

(1) أساس البلاغة - أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) ج 1/ 594 ، تحقيق: محمد باسل عيون السود - الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

(2) مختار الصحاح - زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ) ص 188 ، المحقق: يوسف الشيخ محمد - الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا - الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999 م.

(3) كتاب التعريفات - علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ) ص 61 ، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر - الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983 م.

(4) مشارق الأنوار على صحاح الآثار - عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ)

- المعاصرة اصطلاحاً : (المعايشة بالوجدان والسلوك للحاضر ، والإفادة

من كل منجزاته العلمية والفكرية وتسخيرها لخدمة الإنسان ورقيه) (1)

والمعاصرة هنا يقصد بها الباحث : موافقة دعوة الدعاة للوافدين إلى المدينة

المنورة في العصر الحاضر لدعوة النبي للوافدين في العهد المدني للمدينة المنورة.

المطلب الثاني : نبذة مختصرة عن المدينة المنورة .

(المدينة) الشريفة: هي دار الهجرة، وذات الروضة والحجرة. وثبت أنه

ﷺ قال: «إن الإيمان ليأرز - أي ينضم - إلى المدينة، كما تأرز الحية إلى جحرها»

(2) ، وأنه ﷺ قال: «.... والمدينة حرم من غير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً أو

أوى محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ومن تولى غير مواليه، فعليه

لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل، وذمة المسلمين

واحدة يسعى بها أديانهم، فمن أخفر مسلماً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس

أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل" (3) ، وفي مسلم قال النبي ﷺ: «المدينة حرم

ما بين غير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً، أو أوى محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة

دار النشر: المكتبة العتيقة ودار التراث .

(1) انظر: وسائل الدعوة بين الأصالة والمعاصرة - علاء الدين الزاكي ، ص 6 سلسلة دراسات دعوية ، نقلا عن :

مفاهيم إسلامية، ج 1/ 281 .

(2) صحيح مسلم - كتاب الإيمان- باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وأنه يأرز بين المسجلين-

ج 1/ 131 رقم الحديث : 233 - (147)

(3) مستخرج أبي عوانة ، أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني (المتوفى: 316هـ)

ج 3/ 240 ، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي ، الناشر: دار المعرفة - بيروت - الطبعة: الأولى، 1419هـ-

والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً، ولا عدلاً، وذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم» (1) وثور: جبل صغير خلف (أحد) من جهة الشمال. ولأحمد: «ما بين عير إلى أحد» (2) وعير مقابل لأحد. «المدينة حرام آمن عير إلى ثور» (3)، قال رسول الله ﷺ: «أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون يثرب، وهي المدينة، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد» (4)، وأنه ﷺ قال: «لا يكيد أهل المدينة أحد، إلا انماع كما ينماع الملح في الماء» (5)، وأنه ﷺ قال: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطّاعون ولا الدّجال»، (6)، وأنه ﷺ قال: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام»، (7)، وأنه ﷺ قال: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»

- (1) صحيح مسلم - كتاب الحج - باب فضل المدينة، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمةها - ج 2/ 994 رقم الحديث: 467 - (1370)
- (2) صحيح مسلم - كتاب الحج - باب فضل المدينة، ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمةها - هامش، ج 2/ 994 رقم الحديث: 467 - (1370)
- (3) شرح معاني الآثار، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ) ج 4/ 191، حققه وقدم له: (محمد زهري النجار - محمد سيد جاد الحق) من علماء الأزهر الشريف، راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: د يوسف عبد الرحمن المرعشلي - الباحث بمركز خدمة السنة بالمدينة النبوية، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى - 1414 هـ، 1994 م.
- (4) صحيح البخاري - كتاب فضائل المدينة - باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس - ج 3/ 20 رقم الحديث: 1871
- (5) صحيح البخاري - كتاب فضائل المدينة - باب إثم من كاد أهل المدينة - ج 3/ 21 رقم الحديث: 1877
- (6) صحيح البخاري - كتاب فضائل المدينة - لا يدخل الدجال المدينة - ج 3/ 22 رقم الحديث: 1880
- (7) صحيح البخاري - كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - ج 2/ 60 رقم الحديث: 1190

(1)...(2) ، وعن جابر، (3) قال: سمعته يعني النبي ﷺ: «سمى المدينة طابا»
(4)...(5) ، سكن اليهود المدينة في عهد موسى عليه السلام فلحق بها
الأوس والخزرج فوجدوا الآطام والأموال والقوة لليهود فعاملوهم زمانا فصار لهم
مالا وعددا، فمكث الأوس والخزرج معهم ما شاء الله ثم سألوهم أن يعقدوا بينهم
وبينهم جوارا وحلفا يأمن به بعضهم من بعض، ويمتنعون به ممن سواهم، فتعاقدوا
وتحالفوا واشتركوا وتعاملوا، فلم يزلوا على ذلك زمانا طويلا حتى قويت الأوس
والخزرج وصار لهم مال وعدد فلما رأت قريظة والنضير حالهم خافوهم أن
يغلبوهم على دورهم وأموالهم فتنمروا لهم حتى قطعوا الحلف الذي كان بينهم،
وكانت قريظة والنضير أعز وأكثر فأقامت الأوس والخزرج في منازلهم وهم خائفون
أن تجلبهم يهود حتى نجم منهم مالك بن العجلان أخو بني سالم بن عوف بن

1 (صحيح البخاري - كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - باب فضل ما بين القبر والمنبر - ج 2 / 61 رقم

الحديث: 1195

2 (حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي،
الشهير بـ«بَحْرُوق» (المتوفى: 930هـ) ص 84-85 ، الناشر: دار المنهاج - جدة ، تحقيق: محمد غسان نصوح
عزقول ، الطبعة: الأولى - 1419 هـ.

3 (أي جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام أبو عبد الله السلمي الأنصاري المدني..) التاريخ الكبير - محمد بن
إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ) ج 2 / 207 ، الطبعة: دائرة المعارف
العثمانية، حيدرآباد - الدكن - طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

4 (المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)
ج 2 / 234 ، المحقق: حمدي بن عبد المعيد السلفي ، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، الطبعة: الثانية .

5 (اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون «دراسة محققة للسيرة النبوية» موسى بن راشد العازمي ، ج 2 / 151 ،
تقريظ: محمد رواس قلعه جي، الشيخ عثمان الخميس ، الناشر: المكتبة العامرية للإعلان والطباعة والنشر
والتوزيع، الكويت ، الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 م.

الخزرج. ثم قتل الأوس والخزرج اليهود.. واستولوا على المدينة..(1)، (قالت عائشة رضي الله عنها: كل البلاد افتتحت بالسيف، وافتتحت المدينة بالقرآن... كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في كل موسم على قبائل العرب ويقول: "ألا رجل يحملني إلى قومه فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي". فيأبونه ويقولون له: قوم الرجل أعلم به. حتى لقي في بعض السنين عند العقبة نفرا من الأوس والخزرج قدموا في المنافرة التي كانت بينهم فقال لهم: "من أنتم؟". قالوا: نفر من الخزرج. قال: "أمن موالي يهود؟". قالوا: نعم. قال: "أفلا تجلسون كلكم؟" قالوا: بلى. فجلسوا معه فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن وكانوا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا إذا كان بينهم وبين اليهود الذين معهم بالمدينة شيء قالت اليهود لهم وكانوا أصحاب كتاب وعلم: إن النبي مبعوث الآن وقد أظل زمانه فقتلتموه معه قتل عاد وإرم. فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم تعلمون والله أنه النبي الذي توعدكم به يهود فلا سبقتكم إليه فاغتنموه وآمنوا به، فأجابوه فيما دعاهم إليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام، وقالوا: لقد تركنا قومنا وبينهم من العداوة والشر ما بينهم، وعسى أن يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم وندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبنك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك. قم

(1) تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف - محمد بن أحمد بن الضياء محمد القرشي العمري المكي الحنفي، بهاء الدين أبو البقاء، المعروف بابن الضياء (المتوفى: 854هـ) ص 216 - 218، المحقق: علاء إبراهيم، أيمن نصر - الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الثانية،

انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا وكانوا ستة: سعد بن زرارة وهو جد النقباء في العقبة الأولى والثانية، وعوف بن عفراء (1) وهي أمه وأبوه الحارث ابن رفاعه، ورافع بن مالك بن العجلان(2)، وقطبة بن عامر بن حديدة، (3) وعقبة بن عامر بن نابي، وجابر بن عبد الله بن رثاب، فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ﷺ وما جرى لهم ودعواهم إلى الإسلام ففشا فيهم حتى لم يبق دار من دور الإسلام إلا ولرسول الله ﷺ فيها ذكر، فلما كان العام المقبل وافى الموسم منهم اثنا عشر رجلا فلقوا رسول الله ﷺ بالعقبة وهي العقبة الأولى فبايعوه، فلما انصرفوا بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير إلى المدينة وأمره

1 (وهو (عوف بن عفراء وهي أمه، وهي عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، واسم أبيه: الحارث بن رفاعه بن الحارث بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي النجاري). أسد الغابة في معرفة الصحابة - أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ) ج4/ 299 ، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود- الناشر: دار الكتب العلمية- الطبعة: الأولى - سنة النشر: 1415هـ - 1994م.

2 (رافع بن مالك بن عجلان بن عمرو بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج عقبي، نقيب، أحد الستة، وأحد الاثني عشر، وأحد السبعين، شهدا المشاهد الثلاثة من «العقبة»، وبايع بها، كان هو ومعاذ ابن عفراء أول أنصارين أسلما من الخزرج ويقال: إن أول من قدم «المدينة» رافع بن مالك.. معرفة الصحابة- أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ) ج2/ 1041 ، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي- الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض - الطبعة: الأولى 1419 هـ - 1998م.

3 (قطبة بن عامر بن حديدة احد بنى سلمة بن سعد يكنى ابا زيد توفي في خلافة عثمان له صحبة (الجرح والتعديل- أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ) ج7/ 141 ، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند - دار إحياء التراث العربي - بيروت - الطبعة: الأولى، 1271 هـ 1952 م .

أن يقرئهم القرآن، ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين، وكان منزله على سعد بن زرارة، ولقيه في الموسم الآخر سبعون رجلاً من الأنصار منهم امرأتان فبايعوه، وأرسل رسول الله ﷺ أصحابه إلى المدينة ثم خرج إلى الغار بعد ذلك ثم توجه هو وأبو بكر رضي الله عنه إلى المدينة. (1)، ثم جاءت هجرة النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، وبنى فيها مسجد قباء ثم المسجد النبوي ثم حجراته.. ثم آخى بين المهاجرين والأنصار وبدأ العهد الجديد للدعوة الإسلامية بعد المرحلة المكية التي ركزت على العقيدة. (2).

المبحث الأول

معرفة المدعو الوافد في عصر النبي - ﷺ - ومقابلته ودعوته إلى الله تعالى

من الأمور الأساسية في الدعوة إلى الله تعالى معرفة بلد المدعو، ليعرف الداعية كيف يتكلم معه؟، وكيف يدعوه؟، وما الكلام الذي يقبله؟، وما الكلام الذي يرفضه؟ فإذا علم الداعية هذه الأمور توجه إلى المدعو الوافد - للمدينة المنورة - لتعريفه بعض الأمور المتعلقة بالدعوة إلى الله تعالى والتي لم يحدثه فيها أحد من دعاة بلده. فإذا أراد أن يدلي الإنسان بمعلومات لإنسان آخر، سأله عن بلده، ومن الأدلة على ذلك: سؤال الراهب عبد المطلب قائلاً له ولمن معه من

1 (تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، ص 221 - 222 .

2 (انظر: المختصر الكبير في سيرة الرسول - ﷺ - عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، ابن جماعة الكناي، الحموي الأصل، الدمشقي المولد، ثم المصري، عز الدين (المتوفى: 767هـ) ص 46 وما بعدها، المحقق: سامي مكّي العاني، الناشر: دار البشير - عمان - الطبعة: الأولى، 1993م.

التجار ، من أي البلاد أنتم ؟ : والدليل ما ورد في (سبب تسميته محمداً: أن عبد المطلب كان مسافراً إلى الشام مع ثلاثة من أصحابه للتجارة، فبينما هم في الشام التقوا براهب، فسألهم: من أين أنتم؟ قالوا: نحن من مكة، فقال لهم: إن بلادكم سيخرج منها نبي، فسألوه ما اسم النبي قال: "اسمه محمد"، ولم يكن اسم محمد معروفاً عند العرب. فلما رجع هؤلاء الأربعة عزم كل واحد منهم إن رزق بمولود يسميه محمداً. عبد المطلب كبر، فلما رزق ابنه عبد الله ولدأ سماه محمداً ، وأما الثلاثة فهم: سفيان بن مجاشع سمى ابنه محمداً، وأحيحة بن الجلاح سمى ابنه محمداً، وحمران بن ربيعة سمى ابنه محمداً، هؤلاء أول من سمى محمداً في العرب، كما قال الإمام السهيلي في الروض الأنف (1). وكان مجيء الوفود إلى المدينة لمبايعة الرسول -ﷺ- على الإسلام وإعلان الولاء له ، حيث قام النبي بدعوة الوافدين بعد التعرف عليهم ، (قال ابن إسحاق: لما افتتح رسول الله -ﷺ- مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه. قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة: أن ذلك في سنة تسع، وأنها كانت تسمى سنة الوفود.) (2) وعن (انقياد العرب وإسلامهم) : قال ابن إسحاق: وإنما كانت العرب تربص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش وأمر رسول الله -ﷺ-، وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهاديهم، وأهل البيت الحرام، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم

(1) اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون «دراسة محققة للسيرة النبوية» موسى بن راشد العازمي ، تقريظ: محمد رواس قلعه جي، الشيخ عثمان الخميس ، ج1/81-82 .

(2) السيرة النبوية لابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ) ج2/560 ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955 م .

عليهما السلام، وقادة العرب لا ينكرون ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله -ﷺ- وخلافه، فلما افتتحت مكة، ودانت له قريش، ودوخها الإسلام، وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله -ﷺ- ولا عداوته، فدخلوا في دين الله، كما قال عز وجل، أفواجا، يضربون إليه من كل وجه، يقول الله تعالى لنبية -

ﷺ-: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ

أَفْوَاجًا ۚ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۖ ﴾ (النصر: ١ - ٣، أي فاحمد الله على ما أظهر من دينك، واستغفره إنه كان توابا). (1) ومن الآثار العظيمة التي تخلفت عن حادث الهجرة النبوية مجيء الوفود إلى المدينة المنورة وإعلان الإسلام أمام الرسول -ﷺ- بل ومبايعته والولاء له .. وقد تعددت هذه الوفود، وسيتم الحديث عنها من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات ووفد

عبد القيس :

أولاً: وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات : ومن الممارسة التطبيقية للدعوة قيام النبي ﷺ بدعوة الوافدين إلى المدينة المنورة ، (فقدمت على رسول الله -ﷺ- وفود العرب، فقدم عليه عطارد ابن حاجب بن زرارة بن عدس التميمي، في أشرف بني تميم، منهم الأقرع بن حابس التميمي، والزبرقان بن بدر التميمي، أحد بني سعد، وعمرو بن الأهم، والحجاب بن يزيد) (2).

(1) السيرة النبوية لابن هشام، ج 2/ 560 .

(2) السيرة النبوية لابن هشام، ج 2/ 560 .

ثانياً: وفد عبد القيس : ذكر علماء السيرة عدة وفود جاءت إلى المدينة المنورة بعد ظهور الدعوة وتأسيس الدولة الإسلامية في المدينة يعلنون إسلامهم ، ومن بين هذه الوفود التي قدمت على رسول الله - ﷺ - وفد عبد القيس : (ومن أصح ما جاء في هذا الباب حديث وفد عبد القيس، وهم الذين قال لهم رسول الله - ﷺ - : مرحباً بالوفد غير خزايا ولا ندامى، وقد تكرر حديثهم في الصحيحين دون تسمية أحد منهم، فمنهم أشج عبد القيس، وهو المنذر بن عائد، قال له النبي - ﷺ - : «إن فيك خلتين يحبهما الله، الحلم والأناة» قال: يا رسول الله أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: «بل الله جبلك عليهما» قال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله. (1) ومنهم أبو الوازع الزارع بن عامر (2) وابن أخته مطر بن هلال العنزى . ولما ذكروا للنبي - ﷺ - أنه ابن أختهم قال: ابن أخت القوم منهم. ومنهم: ابن أخي الزارع، وكان مجنوناً، فجاء به معه ليدعو له النبي - ﷺ - فمسح ظهره، ودعا له فبرئ لحينه، وكان شيخاً كبيراً فكسي جمالاً وشباباً، حتى كان وجهه وجه العذراء، ومنهم الجهم بن قثم لما نهاهم النبي - ﷺ - عن الشرب في الأوعية وحذرهم ما يقع في ذلك من الجراح، وأخبرهم أنهم إذا شربوا المسكر عمد أحدهم إلى ابن عمه، فجرحه، وكان فيهم رجل قد جرح في ذلك وكان يخفي جرحه ويكتمه، وذلك الرجل هو جهم بن قثم، عجبوا من علم النبي - ﷺ - بذلك، وإشارته

(1) سنن أبي داود - كتاب الأدب - باب في قبلة الرجل - ج4/357 ، رقم الحديث: 5225 ، [حكم الألباني]: حسن دون ذكر الرجلين.

(2) الزارع بن عامر أبو الوازع العبدي من عبد القيس الصحابي الوافي بالوفيات - صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ) ج14/110 ، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت - عام النشر: 1420هـ - 2000م.

إلى ذلك الرجل. رسول الله -ﷺ- أنه قال: " اللهم اغفر لعبد القيس إذ أسلموا طائعين غير كارهين غير خزايا، ولا موتورين ، إذ بعض قومنا لا يسلمون حتى يخزوا، ويوتروا " قال: وابتهل وجهه هاهنا من القبلة حتى استقبل القبلة ، وقال: " إن خير أهل المشرق عبد القيس " (1) وأنه زودهم الأراك يستاكون به، ومنهم: مزينة العصري جد هود بن عبد الله بن سعد ابن مزينة، وعلى هود يدور حديثه في التمر البرني، وأنه دواء، وليس فيه داء، ومنهم: قيس بن النعمان (2) ، فهذا ما بلغني من تسمية من وفد على النبي -ﷺ- في وفد عبد القيس.(3) وقد قدم في هذا الوفد الجارود بن عمرو، وكان نصرانيا، فلما انتهى إلى رسول الله -ﷺ- كلمه، فعرض عليه الإسلام، ودعا إليه، ورغبه فيه. فقال: يا محمد، إني كنت على دين، وإني تارك ديني لدينك، أفتضمن لي ديني؟ فقال رسول الله -ﷺ-: «نعم، أنا ضامن أن قد هدك الله إلى ما هو خير منه». فأسلم وحسن إسلامه، وأراد الرجوع إلى بلاده، فسأل النبي -ﷺ- حملانا، فقال: «والله ما عندي ما أحملكم عليه» ، قال: يا رسول الله، فإن بيننا وبين بلادنا ضوال من ضوال الناس، أفتبليغ عليها إلى بلادنا؟ قال: «لا» ، إياك

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج 29/364، رقم الحديث: 17829 ، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م ، قال المحقق: إسناده صحيح.

(2) أنظر: سنن أبي داود - كتاب الأشربة - باب في الأوعية - ج 3/331 رقم الحديث: 3695 ، [حكم الألباني]: صحيح.

(3) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: 581 هـ) ج 7/428-429 ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت ، الطبعة: الأولى، 1412 هـ

وإياها، فإنما تلك حرق النار» (1) . فخرج من عنده الجارود (2) راجعا إلى قومه، وكان حسن الإسلام، صليبا في دينه، حتى هلك وقد أدرك الردة، فلما رجع من كان أسلم من قومه إلى دينهم الأول مع الغرور بن المنذر بن النعمان، قام الجارود فتشهد بشهادة الحق، ودعا إلى الإسلام، فقال: يا أيها الناس، إنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وأكفر من لم يتشهد.(3)

المطلب الثاني : وفد أهل اليمن :

و(من الوفود: التي وفدت على رسول الله -ﷺ-) وفد أهل (اليمن) ، فبشرهم -ﷺ- وأثنى عليهم خيراً، وبعث معهم معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما. وروي أنه قد جاءت بنو تميم، فقال لهم رسول الله -ﷺ-: «أبشروا يا بني تميم» ، فقالوا: بشرتنا فأعطنا، فتغير وجهه -ﷺ-، فجاء ناس من (اليمن) ،

1 (صحيح البخاري - كتاب الأيمان والنذور - باب لا تحلفوا بآبائكم - ج8/ 132 رقم الحديث : 6649 .

2) واسمه بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى وهو الحارث بن زيد بن حارثة بن معاوية بن ثعلبة بن جذيمة بن عوف بن بكر بن عوف بن أنمار. قال: وإنما سمي الجارود لأن بلاد عبد القيس أسافت حتى بقيت للجارود شلية. والشلية هي البقية. فبادر بها إلى أحواله من بني هند من بني شيبان فأقام فيهم وإبله جربة فأعدت إبلهم فهلكت. فقال الناس: جردهم بشر. فسمي الجارود) الطبقات الكبرى - أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ) ج6/ 81 ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، 1410 هـ - 1990 .

٣

3) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله -ﷺ- والثلاثة الخلفاء ، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع (المتوفى: 634هـ) ج1/ 608 ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى،

فقال: «اقبلوا البشرى يا أهل (اليمن) ، إذ لم يقبلها بنو تميم» ، فقالوا: قد قبلنا يا رسول الله (1) . فقال: «الإيمان ها هنا» ، وأشار بيده إلى (اليمن) (2) وفي رواية «جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة، وأضعف قلوبا، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، السكينة في أهل الغنم، والفخر والخيلاء في الفدادين، أهل الوبر، قبل مطلع الشمس» (3) وعن أبي بردة، قال: بعث رسول الله -ﷺ- أبا موسى، ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما على مخالف، قال: واليمن مخالفاً، ثم قال: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا»، (4) . وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله -ﷺ- لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ، فإن هم طاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم طاعوا لك بذلك فأياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب» (5) وأن ابن عباس رضي الله

(1) صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن - ج 5 / 173 رقم الحديث: 4386

(2) صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن - ج 5 / 173 رقم الحديث: 4387

(3) صحيح مسلم - كتاب الإيمان - باب تفاضل أهل الإيمان فيه، ورجحان أهل اليمن فيه - ج 1 / 73 رقم الحديث: 89 - (52) .

(4) صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي، وعلقمة بن مجزز المدلجي ويقال: إنها سرية الأنصار - ج 5 / 161 ، رقم الحديث: 4341

(5) صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب بعث أبي موسى، ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع - ج 5 / 162 رقم

عنهما قال: لأهل (اليمن) ؛ من السماء نجمها- أي: سهيل- ومن (الكعبة) ركنها.(1).

وهنا قد تم تبليغ الدعوة لوفد اليمن ، وأرسل معهم معاذاً لتفقيهم ، وأشار النبي -ﷺ- إلى اليمن بالإيمان . ويستفيد الدعوة في العصر الحاضر أن المسلمين الجدد يحتاجون إلى من يفقههم في الدين ويبين لهم تشريعاته .

المطلب الثالث : وفود كعب بن زهير :

ومن الوفود التي قابلها النبي -ﷺ- في المدينة المنورة ، وفود كعب بن زهير(2) (وأما كعب بن زهير فلما ضاقت به الأرض ولم يجد له مجيراً جاء المدينة بعد أن قدمها رسول الله -ﷺ- من مكة فأسلم وأنشد قصيدته التي يقول فيها :

وقال كل صديق كنت آمله .. لا ألهيئك إني عنك مشغول
فقلت : خلوا سبيلي لا أبا لكم .. فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أثنى وإن طالت سلامته .. يوماً على آلة حذباء محمول
أنبتت أن رسول الله أوعدي .. والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة .. القرآن فيها مواعظ وتفصيل
وقال فيها مادحاً :

إن الرسول لسيف يستضاء به .. مهند من سيوف الله مسلول

(1) حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير بـ«بَحْرَق» ج1/369-370.

(2) كعب بن زهير بن أبي سلمى الشاعر، واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح بن قرظ بن الحارث بن مازن بن حلاوة بن ثعلبة بن ثور بن غنم بن عمرو وهو مزينة.. معجم الصحابة - أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي (المتوفى: 351هـ) ج2/380، المحقق: صلاح بن سالم المصراطي- الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة- الطبعة: الأولى، 1418.

ولما قال هذا البيت خلع عليه الرسول -ﷺ- برده .
وأما وحشى قاتل حمزة فكذلك أسلم وحسن إسلامه وقبله -ﷺ- وقد جاءه
ابنا أبى لهب عتبة ومعتب فأسلما وفرح بهما عليه الصلاة والسلام . وكان من الذين
اختلفوا سهيل بن عمرو ، فاستأمن له ابنه عبد الله فأمنه عليه الصلاة والسلام وقال :
«من لقي سهيل بن عمرو فلا يشد إليه، فلعمري إن سهيلا له عقل وشرف، وما مثل
سهيل جهل الإسلام» (1) ، فلما بلغت هذه المقالة سهيلا قال : كان والله براً صغيراً
براً كبيراً ، ثم أسلم بعد ذلك (2) . فخرج عبد الله بن سهيل إلى أبيه فخبره بمقالة
رسول الله -ﷺ- ، فقال سهيل : كان والله برا صغيراً وكبيراً، وكان سهيل يقبل ويدبر
آمناً وخرج مع رسول الله -ﷺ- وهو مشرك حتى أسلم بالجعرانة، فأعطاه رسول الله
-ﷺ- من غنائم حنين مائة من الإبل «وقد روى سهيل بن عمرو (3) عن رسول الله
-ﷺ-» (4) ، وقد ثبت سهيل - رضي الله عنه - على الدعوة وأبلى فيها بلاء
حسناً ، مع وجود الطاعون ، ومما ورد في ذلك : (عن أبي سعيد بن فضالة
الأنصاري - وكانت له صحبة - رضي الله عنه قال: اصطحبت أنا وسهيل بن عمرو

(1) المستدرک علی الصحیحین ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم
الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ) ج3/317 تحقيق: مصطفى عبد القادر
عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى، 1411 - 1990م .

(٢) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، ص 234 . حققه وعلق عليه الشيخ - نايف العباسي ومحي الدين مستو -
بدون تاريخ

(3) سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ويكنى أبا يزيد، وأمه حبي
بنت قيس بن ضبيس بن ثعلبة بن حيان بن غنم بن مليح بن عمرو من خزاعة. فولد سهيل بن عمرو: عبد الله،
وكان من المهاجرين) الجزء المتمم لطبقات ابن سعد [الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما
بعد ذلك] لابن سعد ، ص 426 ، تحقيق ودراسة: عبد العزيز عبد الله السلومي - الناشر: مكتبة الصديق -
الطائف، المملكة العربية السعودية ، عام النشر: 1416 هـ.

(4) المستدرک علی الصحیحین ، أبو عبد الله الحاكم ، ج3/317 ..

ليالي أعزره أبو بكر - رضي الله عنه - فسمعت سهيلاً يقول: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «مقام أحدكم في سبيل الله ساعة خير له من عمله عمره في أهله» ، قال سهيل: «وأنا مرابط حتى أموت، ولا أرجع إلى مكة أبداً» ، «فبقي مرابطاً بالشام إلى أن مات بها في طاعون عمواس، وإنما وقع هذا الطاعون بالشام سنة ثمان عشرة من الهجرة» (1).

المطلب الرابع : وفود صداء :

ومن الوفود التي جاءت إلى المدينة المنورة لمقابلة النبي - ﷺ - وفود صداء (فبعد ما رجع النبي - ﷺ - من عمرة الجعرانة إلى المدينة المنورة أرسل قيس بن سعد (2) في أربعمئة ليدعو صداء " قبيلة تسكن اليمن " إلى الإسلام فجاء إلى رسول الله رجل منهم فقال : يا رسول الله إني جئتك وافداً عمن ورائي فأرسل الجيش وأنا لك بقومي ، فأمر - ﷺ - برد الجيش ، وخرج الرجل إلى قومه فقدم بخمسة عشر رجلاً منهم فنزلوا ضيوفاً على سعد بن عباد (3) ، ثم بايعوا رسول الله على الإسلام ، وقالوا : نحن لك على من وراءنا من قومنا ، ولما رجعوا فشا فيهم الإسلام ، وقدم على رسول الله منهم مائة في حجة الوداع (4) ، وعن زياد بن الحارث الصدائي قال: «أتيت النبي - ﷺ - فبايعته فبلغني: أنه يريد أن يرسل جيشاً

(1) المستدرک علی الصحیحین، ج3/317 وقال الحاكم: [التعليق - من تلخيص الذهبي] 5226 - حذفه الذهبي من التلخيص لضعفه .

(2) ويكنى أبا عبيد الله. وكان قد خلف عطاء بن أبي رباح في مجلسه. وكان يقتي بقوله. وكان قد استقل بذلك ولكنه لم يعمر. مات سنة تسع عشرة ومائة في خلافة هشام بن عبد الملك. وكان ثقة قليل الحديث. (الطبقات الكبرى، ج31/6).

(3) بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة. ويكنى أبا ثابت (الطبقات الكبرى، ج3/460).

(٤) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، للشيخ - محمد الخضري ، ص 145 ، 146 .

إلى قومي فقلت: يا رسول الله رد الجيش وأنا لك بإسلامهم وطاعتهم. قال: " افعل ". فكتبت إلى قومي فأتى وفد منهم النبي -ﷺ- بإسلامهم وطاعتهم. فقال: " يا أخا صداء إنك لمطاع في قومك؟ ". قلت: بل هداهم الله وأحسن إليهم. قال: " أفلا أوأمرك عليهم؟ " قلت: بلى. فأمرني عليهم فكتب لي بذلك كتابا، وسألته من صدقاتهم ففعل، وكان النبي -ﷺ- -يومئذ في بعض أسفاره [فنزل منزلا]، فأعرسنا من أول الليل فلزمته وجعل أصحابي يتقطعون حتى لم يبق معه رجل غيري، فلما تحين الصبح أمرني فأذنت، ثم قال: " يا أخا صداء أمعك ماء؟ " قلت: نعم قليل لا يكفيك. قال: " صبه في الإناء ثم ائني به " [فأتيته] فأدخل يده فيه فرأيت بين كل إصبعين من أصابعه عينا تفور، قال: " يا أخا صداء لولا أي أستحيي من ربي لسقينا واستسقينا، ناد في الناس من يريد الضوء؟ " قال: فاغترف من اغترف وجاء بلال ليقيم فقال النبي -ﷺ-: " إن أخا صداء أذن ومن أذن فهو يقيم " فلما صلى الفجر أتاه أهل المنزل يشكون عاملهم ويقولون: يا رسول الله أخذنا بما كان بينه وبين قومه في الجاهلية، فالتفت إلى أصحابه [وأنا فيهم] وقال: " لا خير في الإمارة لرجل مؤمن " فوقعت في نفسي وأتاه سائل يسأله فقال: " من سأل الناس عن ظهر غنى فهو صداع في الرأس وداء في البطن " فقال: أعطني من الصدقات. فقال: " إن الله لم يرض في الصدقات بحكم نبي ولا غيره حتى جعلها ثمانية أجزاء، فإن كنت منهم أعطيتك حقه " فلما أصبحت قلت: يا رسول الله أقل إمارتك فلا حاجة لي فيها. قال: " ولم؟ " قلت: سمعتك تقول: " لا خير في الإمارة لرجل مؤمن " وقد آمنت وسمعتك تقول: " من سأل الناس عن ظهر غنى فصداع في الرأس وداء في البطن " وقد سألتك وأنا غني. قال: " هو ذاك فإن شئت فخذ وإن شئت فدع ". قال: قلت: بل أدع. قال: " فدلني على رجل أوليه ". فدلته على رجل من الوفد فولاه قالوا: يا رسول الله إن لنا بئرا إذا كان الشتاء وسعنا ماؤها فاجتمعنا عليها، وإذا كان الصيف

قل ماؤها فتفرقنا على مياه من حولنا، وإنما لا نستطيع اليوم أن نتفرق كل من حولنا
عدو، فادع الله أن يسعنا ماؤها. قال: فدعا بسبع حصيات ففركهن بين كفيه وقال: "
إذا أتيتموها فألقوا واحدة [واحدة] واذكروا اسم الله ". فما استطاعوا أن ينظروا إلى
قعرها بعد". قلت: في السنن طرف منه. (1).

المطلب الخامس : وفد ثعلبة :

ومن الوفود التي جاءت لمقابلة النبي -ﷺ- في المدينة المنورة " وفد ثعلبة "
فقد (وفد على رسول الله -ﷺ- أربعة منهم مقرين بالإسلام فسلموا عليه وقالوا : يا
رسول الله إنا رسل من خلفنا من قومنا ، ونحن مقرون بالإسلام وقد قيل لنا إنك
تقول : لا إسلام لمن لا هجرة له فقال -ﷺ- : ((حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم
((ثم قال لهم : ((كيف بلادكم ؟)) ، فقالوا : مخصبون . فقال : ((الحمد لله)) ثم
أقاموا في ضيافته أياماً ، وحين إرادتهم الانصراف أجاز كل واحد منهم بخمس أواق
من فضة) (2) . وغير ذلك من وفود كثيرة جاءت إلى رسول الله -ﷺ- في المدينة
تعلن إسلامها ، وهذا شاهد يدل على مجيئ كل هذه الوفود إلى المدينة المنورة ،
ومقابلة النبي -ﷺ- لها .

(1) انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى:
807هـ) ج5/203-204 ، المحقق: حسام الدين القدسي ، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة ، عام النشر:
1414 هـ، 1994 م. قال الهيثمي: رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وهو ضعيف، وقد وثقه
أحمد بن صالح، ورد على من تكلم فيه، وبقيّة رجاله ثقات.

(2) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله -ﷺ- والثلاثة الخلفاء ، ج1/599 ، نور البقين في سيرة سيد

المبحث الثاني

معرفة لغة المدعو الوافد إلى المدينة المنورة

علي الدعاة في المدينة المنورة (أن يبلغوا الدعوة إلى ما استطاعوا إلى الوافدين من جميع الأقطار، حسب الإمكان بالطرق الممكنة، وباللغات الحية التي ينطق بها الناس، يجب أن يبلغوا أمر الله بتلك اللغات حتى يصل دين الله إلى كل أحد باللغة التي يعرفها، باللغة العربية وبغيرها) (1) ، (وعن ابن عباس قال من الأنبياء خمسة من تكلم بالعربية محمد رسول الله ﷺ - واسماعيل بن ابراهيم وشعيب وصالح وهود وسائرهم بالسريانية ما خلا موسى فإنه تكلم بالعبرانية والعبرانية هي من السريانية تكلم بها ابراهيم ثم إسحاق ثم يعقوب فورثه ولده من بعده بنو اسرائيل فهي لغتهم وبها قرأ موسى التوراة عليهم) (2) .

اهتمام الداعية باللغة العربية : لا تقل أهمية معرفة اللغة العربية عن معرفة اللغات الأخرى للمدعويين الوافدين إلى المدينة المنورة ، فاللغة العربية الفصحى يفضل تحدث الداعية بها مع المدعو ، لأن معظم اللهجات العربية للأقطار الإسلامية كثير من الدعاة لا يعرفها ، ومعرفته لبعضها لا يسوغ له أن يتكلم بلهجة أو بأخرى أو بلهجته هو ، لأن كثيرا من المدعويين الوافدين إلى المدينة المنورة لا يفهمها . وهناك (فريق من علماء الغرب يصرح بأن معرفة اللغة العربية ضرورية

(1) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: 1420هـ) ج1/19 ، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية ، والإفتاء، الرياض - المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الرابعة، 1423 هـ - 2002 م . مع إضافة قليلة جدا.

(2) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (المتوفى: 272هـ) ج5/86 ، المحقق: عبد الملك عبد الله دهيش ، الناشر: دار خضر - بيروت - الطبعة: الثانية، 1414

لمن يريد أن يحيط بحقائق العلم.(1) ، أي الشرعي وغيره من علوم العرب والمسلمين ، كتفسير القرآن الكريم ، المعتمد على اللغة العربية ، (فكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، إذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله، ولم يتيسر لهم أخذه عن رسول الله - ﷺ - رجعوا في ذلك إلى اجتهادهم وإعمال رأيهم، وهذا بالنسبة لما يحتاج إلى نظر واجتهاد، أما ما يمكن فهمه بمجرد معرفة اللغة العربية فكانوا لا يحتاجون في فهمه إلى إعمال النظر، ضرورة أنهم من خُلص العرب، يعرفون كلام العرب ومناحيهم في القول، ويعرفون الألفاظ العربية ومعانيها بالوقوف على ما ورد من ذلك في الشعر الجاهلي الذي هو ديوان العرب)(2). فاللغة العربية هي لغة الدعوة إلى الله تعالى ، ولغة القرآن الكريم ، ولغة السنة النبوية المطهرة ، هي لغة الداعية الأول في الأمة الإسلامية نبينا محمد - ﷺ - . وكما اهتم الصليبيون بلغة كتابهم فينبغي أن يهتم الداعية بلغة القرآن الكريم .

(كما أن حركة الإصلاح الديني أعطت وزناً كبيراً للغة العبرية باعتبارها اللغة الأصلية للكتاب المقدس. فلكي يفهم المؤمنون كلمة الله بشكل صحيح لا بد لهم من معرفة اللغة الأصلية التي كتب بها، وبالتالي أصبح العلماء والمصلحون وحتى العامة منكبين على دراسة اللغة العبرية وتعلمها ، وهكذا يمكننا تقدير الخدمة التي قدمها لوثر لليهود، حيث أعاد بعثهم من جديد وأكد على وجوب عودتهم إلى أرض فلسطين، كمقدمة لعودة المسيح المنتظر.) (3) فالداعية كذلك ينبغي أن يهتم بمصدره الأول ، وهو القرآن الكريم ، وهو كتاب عربي ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا

(1) كواشف زيوف ، عبد الرحمن بن حسن حَبَّكَّة الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ) ج 1/40 ، الناشر: دار القلم، دمشق، الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1991 م .

(2) التفسير والمفسرون- محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ) ج 1/45 ، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

(3) الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجزء - الممارسة - سبل المواجهة) يوسف العاصي إبراهيم الطويل ، ج 1/41 ، الناشر: صوت القلم العربي، مصر، الطبعة: الثانية، 1431 هـ - 2010 م .

عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ يوسف: ٢ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَنْقُورُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ ﴿١٣﴾ طه: ١٣ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَنْقُورُونَ ﴾ ﴿٢٨﴾ الزمر: ٢٨ قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَذَّبُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٣﴾ فصلت: ٣ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ ﴿٧﴾ الشورى: ٧ قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٣﴾ الزخرف: ٣ وينبغي ألا يتكلم الداعية في المدينة المنورة مع الزائرين والوافدين إليها باللغة العامية التي لا يعرفونها.

المبحث الثالث

تحذير الداعية من البدع والخرافات المنتشرة في بلد المدعو الوافد للمدينة المنورة

المطلب الأول : تعريف البدعة لغة واصطلاحاً :

-البدعة في اللغة: بدعت الشيء إذا أنشأته. والله عز وجل بديع السموات والأرض أي منشئها. وبدعت الركي إذا استنبطتها. وركي بديع: حديثة الحفر. وتقول العرب: لست ببدع في كذا وكذا أي لست بأول من أصابه هذا وهو من قوله عز وجل: قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنْ الرُّسُلِ ﴾ ﴿١﴾ الأحقاف: ٩ والله أعلم بكتابه. وكل من أحدث شيئاً فقد ابتدعه والاسم البدعة والجمع البدع. (1). و (البدعة)

1 (جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ) ج1/ 298 ، المحقق: رمزي منير بعلبكي ، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة: الأولى، 1987 م ، مختار الصحاح ، زين الدين أبو

الحدث في الدين بعد الإكمال. و (استبدعه) عده بديعا. و (بدعه تبديعا) نسبة إلى البدعة.(1)

-أما البدعة في الاصطلاح: ولعل أحسن من فصل القول في هذا المجال الإمام الشاطبي - رحمه الله - حيث عرف البدعة بتعريفين:

أولهما: أنها (طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه وتعالى. وهذا التعريف على رأى من لا يدخل العادات في معنى البدعة وإنما يخصها بالعبادات.

ثانيهما: البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية) وهذا على رأى من أدخل العادات في مسمى البدع. وليس هذا التعريف داخلا معنا لأن الصحيح أن البدعة لا تدخل العادات إلا ما قصد به التعبد منها. ثم أخذ الشاطبي يشرح ألفاظ التعريف، ويتلخص ما قاله فيما يأتي: الطريقة والطريق: ما رسم للسلوك عليه. في الدين: قيد يخرج الاختراع في أمور الدنيا."(2).

عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ) ج 1/30 ، المحقق: يوسف الشيخ محمد ، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا - الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م .

(1) مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي ، ج 1/30 .

(2) الاعتصام ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ) ج 1/51 ، 56 ، تحقيق ودراسة: الجزء الأول: محمد بن عبد الرحمن الشقير، الجزء الثاني: د سعد بن عبد الله آل حميد ، الجزء الثالث: دهشام بن إسماعيل الصيني ، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م ، ومحبة الرسول بين الاتباع والابتداع ، عبد الرؤوف محمد عثمان ،

المطلب الثاني : البدع والخرافات في بعض بلدان الوافدين إلى المدينة المنورة .

وبعد أن عرفت البدع لغة واصطلاحاً أبين هنا أن (من المدعويين الوافدين إلى المدينة المنورة ، ناس تشبعت نفوسهم بالبدع والخرافات المنتشرة في بلدانهم ، وواجب الدعاة هنا في المدينة المنورة مواجهة هؤلاء بالأساليب الدعوية الحكيمة التي وردت في القرآن الكريم ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ اَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالنِّبْيِ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥) ، ولا يستخدم الداعية أسلوباً فظاً مع المدعويين من الوافدين فنحن في مدينة رسول الله - ﷺ - وقد خاطبه الله تعالى بقوله ، ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩) نعم لدى الوافدين مخالفات ، ويتمسك بعضهم ببعض البدع ، ولكنهم يحتاجون إلى حكمة في دعوتهم إلى الله تعالى ، وتعريفهم العقيدة الصحيحة الخالية من شوائب الشرك والبدع . (والعقيدة الصحيحة تقوم على التوحيد الخالص الذي بعث الله من أجله الرسل، وأنزل الكتب، وخلق الثقلين، وجميع الأحكام تابعة له، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: ٥٦) وقد مكث النبي - ﷺ - بمكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى التوحيد، ويحذر من الشرك، ويصحح للناس

عقائدهم، قبل أن تفرض عليهم الصلاة والزكاة وغيرهما من العبادات، اللهم ما كان يأمر به من معالي الأخلاق كصلة الرحم، والصدق، وحسن الجوار وغير ذلك، فأمضى حياته -ﷺ- كلها في الدعوة إلى التوحيد والتحذير مما يضاده، حتى لما هاجر إلى المدينة كان هذا منطلق دعوته وأساسها، واستمر على ذلك طيلة حياته -ﷺ-. (1).

وكان من الأخطاء الأساسية في الفكر الصوفي النظرة العدائية إلى الحياة الدنيا تلك التي يبدو أنها متأثرة بالفكر البوذي والفلسفات المنحرفة. وحدث أن أقبل العامة بقيادة المتصوفين على الطقوس والأوراد. وهذا الخلط الصوفي الأحقق يعتبر أول تصدع أصاب كيان الأمة الإسلامية، وهذا الانحراف العقدي وقع قبل احتكاك الغرب اللاديني بالشرق، بل قبل قيام الدولة العثمانية، وفي آخر عهد العثمانيين ازداد الأمر سوءاً وتطورت الانحرافات حتى توهم الناس أن العبادة هي ما يأمر به المشايخ والأولياء من البدع، ووقعت الأمة في شرك حقيقي، وذلك بما يمارسه الناس من بدع الأضرحة والمشاهد والمزارات، وتقديس الموتى والاعتماد عليهم في جلب النفع ودفع الضرر، ووصل الأمر إلى حالة مزرية جداً حين كانت جيوش المستعمرين تقتحم المدن الإسلامية، والمسلمون يستصرخون بالأسياذ أو الأولياء الذين قد مضى على وفاتهم مئات السنين. ومن ذلك قول بعض الشعراء:

يا خائفين من التتر... لو ذوا بقبر أبي عمر

1 (تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري - حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، ص 368، الناشر: الجامعة

وقال: **عوذوا بقبر أبي عمر... ينجيكم من الضرر(1)..(2)**

وقد نهى النبي -ﷺ- عن الابتداع في الدين، وحذر منه، وبين لأُمَّته، أنّ كل بدعة في دين الله فهي محرمة وضلالة، فعن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: "وعظنا رسول الله -ﷺ- موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فأوصنا، قال: "أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَصَّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحَدَّثَاتِ الأمور، فإن كل بدعة ضلالة"(3). وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله -ﷺ- «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه، فهو رد»(4). وفي

1 (دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف ، ج1/ 365 ، الناشر: دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ

2 (العلمانية وموقف الإسلام منها ، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي ، ج1/ 374-375 ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: العدد 115 - السنة 34 - 1422 هـ .

3 (السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) ج10/ 195 ، المحقق: محمد عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م ، البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ) ج9/ 582 ، المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال ، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية ، الطبعة: الأولى، 1425هـ-2004م ، الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ورواه ابن حبان في «صحيحه».

4 (صحيح البخاري - كتاب الصلح - باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود - ج3/ 184 رقم الحديث: 2697

رواية: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» (1). ولا شك أن الابتداع في الدين كان - ولا يزال - من أعظم الأسباب التي حادت بالأمة الإسلامية عن المنهج الصحيح، وكان من أهم العوامل التي قضت على وحدة المسلمين، وشتتت شملهم، حتى تفرق الناس شيعاً وأحزاباً. يقول الشاطبي -رحمه الله: "ثم استمر تزايد الإسلام، واستقام طريقه على مدة حياة النبي -ﷺ- ومن بعد موته، وأكثر قرْن الصحابة رضي الله عنهم، إلى أن نبغت فيهم نوابغ الخروج عن السنة، وأصغوا إلى البدع المضلة" (2). ويقول ابن تيمية -يرحمه الله: واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات في هذا القدر وغيره إنما وقع في الأمة في أواخر خلافة الخلفاء الراشدين كما أخبر به النبي -ﷺ- (3) ، (وأول بدعة ظهرت بدعة القدر، وبدعة الإرجاء، وبدعة التشيع والخوارج، هذه البدع ظهرت في القرن الثاني والصحابة موجودون، وقد أنكروا على أهلها، ثم ظهرت بدعة الاعتزال، وحدثت الفتن بين المسلمين، وظهر اختلاف الآراء والميل إلى البدع والأهواء، وظهرت بدعة التصوف، وبدعة البناء على القبور بعد القرون المفضلة، وهكذا كلما تأخر الوقت زادت البدع وتنوعت) (4). (ومنها البدع في مجال العبادات والتقرب إلى الله، وهي

(1) صحيح مسلم - كتاب الأفضية - باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور - ج3/1343 رقم الحديث: 18 - (1718)

(2) الاعتصام للشاطبي، ج1/14 .

(3) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ) ج10/354 ، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، عام النشر: 1416هـ/1995م

(4) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد - صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، ج1/325 ، الناشر: دار ابن الجوزي ، الطبعة: الرابعة 1420هـ - 1999م ، وانظر: كتاب التوحيد،: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، ج1/146 ، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الرابعة، 1423هـ.

كثيرة ومنها الجهر بالنية للصلاة، والذكر الجماعي بعد الصلاة، وطلب قراءة الفاتحة في المناسبات بعد الدعاء، وللأموات، وإقامة المآتم على الأموات، وصناعة الأطعمة، واستئجار المقرئين..، وكالاحتفال بالمناسبات الدينية كمناسبة الإسراء والمعراج، ومناسبة الهجرة النبوية، ومن ذلك الأذكار الصوفية، كلها بدع ومحدثات لأنها مخالفة للأذكار المشروعة في صيغها وهيئاتها وأوقاتها، ومن ذلك البناء على القبور واتخاذها مساجد، وزيارتها لأجل التبرك بها، والتوسل بالموتى وغير ذلك من الأغراض الشركية.. (1). (قال ابن الماجشون سمعت مالكا يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا خان الرسالة، لأن الله يقول: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَيُّومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: 3، فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا. وقال الشافعي رحمه الله: من استحسّن - يعني بدعة - فقد شرع. وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله - ﷺ - والاقْتداء بهم وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة.. (2).

وكيفية دعوتهم تكون بإعداد الدعاة دروساً ومحاضرات ولقاءات متعددة في المسجد النبوي، وفي مسجد قباء، وفي مسجد القبلتين، وفي مسجد شهداء أحد،

(1) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ج 1/ 336، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الرابعة 1420هـ - 1999م.

(2) السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، محمد بن أحمد عبد السلام خضر الشقيري الحوامدي (المتوفى: بعد 1352هـ) ج 1/ 6، المصحح: محمد خليل هراس، الناشر: دار الفكر، والمنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، ج 1/ 177-179، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد 119 - السنة 35 - 1423 هـ/ 2003م. وانظر: التوحيد وأثره في حياة المسلم، حمد بن إبراهيم الحريقي، ج 1/ 75، الناشر: دار الوطن، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1993م.

وفي الباصات وفي كل تجمع لهؤلاء الزوار ، وذلك لدعوتهم إلى التوحيد الخالص ، وعبادة الله تعالى على بصيرة ، ولتفقيهم منهج السلف الصالح في فهم الدعوة ، والعمل بها ، وتطبيقها . ويتحنون الفرص ، وعليهم ألا يصطدموا بأساليبهم مع الوافدين ، ولتكن دعوتهم كما أمر ربنا سبحانه وتعالى ، ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥] ، وأن يستخدموا الوسائل الممكنة في دعوتهم .

الاحتفال بمناسبة المولد النبوي " ومن البدع المعاصرة التي تشعب بها بعض الوافدين للمدينة الاحتفال بالمولد النبوي، والتبرك بالأماكن والآثار والأشخاص أحياء وأمواتاً. وهو تشبه بالنصارى في عمل ما يسمّى بالاحتفال بمولد المسيح، فيحتفل جهلة المسلمين، أو العلماء المضلون في ربيع الأول أو في غيره من كل سنة بمناسبة مولد الرسول محمد -ﷺ- فمنهم من يقيم هذا الاحتفال في المساجد، ومنهم من يقيمه في البيوت، أو الأمكنة المعدة لذلك، ويحضر جموع كثيرة من دهماء الناس وعوامهم، يعملون ذلك تشبهاً بالنصارى في ابتداعهم الاحتفال بمولد المسيح - عليه السلام - والغالب أن هذا الاحتفال علاوة على كونه بدعة، وتشبهاً بالنصارى، لا يخلو من وجود الشراكيات والمنكرات، كإنشاد القصائد التي فيها الغلو في حق الرسول -ﷺ- إلى درجة دعائه من دون الله، والاستغاثة به، وقد نهى النبي -ﷺ- عن الغلو في مدحه فقال: «لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله، ورسوله». (1) وقد يصحب هذا الاحتفال اختلاط بين الرجال والنساء وفساد الأخلاق وظهور المسكرات وغير ذلك.

ومن المنكرات التي تصاحب هذه الاحتفالات: الأناشيد الجماعية المنغمة

(١) صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب قول الله {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها} [مريم: 16] -

وضربُ الطبول، وغير ذلك من عمل الأذكار الصوفية المبتدعة، وقد يكون فيه اختلاط بين الرجال والنساء، مما يُسبب الفتنة، ويجرّ إلى الوقوع في الفواحش، وحتى لو خلا هذا الاحتفال من هذه المحاذير، واقتصر على الاجتماع وتناول الطعام، وإظهار الفرح - كما يقولون - فإنه بدعة محدثة «وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» (1)، وأيضًا هو وسيلة على أن يتطور، ويحصل فيه ما يحصل في الاحتفالات الأخرى من المنكرات وبدعة؛ لأنه لا أصل له في الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح والقرون المفضلة، وإنما حدث متأخرًا بعد القرن الرابع الهجري، أحدثه الفاطميون الشيعة، قال الإمام أبو حفص تاج الدين الفاكهاني - رحمه الله -: (أمّا بعدُ: فقد تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمل به بعض الناس في شهر ربيع الأول، ويسمونه المولد، هل له أصل في الدين، وقصدوا الجواب عن ذلك مبيّنًا، والإيضاح عنه معينًا، فقلت - وبالله التوفيق -: لا أعلم لهذا المولد أصلًا في كتاب ولا سنة، ولا يُثقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة أحدثها البطّالون، وشهوة نفس اغتنى بها الأكّالون). (2)

(1) سبق تخريجه

(2) المورد في عمل المولد (مطبوع ضمن: رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي) عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري، تاج الدين الفاكهاني (المتوفى: 734هـ) ج 1/8، المحقق: علي بن حسن بن عبد الحميد، الناشر: دار العاصمة - الرياض - الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م. والإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإحجاف، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ج 1/82، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، 1405 هـ. حقائق حول المولد النبوي، أحمد بن عبد العزيز السلیمان الحمدان، ج 1/3، موضوع الكتاب: عقيدة، الناشر: المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالحمراء والكورنيش ووسط جدة قسم الدعوة والإرشاد. المولد النبوي ... هل

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (وكذلك ما يحدثه بعض الناس، إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى - عليه السلام - وإما محبة للنبي - ﷺ - وتعظيمًا ... من اتخاذ مولد النبي - ﷺ - عيدًا، مع اختلاف الناس في مولده، فإنَّ هذا لم يفعله السلف، ولو كان هذا خيرًا محضًا، أو راجحًا لكان السلف - رضي الله عنهم - أحقَّ به منَّا، فإنهم كانوا أشدَّ محبة للنبي - ﷺ - وتعظيمًا له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كان محبته وتعظيمه في متابعتة وطاعته، واتباع أمره وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا، ونشر ما بُعثَ به، والجهادُ على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان) (...).

(1).

وكيفية دعوتهم :

1. بيان النصوص الواردة عن رسول الله - ﷺ - التي تبين حرمة ذلك .
2. ذكر نماذج من التاريخ الإسلامي تبين لهم أن السلف الصالح لم يحتفل بميلاد النبي - ﷺ - .
3. أن يوضح الدعاة لهم أن بدعة الاحتفال بالمولد النبوي فيه أمور سلبية كثيرة منها :
4. الاختلاط بين الرجال والنساء .

نحتفل؟ شحاتة محمد صقر، ج 1/ 108، الناشر: دار الخلفاء الراشدين - الإسكندرية، دار الفتح الإسلامي - الإسكندرية (مصر)

(1) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ) ج 2/ 123-124، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، 1419هـ - 1999م.

5. الإسراف والتبذير للمال في غير موضعه وكل العباد سيسألون عن هذه الأموال يوم القيامة من أين اكتسبوها وفيما أنفقوها .
6. هدر أوقات طويلة بدون عمل وبدون كسب، وفي هذا مضيعة للأولاد ولحقوق الزوجات ، حيث لهن حق النفقة.

المبحث الرابع

تعريف المدعو الوافد آداب زيارة النبي ﷺ

لما كانت زيارة النبي -ﷺ- من أفضل القرب وأحسن المستحبات بل تقرب من درجة ما لزم من الواجبات فإنه -ﷺ- حرض عليها وبالغ في الندب إليها ، (أما زيارة قبر النبي -ﷺ-) ، فهي من أعظم القرب، وكما تندب زيارة القبور للرجال تندب أيضاً للنساء العجائز اللاتي لا يخشى منهن الفتنة إن لم تؤد زيارتهن إلى ندب أو النياحة، وإلا كانت محرمة. أما النساء التي يخشى منهن الفتنة، ويترتب على خروجهن لزيارة القبور مفساد، كما هو الغالب على نساء هذا الزمان، فخروجهن لزيارة حرام، باتفاق الحنفية، والمالكية ، أما الحنابلة، والشافعية قالوا: يكره خروج النساء لزيارة القبور مطلقاً، سواء كن عجائز أو شواب إلا إذا علم أن خروجهن يؤدي إلى فتنة أو وقوع محرم. وإلا كانت الزيارة محرمة) (1) ومعظم الأحاديث الواردة في زيارة النبي -ﷺ- ضعيفة وواهية ، ، (ولكن النبي -ﷺ- رخص في زيارة

(1) الفقه على المذاهب الأربعة - عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري (المتوفى: 1360هـ) ج1/ 491 ، الناشر:

القبور بعد منعها ، وعليه فيجوز زيارة قبره -ﷺ- والسلام عليه وعلى صاحبيه (1) ،
وزيارة مسجد النبي -ﷺ- بالمدينة ليست من مناسك الحج أو العمرة ، ويتم الحج
والعمرة بدونها ، وإنما تسن زيارة مسجده -ﷺ- للصلاة فيه في أي وقت (2) .
فاذا دخل الزائر مدينة النبي -ﷺ- استحب له أن يغتسل نص عليه الامام أحمد فاذا
دخل المسجد بدأ برجله اليمنى وقال بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ،
وكان رسول الله -ﷺ- إذا دخل المسجد قال: «رب اغفر لي ذنوبي، وافتح لي
أبواب رحمتك»، وإذا خرج قال: «رب اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك»
(3) ثم يأتي الروضة بين القبر والمنبر فيصلي بها ويدعو بما شاء (4) ، والمشكلة
هنا أن بعض العوام من المعمورة كلها إذا أراد الحج يقول أريد زيارة النبي -ﷺ-
والحج عنده عبارة عن زيارة النبي -ﷺ- ، فقط ، ولا يعرف من مناسك الحج شيئاً ،
يقول المراغي : (أو لا تخطر على باله مناسك الحج وأركانه، وإنما يقصد زيارة

- 1 (المجالسة وجواهر العلم - أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى : 333هـ) ج1/ 441 ، المحقق
: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان- الناشر : جمعية التربية الإسلامية (البحرين - أم الحصم) ، دار ابن
حزم (بيروت - لبنان) تاريخ النشر : 1419 هـ ، وقال المحقق : [إسناده واه جداً] . وانظر : مراقي الفلاح شرح
متن نور الإيضاح ، حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي المصري الحنفي (المتوفى : 1069هـ) ج1/ 282 ،
اعتنى به وراجعته : نعيم زرزور ، الناشر : المكتبة العصرية ، الطبعة : الأولى ، 1425 هـ - 2005 م .
- 2 (مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة ، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري ، ج1/ 693 ، الناشر :
دار أصدقاء المجتمع ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة : الحادية عشرة ، 1431 هـ - 2010 م .
- 3 (سنن الترمذي - باب ما يقول عند دخوله المسجد - ج2/ 127 رقم الحديث : 314 ، الناشر : شركة مكتبة
ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر - الطبعة : الثانية ، 1395 هـ - 1975 م . ، [حكم الألباني] : صحيح .
- 4 (فهذا مكان مفضل قال عنه النبي ﷺ : «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» صحيح البخاري - كتاب
فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - باب فضل ما بين القبر والمنبر - ج2/ 61 رقم الحديث : 1195

النبي - بالتواتر(1) . و(تندب زيارة قبر النبي - ﷺ - ندباً مؤكداً، بل تقرب من درجة الواجبات لمن له سعة. فإذا نوى المسلم زيارة القبر الشريف فليנו معه زيارة المسجد النبوي أيضاً، فإنه أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي - ﷺ -: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام ومسجد الأقصى) (2) . وينبغي لمن رغب في زيارة قبر النبي - ﷺ - أن يكثّر من الصلاة والتسليم عليه - ﷺ - في طريقه إلى المدينة المنورة. فإذا عاين حيطان المدينة يصلي على النبي - ﷺ - ثم يقول: القول إذا وقع بصره على حيطان المدينة: اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وأماناً من العذاب وسوء الحساب (3)، فإذا وصل باب مسجده فليقدم رجله اليمنى في الدخول، ثم يأتي الروضة فيصلّي ركعتين تحية المسجد عند المنبر بحيث يكون عمود المنبر بحذاء منكبه الأيمن، لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة. ومنبري على

(1) فيض الباري على صحيح البخاري، (أمالي) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي (المتوفى: 1353هـ) ج 3/24، المحقق: محمد بدر عالم الميرتبي، أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بداهيل (جمع الأمالي وحررها ووضع حاشية البدر الساري إلى فيض الباري) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م

(2) صحيح مسلم - كتاب الحج - باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد - ج 2/1014 رقم الحديث: 511 - (1397)

(3) حجة النبي ﷺ كما رواها عنه جابر رضي الله عنه - محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: 1420هـ) ص 135، رقم الحديث: 133، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة: الخامسة - 1399.

حوضي) (1) . ثم يسجد شكراً لله تعالى بأداء ركعتين غير تحية المسجد لما وفقه الله ومنّ عليه بالوصول إليه، ويدعو بما يحب ولمن أحب. ثم يتوجه إلى قبره الشريف -ﷺ- فيقف بعيداً عنه بمقدار أربعة أذرع، بغاية الأدب، مستدير القبلة، محاذياً لرأس النبي -ﷺ-، ملاحظاً في قلبه منزلة من هو بحضرته وسماعه لكلامه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي -ﷺ- قال: (ما من أحد يُسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أرددّ عليه السلام) (2) ثم يسلم ويقول: (ثم يأتي الروضة بين القبر والمنبر فيصلّي بها ويدعو بما شاء، ثم يأتي قبل النبي -ﷺ- فيستقبل جدار القبر ولا يمسه، ولا يقبله، ويجعل القنديل الذي في القبة عند القبر على رأسه فيكون قائماً وجاه النبي -ﷺ-، ويقف متباعداً كما يقف ل ظهر في حياته بخشوع وسكون منكس الرأس ، غائض الطرف، مستحضراً بقلبه جلاله موقفه ثم يقول: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا نبي الله وخيرته من خلقه، السلام عليك يا سيد المرسلين، وخاتم النبيين وقائد الغر المحجلين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله وأشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ونصحت لأمتك ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وعبدت الله حتى أتاك اليقين، فجزاك الله أفضل ما جزى نبياً ورسولاً عن أمته، اللهم أته الوسيلة والفضيلة وابعثه الله مقاماً محموداً الذي وعدته بغبطة به الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد

(1) صحيح مسلم - كتاب الحج - باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة - ج2/ 1010 رقم الحديث :

500 - (1390).

(2) سنن أبي داود - كتاب المناسك - باب زيارة القبور - ج2/ 218 رقم الحديث : 2041 [حكم الألباني]: حسن.

وعلى آل محمد(1) ، (ثم يتحول قدر ذراع جهة يمينه حتى يحاذي رأس الصديق رضي الله عنه فيقول مسلماً عليه: "السلام عليك يا خليفة رسول الله، السلام عليك يا صاحب رسول الله وأنيسه في الغار ورفيقه في الأسفار، جزاك الله عنا أفضل ما جزى إماماً عن أمة نبيه. اللهم أمتنا على حبه ولا تخيب سعيينا في زيارته برحمتك يا أرحم الراحمين". ثم يتحول مثل ذلك حتى يحاذي رأس عمر رضي الله عنه فيقول: "السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك يا مظهر الإسلام ومكسر الأصنام. جزاك الله عنا أفضل الجزاء، ورضي عمن استخلفك". ثم يرجع قدر نصف ذراع فيقول: "السلام عليكما يا ضجيعي رسول الله -ﷺ- ورفيقه، جزاكم الله أحسن الجزاء". ثم يدعو لنفسه ولوالديه ولن أوصاه بالدعاء ولجميع المسلمين. ثم يرجع فيقف عند قبر رسول الله -ﷺ- ويقول: "ربنا اغفر لنا ولآبائنا وأمهاتنا وإخواننا. ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ البقرة: ٢٠١ . ويأتي الأسطوانة التي تاب عندها أبو لبابة رضي الله عنه فيعلن توبته. وقد روي عن

(1) الصارم المنكي في الرد على السبكي - شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (المتوفى: 744هـ) ص 17 ، تحقيق: عقيل بن محمد بن زيد المقطري اليماني - قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله. الناشر: مؤسسة الريان، بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، 1424هـ / 2003م.

ابن عمر رضي الله عنهما «أنه كان إذا اعتكف طرح له فراشه، أو يوضع له سريره وراء أسطوانة التوبة» (1) . (2).

آداب زيارة النبي - ﷺ :-

أ - أن ينوي زيارة المسجد النبوي أيضا لتحصيل سنة زيارة المسجد وثوابها لما في الحديث عن أبي هريرة، يبلغ به النبي - ﷺ :- " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى " . (3)

ب - الاغتسال لدخول المدينة المنورة، ولبس أنظف الثياب، واستشعار شرف المدينة لتشرفها به - ﷺ - .

ج - المواظبة على صلاة الجماعة في المسجد النبوي مدة الإقامة في المدينة، عملا بالحديث الثابت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي - ﷺ - قال: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة في غيره من المساجد، إلا المسجد الحرام». (4)

(١) سنن ابن ماجه - كتاب الصيام - باب في المعتكف يلزم مكانا من المسجد - ج 1/ 564 رقم الحديث : 1774 [تعليق محمد فؤاد عبد الباقي] في الزوائد إسناده صحيح ورجاله موثوقون .

(٢) فقه العبادات على المذهب الحنفي ، الحاجة نجاح الحلبي ، ج 1/ 208 ، [الكتاب مرقم أليا غير موافق للمطبوع]

(٣) صحيح مسلم - كتاب الحج - باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد - ج 2/ 1014 رقم الحديث : 511 - (1397)

(٤) صحيح مسلم - كتاب الحج - باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة - ج 2/ 1012 رقم الحديث : 506 - (1394)

د - أن يتبع زيارته - ﷺ - بزيارة صاحبيه شيخي الصحابة رضي الله عنهما وعنهم جميعا، أبي بكر الصديق، وقبره إلى اليمين قدر ذراع، وعمر يلي قبر أبي بكر إلى اليمين أيضا.

ما يكره في زيارة قبر النبي - ﷺ - :

يقع لكثير من الناس أمور مكروهة في زيارتهم لقبر النبي - ﷺ - من أهمها:

1 - التزاحم عند الزيارة، وذلك أمر لا موجب له، بل هو خلاف الأدب، لا سيما إذا أدى إلى زحام النساء فإن الأمر شديد.

2 - رفع الأصوات بالصلاة والسلام على النبي - ﷺ - أو بالدعاء عند زيارته

- ﷺ -

3 - التمسح بقبره الشريف - ﷺ - أو بشباك حجرته. أو إصاق الظهر أو

البطن بجدار القبر.

قال ابن تيمية : (م يرخصوا في التمسح بقبره. وقد حكى بعض أصحابنا رواية في مسح قبره، لأن أحمد شيع بعض الموتى، فوضع يده على قبره يدعو له. وكره مالك التمسح بالمنبر. كما كرهوا التمسح بالقبر. فأما اليوم فقد احترق المنبر، وما بقيت الرمانة، وإنما بقي من المنبر خشبة صغيرة، فقد زال ما رخص فيه، لأن الأثر المنقول عن ابن عمر وغيره، إنما هو التمسح بمقعده.. (1) وقال النووي منبها محذرا: ولا يجوز أن يطاف بقبره - ﷺ -، ويكره إصاق الظهر والبطن بجدار القبر.

(1) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ج2/ 245 .

قالوا: ويكره مسحه باليد وتقبيله، بل الأدب أن يبعد منه، كما يبعد منه لو حضره في حياته -ﷺ- هذا هو الصواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه، ولا يغتر بمخالفة كثيرين من العوام وفعالهم ذلك، فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء، ولا يلتفت إلى محدثات العوام وغيرهم وجهالاتهم. (1) قال -ﷺ-: لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم. (2) ، معنى الحديث لا تعطلوا البيوت من الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحري العبادة بالبيوت ونهى عن تحريها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم من هذه الأمة. والعيد اسم ما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائدا ما يعود السنة أو يعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك. (3) ، قال ابن القيم: (العيد ما يعتاد مجيؤه وقصده من زمن ومكان مأخوذ من المعاودة والاعتیاد، فإذا كان اسما للمكان فهو المكان الذي يقصد فيه الاجتماع والانتیاب بالعبادة وبغيرها كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله تعالى عيدا للحنفاء ومثابة للناس، كما جعل

(1) المجموع شرح المذهب ((مع تكملة السبكي والمطيعي)) أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) ج8/275 ، الناشر: دار الفكر.

(2) سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: 275هـ) - كتاب المناسك - باب زيارة القبور - ج2/218 ، رقم الحديث : 2042 ، المحقق:

محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت . [حكم الألباني]: صحيح

(3) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته ، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى:

1329هـ) ج6/23 ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الثانية، 14105 هـ

أيام العيد منها عيداً. وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوض الحنفاء منها) (1).

زيارة البقيع وشهداء أحد :

ويستحب له أن يخرج بعد زيارته - ﷺ - إلى البقيع، والبقيع: على بضع مئات من الأمتار من المسجد النبوي من جهة الشرق. فيه رفات أكثر من عشرة آلاف من كبار الصحابة رضي الله عنهم، منهم آل البيت وشهداء أحد، وبعض شهداء بدر. وتكون الزيارة خصوصاً يوم الجمعة أو يوم الخميس، بعد السلام على رسول الله - ﷺ -. ويزور القبور الظاهرة في البقيع كقبر إبراهيم بن رسول الله - ﷺ - وعثمان والعباس والحسن بن علي وعلي بن الحسين، وجعفر بن محمد وغيرهم، ويختم بقبر صفية عمة رسول الله - ﷺ -. (2)

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله - ﷺ - كلما كانت ليلتها من رسول الله - ﷺ - يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: «السلام عليكم دار قوم

(1) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، ج 6/23. والموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت - ج 24/85-86، عدد الأجزاء: 45 جزءاً، الطبعة: (من 1404 - 1427 هـ).. الأجزاء 1 - 23: الطبعة الثانية، دارالسلاسل - الكويت،.. الأجزاء 24 - 38: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفاة - مصر،.. الأجزاء 39 - 45: الطبعة الثانية، طبع الوزارة.

(2) الفقه الإسلامي وأدلته - وهبة بن مصطفى الزحيلي، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلامي وأصوله بجامعة دمشق - كلية الشريعة، ج 3/2405-2406، الناشر: دار الفكر - سوربة - دمشق، الطبعة: الرابعة المنقحة المعدلة بالنسبة لما سبقها (وهي الطبعة الثانية عشرة لما تقدمها من طبعات مصورة)

مؤمنين، وأتاكم ما توعدون غدا، مؤجلون، وإنّا، إن شاء الله، بكم لاحقون، اللهم، اغفر لأهل بقيع الغرقد» (1). (قال ويزور قبور أهل البقيع وقبور الشهداء إن أمكن هذا كلام الشيخ بحروفه وكذلك سائر كتبه ذكر فيها استحباب زيارة قبر النبي -ﷺ- وسائر القبور ، فيأتي المشاهد والمزارات وخاصة قبر سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه. ويقول: عن أبي هريرة، أن رسول الله -ﷺ- خرج إلى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون» (2) " وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أنه -ﷺ- خرج إلى أحد فدعا لشهداء أحد كما كان يدعو للموتى في الصلاة عليهم والعرب تسمي الدعاء صلاة فصار خروجه -ﷺ- إلى الشهداء أحد وزيارته إياهم ودعاؤه لهم سنة لمن بعده من أمته أن يزوروا شهداء أحد يدعون لهم كما يدعون للميت في الصلاة عليه" (3)..... (4) ، ومن هنا فيسن زيارة البقيع، وشهداء أحد، والسلام عليهم، والدعاء والاستغفار لهم. لأن الرسول -ﷺ- زارهم ودعا لهم .

(1) صحيح مسلم - كتاب الجنائز - باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها - ج2/ 669 رقم الحديث : 102 (974) -

(2) صحيح مسلم - كتاب الطهارة - باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء - ج1/ 218 ، رقم الحديث : (249)

(3) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان - محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ) ج7/ 475 ، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط - الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - الطبعة: الأولى، 1408 هـ - 1988 م.

(4) انظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (المتوفى: 1327هـ) ج2/ 366 ، المحقق: زهير الشاويش ، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة: الثالثة، 1406

المبحث الخامس

تعريف المدعو الوافد فضل الصلاة في مسجد قباء ، ومعرفة مسجد القبليتين

المطلب الأول : تعريف المدعو الوافد فضل الصلاة في مسجد قباء .

اغتنم النبي -ﷺ- فرصة - وصوله في رحلة الهجرة من مكة المكرمة - إلى قباء فشرع في بناء المسجد .. فحينما عدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف بقباء ، والذي حققه المرحوم محمود باشا الفلكي أن ذلك كان في اليوم الثاني من ربيع الأول الذي يوافق 20 سبتمبر سنة 622 م وهذا أول تاريخ جديد لظهور الإسلام بعد أن مضى عليه ثلاث عشرة سنة وهو مضيق عليه من مشركي قريش ورسول الله ممنوع من الجهر بعبادة ربه ، أما الآن فقد أواه الله هو وصحابته رضوان الله عليهم بعد أن كانوا قليلاً يتخطفهم الناس . . . وأقام رسول الله بقباء ليالي أسس فيها مسجد قباء الذي وصفه الله بأنه مسجد أسس على التقوى من أول يوم ، وصلى فيه عليه الصلاة والسلام بمن معه من الأنصار والمهاجرين وهم آمنون مطمئنون ، كانت المساجد على عهد رسول الله في غاية من البساطة ليس فيها شيء مما اعتاده بناء المساجد في القرون الأخيرة ، لأن الرسول وأصحابه لم يكن جل همهم إلا منصرفاً لتزيين القلوب وتنظيفها من حظ الشيطان فكان سور المسجد لا يتجاوز القامة وفوقه مظلة يتقى بها حر الشمس (1) .

فيستحب للوافد إلى المدينة المنورة أن يأتي مسجد قباء يوم السبت أو غيره ويصلي فيه ويقول بعد دعائه بما أحب: (يا صريخ المستصرخين، يا غياث

(1) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، ص 92 ، 94 ، 95 .

المستغيثين، يا مفرج كرب المكروبين، صلِّ على سيدنا محمد وآله، واكشف كربى وحزنى كما كشفت عن رسولك كربه وحزنه في هذا المقام، يا حنَّان يا منَّان يا كثير المعروف يا دائم الإحسان يا أرحم الراحمين) (1) لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان النبي ﷺ يأتي مسجد قباء كل سبت، ماشياً وراكباً» (2) وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «يفعله». (3) (4) ، ويسن للمسلم أن يتوضأ في بيته ويذهب إلى مسجد قباء راكباً أو ماشياً، ويصلي فيه ركعتين فإنها تعدل عمرة، وإن كانت الزيارة يوم السبت فهو أفضل. وعن نافع، أن ابن عمر رضي الله عنهما، كان لا يصلي من الضحى إلا في يومين: يوم يقدم بمكة، فإنه كان يقدمها ضحى فيطوف بالبيت، ثم يصلي ركعتين خلف المقام، ويوم يأتي مسجد قباء، فإنه كان يأتيه كل سبت، فإذا دخل المسجد كره أن يخرج منه حتى يصلي فيه، قال: وكان يحدث: أن

1 (المعجم الأوسط ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 60هـ) ج1/ 52 ، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، الناشر: دار الحرمين - القاهرة.

2 (صحيح البخاري - كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - باب من أتى مسجد قباء كل سبت - ج2/ 61 ، رقم الحديث: 1193 .

3 (صحيح البخاري - كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - باب من أتى مسجد قباء كل سبت - ج2/ 61 ، رقم الحديث: 1193 .

4 (فقه العبادات على المذهب الحنفي ، الحاجة نجاح الحلبي ، ج1/ 208 ، [الكتاب مرقم آلبا غير موافق للمطبوع] وقال: لم يرو هذا الحديث عن منصور إلا سلام بن سلم، تفرد به: المحاربي.، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ) ج10/ 179 ، المحقق: حسام الدين القدسي ، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة ، عام النشر: 1414 هـ 1994 م ، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه سلام الطويل، وهو متروك.

رسول الله -ﷺ- كان يزوره راكبا و ماشيا،. (1). وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: قال رسول الله -ﷺ-: «من تطهر في بيته، ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة، كان له كأجر عمرة». (2). (3)، ومع إن إتيان مسجد قباء والصلاة فيه ركعتين قربة. لما روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي -ﷺ- يأتي مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبا ويصلي فيه ركعتين. (4) ولكن السفر إلى قباء - خاصة - ليس بقربة، لأنه سفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال..(5).

المطلب الثاني : تعريف المدعو الوافد مسجد القبليتين.

قال أبو بشر الدولابي «زار النبي -ﷺ- أم بشر في بني سلمة وصلى الظهر في مسجد القبليتين ركعتين إلى الشام ثم أمر أن يستقبل القبلة فاستدار ودارت الصفوف خلفه فصلى البقية إلى مكة». (6) عن البراء بن عازب، أن النبي -ﷺ- كان أول ما

(1) صحيح البخاري - كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - باب مسجد قباء - ج 2/60 رقم الحديث :

1191

(2) سنن ابن ماجه ، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ) - باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء - ج 1/453 ، 1412 ، [حكم الألباني] صحيح ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ،

الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي ،

(3) مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة ، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري ، ج 1/693 .

(4) سبق تخريجه .

(5) دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف ،

ج 1/322 ، الناشر: دار الوطن ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، 1412 هـ .

(6) المتقى شرح الموطأ ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: 474هـ) ج 1/339 ، الناشر: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر ، الطبعة: الأولى،

1332 هـ (ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - الطبعة: الثانية، بدون تاريخ)

قدم المدينة نزل على أجداده، أو قال أخواله من الأنصار، وأنه «صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا، أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم» فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله -ﷺ- قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس، وأهل الكتاب، فلما ولى وجهه قبل البيت، أنكروا ذلك. قال زهير: حدثنا أبو إسحاق، عن البراء في حديثه هذا: أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا، فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيْمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة: (143)(1). واختلفوا في أي شهر حولت القبلة على ثلاثة أقوال: أحدها يوم الاثنين للنصف من رجب، قاله البراء بن عازب ومعمل بن يسار. والثاني: للنصف من شعبان، قاله قتادة. قال محمد بن حبيب: حولت يوم الثلاثاء وقت الظهر للنصف من شعبان، زار رسول الله -ﷺ- أم بشير بن البراء ابن معرور، فتغدى وأصحابه وجاءت الظهر، فصلى بأصحابه في مسجد القبليتين ركعتين من الظهر إلى الشام وأمر أن يستقبل الكعبة وهو راكع في الركعة الثانية، فاستدار إلى الكعبة واستدارت الصفوف خلفه ثم أتم الصلاة، فسمي مسجد القبليتين لهذا). (2) وغير المسجد النبوي ومسجد قباء لا تشرع الزيارة ، لأن في هذين المسجدين وردت أحاديث عن النبي -ﷺ- أما غير ذلك فلم تثبت نصوص

(1) صحيح البخاري - كتاب الإيمان- باب: الصلاة من الإيمان- ج1/17 ، رقم الحديث: 40

(2) كشف المشكل من حديث الصحيحين ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

(المتوفى: 597هـ) ج2/247 ، المحقق: علي حسين البواب ، الناشر: دار الوطن - الرياض.

تبين زيارتها . (أمّا بقية المزارات المعروفة الآن، مثل مسجد القبلتين، والمساجد السبعة، ومسجد الغمامة، فلا يشرع الذهاب إليها؛ لأنّه لم يرد أنّ النبي -ﷺ- كان يذهب إليها، والعبادات مبناها على التوقيف؛ كما أنّها غير مؤكّدة وثابتة. (1) وينبغي على الدعاة أن يبينوا للوافدين من الزائرين للمدينة ذلك ، فالزيارة غير مشروعة لهذه المساجد ، يقول العلامة ابن باز في حكم زيارة المساجد السبعة (ليس لها أصل وليست مشروعة، لأن هذه المساجد السبعة ليس لها أصل وإنما اعتادها الناس على غير بصيرة وليست مشروعة زيارتها، إنما المشروع زيارة المسجد النبوي، وإذا زار المسجد النبوي يستحب له أن يزور مسجد قباء خاصة، كان النبي يزوره -ﷺ-، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «كان النبي -ﷺ- يأتي مسجد قباء كل سبت، ماشياً وراكباً» وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «يفعله» (2) ، فيزوره من زار المدينة يستحب أن يزور مسجد قباء، وأما ما سوى ذلك مسجد القبلتين والمساجد السبعة وغيرها هذه غير مشروعة لا تشرع زيارتها وليس عليها دليل، وإنما المشروع زيارة مسجد قباء خاصة، كان النبي يزوره -ﷺ- كل سبت وقال: من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء وصلى فيه ركعتين كان كعمرة، وزيارة مسجده -ﷺ- أمر مشروع مع المسجد الحرام والمسجد الأقصى لقوله -ﷺ-: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد

(1) توضيح الأحكام من بلوغ المرام، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي (المتوفى: 1423هـ) ج 7/152، الناشر: مكتبة الأسد، مكة المكرمة، الطبعة:

الخامسة، 1423هـ 2003م

(2) صحيح البخاري - كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة- باب من أتى مسجد قباء كل سبت- ج 2/61

رقم الحديث: 1193.

الأقصى"، (1) وقال -ﷺ-: "صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام"، (2). والحاصل: أنه ليس في المدينة ما يستحب زيارته من المساجد إلا مسجد قباء لمن زار المدينة بعد مسجد النبي -ﷺ-، أما المساجد السبعة أو القبليتين أو غير ذلك فهي غير مشروعة زيارتها. وهكذا الأماكن ليس هناك أماكن تزار تستحب زيارتها سوى مسجده -ﷺ- ومسجد قباء ولكن إذا زار القبور للسلام عليهم هذا مستحب في كل بلد يزور القبور ويسلم عليهم في المدينة يزور قبور الشهداء يزور قبور البقيع ويسلم عليهم ويدعو لهم هذا مستحب وهو في كل بلد يزور قبور المسلمين ويدعو لهم. نعم.(3) أما زيارة بقية المساجد والأماكن الأثرية وادعاء أنها "مما ينبغي أن يزورها المرء" فهذا لا أصل له، ويجب المنع من زيارتها للوجوه التالية:

الوجه الأول: عدم ورود الدليل الشرعي على تخصيص تلك المساجد بالزيارة كما هو الحال بالنسبة لمسجد قباء والعبادات كما هو معلوم مبناها على الاتباع لا على الابتداع.

الوجه الثاني: أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا أحرص الناس على اقتفاء سنة النبي -ﷺ- ومع ذلك لم يعرف عنهم زيارة تلك المساجد أو الأماكن الأثرية، ولو كان خيرا لسبقونا إليه

(1) صحيح البخاري - كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - ج2/60 رقم الحديث: 1189.

(2) صحيح البخاري - كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة - ج2/60 رقم الحديث: 1190.

(3) الموقع الرسمي للشيخ ابن باز يرحمه الله <https://binbaz.org.sa/fatwas/14858>

الوجه الثالث : المنع من زيارتها سدا للذريعة ، وهذا المنع يدل عليه عمل السلف الصالح . قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : (ولهذا لم يستحب علماء السلف من أهل المدينة وغيرها قصد شيء من المزارات التي بالمدينة وما حولها بعد مسجد النبي - ﷺ - إلا مسجد قباء لأن النبي - ﷺ - لم يقصد مسجدا بعينه يذهب إليه إلا هو) (1). وقد يظن بعضهم أن اشتراط عدم اعتقاد فضلها كاف في تسويغ الذهاب إليها أو إلى غيرها من الأماكن الأثرية وهذا مردود للأسباب التالية :

أولا : السلف الصالح - رحمهم الله - منعوا الذهاب إليها مطلقا دون تفصيل .

ثانيا : أن الذهاب إليها وتخصيصها بالزيارة لكونها على أرض المدينة التي شهدت ظهور الدعوة وبها مواقع بعض الغزوات دليل اعتقاد فضلها إذ لولا قيام هذا الاعتقاد في القلب لما انبعث القلب لتخصيصها بالزيارة .

ثالثا : لو سلمنا جدلا عدم وجود اعتقاد فضيلتها عند زيارتها فإن زيارتها ذريعة إلى ذلك وإلى حدوث ما لا يشرع ، وسد الذرائع مما جاءت به الشريعة كما لا يخفى بل إن العلامة ابن القيم - رحمه الله - ذكر تسعة وتسعين وجها يدل على هذه القاعدة ثم بعد أن ذكر الوجه التاسع والتسعين قال : " وباب سد الذرائع أحد أرباع التكليف؛ فإنه أمر ونهي، والأمر نوعان؛ أحدهما: مقصود لنفسه، والثاني: وسيلة إلى المقصود، والنهي نوعان؛ أحدهما: ما يكون المنهي عنه مفسدة في نفسه، والثاني: ما يكون وسيلة إلى المفسدة؛ فصار سد الذرائع المفضية إلى الحرام أحد

(1) مجموع الفتاوى ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحرانی (المتوفى: 728هـ) ج 17 / 469 ، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ، عام النشر: 1416 هـ / 1995 م

أربع الدين. " (1).

رابعاً : التغير بالجهال عندما يشاهدون كثرة من يزور تلك المساجد أو الأماكن الأثرية فيعتقدون أنه عمل مشروع .

خامساً : أن التوسع في ذلك والدعوة إلى زيارة الأماكن الأثرية كجبل أحد وجبل النور بقصد السياحة والترفيه ذريعة من ذرائع الشرك (...)(2) ، وهذا بيان دعوى لا بد منه حتى لا تنقل أشياء غير مشروعة مع الوافدين لزيارة المدينة المنورة فتنتشر في بلدانهم ثم يأتي من بعدهم من بلدانهم إلى المدينة المنورة وقد امتلأت نفوسهم بهذه البدع .

المبحث السادس

تعريف المدعو الوافد فضل جبل أحد وزيارة شهدائه

المطلب الأول : فضل جبل أحد ، وزيارة شهدائه .

-فضل جبل أحد : ورد عن عباس بن سهل بن سعد، عن أبي حميد، قال: أقبلنا مع النبي -ﷺ- من غزوة تبوك، حتى إذا أشرفنا على المدينة قال: هذه طابة، وهذا أحد، جبل يحبنا ونحبه " (3) كما جاء أن النبي -ﷺ- صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان

(1) إعلام الموقعين عن رب العالمين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) ج3/ 126 ، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة:

الأولى، 1411هـ-1991م .

(2) مجلة الدعوة العدد/ 1754 ص/ 55 وموقع : <https://islamqa.info/ar/11669>

(3) صحيح البخاري - كتاب المغازي- باب نزول النبي -ﷺ- الحجر- ج6 / 8 رقم الحديث : 4422

(1).

- زيارة شهداء أحد: وتستحب زيارة شهداء أحد رضي الله عنهم وقد أحيطت، قبورهم بسياح، وأعلم على قبر سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه بعلامة قبر كبيرة، ومعه في القبر المجدع في الله عبد الله بن جحش رضي الله عنه قيل له: المجدع لأنه دعا يوم أحد أن يقاتل ويستشهد ويقطع أنفه وأذنه ويمثل به في الله تعالى، فاستجاب الله دعاءه. وإلى جانبه مصعب بن عمير رضي الله عنه داعية الإسلام في المدينة وثمة باقي الشهداء، ولا يعرف قبر أحد منهم، لكن الظاهر أنهم حول حمزة في بقعة الموقعة رضي الله عنهم وعدتهم سبعون: أربعة من المهاجرين والباقي من الأنصار، منهم حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة، وأنس بن النضر، عم أنس بن مالك خادم النبي -ﷺ- وسعد بن الربيع، ومالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري، وعبد الله بن حرام والد جابر بن عبد الله وغيرهم، رضي الله عنهم جميعاً، ويسلم عليهم بالصيغة الواردة على أهل القبور(2)، وروينا عن ابن إسحق قال: حدثني إسماعيل بن أمية عن أبي الزبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله -ﷺ-: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا، لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ياكلوا عند الحرب، فقال الله تبارك وتعالى: فأنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله عز وجل على نبيه هذا الآيات: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله

(1) صحيح البخاري - كتاب أصحاب النبي -ﷺ- باب قول النبي -ﷺ-: «لو كنت متخذاً خليلاً» - ج 5/9 رقم

الحديث: 3675.

(2) الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، ج 36/313.

أمواتا بل أحياء الآيات. (1) ، وذكر ابن إسحق هاهنا: حدثني الحرث بن فضيل عن محمود بن لبيد عن ابن عباس أنه قال: قال رسول الله - ﷺ -: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، في قبة خضراء، يأتيهم فيها رزقهم بكرة وعشيا». (2) قرأته على السيدة مؤنسة خاتون ابنة السلطان الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب رحمه الله سلفها، أخبرتك الشيخة أم هانئ عفيفة بنت أحمد بن عبد الله كتابة عن أبي طاهر عبد الواحد بن محمد بن أحمد الصباغ قال: أنا أبو نعيم، قال: أنا أبو علي بن الصواف، فثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى الحلواني، فثنا سعيد بن سليمان، فثنا عبد الله بن نمير عن محمد بن إسحق: فذكره. (3) ، قال ابن عثيمين - يرحمه الله - : (يسن أن يخرج إلى أحد ليزور قبور الشهداء هنالك، ومنهم حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - عم رسول الله - ﷺ -.) (4) ، وسئل فضيلة الشيخ - رحمه الله تعالى - : ما الذي يلزم من وجد في قلبه ميلاً إلى طلب أصحاب هذه القبور، الشفاعة أو قضاء الحوائج - ﷺ - أو الشفاء أو ما إلى ذلك؟ فأجاب - رحمه الله - بقوله: الذي يجد في قلبه ميلاً إلى طلب الشفاعة من أصحاب القبور، فإن كان أصحاب القبور من أهل الخير، وكان الإنسان يؤمل أن يجعلهم الله شفعاء له يوم القيامة بدون أن يسألهم

1 (مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) ج4/ 218 ، رقم الحديث : 2388 ، مسند أبي يعلى ، أبو يعلى أحمد بن علي بن المشنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصل (المتوفى: 307هـ) ج4/ 219 ، المحقق: حسين سليم أسد ، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق - الطبعة: الأولى، 1404 - 1984

2 (مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ج4/ 220 رقم الحديث : 2390 ، قال المحقق: شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن، ابن إسحاق حسن الحديث، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح.

3 (عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربيعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: 734هـ) ج2/ 52 ، تعليق: إبراهيم محمد رمضان ، الناشر: دار القلم - بيروت - الطبعة: الأولى، 1414/ 1993 . وقال المحقق: [حكم حسين سليم أسد]: رجاله ثقات.

(⁴) الملتنقى الفقهي <http://fiqh.islammassage.com/NewsDetails.aspx?id=3749>

ذلك، ولكنه يرجو أن يكونوا شفعاء له، فهذا لا بأس به، فإننا كلنا نرجو أن يكون رسول الله -ﷺ- شفيعاً لنا، ولكننا لا نقول: يا رسول الله اشفع لنا، بل نسأل الله تعالى أن يجعله شفيعاً لنا، وكذلك أهل الخير الذي يرجي منهم الصلاح فإنهم يكونون شفعاء يوم القيامة، فإن الشفاعة يوم القيامة تنقسم إلى قسمين: قسم خاص برسول الله -ﷺ- لا يشركه فيه أحد، وهي الشفاعة العظمى التي يشفع فيها -ﷺ- للخلق إلى ربهم ليقتضي بينهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله -ﷺ- أتى بلحم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه فنهش منها نهشة، ثم قال: "أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكره ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح، إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليته من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، فيقول لهم [ص: 85]: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد

كنت كذبت ثلاث كذبات - فذكرهن أبو حيان في الحديث - نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى فيأتون، موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى ابن مريم، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيا، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبا، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمدا فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، فأنتلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الشاء عليه شيئا، لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة، كما بين مكة وحمير - أو كما بين مكة وبصرى - ("(1). أما الشفاعة العامة التي تكون للرسول - ﷺ - ولغيره من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، فهذه تكون فيمن دخل النار أن يخرج منها، فإن عصاة المؤمنين إذا دخلوا النار بقدر ذنوبهم، فإن الله تعالى يأذن لمن شاء

(١) صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن - باب ﴿ ذُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ ﴿٢٠﴾

من عباده من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين أن يشفعوا في هؤلاء بأن يخرجوا من النار. فالمهم أن الإنسان إذا رجا الله عز وجل أن يشفع فيه نبيه محمداً - ﷺ - أو يشفع فيه أحداً من الصالحين بدون أن يسألهم ذلك، فهذا لا بأس به. وأما أن يسألهم فيقول: يا رسول الله اشفع لي، أو يا فلان اشفع لي، أو ما أشبه ذلك، فهذا لا يجوز، بل هو من دعاء غير الله عز وجل، ودعاء غير الله شرك. (1)، و(شرك العبادة يكون بدعاء غير الله تعالى لأجل التقرب إليه بأولئك الأولياء وابتغاء شفاعتهم عنده). (2)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال أبو عبد الرحمن: لا أحفظ حديث بعضهم من بعض، أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت رديف رسول الله - ﷺ - فقال: "يا غلام، أو يا غليم ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟"، فقلت: بلى يا رسول الله، فقال: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فقد جف القلم بما هو كائن أفلو أن الخلق كلهم أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يقدروا عليه، اعمل الله بالشكر واليقين، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً". (3)، فعلى المؤمن الصادق في إيمانه أن لا يطلب شيئاً من أمور الدنيا والآخرة من كشف ضرر، وصرف عذاب، أو إيجاد خير،

(1) الملتقى الفقهي <http://fiqh.islammmessage.com/NewsDetails.aspx?id=3749>

(2) الوحي المحمدي - محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ) ص 122، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2005م.

(3) سنن الترمذي، ج 4/667، رقم الحديث: 2516 وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح [حكم الألباني] صحيح. وكتاب القدر، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَمْتَضِ الفِرْزَابِي (المتوفى: 301هـ) ج 1/119، المحقق: عبد الله بن حمد المنصور، الناشر: أضواء السلف، الطبعة: الأولى 1418هـ - 1997م

ومنح ثواب إلا من الله تعالى وحده دون غيره من الشفعاء والأولياء الذين لا يملكون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً. وهذا الطلب من الله؛ إما بالعمل ومراعاة الأسباب التي اقتضتها سنته في الخلق، ودل عليها الشرع وهدى إليها العقل؛ وإما بالتوجه إليه ودعائه كما ندب إلى ذلك كتابه الكريم، وسنة نبيه -ﷺ- قال تعالى: **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾﴾﴾** (غافر: ٦٠).^١

الخاتمة

بعد أن انتهيت من هذا البحث فقد توصلت إلى :

أولاً: نتائج البحث .

1. تم بيان معاني مفردات عنوان البحث .
2. تم ذكر نبذة مختصرة عن المدينة المنورة لمن لم يعرفها أولم تسبق له زيارتها.
3. بين البحث أن على الدعاة بالمدينة المنورة أن يقابلوا الوافدين للمدينة المنورة ويبينوا لهم صحيح الدعوة ، في عصر النبي ﷺ ، كما كان النبي ﷺ يقابلهم ويدعوهم إلى الله تعالى.
4. وضح البحث أن على الدعاة إلى الله تعالى معرفة لغة المدعو الوافد للمدينة المنورة في العصر الحاضر ، حتى يستطيعوا التحدث معهم وتبليغهم الدعوة إلى الله تعالى .

^١ (تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي ، إشراف ومراجعة: هاشم محمد علي بن حسين مهدي ، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م

5. شرح البحث أن على الدعاة إلى الله تعالى تحذير المدعوين الوافدين إلى المدينة المنورة من البدع والخرافات المنتشرة في بلدانهم ، حتى يرجعوا بفهم صحيح لما كانوا يجهلونه .
6. بين البحث أن على الدعاة أن يبينوا للمدعوين آداب زيارة قبر النبي ﷺ في العصر الحاضر.
7. ذكر البحث أن على الدعاة بالمدينة المنورة أن يوضحوا للمدعو الوافد فضل الصلاة في مسجد قباء ، ومعرفة مسجد القبلتين.
8. وضح البحث أن الدعاة بالمدينة المنورة أن يبينوا للمدعوين الوافدين فضل جبل أحد وزيارة شهدائه .

توصيات البحث :

1. أوصي الوافدين إلى المدينة المنورة بمعرفة المدينة ومعالمها واستحضار عقب التاريخ وما حدث فيها بعد هجرة النبي ﷺ إليها .
2. أوصي الدعاة إلى الله تعالى في المدينة المنورة أن يقابلوا الدعاة ويتعرفوا عليهم ويحاولوا أن يخاطبواهم باللغة التي يتحدثون بها حتى تصلهم دعوة الله واضحة صحيحة.
3. أوصي الدعاة إلى الله تعالى في المدينة المنورة أن يبينوا للوافدين إليها خطر البدع والخرافات على عبادة المسلم حتى يرجعوا إلى بلدانهم بفهم صحيح لدعوة الإسلام .
4. أوصي الدعاة إلى الله تعالى في المدينة المنورة أن يبينوا للوافدين إليها آداب زيارة النبي ﷺ وفضل الصلاة في المسجد النبوي .
5. أوصي الدعاة إلى الله تعالى في المدينة المنورة أن يبينوا للوافدين إليها فضل الصلاة في مسجد قباء .

6. أوصي الدعوة إلى الله تعالى في المدينة المنورة أن يبينوا للوافدين إليها أن مسجد القبلتين تحول المسلمون في صلاتهم بعد سماعهم أن النبي ﷺ قد صلى تجاه الكعبة المشرفة .
7. أوصي الدعوة إلى الله تعالى في المدينة المنورة أن يبينوا للوافدين إليها فضل جبل أحد وزيارة شهدائه .

فهرس المراجع

1. القرآن الكريم - كتاب الله تعالى .
2. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (المتوفى: 272هـ) المحقق: عبد الملك عبد الله دهيش ، الناشر: دار خضر - بيروت - الطبعة: الثانية، 1414
3. الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، الناشر: دار ابن الجوزي ، الطبعة: الرابعة 1420هـ - 1999م .
4. أساس البلاغة - أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) - تحقيق: محمد باسل عيون السود ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م .
5. الاعتصام ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ) تحقيق ودراسة: الجزء الأول: محمد بن عبد الرحمن الشقير، الجزء الثاني: د سعد بن عبد الله آل حميد ، الجزء الثالث: دهشام بن إسماعيل الصيني ، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، 1429هـ - 2008م .

6. إعلام الموقعين عن رب العالمين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1991م .
7. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ) المحقق: ناصر عبد الكريم العقل ، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان ، الطبعة: السابعة، 1419هـ - 1999م
8. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله -ﷺ- والثلاثة الخلفاء ، سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع (المتوفى: 634هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، 1420هـ .
9. الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإحجاف ، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري ، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الطبعة: الأولى، 1405هـ .
10. البدرُ التمام شرح بلوغ المرام ، الحسين بن محمد بن سعيد اللاعبي، المعروف بالمَغْرَبِي (المتوفى: 1119هـ) المحقق: علي بن عبد الله الزبن ، الناشر: دار هجر، الطبعة: الأولى، ج 1 - 2 (1414هـ - 1994م)
11. البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ) المحقق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال ، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية ، الطبعة: الأولى، 1425هـ - 2004م .

12. تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: 1205هـ) ، المحقق: مجموعة من المحققين ، الناشر: دار الهداية .
13. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي ، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي ، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م
14. التفسير والمفسرون- الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ) الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.
15. التوحيد وأثره في حياة المسلم ، حمد بن إبراهيم الحريقي ، الناشر: دار الوطن، الرياض - المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، 1414 هـ - 1993 م.
16. توضيح الأحكام من بلوغ المرام ، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم التميمي (المتوفى: 1423هـ) الناشر: مكتبة الأسد، مكة المكرمة ، الطبعة: الخامسة، 1423 هـ - 2003 م
17. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (المتوفى: 1327هـ) المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة: الثالثة، 1406
18. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (المتوفى: 1327هـ) المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت -

الطبعة: الثالثة، 1406

19. التوضيح لشرح الجامع الصحيح ، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: 804هـ) المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث ، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا - الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

20. الجامع الكبير - سنن الترمذي ، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) المحقق: بشار عواد معروف ، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت - سنة النشر: 1998 م .، ت بشار .

21. جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ) المحقق: رمزي منير بعلبكي ، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة: الأولى، 1987 م .

22. حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه ، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: 1138هـ) الناشر: دار الجيل - بيروت، بدون طبعة (نفس صفحات دار الفكر، الطبعة - الثانية)

23. حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح ، أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي - توفي 1231 هـ - المحقق: محمد عبد العزيز الخالدي ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - الطبعة: الطبعة الأولى 1418 هـ - 1997 م

24. حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار، محمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير بـ «بَحْرَقَ» (المتوفى: 930هـ) الناشر: دار المنهاج - جدة - تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول ، الطبعة:

الأولى - 1419 هـ

25. حقائق حول المولد النبوي ، أحمد بن عبد العزيز السلیمان الحمدان ،
الناشر: المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالحمراء
والكورنيش ووسط جدة قسم الدعوة والإرشاد .
26. الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجزء - الممارسة -
سبل المواجهة) يوسف العاصي إبراهيم الطويل ، الناشر: صوت القلم العربي،
مصر ، الطبعة: الثانية، 1431 هـ - 2010 م .
27. دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، عبد العزيز بن
محمد بن علي آل عبد اللطيف ، الناشر: دار الوطن، الرياض، المملكة العربية
السعودية ، الطبعة: الأولى، 1412 هـ
28. الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى):
1420 هـ) الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية ، والإفتاء، الرياض - المملكة
العربية السعودية ، الطبعة: الرابعة، 1423 هـ - 2002 م .
29. الدعوة إلى سبيل الله أصولها وميادينها، د/ عبد الخالق إبراهيم اسماعيل -
الطبعة الأولى - 1987 م مطبعة الأمانة - مصر
30. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، أحمد بن الحسين بن علي
بن موسى الخُسرُو جردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458 هـ)
الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى - 1405 هـ
31. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله
بن أحمد السهيلي (المتوفى: 581 هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت
، الطبعة: الأولى، 1412 هـ.
32. سنن ابن ماجه ، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم
أبيه يزيد (المتوفى: 273 هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء

الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

33. سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي (المتوفى: 275هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت .

34. السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرُوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان - الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م .

35. السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات ، محمد بن أحمد عبد السلام خضر الشقيري الحوامدي (المتوفى: بعد 1352هـ) المصحح: محمد خليل هراس ، الناشر: دار الفكر .

36. السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: 774هـ) تحقيق: مصطفى عبد الواحد ، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان - عام النشر: 1395 هـ - 1976 م

37. السيرة النبوية لابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ) ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375 هـ - 1955 م .

38. شرح مشكل الآثار: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى - 1415

- هـ، 1494 م .
39. الصحاح في اللغة والعلوم لأسامة ونديم المرعشليان - الطبعة الأولى - 1975م دار الحضارة العربية بيروت
40. الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري - دار العلم للملايين - بيروت - بدون تاريخ .
41. صحيح البخاري - المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ
42. صحيح مسلم ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
43. العلمانية وموقف الإسلام منها ، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي ، الناشر: الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: العدد 115 - السنة 34 - 1422 هـ .
44. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته ، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: 1329هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الثانية، 1415 هـ
45. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربيعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: 734هـ) تعليق: إبراهيم محمد رمضان ، الناشر: دار القلم - بيروت - الطبعة: الأولى، 1414 / 1993.
46. الفقه الإسلامي وأدلته (الشامل للأدلة الشرعية والآراء المذهبية وأهم النظريات الفقهية وتحقيق الأحاديث النبوية وتخريجها) وهبة بن مصطفى

الزُّحَيْلِيُّ، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلامي وأصوله بجامعة دمشق - كَلِيَّة الشَّرِيعَةِ ، الناشر: دار الفكر - سورِيَّة - دمشق ، الطبعة: الرَّابِعَةُ المُنْقَحَةُ المعدَّلة بالنَّسْبَةِ لما سبقها (وهي الطبعة الثانية عشرة لما تقدمها من طبعات مصورة)

47. فيض الباري على صحيح البخاري ، (أمالي) محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي ثم الديوبندي (المتوفى: 1353هـ) المحقق: محمد بدر عالم الميرتهبي، أستاذ الحديث بالجامعة الإسلامية بداهيل (جمع الأمالي وحررها ووضع حاشية البدر الساري إلى فيض الباري) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م

48. كتاب التوحيد ،: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الرابعة، 1423 هـ .

49. كتاب القدر، أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفَاضِ الفُرْيَابِيِّ (المتوفى: 301هـ) المحقق: عبد الله بن حمد المنصور، الناشر: أضواء السلف ، الطبعة: الأولى 1418 هـ - 1997 م

50. كشف المشكل من حديث الصحيحين ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ) المحقق: علي حسين البواب ، الناشر: دار الوطن - الرياض .

51. كواشف زيوف ، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَةَ الميداني الدمشقي (المتوفى: 1425هـ) الناشر: دار القلم، دمشق ، الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1991 م .

52. اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون «دراسة محققة للسيرة النبوية» موسى بن راشد العازمي ، تقرِيظ: الدكتور محمد رواس قلعه جي، الشيخ

- عثمان الخميس ، الناشر: المكتبة العامرية للإعلان والطباعة والنشر والتوزيع ،
الكويت ، الطبعة: الأولى، 1432 هـ - 2011 م .
53. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن
سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ) المحقق: حسام الدين القدسي ، الناشر:
مكتبة القدسي، القاهرة ، عام النشر: 1414 هـ، 1994 م .
54. مجموع الفتاوى ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية
الحراني (المتوفى: 728هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الناشر:
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية
السعودية ، عام النشر: 1416هـ/ 1995م .
55. المجموع شرح المذهب ((مع تكملة السبكي والمطيعي)) أبو زكريا محيي
الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ) الناشر: دار الفكر.
56. محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ، عبد الرؤوف محمد عثمان ، الناشر:
رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة
- الرياض - الطبعة: الأولى، 1414هـ.
57. المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده
المرسي [ت: 458هـ] ، المحقق: عبد الحميد هنداوي ، الناشر: دار الكتب
العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2000 م .
58. مختار الصحاح ، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر
الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد ، الناشر:
المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا - الطبعة: الخامسة،
1420هـ / 1999م .
59. مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة ، محمد بن إبراهيم بن عبد
الله التويجري ، الناشر: دار أصدقاء المجتمع، المملكة العربية السعودية ،

- الطبعة: الحادية عشرة، 1431 هـ - 2010 م.
60. مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح ، حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي المصري الحنفي (المتوفى: 1069هـ) اعتنى به وراجعته: نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية ، الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2005 م.
61. المستدرک علی الصحیحین ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: 405هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى، 1411 - 1990 م.
62. مسند ابن أبي شيبة ، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: 235هـ) المحقق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي ، الناشر: دار الوطن - الرياض - الطبعة: الأولى، 1997 م.
63. مسند أبي يعلى ، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلية (المتوفى: 307هـ) المحقق: حسين سليم أسد ، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق - الطبعة: الأولى، 1404 - 1984.
64. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
65. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير - أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ) - ، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت .

66. المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (مؤصل بيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها) محمد حسن حسن جبل ، ، الناشر: مكتبة الآداب - القاهرة - الطبعة: الأولى، 2010 م.
67. المعجم الأوسط ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 60هـ) المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد أ عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، الناشر: دار الحرمين - القاهرة
68. معجم اللغة العربية المعاصرة ، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) ، بمساعدة فريق عمل ، الناشر: عالم الكتب ، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.
69. المعجم الوسيط - الطبعة الثانية 1392 هـ 1972 م - دار المعارف.
70. الملتقى الفقهي
- <http://fiqh.islammessgae.com/NewsDetails.aspx?id=374>
- 9
71. المنتقى شرح الموطأ ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: 474هـ) الناشر: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، 1332 هـ (ثم صورتها دار الكتاب الإسلامي، القاهرة - الطبعة: الثانية، بدون تاريخ).
72. المنهج الصحيح وأثره في الدعوة إلى الله تعالى ، حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: العدد 119 - السنة 35 - 1423 هـ / 2003 م.
73. المورد في عمل المولد (مطبوع ضمن: رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي) عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري، تاج الدين الفاكحاني (المتوفى: 734هـ) المحقق: علي بن حسن بن عبد الحميد ، الناشر:

- دار العاصمة - الرياض - الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
74. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت - عدد الأجزاء: 45 جزء، الطبعة: (من 1404 - 1427 هـ) ..الأجزاء 1 - 23: الطبعة الثانية، دارالسلاسل - الكويت، ..الأجزاء 24 - 38: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة - مصر، ..الأجزاء 39 - 45: الطبعة الثانية، طبع الوزارة .
75. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، عدد الأجزاء: 45 جزء، الطبعة: (من 1404 - 1427 هـ) ..الأجزاء 1 - 23: الطبعة الثانية، دارالسلاسل - الكويت، ..الأجزاء 24 - 38: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة - مصر، ..الأجزاء 39 - 45: الطبعة الثانية، طبع الوزارة
76. موقع : <https://islamqa.info/ar/11669>
77. الموقع الرسمي للشيخ ابن باز يرحمه الله <https://binbaz.org.sa/fatwas/14858>
78. موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة <https://ar.wikipedia.org/wiki>
79. المولد النبوي ... هل نحتفل؟ شحاتة محمد صقر، الناشر: دار الخلفاء الراشدين - الإسكندرية، دار الفتح الإسلامي - الإسكندرية (مصر)
80. نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، للشيخ - محمد الخضري، حققه وعلق عليه الشيخ - نايف العباسي ومحي الدين مستو - بدون تاريخ .

Abstract

The title of the research is to invite the arrivals to Madinah in the era of the Prophet, and its contemporary applications, a historical and descriptive study. Explaining the vocabulary of the title of the research, and mentioned a brief summary of Madinah "and his statement of the need to know the preacher to invite the invitee to invite, as was in the era of the Prophet peace be upon him, was peace be upon him meet the invitee, and inform him the call to God Almighty. From the preacher - in the present age - to know the language of Alm Let the incoming of Medina, to warn him of the innovations and myths scattered in his country.

The preacher should also show the visiting visitor the etiquette of visiting the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him), preferring to pray in the mosque of Qubaa, He said that the person who comes to Madinah from all the different nationalities of the world with different cultures and knowledge is ignorant - sometimes some of the provisions of the call to Allaah. He has to show them the correct call and to warn them of the innovations and myths that spread throughout their countries in the era. Ha And therefore the recommendations and indexes were for this research.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوعات	م
4	المقدمة : وفيها أهمية الموضوع ، و أهداف الموضوع ، و حدود الموضوع ، الدراسات السابقة ، تساؤلات الموضوع ، منهج الموضوع ، خطة الموضوع .	1
11	التمهيد : شرح مفردات عنوان البحث. ونبذة مختصرة عن المدينة المنورة .	2
21	المبحث الأول : معرفة المدعو الوافد في عصر النبي ﷺ ومقابلته ودعوته إلى الله تعالى.	3
30	المبحث الثاني: معرفة لغة المدعو الوافد .	4
32	المبحث الثالث: تحذير الداعية من البدع والخرافات المنتشرة في بلد المدعو الوافد للمدينة المنورة .	5
39	المبحث الرابع : تعريف المدعو الوافد آداب زيارة النبي ﷺ	6
46	المبحث الخامس : تعريف المدعو الوافد فضل الصلاة في مسجد قباء ، ومعرفة مسجد القبلتين.	7
52	المبحث السادس: تعريف المدعو الوافد فضل جبل أحد وزيارة شهدائه .	8
57	الخاتمة .	9
57	نتائج البحث.	10
57	توصيات البحث.	11
59	فهرس المراجع .	12
65	فهرس الموضوعات .	13

منهج الإمام أبي الفضل الرازي في كتابه (اللوامح في القراءة) تطبيقاً على جزء الأحقاف

د. خلود بنت عبدالعزيز المشعل

استاذ مساعد بكلية التربية- قسم الدراسات القرآنية

جامعة الملك سعود

kalmeshaal@ksu.edu.sa

المستخلص

يتناول هذا البحث منهج الإمام أبي الفضل الرازي (ت:454هـ) في كتابه (اللوامح في القراءة) -أحد مصادر القراءات الشاذة- من خلال تحقيق الجزء السادس والعشرين (من بداية سورة الأحقاف حتى نهاية سورة ق). واشتمل البحث على مقدمة، وقسمين: القسم الأول: وفيه التعريف المختصر بالمؤلف، وكتابه اللوامح. والقسم الثاني: تحقيق جزء الأحقاف من كتاب اللوامح، وبيان منهج المؤلف فيه، وخاتمة. وكان من نتائج البحث:

1. يعد كتاب اللوامح في القراءة لأبي الفضل الرازي أحد مصادر الأمام أبي حيان في تفسيره البحر المحيط.
2. أهمية كتاب اللوامح في القراءة حيث أنه يعد من مؤلفات القراءات الشاذة في القرن الخامس الهجري لذا أوصي بتحقيقه.

الكلمات المفتاحية: القراءات الشاذة، أبو الفضل الرازي، اللوامح، منهج الإمام الرازي.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الانشغال بكتاب الله تعالى هو أفضل ما يُفني فيه المرء عمره، وفي ذلك مصداقٌ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر: 9) حيث سخر الله تعالى لكتابته من يقوم بخدمته وصيانته وتعلمه وتعليمه والذب عنه. ولا تخفى جهود علمائنا السابقين ومؤلفاتهم في ذلك، فقد بذلوا جهوداً عظيمةً، كان من أبرزها تمييز القراءات المتواذلة عن الشاذة، فكان هذا البحث لإلقاء الضوء على منهج الإمام أبي الفضل الرازي في كتابه اللوامح في القراءة.

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:

1. وجدت الإمام أبو حيان يشير كثيراً في تفسيره البحر المحيط إلى كتاب اللوامح ويستشهد بكلام أبي الفضل الرازي، فأحببت ابراز هذا المصدر.
2. الجزء المحقق جزء من كتاب معدود من المصادر المفقودة. ولا يوجد له إلا نسخة سقط منها الكثير من الصفحات بالمكتبة الأزهرية بمصر. (سيأتي التعريف بها في المبحث الثاني). (1)

أهداف البحث:

1. التعريف بكتاب من كتب القراءات الشاذة وإبرازه.

⁽¹⁾ ذكر الدكتور حازم حيدر في كتابه (علوم القرآن بين البرهان والالتقان): أن هناك نسخة بالمكتبة الأحمدية بحلب برقم (884)، وكذا السيوطي في علوم ولم أفق عليها.

2. العناية بمنهج الإمام أبي الفضل الرازي.
3. بيان أوجه القراءات الشاذة في جزء الأحقاف.

الدراسات السابقة:

لم أجد بعد البحث دراسة تناولت كتاب اللوامح لأبي الفضل الرازي، إلا ما كان من تحقيق منظومة (طوالع النجوم في موافق المرسوم في القراءات الشاذة عن المشهور (نظم)/ علي بن أبي محمد بن أبي سعد بن الحسن الواسطي الديواني) وهو نظم كتاب اللوامح لأبي الفضل الرازي. بمعهد البحوث والدراسات العربية/ معهد المخطوطات العربية. 1434هـ. (1)

أما كتاب معاني الأحرف السبعة لأبي الفضل الرازي - فقد حققه وخرج أحاديثه وأكمل فوائده الأستاذ الدكتور حسن ضياء عتر - ρ تعالى، ونشرته دار النوادر - الكويت - لبنان - سورية ، وصدرت الطبعة الأولى سنة 1433 هـ/ 2011 م. ومن عنوانه يتضح أن كتاب (معاني الأحرف السبعة) هو كتاب مختلف عن كتاب اللوامح في مضمونه كما حرر المحقق ذلك.

إجراءات البحث:

اتبعت في هذا البحث الإجراءات التالية:

1. التعريف الموجز للمؤلف. [حيث ترجم محقق كتاب معاني الأحرف السبعة لأبي الفضل الرازي ترجمة وافية، اكتفيت بها عن إعادة ذلك هنا].
2. التقديم للنص المحقق (الجزء السادس والعشرون من أول سورة الأحقاف إلى آخر سورة ق)، والتعريف بالنسخة الخطية.
3. نسخ النص، ومقابلته على النسخة الخطية، مع ترقيم النصوص، والعناية

⁽¹⁾ وقد تواصلت مع الباحث (أبو مازن الخولي) وأفاد بأنه صرف النظر عن تحقيقها. فلم تحقق حتى الآن.

بعلامات الترقيم.

4. كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، مع عزوها إلى سورها وبيان أرقام آياتها.
5. عزو القراءات القرآنية إلى مصادرها المعتمدة، وبيان من قرأها من القراء.
6. ضبط ما يحتاج إلى ضبط.

خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وقسمين، وخاتمة.

المقدمة: وتشمل أهمية الموضوع، وخطة البحث.

– القسم الأول: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالإمام أبو الفضل الرازي.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب (اللوامح في القراءة).

– القسم الثاني: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: النص المحقق.

المبحث الثاني: منهج الإمام الرازي في كتابه (اللوامح في القراءة).

– الخاتمة.

القسم الأول وفيه مبحثان المبحث الأول: التعريف بالإمام الرازي (1).

التعريف بالمؤلف

هو عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن بن بُندار بن إبراهيم بن جبريل بن محمد بن علي بن سليمان، أبو الفضل، العَجَلِيّ، الرَّازِي، الإمام المقرئ. أصله من الري، وولد بمكة، سنة إحدى وسبعين وثلاثمئة للهجرة ونشأ بها، وسمع شيوخ بلده.

كان أبو الفضل كثير التنقل والترحال في طلب العلم منذ صغره سنه، وكان ينتقل من بلد إلى بلد، وكان يأوي إلى المساجد، فإذا عرف الناس مكانه تركه، وكان يسافر وحده ويدخل البراري، فجال في الآفاق عامة عمره، وكان من أفراد الدهر علمًا وعملاً.

وبما أن أبا الفضل طاف البلدان فمما لاشك فيه أنه تلقى العلم من مجموعة كبيرة من علماء عصره، منهم:

1. الحسين بن عثمان بن علي بن أحمد أبو علي المجاهدي المضري بالمعجمة البغدادي الضرير المقرئ نزيل دمشق، آخر من قرأ عليه ابن مجاهد حرف

(¹) عرف به الدكتور حسن ضياء الدين عتر تعريفًا شاملاً في تحقيقه لكتاب (معاني الأحرف السبعة للرازي) ص 25-46.

مصادر الترجمة: مختصر تاريخ دمشق، ابن منظور، 14/185، تاريخ الإسلام، الذهبي، 10/48، معرفة القراء الكبار، الذهبي، 1/232، غاية النهاية، ابن الجزري، 1/361، سير أعلام النبلاء، الذهبي، 13/348، الوافي بالوفيات، الصفدي، 18/60، بغية الوعاة، السيوطي، 2/75، الأعلام، الزركلي، 3/294، معجم المؤلفين، كحالة، 5/116.

- أبي عمرو وضبطه، وعمر دهرًا (ت: 400هـ). (1)
2. علي بن داود، أبو الحسن الداراني، القطان، إمام جامع دمشق، ومقرئه، حيث تلا عليه بقراءة ابن عامر. (ت: 402هـ) (2)
- علي بن أحمد بن عمر بن حفص، أبو الحسن، المقرئ المعروف بابن الحمامي تفرد بأسانيد القراءات، وعلوها في وقته (ت: 417هـ). (3)
- قرأ القرآن على أناس كثيرين منهم:

- 1- أحمد بن الحسن بن شاذان، أبو بكر، البغدادي، البزاز. (4)
- 2- طاهر بن عبد المنعم بن عبيد الله بن غلبون بن المبارك، أبو الحسن، الحلبي نزيل مصر، أستاذ، عارف، وثقة ضابط، وحجة، محرر، شيخ الداني، ومؤلف التذكرة في القراءات الثمان. (5)

وحدث عنه وسمع منه:

- 3- الحسين بن عبد الملك بن الحسين بن محمد بن علي، الشيخ أبو عبد الله الأصبهاني، الخلال، الأديب، النحوي، البارع، المحدث، الأثري. (ت: 532هـ). (6)

- 4- فاطمة بنت محمد بن أبي سعد أحمد بن الحسن بن علي بن أحمد

(1) غاية النهاية، ابن الجزري، 1/ 234.

(2) معرفة القراء الكبار، الذهبي، 1/ 205.

(3) تاريخ بغداد، الخطيب، 13/ 232.

(4) غاية النهاية، ابن الجزري، 1/ 46.

(5) غاية النهاية، ابن الجزري، 1/ 339.

(6) تاريخ الإسلام، الذهبي، 11/ 568.

البغدادي، أم البهاء الأصبهانية، الواعظة. (ت: 539 هـ) (1)
 5- يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل بن سوادة أبو القاسم الهذلي
 (ت: 465 هـ). (2)

الحسن بن أحمد بن الحسن أبو علي الحداد؛ شيخ أصبهان، ومقرئها في
 عصره (ت: 515 هـ). (3) وخلق كثير.

كان أبو الفضل عالماً بالأدب والنحو وله شعر فاضل، من هذه الأشعار قوله:

أخي إن صرف الحادثات عجيب	ومن أيقظته الواعظات لبيب
وإن الليالي مفنيات نفوسنا	وكل عليه للفناء رقيب
وإن مصيبات الزمان كثيرة	لكل امرئ منهم أخي نصيب
طوى الدهر أترابي فبادوا وفارقوا	وما أحد منهم إلي يؤوب
ومن رزق العمر الطويل تصيبه	نوائب في أشكاله وتذوب
أيا نفس صبراً فاصطبارك راحة	ومن رزق الصبر الجميل نجيب

وكان عالماً فاضلاً كثير التصنيف عارفاً بالقراءات والأدب والنحو إلا أنه لم
 يعرف من مؤلفاته إلا (جامع الوقوف)، و(فضائل القرآن)، و(أحاديث في ذم الكلام
 وأهله) انتخبها من رد أبي عبد الرحمن السلمي على أهل الكلام. (4)

(1) تاريخ الإسلام، الذهبي، 11/ 716.

(2) غاية النهاية، ابن الجزري، 2/ 397.

(3) معرفة القراء الكبار، الذهبي، 1/ 263.

(4) كتاب (فضائل القرآن)، حققه: الدكتور عامر حسن صبري، ونشرته: دار البشائر الإسلامية، في طبعته:

الأولى، سنة 1415 هـ - 1994 م، وأما (كتاب أحاديث في ذم الكلام وأهله) فقد حققه: الدكتور ناصر

توفي أبو الفضل الرازي -P- في بلد أوشير بنيسابور في جمادى الأولى سنة أربع وخمسين وأربعمئة للهجرة.

المبحث الثاني:

التعريف بكتاب (اللوامح في القراءة).

أولاً: كتاب اللوامح في القراءة، تحقيق اسمه ونسبته للمؤلف:

لدى أبو الفضل الرازي كتابين، كتاب (معاني الأحرف السبعة) حققه: حسن ضياء الدين عتر، وكتاب (اللوامح في القراءة) وهو الذي بين أيدينا. وقد وقع دمج بين الاسمين أدى إلى الاعتقاد بأنهما كتاب واحد، وقد فصل المحقق حسن ضياء الدين ذلك في مقدمته، وخلاصة ما توصل إليه:

أن كتاب (اللوامح) ليست هو كتاب معاني الأحرف السبعة، بل هو كتاب آخر قطعاً، لأن مضامينه ليس واردة في كتاب معاني الأحرف السبعة. إلا أن يكون أدرج قدرًا مشتركًا بين الكتابين، فيكون أدى بذلك إلى التباس عند العلماء بين الكتابين. أقول: كلامه صحيح، إلا أنني لا أستطيع الجزم بذلك لأن مقدمة اللوامح في القراءة ساقطة إلى الآية (101) من سورة البقرة.

لكن أستطيع الجزم بأن كتاب اللوامح هو خاص بالقراءات الشاذة كما هو بين أيدينا فقد وجدت كثيراً من النصوص التي نسبها العلماء للوامح مطابقة له. والإشكال الآخر أنه ورد باسم (اللوائح) بالهمزة، وباسم (اللوامح) بالميم، فربما أن (اللوائح) خاص بمعاني الأحرف السبعة، و(اللوامح) بالقراءات الشاذة.

بن عبد الرحمن بن محمد الجديع، ونشرته: دار أطلس للنشر والتوزيع، في طبعته: الأولى سنة 1417هـ - 1996م، وأما كتاب (جامع الوقوف) فلم أقف عليه.

ذكر من أورده باسم (اللوائح):

1. ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري. (1)
2. ذكره السمين الحلبي في الدر المصون في موضع وحيد بالهمزة (اللوائح)، ثم تتابع ذكره بالميم (اللوامح). (2)
3. وكذا النعماني في اللباب في علوم الكتاب ذكره في موضع واحد بالهمزة، ثم بالميم في باقي المواضع. (3)
4. ذكره الهرري في تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن مرة واحدة بالهمزة فقط. (4)
5. ذكره السيوطي في الاتقان في علوم القرآن بالهمزة مرة واحدة فقط. (5)
6. ذكره الألويسي في روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني مرة واحدة فقط بالهمزة، ثم بالميم في باقي المواضع. (6)
7. وكذا الزرقاني في مناهل العرفان في علوم القرآن ذكره مرة واحدة بالهمزة. (7)
8. وأبو شهبه في المدخل لدراسة القرآن الكريم مرة واحدة بالهمزة. (8)

(¹) وقال أبو الفضل الرازي في اللوائح بعد أن ذكر الشبهة التي... إلخ) 32 / 9.

(²) ذكره أبو الفضل الرازي في كتاب (اللوائح على شاذ القراءة). 273 / 5.

(³) ونقل صاحب اللوائح عن مجاهد وعكرمة... إلخ) 212 / 13.

(⁴) (وفي "اللوائح": عن عبد الوارث عن أبي عمرو... إلخ) 202 / 27.

(⁵) وقال أبو الفضل الرازي في اللوائح: الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه في الاختلاف) 125. طبعة دار

الكتاب العربي ص 125. طبعة مؤسسة النداء، 213 / 1.

(⁶) -كما قال صاحب اللوائح- مصدر أقيم مقام المفعول به) 442 / 6.

(⁷) (والذي نخناره -بنور الله وتوفيقه- من بين تلك المذاهب والآراء هو ما ذهب إليه الإمام أبو الفضل

الرازي في اللوائح إذ يقول... إلخ) 155 / 1.

(⁸) (ما قاله في بيان وجوه الاختلاف الإمام أبو الفضل الرازي في كتاب «اللوائح»، قال:... إلخ) 190 / 1

ذكر من أورده باسم (اللوامح):

1. أبو حيان في البحر المحيط. (1)
2. السمين الحلبي في الدر المصون. (2)
3. النعماني في اللباب في علوم الكتاب. (3)
4. الخفاجي في: حاشية الشَّهَابِ على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضي وكفاية الرَّاظي على تفسير البيضاوي. (4)
5. ابن الجزري في النشر في القراءات العشر. (5)
6. السيوطي في الإتقان في علوم القرآن. (6)
7. الألوسي في روح المعاني. (7)
8. عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين. (1)

⁽¹⁾ أورده كثيراً ونقل عنه. ومن ذلك: (وقال أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي: اللام متعلقة من الذَّامِ وَالذَّخْرِ ومعناه أَخْرَجَ بِهَاتَيْنِ الصَّفَتَيْنِ لِأَجْلِ أَتْبَاعِكَ ذكر ذلك في كتاب اللوامح في شواذ القراءات... إلخ) 24 / 5

⁽²⁾ أورده كثيراً بصاحب اللوامح، وصرح باسمه في عدة مواضع: (بل حكى تلك القراءة أبو الفضل الرازي في (اللوامح) له عنهما... إلخ) 264 / 8.

⁽³⁾ أورده كثيراً بصاحب اللوامح، وصرح في بعضها باسمه (ذكره أبو الفضل الرازي في كتاب (اللوامح) على شاذَّ القراءة). 50 / 9.

⁽⁴⁾ (لأنَّ المعرب نقل عن الرازي في اللوامح إنه غلط) 822 / 3

⁽⁵⁾ (الإمام الصالح الولي أبو الفضل الرازي في كتاب اللوامح) 48 / 1.

⁽⁶⁾ (وقال أبو الفضل الرازي في اللوامح: الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه...). طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب 166 / 1

⁽⁷⁾ أورده كثيراً بصاحب اللوامح، وصرح به في مواضع: (قال أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن المقري الرازي في كتاب اللوامح... إلخ) 378 / 8.

9. حاجي خليفة في كشف الظنون. (2)

10. البغدادي في هداية العارفين. (3)

والذي يظهر - والله أعلم - بأن من ذكره بالهمزة فهو نقلاً عن ابن حجر، ولعل ابن حجر ذكره بالهمزة إشارة إلى كتاب (معاني الأحرف السبعة) ولا يبعد أن يكون خطأ أو تصحيحاً من النساخ.

ثانياً: إثبات صحة نسبة المخطوط إلى أبو الفضل الرازي:

سقط من المخطوط ألواح كثيرة لا سيما من المقدمة وكذا الصفحات الأخيرة بما فيها الخاتمة.

وقد نقل أبو حيان في البحر المحيط نقولات كثيرة تجاوزت 170 موضعاً ونسبها نسبة صريحة، بقوله: (قال أبو الفضل الرازي في اللوامح:.....) أو (قال صاحب اللوامح..) وجل هذه المواضع مطابقة لما في هذا المخطوط لفظاً أو معنى، مما يثبت أن هذا المخطوط الذي بين أيدينا هو كتاب اللوامح لأبي الفضل الرازي، ولا يسع المقام لذكر تلك المواضع هنا، فمنها على سبيل المثال:

قال أبو حيان: (وابن عباس فيما روى قطرب وأبو الفضل الرازي: (أَفَكُهُمْ) اسم فاعل من أَفَكَ، أي صَارَفَهُمْ) (4).

وفي اللوامح: (ابن عباس {أَفَكُهُمْ} بالمد على فاعلهم أي صارفهم). (1)

⁽¹⁾ عبد الرحمن بن الحسن الرازي (أبو الفضل) مقري. له اللوامح في القراءات. 5/ 134.

⁽²⁾ اللوامح، لأبي الفضل الرازي، هو: عبد الرحمن بن أحمد المقرئ. المتوفى: سنة 454هـ. 2/ 1567

⁽³⁾ الرازي: عبد الرحمن بن الحسن الرازي، أبو الفضل المقرئ، المتوفى سنة 454هـ، أربع وخمسين

وأربعمئة. له اللوامح في القراءة. 1/ 517.

⁽⁴⁾ البحر المحيط، 9/ 447.

قال أبو حيان: (وقرأ طلحة بخلاف والحسن فيما روى عنه هارون (فَأَتَّبَعَهُ) مشدداً بمعنى (تَبِعَهُ)، قال صاحب كتاب اللوامح: بينهما فرق وهو أن تَبِعَهُ إذا مَشَى في أثره، وَاتَّبَعَهُ إذا وَاَرَاهُ مَشْيًا، فأما فَاتَّبَعَهُ بقطع الهمزة فمما يتعدى إلى مفعولين؛ لأنه منقول من تَبِعَهُ وقد حذف في العامة أحد المفعولين). (2)

وفي اللوامح: (بالتشديد مثل تبعه، قيل: تبعه إذا مشى في أثره، وأتبعه إذا وراه مشياً). (3)

قال أبو حيان: (وقرأ عمر بن عبد العزيز: حَيْثَانُهُمْ يَوْمَ أَسْبَاتِهِمْ، قال أبو الفضل الرازي في كتاب اللوامح وقد ذكر هذه القراءة عن عمر بن عبد العزيز: وهو مصدر من أَسَبَّتَ الرجل إذا دَخَلَ في السَّبْتِ). (4)

وفي اللوامح: (عمر بن عبد العزيز (اسباتهم) مصدر اسبت إذا دخل في السبت). (5)

ثالثاً: موضوع كتاب اللوامح في القراءة، وأهميته:

موضوع كتاب (اللوامح في القراءة) هو القراءات الشاذة. وتبرز أهميته من خلال النقاط التالية:

1- الكتاب من أقدم المصنفات في القراءات الشاذة.

2- مكانة الإمام الرازي العلمية وشهرته.

(1) اللوح رقم: 87.

(2) البحر المحيط، 5/ 222.

(3) اللوح: 35.

(4) البحر المحيط، 5/ 204.

(5) اللوح 35.

3- اشتهار الكتاب عند العلماء، ونقلهم كثيرًا منه.

رابعًا: بيانات المخطوطة:

المكتبة: بخيت

الفن: قراءات

الرقم الخاص: 1316

الرقم العام: 43704

عدد المجلدات: 1

عدد الأوراق: 91

العنوان: كتاب في القراءات

المؤلف: غير معروف

الطول: 17

العرض: 13

المسطرة: 15

ذكر ألواح المخطوط الذي بين أيدينا وما اشتملت عليه من السور:

ت	رقم اللوح	اسم السورة	ت	رقم اللوح	اسم السورة
1	من 1 إلى 11	البقرة من الآية 102	26	من 72 إلى 73 ⁽¹⁾	النور
2	من 11 إلى 18	آل عمران	27	من 73 إلى 75	الفرقان
3	من 18 إلى 22	النساء	28	من 75 إلى 76	الشعراء

⁽¹⁾ أعيدت الأوراق الساقطة في غير مكانها.

ت	رقم اللوح	اسم السورة	ت	رقم اللوح	اسم السورة
4	من 22 إلى 27	المائدة	29	من 76 إلى 78	النمل
5	من 27 إلى 30	الأنعام	30	78	القصص
6	من 30 إلى 36	الأعراف	31	79	العنكبوت
7	من 36 إلى 38	الأنفال	32	من 79 إلى 80 ⁽¹⁾	الروم
8	من 38 إلى 41	التوبة	33	80	الاحزاب
9	من 41 إلى 43	يونس	34	من 80 إلى 82	سبأ
10	من 43 إلى 45	هود	35	من 82 إلى 83	فاطر
11	من 45 إلى 49	يوسف	36	من 83 إلى 84 ⁽²⁾	يس
12	من 49 إلى 50	الرعد	37	84	الشورى
13	من 50 إلى 52	إبراهيم	38	من 85 إلى 86	الزخرف
14	52	الحجر	39	86	الدخان
15	من 52 إلى 54	النحل	40	86	الجاثية
16	من 54 إلى 56	بنى إسرائيل	41	من 86 إلى 87	الأحقاف
17	من 56 إلى 58 ⁽³⁾	الكهف	42	من 87 إلى 88	محمد
19	من 58 إلى 60 ⁽⁴⁾	مريم	43	من 88 إلى 89	الفتح
19	من 60 إلى 62	طه	44	89	الحجرات

⁽¹⁾ سقطت أوراقها آخر الروم، والأحزاب.

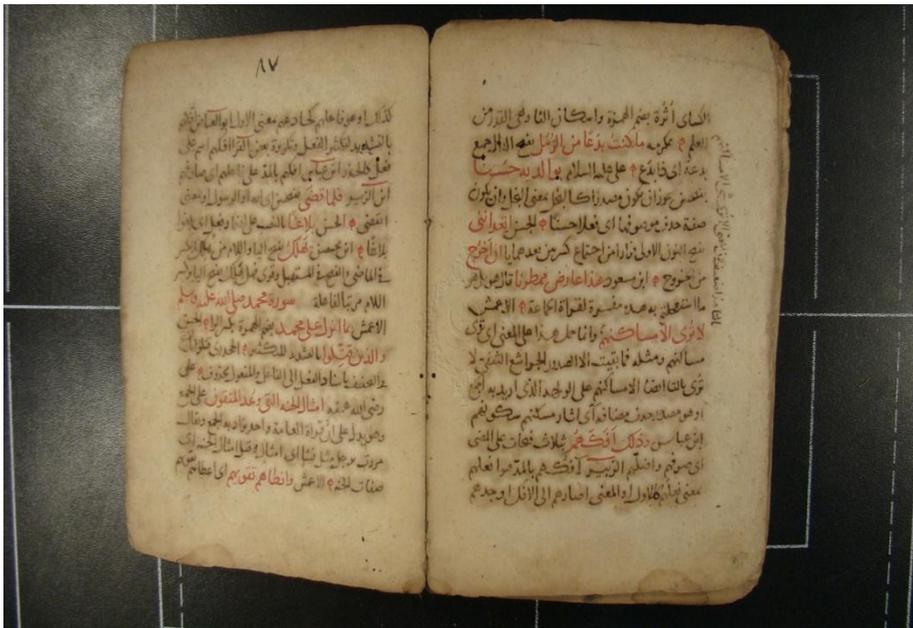
⁽²⁾ سقطت أوراقها آخر يس، والصفات، وص، والزمر، وغافر، وفصلت.

⁽³⁾ سقطت ورقةها آخر الكهف وأول مريم، وهي الجزء الأيسر من اللوح رقم (58) وهي الجزء الأيمن من اللوح الذي يليه وهو (59).

⁽⁴⁾ سقطت ورقة أو أكثرها آخر مريم، وأول طه.

ت	رقم اللوح	اسم السورة	ت	رقم اللوح	اسم السورة
20	من 62 إلى 64	الأنبياء	45	من 89 إلى 90	ق
21	من 64 إلى 67	الحج	46	90	الذاريات
22	من 67 إلى 69 ⁽¹⁾	المؤمنون	47	من 90 إلى 91	الطور
23	من 69 إلى 70 ⁽²⁾	النور	48	91	النجم
24	من 70 إلى 71	النمل	49	من 91 إلى 92 ⁽³⁾	القمر
25	من 71 إلى 72	القصص			

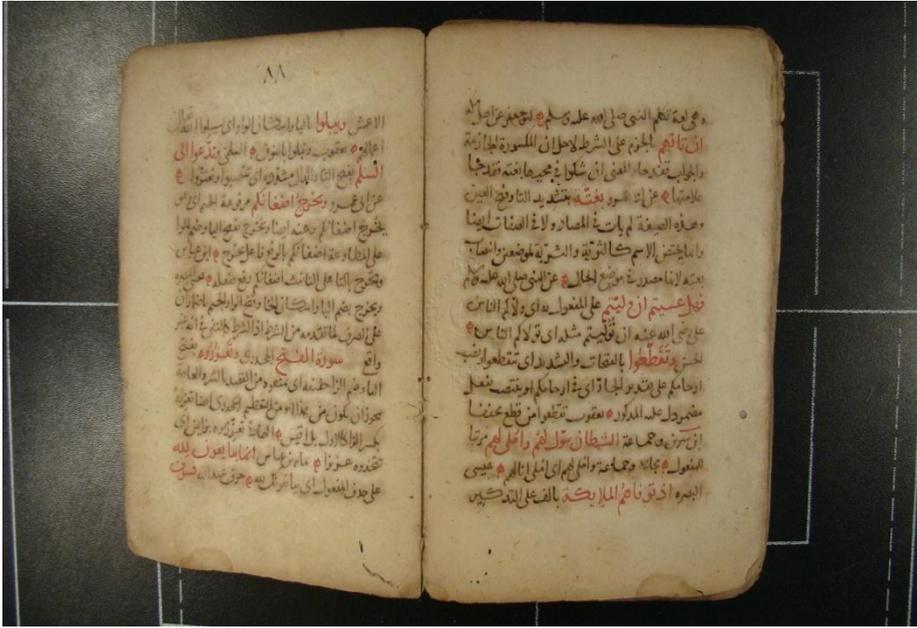
صورة من المخطوط المحقق:



⁽¹⁾ سقطت ورقة بها آخر المؤمنون، وأول النور.

⁽²⁾ سقطت أوراق بها الفرقان، والشعراء، وأول النمل، ثم أعيدت في غير مكانها سيأتي ذكرها.

⁽³⁾ هو الجزء الأيمن من اللوح رقم (92)، وسقطت أوراق من آخر القمر إلى الناس.



القسم الثاني وفيه مبحثان: المبحث الأول: النص المحقق.

سورة الأحقاف

- ابن عباس {أَوْ أَثَرَةٍ} [4] بغير ألف بفتح الثاء وهي البقية كالإثارة وهي ما يؤثر. (1)
- السلمي {أَثَرَةٍ} بفتح الهمزة وإسكان الثاء وهي الفعلة الواحدة من هذا

(1) قرأ علي، وابن عباس: بخلاف عنهما، وزيد بن علي، وعكرمة، وقتادة، والحسن، والسلمي، والأعمش، وعمرو بن ميمون: (أَوْ أَثَرَةٍ) بغير ألف، وهي واحدة، جمعها: (أَثَرٌ) كَقَتْرَةٍ وَقُتْرٍ.

- الأصل أي هذا القدر متسع به منكم أي: ليقيم به. (1)
- الكسائي {أثرة} بضم الهمزة وإسكان الثاء، وهي: القدر من العلم. (2)
- عكرمة {مَا كُنْتُ بَدْعًا مِنَ الرُّسُلِ} [9] بفتح الدال جمع بدعة أي: ذا بدع. (3)
- علي-عليه السلام- {بِوَالِدَيْهِ حَسَنًا} [15] بفتححتين يجوز أن يكون مصدرًا كالبخل بمعنى البخل، وأن يكون صفة موصوفها أي: فعلاً حسناً. (4)

(1) وقرأ علي، والسلمي، وقتادة أيضاً: بإسكان الثاء، وهي الْفَعْلَةُ الْوَاحِدَةُ مِمَّا يُؤْتَرُ، أي: قَدْ قَبِعْتُ لَكُمْ بِخَيْرٍ وَاحِدٍ وَأَثَرٍ وَاحِدٍ يَشْهَدُ بِصِحَّةِ قَوْلِكُمْ.

(2) وعن الكسائي: ضم الهمزة وإسكان الثاء. وقال ابن خالويه: والكسائي على لغة أخرى: (إثرة وأثرة). ينظر: مختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه، 140، الجامع، القرطبي، 16/182، البحر المحيط، أبو حيان، 9/433.

قال ابن جني في المحتسب: (وأما "الأثرة" ساكنة الثاء فهي أبلغ معنى؛ وذلك أنها الفعلة الواحدة من هذا الأصل، فهي كقولك: اتتوني بخبر واحد، أو حكاية شاذة) 2/246.

وينظر: جامع البيان، الطبري، 22/92، معاني القرآن، الزجاج 4/438، إعراب القرآن، النحاس، 4/104، بحر العلوم، السمرقندي، 3/285، الكشف، الثعلبي، 9/6، الهداية، مكي 11/6812، النكت والعيون، الماوردي 5/271.

(3) قرأ عكرمة، وأبو حيوة، وابن أبي عجلة: بفتح الدال، جمع بدعة، على حذف مضاف أي: ما كنت صاحب بدع، ولا معروفة مني البدع. ورد أبو حيان أن تكون صفة على فعل. ينظر: المحتسب، ابن جني، 2/264، المغني في القراءات، النوزاوازي، 1674، الجامع، القرطبي، 16/185، البحر المحيط، 9/434.

(4) قرأ علي، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعيسى بفتححتين. ينظر: المختصر، ابن خالويه، 140. المغني في القراءات، النوزاوازي، 1675. البحر المحيط أبو حيان، 9/439 و 8/337.

قال أبو الفتح ابن جني: (تحتل اللغة أن تكون حسناً هنا مصدرًا، كالمصادر التي اعتقب عليها الفعل والفعل، نحو الشغل والشغل، والبخل والبخل، وهو واضح. وتحتل أن يكون "الحسن" هنا اسمًا

- الحسن {تَعْدَانِي} [17] بفتح النون الأولى فرارًا من اجتماع كسرتين بعدهما ياء. (1)
- {أَنْ أُخْرَجَ} من الخروج. (2)

صفة لا مصدرًا، لكنه رسيل القبيح كقولنا: الحسن من الله، والقبيح من الشيطان، أي: وصيناه بالديه فعلاً حسنًا، ونصبه وصيناه به؛ لأنه يفيد مفاد ألزمتنا الحسن في أبويه، وإن شئت قلت: هو منصوب بفعل غير هذا، لا بنفس هذا؛ فيكون منصوبًا بنفس ألزمتناه، لا بنفس وصيناه؛ لأنه في معناه).
المحتسب، 2/ 265.

(¹) قرأ الحسن، وشيبة، وأبو جعفر بخلاف عنه، وعبد الوارث عن أبي عمرو، وهارون بن موسى عن الجحدري، وسام عن هشام: بفتح النون الأولى تخفيفًا كالإدغام والحذف، فرارًا من كسرتين بعدهما ياء. ينظر: الكامل في القراءات، الهذلي، 1/ 637، المغني في القراءات، النوزاوازي، 1677، البحر المحيط، أبو حيان، 9/ 442،

قال الداني: (عن أبي عمرو وأعداني بنونين الأولى مفتوحة، وكذلك حكى ابن حاتم عن نافع أنه قرأ أعداني بفتح النون الأولى وهي قراءة الحسن وفتح النون لغة). جامع البيان، 4/ 1588.

ورد بعضهم ذلك قال أبو جعفر النحاس: (ذكر بعض الرواة أن نافع بن أبي نعيم قرأ أعداني بفتح النون الأولى، وذلك غلط غير معروف عن نافع وإنما فتح نافع الياء فغلط عليه. وفتح هذه النون لحن ولا يلتفت إلى ما أنشد وهو: (الرجز أعرف منها الأنف والعينانا..). وسمعت علي بن سليمان يقول: سمعت محمد بن يزيد يقول: إن كان مثل هذا يجوز فليس بين الحق والباطل فرق. يتركون كتاب الله - جلّ وعزّ - ولغات العرب الفصيحة ويستشهدون بأعرابي بوال). إعراب القرآن، 4/ 110.

قال أبو شامة: (وحكى الأهوازي رواية أخرى بفتح النون الأولى وهي غلط فلهذا يقال في ضبط قراءة الجماعة بنونين مكسورتين) إبراز المعاني، 1/ 686.

(²) قرأ الحسن، ونصر، وأبو العالية، والأعمش، وقتادة، وبشر بن طلحة، وابن معمر عن أبي عمرو وفتح الهمة وضم الراء، تقديره: أن أخرج من قبري. ينظر: إعراب القرآن، النحاس، 4/ 110، المغني في القراءات، النوزاوازي، 1677، الجامع، القرطبي، 16/ 197، البحر المحيط، أبو حيان، 9/ 442.

ابن مسعود {عَارِضٌ مُّطْرُنَا} [24] قال هو: بل هو ما استعجلتم به هذه مفسرة لقراءة الجماعة. (1)

- الأعمش {لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ} [25] بالتاء هذا ضعيف؛ لأن المعنى ألا تُرى شيء إلا مساكنهم، وإنما حمل هذا على المعنى أي تُرى مساكنهم (2)،

قال الفراء: (واجتمعت القراء على (أخرج) بضم الألف لم يسم فاعله، ولو قرئت: (أن أُخْرِجَ) بفتح الألف كان صواباً) معاني القرآن، 3/ 53.

(1) قراءة ابن مسعود: {هَذَا عَارِضٌ مُّطْرُنَا قَالَ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ}. المغني في القراءات، النوزاوازي، 1679. شواذ القرآن، الكرمانى، 2/ 736.

قال أبو الفتح ابن جنى: (قد كثر عنهم حذف القول؛ لدلالة ما يليه عليه. كقول الله تعالى: {وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} (الرعد: 23)، أي: يقولون: سلام عليكم، وكذلك هذه القراءة، مفسرة لقراءة الجماعة: {بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ} (الأحقاف: 24)، لو لم تأت قراءة عبد الله هذه لما كان المعنى إلا عليها، فكيف وقد جاءت ناصرة لتفسيرها؟). المحتسب، 2/ 265.

(2) قال الفراء: (وقرأ الحسن: {فَأَصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ} وفيه قبح في العربية؛ لأن العرب إذا جعلت فعل المؤنث قبل ذكروه، فقالوا: لم يقم إلا جاريتك، وما قام إلا جاريتك، ولا يكادون يقولون: ما قامت إلا جاريتك، وذلك أن المتروك أحد، فأحد إذا كانت لمؤنث أو مذكر ففعلهما مذكر. ألا ترى أنك تقول: إن قام أحد منهن فاضربه، ولا تقل: إن قامت إلا مستكرها، وهو على ذلك جائز. قال أنشدني المفضل:

ونارنا لم تر ناراً مثلاً... قَدْ عَلِمْتَ ذَلِكَ مَعْدُ أكرما (انظر ابن عقيل 2/ 107).

فأنث فعل (مثل) لأنه للنار، وأجود الكلام أن تقول: ما رئي إلا مثلها. معاني القرآن 3/ 55.

ينظر: الحجة، الفارسي، 6/ 186، جامع البيان، الطبري، 22/ 130، المحتسب، ابن جنى، 2/ 207. المغني في القراءات، النوزاوازي، 1680، شواذ القرآن، الكرمانى، 2/ 736، البحر المحيط،

أبو حيان، 9/ 60.

- ومثله فما بقيت إلا الصدور الجراشع. (1)
- الثقفى (2) { لا ترى } بالتاء أيضاً إلا مساكنهم على الواحد الذي أريد به الجمع، أو هو مصدر حذف مضافه أي: آثار مساكنهم سكونهم. (3)
- ابن عباس { وَذَلِكَ أَفْكُهُمْ } [28] بثلاث فتحات على المضى أي: صرفهم وأصلهم. (4)
- الزبير { أفكهم } بالمد هو أفعلهم بمعنى فعلهم كالأول، أو المعنى أصارهم إلى الإفك أو جدهم كذلك، أو هي فاعلهم كخادعهم بمعنى الأول. (5)

(1) البيت لذى الرمة ورواية الديوان:

طوى النَّحْزَ والأجراز ما في غروضها... فما بقيت إلا الصدور الجراشع
والنحز: ضرب الأعقاب والاستحاث في السير، وهو أن يحرك عقبيه ويضرب بهما موضع عقبيه
الراكب - والأجراز: الأمحال والواحد: جرز ومحل، والجرل: المكان الصلب وجمعه أجال،
والغروض: الواحد غرض وهو حزام الرحل - والجرشع: واحد الجراشع وهو: المنتفخ الجنبين -
يقول: تملأ الغروض. انظر ديوانه 2 / 1296، والمحتسب 2 / 207، المفصل 2 / 87.

- (2) بشر بن إبراهيم بن حكيم، أبو عمرو والثقفى، قرأ على قتيبة. ينظر: غاية النهاية، ابن الجزري، 1 / 176
- (3) ذكر ابن جنى قوله في ذلك: وأما { مساكنهم } فإن شئت قلت: واحد كنى من جماعته، وإن شئت جعلته مصدراً وقدرت حذف المضاف، أي: لا ترى إلا آثار مساكنهم، وحسن أيضاً أن يريد (بمساكنهم) هنا الجماعة، وإن كان قد جاء بلفظ الواحد؛ وذلك أنه موضع تقليل لهم وذكر العفاء عليهم، فلاق بالموضع ذكر الواحد؛ لقلته عن الجماعة، كما أن قوله سبحانه: { ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً } (الحج: 5)، أي: أطفالاً. وحسن لفظ الواحد هنا؛ لأنه موضع تصغير لشأن الإنسان، وتحقير لأمره، ولأن معناه أيضاً تخرج كل واحد منكم طفلاً... ينظر: المحتسب، 2 / 267.
- (4) قرأ ابن عباس، وابن الزبير، والصَّبَّاحُ بن العلاء الانصاري، وأبو عياض، وعكرمة، وحنظلة بن النعمان بن مرة، ومجاهد: { أَفْكُهُمْ }، بثلاث فتحات: أي (صَرَفَهُمْ).
- (5) قرأ ابن الزبير وابن عباس: { أَفْكُهُمْ } بالمد، فاحتمل أن يكون فاعل. فالهمزة أصلية، وأن يكون أَفْعَلُ، فالهمزة للتعدي، أي: جَعَلَهُمْ بِأَفِكُونَ، ويكون أَفْعَلُ بمعنى المُجَرِّدِ.

- أبو العياض {أَفْكَهُم} بالتشديد؛ لتكثير الفعل وتكريره. (1)
- بعض القراء {افكهم} اسم على فعل كالحذر. (2)
- ابن عباس {آفكهم} بالمد على فاعلهم أي صارفهم. (3)
- ابن الزبير {فلما قضى} [29] بفتحتين أي: الله أو الرسول، أو بمعنى انقضى. (4)
- الحسن {بلاغًا} [35] بالنصب على إضمار فعل أي: بلغوا بلاغًا. (5)
- ابن محيصن {يَهْلِكُ} بفتح الياء واللام من هَلِكَ بالكسر في الماضي والفتح

⁽¹⁾ قرأ أبو عياض، وعكرمة: بتشديد الفاء للتكثير.

⁽²⁾ وعن الفراء أنه قرئ: {أَفْكَهُم} بفتح الهمزة والفاء وضم الكاف، وهي لغة في الإفك.

⁽³⁾ قرأ ابن عباس، فيما روى قطرب، وأبو الفضل الرازي: {آفْكُهُم} اسم فاعل من آفك، أي صارفهم.

ينظر: معاني القرآن، الفراء، 3/ 56، إعراب القرآن، النحاس، 4/ 113، مختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه، 140، المحتسب، ابن جني، 2/ 267، المغني في القراءات، النوزاوازي، 1681، شواذ القرآن، الكرمانى، 2/ 737، الجامع، القرطبي، 16/ 209، البحر المحيط، أبو حيان، 9/ 447.

⁽⁴⁾ قرأ لاحق بن حميد، وخبيب بن عبد الله بن الزبير { فَلَمَّا قُضِيَ } بفتح القاف والضاد، مبنياً للفاعل، أي: قَضَى مُحَمَّدٌ مَا قَرَأَ، أي: أَتَمَّهُ وَفَرَغَ مِنْهُ. ينظر: المحرر، ابن عطية، 7/ 632، المغني في القراءات، النوزاوازي، 1681، الكامل، الهذلي، 5/ 101، الجامع، القرطبي، 16/ 216، البحر المحيط، أبو حيان، 9/ 450.

⁽⁵⁾ قرأ الحسن، وزيد بن علي، وعيسى: بالنصب على فعل مضمر، أي: بُلِّغُوا بِلَاغًا، أو بَلَّغْنَا بِلَاغًا. ينظر:

المحتسب، ابن جني، 2/ 268، البحر المحيط، أبو حيان، 9/ 452.

ويجوز في العربية: بِلَاغًا وَبِلَاغٌ، النصب على معنى إلا ساعةً بِلَاغًا، على المصدر أو على النَّعْتِ للساعة. ينظر: المغني في القراءات، النوزاوازي، 1683، الجامع، القرطبي، 16/ 222، إتحاف فضلاء

- في المستقبل، وقرئ {فهل يَهْلِكُ} بفتح الياء وكسر اللام مرتباً لفاعلة. (1)
- سورة محمد - ٧-
- الأعمش {بما أنزل على محمد} [2] بضم الهمزة بكسر الزاي. (2)
- الحسن {والذين قُتِلُوا} بالتشديد؛ للتكثير. (3)
- الجحدري (4) {قُتِلُوا} [4] بالفتح والتخفيف بإسناد الفعل، والمفعول محذوف. (5)

^(١) قرأ ابن محيصن: بفتح الياء وكسر اللام وعنه أيضاً: بفتح الياء واللام، وماضيه (هَلِكَ) بكسر اللام، وهي لغة. ينظر: مختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه، 141. المبهج، سبط الخياط، 2/742، المغني في القراءات، النوزاوازي، 1683. شواذ القرآن، الكرمانى 2/738، الجامع، القرطبي، 16/222، والبحر المحيط، أبوحيان، 9/448.

قال أبو الفتح ابن جني: (وأما {يهلك} بفتح الياء واللام جميعاً فشاذة، ومرغوب عنها؛ لأن الماضي هلك، فعل مفتوحة العين، ولا يأتي يفعل، بفعل العين فيهما جميعاً إلا الشاذ. وإنما هو أيضاً لغات تداخلت... إلخ) المحتسب، 2/268.

قال الزجاج: (ولو قرئت {فَهْلُ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ} كان وجهاً، ولا أعلم أحداً قرأ بها!!) معاني القرآن، 4/448، قلت: لعله لم تصله قراءة ابن محيصن.

^(٢) قرأ الأعمش، وابن أبي عبيدة: {أُنزِلَ} بضم الهمزة وكسر الزاي وتخفيفها مُعَدَّى بالهمزة مبنياً للمفعول. ينظر: المغني في القراءات، النوزاوازي، 1685. البحر المحيط، أبوحيان، 9/458.

^(٣) قرأ الحسن: {قُتِلُوا} بتشديد التاء على التكثير، على معنى: قتلوا المشركين قتل بعضهم بعض.

^(٤) عاصم بن أبي الصباح العجاج الجحدري البصري، أخذ القراءة عرضاً عن سليمان بن قتة عن ابن عباس وروى حروفاً عن أبي بكر عن النبي ٧. ينظر: غاية النهاية، ابن الجزري، 1/349.

^(٥) قرأ الجحدري {قُتِلُوا} بالفتح، على معنى: الذين قتلوا المشركين. ينظر: معاني القرآن، الزجاج، 5/7. إعراب القرآن، النحاس، 4/119. الهداية، مكى بن أبي طالب، 11/6886. الجامع، القرطبي، 16/230.

- علي -η- {أمثال الجنة التي وُعد المتقون} على الجمع، وهو يدل على أن قراءة العامة واحد يراد به الجمع، ويقال: مررت برجل مثل نشأ أي: أمثال، وقيل: أمثال الجنة أي صفات الجنة. (1)
- الأعمش {وأنظاهم تقويهم} [17] أي: أعطاهم تقويهم، وهي لغة تكلم النبي -γ- (2).
- أبو جعفر عن أهل مكة {إن تأتهم} [18] بالجزم على الشرط؛ لأجل أن المكسورة الجازمة، والجواب فقد جاء والمعنى إن شكوا في مجيئها بغتة فقد جاء علامتها. (3)

فالحجة لمن خَفَّف أو شَدَّد: أنه دَلَّ بضم القاف على بناء الفعل لما لم يسم فاعله. الحجة، ابن خالويه، 1/ 328.

⁽¹⁾ بزيادة همزة مفتوحة في أوله، وألف أخرى بعد الثاء على الجمع. قال الفراء: (أخبرني جِبَّانُ بن علي عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: مثل الجنة، أمثال الجنة، صفات الجنة. قال ابن عباس: وكذلك قرأها علي بن أبي طالب: أمثال). معاني القرآن، 2/ 65 و 3/ 60 ينظر: معاني القرآن، النحاس، 6/ 471، المختصر، ابن خالويه، 141، المغني في القراءات، النوزاوازي، 1688.

قال أبو الفتح: (هذه القراءة دليل على أن القراءة العامة التي هي {مثل}، بالتوحيد - بلفظ الواحد ومعنى الكثرة؛ وذلك لما فيه من معنى المصدرية؛ ولهذا جاز مررت برجل مثل رجلين وبرجلين مثل رجال، وبامرأة مثل رجل، وبرجل مثل امرأة). المحتسب، 2/ 270.

⁽²⁾ قرأ ابن مسعود، والأعمش: {وأنظاهم تقواهم} أي: أعطاهم، وهي لغة معروفة، أنطى: أي: أعطى، ورواه محمد بن طلحة عن أبيه، وهي في مصحف عبد الله. ينظر: تفسير الماتريدي، 9/ 273، المختصر، ابن خالويه، 142، الكشف، الثعلبي، 9/ 33، المحرر الوجيز، ابن عطية، 5/ 116، المغني في القراءات، النوزاوازي، 1689.

⁽³⁾ قرأ حميد، والمري، وابن سليمان، عن ابن كثير، والرواسي عن أبي عمرو بكسر الهمزة {إن}، ويحذف الياء وكسر الهاء {تأتهم}. ينظر: الكامل، الهذلي، 4/ 350، المغني في القراءات، النوزاوازي، 1689.

- عن أبي عمرو {بَغْتَةً} بتشديد التاء وفتح العين، وهذه الصيغة لم يأت في المصادر ولا في الصفات أيضاً، وإنما يختص الاسم كالثوية والثرية لموضعين، وانتصاب بغتة لأنها مصدر في موضع الحال. (1)
- عن النبي -ص- {فهل عسيتم إن وليتم} [22] على المفعول به أي: ولآكم الناس. (2)

قال الفراء: وحدثني أبو جعفر الرؤاسي قَالَ: قلت لأبي عمرو بن العلاء: ما هذه الفاء التي في قوله: {فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا}؟ قال: جواب للجزاء.

ينظر: معاني القرآن، الفراء، 3/61. جامع البيان، الطبري، 22/171، معاني القرآن، الزجاج، 5/11، إعراب القرآن، النحاس، 4/122، المحتسب، ابن جني، 2/270، الجامع، القرطبي، 16/240، البحر المحيط، أبو حيان، 9/464.

⁽¹⁾ عن أبي عمرو بفتح الغين وتشديد التاء حيث جاء. قال أبو حيان: (قَالَ صَاحِبُ اللَّوَامِحِ: وَهِيَ صِفَةٌ، وَأَنْتِصَابُهَا عَلَى الْحَالِ لَا تَغْيِيرَ لَهَا فِي الْمَصَادِرِ وَلَا فِي الصِّفَاتِ، بَلْ فِي الْأَسْمَاءِ نَحْوُ: الْحُرِّيَّةِ، وَهُوَ اسْمٌ جَمَاعَةٌ، وَالسَّرِيَّةُ اسْمٌ مَكَانٍ. أَنْتَهَى.) البحر المحيط، 9/464. ينظر: المغني في القراءات، النوزاوازي، 1690، شواذ القرآن الكرمانى، 2/742. الجامع، القرطبي، 16/240، قال الزمخشري: (وقرى: {بغته} بوزن جربة، وهي غريبة لم ترد في المصادر أختها، وهي مروية عن أبي عمرو، وما أخوفني أن تكون غلطة من الراوي على أبي عمرو، وأن يكون الصواب: بغته، بفتح الغين من غير تشديد) الكشاف، 4/323.

قراءة أبي عمرو في رواية هارون بن حاتم عن حسين عنه: {بَغْتَةً} فعله مثال لم يأت في المصادر ولا في الصفات أيضاً، وإنما هو مختص بالاسم... ولابد من إحسان الظن بأبي عمرو، ولا سيما وهو القرآن، وما أبعد عن الزيف والبهتان... والزمخشري على عادته في تغليب الرواية.. ينظر: المحتسب، ابن جني، 2/270، البحر المحيط، أبو حيان، 9/464.

⁽²⁾ رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ -ص- قَرَأَ {وَلَيْتُمْ} بِحَذْفِ التَّاءِ وَضَمِّ الْوَاوِ وَكَسْرِ اللَّامِ. ينظر: المحتسب، ابن جني، 2/272. المغني في القراءات، النوزاوازي، 1691.

- علي -η- { إن تُولَّيْتُمْ } مثله أي: تولَّاكم الناس. (1)
- الحسن { وَتَقَطَّعُوا } بالفتحات والتشديد أي: تقطعوا، ونصب أرحامكم على تقدير الجار أي في أرحامكم، أو يتنصب بفعل مضمَر دل عليه المذكور.
- يعقوب { تقطعوا } من قطع مخففاً. (2)
- ابن سيرين (3) وجماعة { الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ } [25] مرتباً

قال الثعلبي: (أخبرنا الحسين بن محمَّد بن الحسين، حدَّثنا هارون بن محمَّد بن هارون، حدَّثنا محمَّد بن عبد العزيز، حدَّثنا القاسم بن يونس الهلالي، عن سعيد بن الحكم الوراق، عن ابن داود، عن عبد الله بن مغفل، قال: سمعت النبي -ص- يقرأ { ففهل عسيتم إن وليتم أن تُفسدوا في الأرض } ثم قال: «هم هذا الحي من قريش أخذ الله عليهم إن ولوا الناس ألا يفسدوا في الأرض ولا يقطعوا أرحامهم») الكشف، 35/9. ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، 5/118.

(1) قرأ علي بن أبي طالب { إن تُولَّيْتُمْ } بضمّ (التاء) و(الواو) وكسر (اللام) أي: تولَّاكم النَّاس على ما لم يسمَّ فاعله ومثله روى رويس عن يعقوب، والأديب، والكفَّرتوثي عن أبي بكر. ينظر: إعراب القرآن، النحاس، 4/123. معاني القراءات الأزهرية، 2/387. المحتسب، ابن جني، 2/272. الكشف، الثعلبي، 9/35. المغني في القراءات، النوزاوازي، 1691. الجامع، القرطبي، 16/245. البحر المحيط، أبو حيان، 9/469.

(2) قرأ أبو عمرو، في رواية هارون، وسلام، ويعقوب، وأبان، وعِصْمَةَ: { وَتَقَطَّعُوا } بفتح التاء وتخفيف القاف، من القطع، اعتباراً بقوله تعالى: { وَيَقَطُّعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ } (البقرة: 27). وقرأ الحسن { وَتَقَطَّعُوا } مفتوحة الحروف مشددة، اعتباراً بقوله تعالى: { وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ } (الأنبياء: 93). ينظر: المحتسب، ابن جني، 9/473، المحرر الوجيز، ابن عطية، 5/118، المغني في القراءات، النوزاوازي، 1691، الجامع، القرطبي، 16/246.

(3) محمد بن سيرين أبو بكر بن أبي عمرة البصري مولى أنس بن مالك -η- (ت: 110 هـ). ينظر: غاية النهاية، ابن الجزري، 2/151.

للمفعول. (1)

- مجاهد وجماعة {وأملى لهم} أي: أملي أنا لهم. (2)
- عيسى البصرة (3) {إذ توفاهم الملائكة} [27] بألف على التذكير. (4)
- الأعمش {ويبلوا} [31] بالياء وإسكان الواو أي: سيبلوا الله تعالى أعمالهم. (5)

⁽¹⁾ رواها الخفاف عن أبي عمرو {وأملى} بضم الهمزة وكسر اللام بفتح الياء على بناء الفعل للمفعول، أي أمهلوا ومُدُّوا في عمُرِهِمْ وهي قراءة شبيهة، وابن سيرين، والجحدري، وعيسى البصري، وعيسى الهمذاني. البحر المحيط، أبو حيان، 9/469

⁽²⁾ وقرأ ابن هُرْمُز، ومجاهد، والجَحْدَرِي، ويعقوب:، {وأملِي} بضم الهمزة وكسر اللام وإرسال ياء المتكلم على وجه الخبر من الله تعالى عن نفسه أنه يفعل ذلك بهم، كأنه قال: وأنا أملي لهم. ينظر: جامع البيان، الطبري، 21/218، معاني القرآن، الزجاج، 5/13، إعراب القرآن، النحاس، 4/125، الجامع، القرطبي، 16/249، الحجة، الفارسي، 7/59، حجة القراءات، ابن زنجلة، 1/667، الكشف، الثعلبي، 9/37، الكشف، الزمخشري، 4/326، المحرر الوجيز، ابن عطية، 5/119، البحر المحيط، أبو حيان، 9/469.

وقرأ زيد بن علي: بفتح الهمزة واللام، وعنه أيضًا بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء. ينظر: المنتهى، الخزاعي، 581، المغني في القراءات، النوزاوازي، 1692، شواذ القرآن الكرمانى، 2/744، قال ابن مجاهد: (قرأ أبو عمرو وحده {وأملى لهم} بضم الألف وكسر اللام وفتح الياء). السبعة، 1/600. ⁽³⁾ عيسى بن عمر أبو عمر الثقفى النحوي البصري، عرض القرآن على عبد الله بن أبي إسحاق وعاصم الجحدري، وله اختيار في القراءات على قياس العربية (ت: 149هـ). ينظر: غاية النهاية، ابن الجزري، 1/613.

⁽⁴⁾ قرأ عيسى بن عمر، وابن مقسم، والأعمش: {توفتهم} بألف بدل التاء {توفاهم}. فاحتمل أن يكون ماضيًا ومضارعًا حذف منه التاء. ينظر: الكشف، الثعلبي، 9/36، المغني، النوزاوازي. شواذ القرآن، الكرمانى، 2/744. البحر المحيط، أبو حيان، 9/474.

⁽⁵⁾ قرأ الأعمش، ومحبوب عن أبي عمرو: بالياء مع إسكان الواو. ينظر: المغني، النوزاوازي، 1693.

- يعقوب {ونبلوا} بالنون. (1)
- السلمي (2) {وتدعوا إلى السلم} [35] بفتح التاء والذال مشددة أي: تنسبوا وتعتروا. (3)
- عن أبي عمرو {ويخرج أضغانكم} [37] مرفوعة الجيم أي: وهو يُخرج أضغانكم (4)،
- وعنه أيضًا {ويخرج} بفتح الياء وضم الراء على المطاوعة {أضغانكم} بالرفع فاعل يخرج. (5)

⁽¹⁾ قرأ يعقوب غير ابن وهب، والهمداني والأزرق عن أبي عمرو، وابن راشد وابن زكريا عن حمزة: بالنون، وإسكان الواو. ينظر: معاني القراءات، الأزهرى، 2/ 388. المبسوط، بن مهران، 1/ 409. الوجيز، الأهوازي، 1/ 334. النشر، ابن الجزري، 2/ 375. المغني، النوزاوازي، 1693. الكامل، الهذلي، 6/ 234. الجامع، القرطبي، 16/ 254.

⁽²⁾ عبد الله بن حبيب بن ربيعة أبو عبد الرحمن السلمي الضرير مقرئ الكوفة، ولد في حياة النبي ﷺ ولأبيه صحبة إليه انتهت القراءة تجويدًا وضبطًا. ينظر: غاية النهاية، ابن الجزري، 1/ 413.

⁽³⁾ قرأ السلمي: بتشديد الدال. ينظر: المحتسب، ابن جني، 2/ 273. المغني، النوزاوازي، 1693. البحر المحيط، أبو حيان، 9/ 476.

⁽⁴⁾ قرأ الحلواني عن أبي عمرو، وأبو مَعْمَر عن عبد الوارث عنه: بضم الياء، ورفع الجيم. على القطع والاستئناف. ينظر: المغني النوزاوازي، 1694، الجامع، القرطبي، 6/ 257. قال أبو حيان: (وفي اللوامح عن عبد الوارث). البحر المحيط، 9/ 477. ولعل أبو حيان يشير إلى أن القراءة هي قراءة عبد الوارث.

⁽⁵⁾ قرأ ابن محيصة والمنقرئ عن أبي عمرو: بياء مفتوحة وضم الراء وجزم الجيم، {أضغانكم} بالرفع، وهي قراءة ابن عباس، وأبي رجاء. ينظر: المحتسب، ابن جني، 2/ 273. المغني، النوزاوازي، 1694. الكامل، الهذلي، 6/ 239.

- ابن عباس {وتخرج} بالتاء على التأنيث {أضغانكم} رفع بفعله. (1)
- عيسى البصرة {ويُخْرَج} بضم الياء وإسكان الخاء وفتح الراء والجيم بإضمار أن على الصرف لما تقدمه من الشرط إذ الشرط كالنفي في أنه غير واقع. (2)

سورة الفتح

- الجحدري {وتَعَزُّرُوهُ} [9] بفتح التاء وضم الزاي خفيفة أي: يمنعه من القصد بالشر، والعامّة يجوز أن تكون من هذا، أو من التعظيم. (3)
- الجحدري أيضاً {تَعَزُّرُوهُ} بكسر الزاي كالأول بل أقيس. (4)
- اليماني (5) {تَعَزُّرُوهُ} بزاءين أي: تتخذوه عزيزاً. (6)

⁽¹⁾ قرأ ابن عباس، ومجاهد، وابن سيرين، وابن محيصن، وأيوب بن المتوكل، واليماني: (وَتَخْرُجُ)، بتاء التأنيث مفتوحة، (أَضْغَانُكُمْ): رُفِعَ بِهِ. ينظر: البحر المحيط، أبو حيان، 9/ 477.

⁽²⁾ قرأ عيسى البصرة: بضم الياء، وفتح الراء والجيم. {أضغانكم} بالرفع. ينظر: المغني، النوزاوي، 1695.
⁽³⁾ قرأ الجحدري: بفتح التاء، وإسكان العين، وضم الزاي مخففة. ينظر: الشواذ، ابن خالويه، 141.
المحتسب، ابن جنبي، 2/ 275. الهداية، مكّي، 11/ 6943. المغني، النوزاوي، 1696. شواذ القراءات، الكرمانى، 441. البحر المحيط، أبو حيان، 9/ 486.

⁽⁴⁾ قرأ الجحدري: بفتح التاء، وإسكان العين، وكسر الزاي مخففة. ينظر: الشواذ، ابن خالويه، 141. المغني، النوزاوي، 1696، شواذ القراءات، الكرمانى، 441. البحر المحيط، أبو حيان، 9/ 486.

⁽⁵⁾ محمد بن عبد الرحمن بن السميع - بفتح السين - أبو عبد الله اليماني، له اختيار في القراءة. ينظر: غاية النهاية، ابن الجزري، 2/ 161.

⁽⁶⁾ ابن أبي عبلة، واليماني: بضم التاء وفتح العين، وزا مكسورة مشددة كقراءة العامة، إنه أبدل الراء زاءً، من التعزيز بزايين من العز؛ أي: تجعلونه عزيزاً ويقال: عززه يعززه جعله عزيزاً وقواه، ومنه قوله: {فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ} [يس: 13]. وهي قراءة ابن مسعود. ينظر: الشواذ، ابن خالويه، 141. المحتسب، ابن

- تمام بن عباس(1) {إنما يبايعون لله} [10] على حذف المفعول أي: يبايعونك لله.(2)
- حرف عبد الله {فسوف يؤتية الله الهدى} (3) بتشديد الياء ومضى.(4)
- الحسن {أشداء على الكفار رحماء} [29] بالنصب فيهما على الحال، أو على المدح، أو المفعول الثاني {لتراهم} تقدم على الفعل.(5)

جني، 275/2. الهداية، مكى، 6943/11. المغني، النوزاوازي، 1696. شواذ القرآن، الكرمانى، 747/2. البحر المحيط، أبو حيان، 486/9.

(1) تمام بن العباس بن عبد المطلب. الاستيعاب في معرفة الاصحاب، ابن عبد البر، 1/195.

(2) من ذلك قراءة تمام بن عباس بن عبد المطلب: {إِنَّمَا يُبَايِعُونَ لِلَّهِ} بلام مكسورة وكسر الهاء، على حذف المفعول؛ لدلالة ما قبله عليه، فكأنه قال: إن الذين يبايعونك إنما يبايعونك لله، فحذف المفعول الثاني؛ لقربه من الأول، وأنه أيضاً بلفظه وعلى وضعه. وهذا المعنى وهو راجع على معنى القراءة العامة: {إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ}، أي: إنما يفعلون ذلك لله. ينظر: المحتسب، ابن جني، 2/407. الكشف، الزمخشري، 4/335. المغني، النوزاوازي، 1697. البحر المحيط، أبو حيان، 9/486.

(3) لم أقف على هذه الزيادة، وموضع سورة النساء الآية 114 ذكر: (الأعمش {فسوف يؤتية} بالياء وحسن لتقدم الإخبار عن الله تعالى). لوح رقم 20.

(4) وفي مصحف ابن مسعود: {فسؤتية الله}. ينظر: المصاحف، ابن أبي داود، 1/185، المحرر، ابن عطية، 5/130، المغني، النوزاوازي، 1698، شواذ القراءات، الكرمانى، 442.

(5) روى قرّة عن الحسن أنه قرأ: {وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} بالنصب على الحال. ينظر: إعراب القرآن، النحاس، 4/136. المحتسب، ابن جني، 2/276. شواذ القراءات، الكرمانى، 443. الجامع، القرطبي، 16/292، البحر المحيط، أبو حيان، 9/498.

وكذا قال أبو حيان: (وقرأ الحسن: {أشداء رحماء} بنصبهما. قيل: على المدح، وقيل: على الحال، والعامل فيهما العامل في معه، ويكون الخبر عن المبتدأ المتقدم: (تراهم)). الكشف، الزمخشري، 4/347. البحر المحيط، 9/498،

- ابن هرمز (1) { مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ } بكسر الهمزة وسكون الثاء مصدر، والعامّة اسم أو مصدر. (2)
- أبو جعفر { شَطَّهْ } على نقل حركة الهمزة إلى الطاء وحذفها. (3)
- الهمداني (4) { شَطَّاهْ } بالمد والهمز على فعال لغة في الشَّطْوِ. (5)
- الهمداني أيضاً { شطاه } بالألف على تخفيف الهمز. (6)
- الجحدري { شَطَّوَهْ } بتسكين الطاء والواو. (1)

(¹) عبد الرحمن بن هرمز الأعرج أبو داود المدني تابعي جليل، أخذ القراءة عرضاً عن أبي هريرة 11 وعن غيره من الصحابة. ينظر: غاية النهاية، ابن الجزري، 1/381.

(²) قرأ ابن هرمز: {إِثْرٌ}، بكسر الهمزة وسكون الثاء. البحر المحيط، أبو حيان، 9/501. ينظر: الكشاف، الرمخشري، 4/347. شواذ القراءات، الكرمانى، 443.

(³) قرأ أبو جعفر: { شَطَّهْ }، بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على الطاء. وَرُوِيَ عَنْ شَيْبَةَ، وَنَافِعٍ، وَالْجَحْدَرِيِّ. البحر المحيط، أبو حيان، 9/502. ينظر: الكشف، الثعلبي، 9/66. المحرر الوجيز، ابن عطية، 5/142. الجامع، القرطبي، 16/295.

(⁴) عيسى بن عمر أبو عمر الهمداني الكوفي الفارسي الأعمى مقرئ الكوفة بعد حمزة (ت: 156هـ). ينظر غاية النهاية، ابن الجزري، 1/612.

(⁵) قرأ أبو حيوه، وابن أبي عبلة، وعيسى: { شطاءه } بالمد والهمز. ينظر: المحتسب، ابن جني، 2/276. المحرر الوجيز، ابن عطية، 5/142. شواذ القراءات، الكرمانى، 443. البحر المحيط، أبو حيان، 9/502.

(⁶) قرأ أنس، ونصر بن عاصم، وابن وثاب عيسى بن عمر، وزيد بن علي: { شَطَّاهْ } مثل عَصَاهُ. فاحتمل أن يكون مقصوداً، وأن يكون أصله الهمز، فنقل الحركة وأبدل الهمزة ألفاً. كما قالوا في الْمَرْأَةِ وَالْكَمَّاتِ: الْمَرْأَةُ وَالْكَمَّاتُ، وهو تخفيف مقيس عند الكوفيين، وهو عند البصريين شاذ لا يقاس عليه. ينظر: الكشف، الثعلبي، 9/66. المحرر الوجيز، ابن عطية، 5/142. شواذ القراءات، الكرمانى، 443. الجامع، القرطبي، 16/295. البحر المحيط، أبو حيان، 9/502.

سورة الحجرات

- الضحاك (2) { لا تقدّموا } [1] أصله تتقدموا بتاءين حذف إحداهما، والجار مع المجرور محذوف أي: تتقدموا بما تؤثرن أي: لا تفعلوا ما تحبون. (3)
- بعض أهل مكة { لا تقدموا } كالأول في الأصل إلا أن التاءين أدمجت إحداهما في الأخرى. (4)
- أبو جعفر { الحجرات } [4] بفتح الجيم، (5) وقد مضى مثله.

⁽¹⁾ وقرأ الجحدري: { شَطْوَةٌ } بإسكان الطاء وواو بعدها. وقال صاحب اللوامح: شَطَاً الرَّزْغُ وَأَشْطَاً، إِذَا أَخْرَجَ فَرَاخَهُ، وَهُوَ فِي الْحِنْطَةِ وَالشَّعِيرِ وَغَيْرِهِمَا. البحر المحيط، أبو حيان، 502/9. لعله سقط من الناسخ!!

ينظر: المحتسب، ابن جني، 277/2. المحرر الوجيز، ابن عطية، 5/142، الكامل، الهذلي، 1/639. شواذ القراءات، الكرمانى، 443،

⁽²⁾ الضحاك بن ميمون الثقفي البصري، روى القراءة عن عاصم وابن كثير. ينظر: غاية النهاية، ابن الجزري، 338/1.

⁽³⁾ قراءة ابن عباس، وأبي حيو، وَالضَّحَّاكُ، ويعقوب، وابن مقسم. { لَا تَقْدَمُوا }، بفتح التاء والقاف والبدال على اللزوم، وحذفت التاء تخفيفاً، إذ أصله { لَا تَقْدَمُوا }. البحر المحيط، أبو حيان، 507/9.

ينظر: إعراب القرآن، النحاس، 4/139. معاني القرآن، الأزهرى، 3/24. المبسوط، ابن مهران، 1/412. المحتسب، ابن جني، 2/278. الكامل، الهذلي، 1/639. شواذ القراءات، الكرمانى، 444. الجامع، القرطبي، 16/300.

⁽⁴⁾ قرأ بعض المكّيّين: { تَقْدَمُوا } بشد التاء، أُدْغِمَ تاء المضارعة في التاء بعدها، كقراءة البزي. البحر المحيط، أبو حيان، 9/507.

⁽⁵⁾ وقرأ أبو جعفر بن الفعّاق، وشيبه: بفتح الجيم استئقلاً للضمتين.. ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، 5/33، الشواذ، ابن خالويه، 143. المحتسب، ابن جني، 5/56. المبسوط في القراءات العشر، ابن مهران، 1/412. الكامل، الهذلي، 1/639. المحرر الوجيز، ابن عطية، 5/146. شواذ القراءات، الكرمانى، 444. الجامع، القرطبي، 16/310. البحر المحيط، أبو حيان، 9/511.

- ابن مسعود وجماعة: {فأصلحوا بين إخوانكم} [10] بالألف والنون على الجمع، (1) وهي تبين أن التثنية في العامة يراد بها الجمع. (2)
- بعض أهل الشام {إخوتكم} بالتاء. (3)
- ابن سيرين {ولا تحسسوا} [12] بالحاء غير المعجمة (4)، وهي كالعامة في المعنى. (5)
- ابن عباس {لتعرفوا} [13] من عرف يعرف والمفعول محذوف، أي:

⁽¹⁾ وقرأ زيد بن ثابت، وابن مسعود، والحسن بخلاف عنه، والجحدري، وثابت البُناني، وحماد بن سلمة، وابن سيرين: {بَيْنَ إِخْوَانِكُمْ} جمعاً، بالألف والنون. البحر المحيط، أبو حيان، 9/ 516. ينظر: معاني القرآن، الفراء، 3/ 71. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، 5/ 36. إعراب القرآن، النحاس، 4/ 142. الشواذ، ابن خالويه، 3/ 143. شواذ القراءات، الكرمانى، 444. الجامع، القرطبي، 16/ 323.

⁽²⁾ قال أبو الفتح: هذه القراءة تدل على أن القراءة العامة التي هي: {بَيْنَ أَخْوَانِكُمْ} لفظها لفظ التثنية، ومعناها الجماعة، أي: كل اثنين فصاعداً من المسلمين اقتتلا فأصلحوا بينهما. ينظر: المحتسب، 2/ 278.

⁽³⁾ قرأ ابن سيرين، ونصر بن عاصم، وأبو العالية، والجحدري، والحسن، وابن عامر في رواية، وزيد بن علي، ويعقوب: {بَيْنَ إِخْوَتِكُمْ} جمعاً، على وزن غَلْمَةٍ. ينظر: معاني القرآن، الفراء، 3/ 71. السبعة، ابن مجاهد، 1/ 606. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، 5/ 36، الشواذ، ابن خالويه، 143. معاني القراءات، الأزهرى، 3/ 24، شواذ القراءات، الكرمانى، 444. الجامع، القرطبي، 16/ 323. البحر المحيط، أبو حيان، 9/ 516.

⁽⁴⁾ وقرأ الحسن، وأبو رجاء العطاردي، وابن سيرين، والهدليون: {لا تحسسوا} بالحاء غير منقوطة. ينظر: الشواذ، ابن خالويه، 3/ 143. الكشف، الثعلبي، 9/ 82، المحرر، ابن عطية، 5/ 151، شواذ القراءات، الكرمانى، 445، الجامع، القرطبي، 16/ 332، إتحاف فضلاء البشر، البناء، 1/ 513.

⁽⁵⁾ وليس يبعد أحدهما عن الآخر إلا أن التجسس لما يكتم، ويوارى، ومنه الجاسوس، والتحسس (بالحاء) تخبر الأخبار، والبحث عنها، وقيل: التجسس بالجيم في الشر، والتحسس بالحاء في الخير. ينظر: الكشف، الثعلبي، 9/ 82، الكشف، الزمخشري، 4/ 372، المحرر، ابن عطية، 5/ 151.

لتعرفوا ما أنتم محتاجون إليه. (1)

سورة ق

- الحسن {قاف} [1] بكسر الفاء على أصل التقاء الساكنين. (2)
- الثقفي {قاف} بالفتح لالتقائهما ولاتباع الألف وللخفة، ويجوز أنها نصب لإضمار فعل وهي غير منصرفة، أو أنها جرّ بحذف واو القسم. (3)
- {إذا متنا} [3] بغير استفهام إما على تقدير حذف الهمزة، وإما على أن الاستفهام غير مراد بل هو خبر بإضمار فعل أي: بعد رجعنا ودل عليه قوله:

(1) قرأ ابن عباس، وأبان عن عاصم: {لَتَعْرِفُوا}، مضارع عَرَفَ. البحر المحيط، أبو حيان، 9/522، ينظر: الكشف، الثعلبي، 9/88، شواذ القراءات، الكرمانى، 445.

(2) قرأ الحسن، وعبد الله بن أبي إسحاق، ونصر بن عاصم: بكسر الفاء، لأن الكسر أخو الجزم، فلما سكن آخره حَرَكُوهُ بحركة الخفض. الجامع، القرطبي، 1/17، ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، 1/64. شواذ القرآن، ابن خالويه، 145. المحتسب، ابن جني، 2/281. المحرر الوجيز، ابن عطية، 5/156. البحر المحيط، أبو حيان، 9/529.

وذكر الكرمانى أن الثقفي قرأ بكسر القاف. شواذ القراءات، 446.

(3) قرأ الثقفي، وعيسى: {قاف}، بفتح الفاء حركة إلى أخف الحركات. ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، 1/64. المحرر الوجيز، ابن عطية، 5/156. المغني، النوزاوازي، 1704. الجامع، القرطبي، 1/17. البحر المحيط، أبو حيان، 9/529. قال أبو الفتح: يحتمل {قاف}، بالفتح أمرين:

أحدهما: أن تكون حركته لالتقاء الساكنين، كما أن من يقرأ: {قاف} بالكسر كذلك، غير أن من فتح أتبع الفتحة صوت الألف؛ لأنها منها، ومن كسر فعلى أصل التقاء الساكنين.

والآخر: أن يكون {قاف} منصوبة الموضع بفعل مضمّر، غير أنه لم يصرفها لاجتماع التعريف

والتأنيث. المحتسب، 2/281.

{ذلك رجع بعيد} (1).

- الجحدري {لما جاءهم} [5] بكسر اللام أي: عند مجيئه، تقول: أعطيته لطلبه أي: عند طلبه، وجئتك لخمس خلون أي: عند خمس. لقاء رها أي: عند قوله إذا هبت (2).

- عن النبي -٧- {والنخل باصقات} [10] بالصاد بدلا من السين؛ لاشتراكهما في الصغير ولقرب الصاد من القاف في الاستعلاء (3).

(1) وقرأ الأعرج، وشيبة، وأبو جعفر، وابن وثاب، والأعمش، وابن عتبة عن ابن عامر، ويحيى، والوليدان، والمفضل عن هشام، والزعراني: (إذا) بهمزة واحدة على صورة الخبر، فجاز أن يكون استفهاماً حذفت منه الهمزة، وجاز أن يكونوا عدلوا إلى الخبر وأضمر جواب إذا، أي: إذا متنا وكنا تراباً رجعنا، وأجاز صاحب اللوامح أن يكون الجواب {رَجَعٌ بَعِيدٌ} على تقدير حذف الفاء، وقد أجاز بعضهم في جواب الشرط ذلك إذا كان جملة اسمية، وقصره أصحابنا على الشعر في الضرورة. البحر المحيط، أبو حيان، 9/539. ينظر: المحتسب، ابن جني، 2/281. المغني، النوزاوي، 1704. شواذ القراءات، الكرمانى، 446.

(2) قال أبو الفتح: معنى {لما جاءهم}، أي: عند مجيئه إياهم، كقولك أعطيته ما سألت لطلبه، أي: عند طلبه ومع طلبه، وفعلت هذا لأول وقت، أي: عند ومعه، وكقولك في التاريخ: لخمس خلوان، أي: عند خمس خلوان، أو مع خمس خلوان. فرجع ذلك المعنى إلى معنى القراءة العامة: {لَمَّا جَاءَهُمْ}، أي: وقت مجيئه إياهم قال:

شئت العقر عقر بني شليل... إذا هبت لقارها الرياح

أي: عند وقتها، وقال تعالى: {لَا يُجَلِّئُهَا لِوَفَّتِهَا إِلَّا هُوَ} أي: عند وقتها. المحتسب، 2/282. ينظر: شواذ القرآن، ابن خالويه، 145. المحرر الوجيز، ابن عطية، 5/155، المغني، النوزاوي، 1704.

شواذ القراءات، الكرمانى، 446، البحر المحيط، أبو حيان، 9/530

(3) روى قُطَيْبَةُ بن مالك، عن النبي -٧-، أنه قرأ: {بِاصْقَاتٍ} بالصاد، وهي لغة لبني العَبْر، يُبدلون من السين صاذاً إذا وَلِيَتْهَا، أو فَصَّلَ بحرف أو حرفين، خاء أو عين أو قاف أو طاء. البحر المحيط، أبو حيان، 9/531. قال أبو الفتح: الأصل السين، وإنما الصاد بدل منها؛ لاستعلاء القاف؛ فأبدلت السين صاذاً

- أبو بكر الصديق {وجاءت سكرة الحق بالموت} [19] أي: سكرة الحق مع الموت، ويجوز أن الباء متعلقة ب {جاءت} أي: جاءت بالموت وهي كالعامّة؛ لأن كل واحد منهما جاء بالآخر. (1)
- طلحة (2) {عناك غطاءك فبصرك} [22] بكسر الكاف في جميعها على مخاطبة النفس. (3)
- الحسن {القيأ في جهنم} [24] بالنون الخفيفة، وهذا تفسير أحد الأقوال في

لتقرب من القاف؛ لما في الصاد من الاستعلاء، ونحوه قولهم في سقر: سقر، وفي السقر الصقر. المحتسب، 282/2. ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، 5/158، المغني، النوزاوازي، 1705، شواذ القراءات، الكرمانى، 446، الجامع، القرطبي، 7/17

⁽¹⁾ وفي مصحف عبد الله بن مسعود -11-: {وجاءت سكرة الحق بالموت}. وقرأها ابن جبير، وطلحة، وزويت عن أبي بكر الصديق -11-. فقال أبو الفتح: إن شئت علقت الباء ب {جاءت}، كما تقول: جئت يزيد، وإن شئت كانت بتقدير: ومعها الموت. ينظر: معاني القرآن، الفراء، 3/78. جامع البيان، الطبري، 22/346. معاني القرآن، الزجاج، 5/45. إعراب القرآن، النحاس، 4/150. المحتسب، ابن جنبي، 2/273. المحرر، ابن عطية، 5/161، المغني، النوزاوازي، 1705. الجامع، القرطبي، 17/12.

⁽²⁾ طلحة بن سليمان السمان مقرر مصدر، له شواذ تروى عنه. ينظر: غاية النهاية، ابن الجزري، 1/341.

⁽³⁾ قرأ الجحدري: {لقد كنت} على مخاطبة النفس وكذلك كسر الكافات بعد. قال أبو حيان: (ولم ينقل الكسر في الكاف صاحب اللوامح إلا عن طلحة وحده. قال صاحب اللوامح: وَلَمْ أُجِدْ عَنْهُ فِي {لَقَدْ كُنْتُ} الْكسْرِ. فَإِنَّ كَسْرَ، فَإِنَّ الْجَوِيْعَ سُرْعٌ وَاجِدٌ وَإِنْ فَتَحَ لَقَدْ كُنْتُ، فَحَمَلٌ عَلَى كُلِّ أَنَّهُ مُدَكَّرٌ. وَيَجُوزُ تَأْنِيثُ كُلِّ فِي هَذَا الْبَابِ لِإِضَافَتِهِ إِلَى نَفْسٍ، وَهُوَ مُؤَنَّثٌ، وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ، فَإِنَّهُ حَمَلَ بَعْضَهُ عَلَى اللَّفْظِ وَبَعْضَهُ عَلَى الْمَعْنَى، مِثْلُ قَوْلِهِ: {فَلَهُ أَجْرُهُ} ثُمَّ قَالَ: {وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة: 112)). البحر المحيط، 9/535. ولعل هناك زيادات على اللوامح.

ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، 5/162، المغني، النوزاوازي، 1705، شواذ القراءات، الكرمانى، 446، الجامع، القرطبي، 17/14.

العامّة. (1)

- ابن مسعود {يَوْمَ يُقَالُ لِحَبْنِهِمْ} [30] وإنما لم يذكر الفاعل في مثل هذا لتعظيم الشأن. (2)
- ابن عباس {فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ} [36] على أمر المخاطبين، وهذا كقولك: قد أجلتكَ فانظر هل لك من منجى، ويجوز أنهم أمروا بالتحسس عن خبر الهالكين هل كان لهم من محيص؟! (3)

- السدي (4) {أو ألقى السمع} [37] أي: السمع منه نحو كتاب الله تعالى. (1)

⁽¹⁾ قرأ الحسن {أَلْقَيْنَ} بالنون الخفيفة نحو قوله: {وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاعِرِينَ} (يوسف: 32) وقوله: {لَتَسْفَعَا} (العلق: 15) فأجرى الوصل فيه مجرى الوقف. ينظر: المحتسب، ابن جنبي، 2/ 284. المحرر، ابن عطية، 5/ 164. المغني، النوزاوي، 1706. شواذ القراءات، الكرمانى، 441. الجامع، القرطبي، 17/ 16. البحر المحيط، أبو حيان، 9/ 537.

⁽²⁾ قرأ ابن مسعود والحسن والأعمش: {يَوْمَ يُقَالُ لِحَبْنِهِمْ}. قال أبو الفتح: (هذا يدل على أن قولنا: ضرب زيد ونحوه لم يترك ذكر الفاعل للجهل به، بل لأن العناية انصرفت إلى ذكر وقوع الفعل بزيد، عرف الفاعل بهن أو جهل؛ لقراءة الجماعة: {يَوْمَ نَقُولُ}، وهذا يؤكد عندك قوة العناية بالمفعول به). المحتسب، 2/ 284. ينظر: المغني، النوزاوي، 1707. الجامع، القرطبي، 17/ 18.

⁽³⁾ قرأ يحيى بن يعمر، وابن عباس، ونصر بن سيار، وأبو العالية، وأبو حيو، والأصمعي عن أبي عمرو: {فَنَقَّبُوا} بكسر القاف على وجه التهديد والوعيد: أَي طُوفُوا الْبِلَادَ وَسَيَرُوا فِيهَا فَانظُرُوا {هَلْ مِنْ} الموت {مَحِيصٍ} وَمَهْرَبٌ، والدليل على صحته القراءة أنها على الأمر، كقوله تعالى: {فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ}. ينظر: معاني القرآن الفراء، 3/ 79. جامع البيان، الطبري، 21/ 461. المحتسب، ابن جنبي، 2/ 285. الكشف، الزمخشري، 4/ 391. المحرر، ابن عطية، 5/ 167. المغني، النوزاوي، 1707. شواذ القراءات، الكرمانى، 447. الجامع، القرطبي، 17/ 22. البحر المحيط، أبو حيان، 9/ 540.

⁽⁴⁾ محمد بن مروان السدي صاحب التفسير أكوني يكنى أبا عبد الرحمن، ذكره الحافظ أبو عمرو وقال: ورد عنه الرواية في حروف القرآن. ينظر: غاية النهاية، ابن الجزري، 2/ 261.

- السلمي {أو ألقى السمع} (2) بفتح اللام هو مصدر كالولوع، أو صفة مصدر محذوف وقد مضى. (3)

المبحث الثاني:

منهج الإمام الرازي في كتابه (اللوامح في القراءة)

يتضح منهج أبي الفضل الرازي في كتابه اللوامح في القراءة من خلال تحقيق جزء الأحقاف بما يلي:

1- يوجه القراءة:

كما سبق

2- يستشهد بالشعر:

⁽¹⁾ قرأ السُّلَمِي، وطلحة، والسُّدِّي، وأبو حيوة، وأبو البرهسَم: {أو ألقى} بضم الهمزة وكسر القاف وفتح الياء، مبنياً للمفعول، {السَّمْعُ}: رُفِعَ بِهِ، أَي: السَّمْعُ مِنْهُ، أَي: مِنَ الَّذِي لَهُ قَلْبٌ. ينظر: مختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه، 145. المحتسب، ابن جني، 2/285. الكامل، الهذلي، 1/402. المغني، النوزاوازي، 1708. شواذ القراءات، الكرمانى، 447. البحر المحيط، ابو حيان، 9/541.

⁽²⁾ خطأ في النسخ، والصحيح {وما مسنا من لغوب}.

⁽³⁾ قرأ علي، والسُّلَمِي، وطلحة، ويعقوب: {وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ}، بفتح اللام. صفة مصدر محذوف على فاعول بفتح الفاء، كالوضوء، والولوع، والطهور، والوزوع، والقبول، أي: تَوَضَّأَتْ وَضُوءًا وَضُوءًا، أَي وضوءًا حسنًا. وكذلك هذا أي: {ما مسنا من لغوب} لغوب، فيصف اللغوب بأنه لغوب، أي لغب ملغب. ينظر: معاني القرآن، الفراء، 3/80. المحتسب، ابن جني، 2/285. المحرر الوجيز، ابن عطية، 5/168. المغني، النوزاوازي، 1708. شواذ القراءات، الكرمانى، 447. البحر المحيط، أبو حيان، 9/541.

كقوله في سورة الأحقاف:

الأعمش {لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ} بالتاء هذا ضعيف؛ لأن المعنى ألا تُرى شيء إلا مساكنهم، وإنما حمل هذا على المعنى أي تُرى مساكنهم، ومثله فما بقيت إلا الصدور الجراشع.

3- يذكر قراءة منسوبة للرسول -٧- بدون ذكر الراوي:

كقوله في سورة محمد:

عن النبي -٧- {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ وَلِيْتُمْ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ أَي: وَلَاكُمْ النَّاسَ. وَقَوْلُهُ فِي سُورَةِ ق:

عن النبي -٧- {وَالنَّخْلُ بِاصْقَاتٍ} بالصاد بدلا من السين؛ لاشتراكهما في الصفير ولقرب الصاد من القاف في الاستعلاء.

4- يدع بعض القراءات بدون توجيه:

كقوله في سورة محمد:

- الأعمش {بَمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ} بضم الهمزة بكسر الزاي.
- وقوله في سورة الفتح:
- أبو جعفر {شَطْهُ} على نقل حركة الهمزة إلى الطاء وحذفها.
- الجحدري {شَطْوَةٌ} بتسكين الطاء والواو.
- وقوله في سورة الحجرات:
- بعض أهل الشام {إِخْوَتَكُمْ} بالتاء.

5- يذكر بعض القراءات دون نسبتها لمن قراء بها:

كقوله في سورة الأحقاف:

{ أَنْ أَخْرُجَ } من الخروج.

6- يدلل بالقراءة على قراءة العامة:

- كقوله في سورة محمد:

علي -11- { أمثال الجنة التي وُعد المتقون } على الجمع، وهو يدل على أن قراءة العامة واحد يراد به الجمع، ويقال: مررت برجل مثل نشأ أي: أمثال، وقيل: أمثال الجنة أي صفات الجنة.

- وقوله في سورة الحجرات:

ابن مسعود وجماعة: { فأصلحوا بين إخوانكم } بالألف والنون على الجمع، وهي تبين أن التثنية في العامة يراد بها الجمع.

7- يرجح المعنى:

- كقوله في سورة الفتح:

الجحدري { وتَعَزَّرُوهُ } بفتح التاء وضم الزاي خفيفة أي: يمنعه من القصد بالشر، والعامة يجوز أن تكون من هذا، أو من التعظيم.
الجحدري أيضا { تَعَزَّرُوهُ } بكسر الزاي كالأول بل أقيس.

الخاتمة

وفيهما أهم النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج:

1. مكانة أبو الفضل الرازي p تعالى في علم القراءات.

2. يعد كتاب (اللوامح في القراءة) أحد مصادر الإمام أبي أبو حيان في تفسيره البحر المحيط.
3. أهمية كتاب (اللوامح في القراءة) حيث أنه يعد من مؤلفات القراءات الشاذة في القرن الخامس الهجري.
4. اتضح منهج أبو الفضل الرازي من خلال دراسة جزء الأحقاف في:
 - يوجه القراءة.
 - يستشهد بالشعر.
 - يذكر قراءة منسوبة للرسول -٧- بدون ذكر الراوي.
 - يدع بعض القراءات بدون توجيه.
 - يذكر بعض القراءات دون نسبتها لمن قراء بها.
 - يدلل بالقراءة على قراءة العامة.
 - يرجح المعنى.

ثانياً: التوصيات:

- 1- تحقيق كتاب (اللوامح في القراءة) لأهميته.
- 2- جمع ما سقط من المخطوط من كتب العلماء الذين نقلوه منه، لتكون المادة العلمية لكتاب اللوامح.

المراجع

- 1 - إبراز المعاني من حرز الأمان، لأبي القاسم شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت: 665هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.
- 2 - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، لأحمد بن محمد الدمياطي، الشهير بالبناء (ت: 1117هـ)، المحقق: أنس مهرة.
- 3 - إعراب القرآن، لأبي جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد المرادي النحوي (ت: 338هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى 1420هـ.
- 4 - الأعلام، لخير الدين بن محمود الزركلي (ت: 1976م)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشرة - أيار / مايو 2002م.
- 5 - بحر العلوم، لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت: 373هـ).
- 6 - البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت: 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: 1420هـ.
- 7 - بغية الوعاة، للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان/ صيدا.

- 8- تاريخ الإسلام وَوَفِيَاتِ الْمُشَاهِيرِ وَالْأَعْلَامِ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قَائِمَازِ الذَّهَبِيِّ (ت: 748هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى 2003 م.
- 9- تاريخ بغداد (13/ 232)، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت: 463هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى 1422هـ - 2002 م.
- 10- تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله، المعروف بابن عساكر (ت: 571هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة النشر: 1415 هـ - 1995 م.
- 11- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: 333هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، لبنان، الطبعة الأولى 1426 هـ - 2005 م.
- 12- تفسير الماوردي = النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: 450هـ)، المحقق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان.
- 13- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري (ت: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420 هـ - 2000 م.

14 - الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية 1384هـ - 1964م.

15 - حجة القراءات، لعبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجله (ت: حوالي 403هـ)، حققه: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة.

16 - الحجة في القراءات السبع، للحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت: 370هـ)، المحقق: د.عبد العال سالم مكرم، الناشر: دار الشروق - بيروت، الطبعة: الرابعة، 1401هـ.

17 - الحجة للقراء السبعة، للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، أبو علي (ت: 377هـ)، المحقق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق/ بيروت، الطبعة: الثانية 1413هـ - 1993م.

18 - ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب، لأبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي (ت: 231هـ)، المحقق: عبد القدوس أبو صالح، الناشر: مؤسسة الإيمان جدة، الطبعة: الأولى 1982م - 1402هـ.

19 - سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قَإِماز الذهبي (ت: 748هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1405هـ / 1985م.

- 20- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (ت: 769هـ)، المحقق: محمد عبد الحميد، الناشر: دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة: العشرون 1400هـ - 1980م.
- 21- شواذ القراءات، لرضي الدين أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الكرمانى. تحقيق: د. شمران العجلي. الناشر: مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان.
- 22- غاية النهاية في طبقات القراء، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: 833هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: عني بنشره لأول مرة عام 1351هـ ج. برجستراسر.
- 23- الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها، ل يوسف بن علي بن جبارة أبو القاسم الهذلي الشكري المغربي (ت: 465هـ)، المحقق: جمال الشايب، الناشر: مؤسسة سما للتوزيع والنشر، الطبعة: الأولى 1428هـ - 2007م.
- 24- كتاب السبعة في القراءات، لأحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: 324هـ)، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة: الثانية، 1400هـ.
- 25- كتاب المصاحف، لأبي بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت: 316هـ)، المحقق: محمد بن عبده، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر / القاهرة، الطبعة: الأولى 1423هـ - 2002م.

- 26- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، لأبي القاسم محمود الزمخشري(ت: 538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة: الثالثة - 1407 هـ.
- 27- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، (ت: 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1422 هـ - 2002م.
- 28- المبسوط في القراءات العشر، لأحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، (ت: 381هـ)، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، الناشر: مجمع اللغة العربية- دمشق، سنة النشر: 1981م.
- 29- المبهج في القراءات الثمان وقراءة الأعمش وابن محيصة واختيار خلف واليزيدي، للإمام أبي محمد عبد الله بن علي المعروف بسبط الخياط البغدادي الحنبلي (ت: 541هـ)، رسالة دكتوراه، دراسة وتحقيق: عبد العزيز بن ناصر السبر، إشراف الأستاذ الدكتور: عبد العزيز أحمد اسماعيل، 1404هـ.
- 30- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي(ت: 392هـ)، الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة: 1420 هـ - 1999م.

- 31- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى 1422هـ.
- 32- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه، الناشر: مكتبة المتنبى، القاهرة.
- 33- معاني القراءات للأزهري، لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي (ت: 370هـ)، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى 1412هـ - 1991م.
- 34- معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: 311هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى 1408هـ - 1988م.
- 35- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد منظور الديلمي الفراء (ت: 207هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة: الأولى.
- 36- المعجم المفصل في شواهد العربية، د. إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1417هـ - 1996م.
- 37- معجم المؤلفين، لعمر بن رضا كحالة الدمشقي (ت: 1408هـ)، الناشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

38- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن قايماز الذهبي (ت: 748هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1417هـ - 1997م.

39- المغني في القراءات، لمحمد بن أبي نصر بن أحمد الدهان النوزاوازي، تحقيق: د. محمود بن كابر بن عيسى الشنقيطي، تقديم الشيخ المقرئ: د. عبد الله بن صالح العبيد، الناشر: الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم (تبيان) سلسلة الرسائل العلمية (49).

40- المنتهي، للإمام أبي الفضل الخزاعي، تحقيق: الشيخ عبد الرحيم الطرهوني، طبعة دار الحديث بالقاهرة عام 2009م، الناشر: دار الكتب العلمية-لبنان، الطبعة: الثالثة 2006م - 1427هـ.

41- النشر في القراءات العشر، لشمس الدين أبو الخير ابن الجزري، (ت: 833هـ)، المحقق: علي محمد الضباع (ت: 1380هـ)، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى.

42- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حمّوش القيسي (ت: 437هـ)، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى 1429هـ - 2008م.

- 43 - الوافي بالوفيات، للصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى
الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، سنة: 1420هـ - 200م.
- 44 - الوجيز في شرح قراءات القراء الثمانية أئمة الأمصار الخمسة، لأبي علي
الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد الأهوازي (ت: 446هـ)، المحقق: دريد
حسن أحمد، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى 2002م.

Imam Abi al-Fadl al-Razi's Approach in his writing (Features in Reading) on the part of Ahqaf:

Dr. Kholoud bint Abdulaziz Al Meshaal

*Assistant professor, College of Education,
Department of Quranic Studies*

King Saud University

Email address : Kalmeshaal@ksu.edu.sa

Abstract:

This research deals with Imam Abi al-Fadl al-Razi's Approach (date : 454 AH) in his writing (Features in Reading) ,one of the sources of anomalous readings through the achievement of volume XXVI (from the beginning of Surat Al-Ahqaf until the end of Surat Qaf).

The research included an introduction, and two sections: the first has: a brief definition of the author and his writing of features in reading. The second section is the achievement of the part of Al Ahqaf of his writing of features in writing, the description of the author's approach and a conclusion. The results of the research were:

- 1- The writing of features in reading of Abi al-Fadl al-Razai is a source of Imam Abi Hayyan's interpretation of Al bar Al Mohyat volume.
- 2- The importance of The writing of features in reading lies in being one of the writings of anomalous readings in the 5th century of Hijri date so it was recommend to be achieved.

Keywords: Anomalous reading, Anomalous readings, al-Razi, Abu al-Fadl al-Razi, Features .

الأحكام الفقهية المتعلقة بالأوبئة التي تصيب البشرية، -جمعاً ودراسة مقارنة

د. محمد بن سند الشاماني

أستاذ الفقه المشارك

(كلية الشريعة/ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة/ المملكة العربية

السعودية)

Abu.haithm@hotmail.com

المستخلص

هذا البحث يدور حول نازلة قديمة متجددة تعم بها البلوى في بعض فترات الزمان وهي الأوبئة والأمراض التي تجتاح البشرية وتقتلهم جماعات ووحداً، ويهدف البحث إلى التعريف بمفهوم الأوبئة التي تصيب البشر، وذكر نماذج للأوبئة التي مرت على البشرية، مع توضيح المنهج الشرعي في التعامل مع تلك الأوبئة، وتلمس الحكم الشرعي للمسائل المتعلقة بها، وموقف الطب الحديث منها.

وسوف يتبع الباحث المنهج الاستقرائي حيث يستقريء المسائل المتعلقة بالموضوع من كتب الفقه، ويقوم بجمعها، وتحليلها، وتصنيفها، ثم يتبع المنهج الوصفي في بيان أقوال الفقهاء في حكم تلك المسائل، وأدلتها، كما يبرز في الخاتمة نتائج البحث وتوصياته، ويذيله بفهرس للمصادر والمراجع، وبالله التوفيق.

الكلمات المفتاحية: الأوبئة، الوباء، العدوى، الأمراض، الطاعون

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله
وصحبه، وبعد:

فهذا البحث يدور حول نازلة قديمة متجددة تعم بها البلوى في بعض فترات
الزمان وهي الأوبئة والأمراض التي تجتاح البشرية وتقتلهم جماعات ووحداناً،
ومشكلة البحث تدور حول السؤال الرئيس التالي: ما مفهوم الأوبئة التي تصيب
البشرية؟ وما الأحكام المتعلقة بها التي ذكرها الفقهاء المتقدمون في كتبهم؟ وتتفرع
عنه أسئلة منها: ما هي الأحكام المتعلقة بالأوبئة في الصلاة؟، وما الأحكام المتعلقة
بالأوبئة في المواريث؟، وما هي طريقة التعامل مع الأوبئة بين الفقه والطب
الحديث؟.

ويهدف البحث إلى التعريف بمفهوم الأوبئة التي تصيب البشر، وذكر
نماذج للأوبئة التي مرت على البشرية، وتوضيح المنهج الشرعي في التعامل مع تلك
الأوبئة، وتلمس الحكم الفقهي للمسائل المتعلقة بها التي بحثها الفقهاء المتقدمون،
مع بيان موقف الطب الحديث منها.

ومن أسباب اختيار موضوع هذا البحث ما يلي:

1. أهمية الموضوع وعموم البلوى به في كثير من الأزمان والمجتمعات.
2. جهل كثير من الناس للأحكام الشرعية المتعلقة بالأوبئة والتي تمس
عباداتهم ومعاملاتهم.
3. عدم وجود دراسات فقهية تجمع حكم مسائل الأوبئة التي بحثها الفقهاء في
موضع واحد.

تأتي أهمية هذا البحث من موضوعه - وهو الوباء- الذي لا تخلو فترات من حياة البشرية من وجوده، وتعم البلوى بنزوله، مما يحير الناس في طريقة التعامل معه، ومعرفة الأحكام المترتبة عليه، في العبادات والأنفس والأبدان والأموال.

وبعد البحث والتقصي لم أجد من أفرد المسائل المتعلقة بالأوبئة التي تصيب البشر ببحث خاص يجلي حقيقتها، ويوضح أحكامها الفقهية التي تعرض لها الفقهاء المتقدمون.

أما المعاصرون فقد وجدت بعض البحوث والرسائل العلمية التي تعرضت لجزيئات وجوانب قريبة من الموضوع، منها:

1- أحكام الأمراض المعدية في الفقه الإسلامي، عبد الإله بن سعود السيف، رسالة ماجستير 2004، جامعة الامام محمد بن سعود.

2- أثر الأمراض المعدية في الفرقة بين الزوجين، للدكتور عبد الله الطيار، كلية الشريعة بجامعة القصيم.

3- ضوابط التعامل مع المصابين بالأمراض العدائية في ضوء الشريعة الإسلامية، لطاهر بن محمد الأهدل.

4- أثر الأمراض المعدية في أداء فريضة الحج -دراسة فقهية، للدكتور خالد بن عيد الجريسي، جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

5- التدابير الوقائية من الأمراض والكوارث -دراسة فقهية، رسالة ماجستير في الفقه، لإيمان بنت عبد العزيز المبرد. كلية الشريعة بجامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية.

والفرق بين هذا البحث والدراسات السابقة واضح من عناوين كل منها، وحدودها: حيث يهتم البحث الذي بين أيدينا بجمع المسائل الفقهية التي ذكرها الفقهاء المتقدمون حول الأوبئة، بينما تتوجه الدراسات الأخرى إلى دراسة الأمراض المعدية، وهناك فرق واضح بين الوباء بمفهومه الذي بينه الباحث - الذي ينتشر ويعم ويقتل المئات بل الآلاف-، والأمراض المعدية التي قد لاتصل إلى حد وصفها بالوباء.

أما الفرق من ناحية حدود البحث الموضوعية وحدود الدراسات السابقة فظاهر حيث تتعلق الدراسات السابقة بأحكام الأمراض المعدية دون تقييدها بمسائل المتقدمين كما في الدراسة الأولى، أو بأثرها في باب معين - كما في الدراستين الثانية والرابعة-، أو بضوابط التعامل مع المصابين - كما في الدراسة الثالثة-، أما الدراسة الأخيرة فتتوجه إلى تدابير الوقاية من الأمراض دون تقييدها بصفة العدوى، وتضيف إلى ذلك الكوارث كالحوادث بأنواعها والحروب.

وقد تم تقسيم البحث إلى مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة، على النحو

التالي:

المقدمة، وتشتمل على أهمية الموضوع، وسبب الاختيار، وخطة البحث، ومنهجه.

المبحث الأول: تعريف الأوبئة، ونماذج لها، ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الأوبئة.

المطلب الثاني: نماذج للأوبئة التي تصيب البشر.

المبحث الثاني - الأحكام المتعلقة بالأوبئة في الصلاة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حكم الصلاة لرفع الوباء.

المطلب الثاني: حكم القنوت لرفع الوباء.

المبحث الثالث - الأحكام المتعلقة بالأوبئة في الجنائز، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حكم غسل الموتى في الأوبئة.

المطلب الثاني: دفن الموتى بالأوبئة في قبر واحد إذا كانوا مجموعة.

المبحث الرابع - الأحكام المتعلقة بالأوبئة في الموارث، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حكم التصرف في الثلث زمن الأوبئة.

المطلب الثاني: الميراث في الأوبئة.

المبحث الخامس - التعامل مع الأوبئة بين الفقه والطب الحديث، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حكم التطعيم لأجل الأوبئة.

المطلب الثاني: حكم الدخول لبلد الوباء والخروج منها.

المطلب الثالث: موقف الطب الحديث من الأوبئة.

الخاتمة: وتشتمل على النتائج والتوصيات.

وسوف يسلك الباحث - بإذن الله تعالى - في إعداد هذا البحث المنهج الاستقرائي حيث يستقريء المسائل المتعلقة بالموضوع من كتب الفقه، ويقوم بجمعها، وتحليلها، وتصنيفها، ثم يتبع المنهج الوصفي في بيان أقوال الفقهاء في حكم تلك المسائل، وأدلتها، وفق الخطوات التالية:

1. جمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع من خلال المصادر المتاحة.

2. ذكر صورة المسائل المراد بحثها قبل بيان حكمها.
 3. ذكر الأقوال الفقهية في المسائل اتفافية كانت أو خلافية مقتصرأ في بيان الخلاف على المذاهب الأربعة.
 4. عرض أدلة الأقوال مع بيان وجه الدلالة قدر الإمكان، ثم الترجيح مع سببه.
 5. عزو الآيات القرآنية الواردة في البحث مع كتابتها بالرسم العثماني.
 6. تخريج الأحاديث الواردة في البحث مع ذكر درجة الحديث - إن لم يكن في الصحيحين - معتمداً على الكتب التي تهتم بذلك.
 7. الترجمة للأعلام غير المشهورين باستثناء الصحابة الكرام، والأئمة الأربعة.
 8. الإعراض عن ترجمة البلدان والأماكن الجغرافية لاشتهار أكثرها، وبعداً عن إثقال الحواشي بما ليس من مقصود البحث.
 9. ختم البحث بخاتمة تشتمل على أهم نتائج البحث وتوصياته.
 10. وضع الفهارس الفنية اللازمة.
- وأسأل الله سبحانه التوفيق والإعانة والسداد، وصلى الله وسلم على سيدنا وحبينا محمد خير العباد، وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم المعاد.

المبحث الأول

تعريف الأوبئة ونماذج لها

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف الأوبئة

أولاً- تعريف الأوبئة في اللغة:

الأوبئة: جمع وباء، مثل: أمتعة مفردها متاع، والوباء بالهمز، يُمدّ ويقصر⁽¹⁾، وقد وبئت الأرض وبأً، ووبؤت وبأً ووباءة وإباء وإبءة على البدل، وأوبأت، وأرض وبئة، ووبئة: كثيرة الوباء، والاسم البيئة، واستوبأ الأرض استوخمها⁽²⁾. وقد جاء في المعاجم وكتب اللغة لمعان منها:

أنه كل مرض عام، وقيل: هو الطاعون، وقيل: الإيماء، فتؤمي لمن أمملك بأن تشير إليه بيدك، وتقبل بأصابعك نحو راحتك تأمره بالإقبال إليك. أو تؤبيء لمن خلفك فتفتح أصابعك إلى ظهر يدك تأمره بالتأخر عنك⁽³⁾.

ثانياً- تعريف الأوبئة في الاصطلاح:

عرّف الأطباء القدماء الوباء بعدة تعريفات تختلف في عبارتها، وتتفق في مضمونها، وممن عرفه:

ابن النفيس⁽⁴⁾ حيث قال: "الوباء فساد يعرض لجوهر الهواء لأسباب سماوية أو أرضية، كالماء الآسن والجيف الكثيرة"⁽¹⁾.

(1) انظر: المحكم والمحيط الأعظم 566 / 10، المصباح المنير 646 / 2، تاج العروس 478 / 1.

(2) انظر: المحكم والمحيط الأعظم 566 / 10، المصباح المنير 646 / 2،

(3) انظر: المحكم والمحيط الأعظم 566 / 10.

(4) هو علي بن أبي الحزم القرشي، أخذ الطب بدمشق، ألف في الطب كتاب الشامل، وصنف في الفقه وأصوله وفي المنطق، ولم يكن على وجه الأرض مثله في الطب، توفي سنة 687 هـ. انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة 2 / 186-188، الأعلام للزركلي 4 / 271.

وعن الحكيم داوود الأنطاكي⁽²⁾: "الوباء: حقيقة تغير الهواء بالعوارض العلوية، كاجتماع كواكب ذات أشعة، والسفلية كالملاحم، وانفتاح القبور، وصعود الأبخرة الفاسدة، وله علامات: منها الحمى، والجدرى، والنزلات، والحكة، والأورام وغير ذلك"⁽³⁾.

وقال ابن سينا⁽⁴⁾: "الوباء فساد جوهر الهواء الذي هو مادة الروح ومدده، ولذلك لا يمكن حياة شيء من الحيوان بدون استنشاقه"⁽⁵⁾، وقريب منه قولهم: "الوباء ينشأ عن فساد يعرض لجوهر الهواء بأسباب خبيثة سماوية أو أرضية، كالشهب والرجوم في آخر الصيف، والماء الآسن، والجيف الكثيرة"⁽⁶⁾.

(1) انظر: تاج العروس 1/ 478.

(2) هو داود بن عمر الأنطاكي، رئيس الأطباء في زمانه، ولد في أنطاكية، وهاجر إلى القاهرة، ثم رحل إلى مكة، من تصانيفه: تذكرة أولي الألباب، وألفية في الطب. انظر: الأعلام للزركلي 2/ 333، معجم المؤلفين 140/4.

(3) ذخيرة العقبى في شرح المجتبى 26/ 262.

(4) هو الحسين بن عبد الله بن سينا البلخي، فيلسوف طبيب، صنّف في الطب والفلسفة والمنطق، من مصنفاته: "القانون"، و"الشفاء"، توفي سنة 428 هـ. انظر: الكامل في التاريخ 7/ 783، وعيون الأنبياء في طبقات الأطباء ص 437 - 459، ووفيات الأعيان 2/ 157.

(5) ما يفعله الأطباء والداعون بدفع شر الطاعون ص 38.

(6) انظر: المصدر السابق.

وعرفه بعض الفقهاء المتقدمين بقوله: "هو مرض الكثير من الناس في جهة من الأرض دون سائر الجهات، ويكون مخالفاً للمعتاد من الأمراض في الكثرة وغيرها، ويكون نوعاً واحداً"¹.

أما التعريفات عند المعاصرين فمنها:

تعريف معجم اللغة العربية المعاصرة الذي جاء فيه أن الوباء: "كُلُّ مرضٍ شديد العدوى، سريع الانتشار من مكان إلى مكان يصيب الإنسان والحيوان والنبات، وعادة ما يكون قاتلاً كالطاعون"².

وعرفته الموسوعة الطبية الحديثة بأنه: "كل مرض يصيب عدداً كبيراً من الناس في منطقة واحدة في مدة قصيرة من الزمن، فإن أصاب المرض عدداً عظيماً من الناس في منطقة جغرافية شاسعة سُمي وباء عالمياً"³.

ثالثاً- الفرق بين الطاعون والوباء:

تقدم تعريف الوباء عند الفقهاء والأطباء، أما الطاعون فُعُرف بأنه: "بشر وورم مؤلم جداً يخرج مع لهاب ويسود ما حوله أو يخضر أو يحمر حمرة بنفسجية كدرة ويحصل معه خفقان القلب والقيء"⁴. وعرفه بعضهم بقوله: "الطاعون هو

(1) شرح مختصر خليل للخرشي 4/ 155.

(2) معجم اللغة العربية المعاصرة 3/ 2392.

(3) الموسوعة الطبية الحديثة 13/ 1894.

(4) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 1/ 105، وانظر: فتح الباري 10/ 180.

الوباء"¹، أو "الموت من الوباء"²، وقال صاحب النهاية: "الطاعون المرض العام الذي يفسد له الهواء وتفسد به الأمزجة والأبدان"³، إلى غير ذلك من التعريفات المختلفة⁴.

والناظر في التعريفات السابقة لكل من الوباء والطاعون يلاحظ أن هناك اتجاهان في تعريفهما:

أحدهما: الاتجاه الذي يرى أن الطاعون هو الوباء، وأنهما متطابقان، وهو ظاهر قول ابن سينا: "والطواعين تكثر عند الوباء، وفي البلاد الوبية، ومن ثم أطلق على الطاعون أنه وباء بالعكس"⁵.

والاتجاه الثاني: أنهما متغايران وبينهما عموم وخصوص، وهو الذي عليه المحققون من الفقهاء والمحدثين، ويدل على تباينهما:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»¹ مع حديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: «قدمنا المدينة، وهي أوبأ

(1) القوانين الفقهية ص 295. وانظر: القاموس المحيط ص 55.

(2) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية 6 / 2158.

(3) النهاية في غريب الحديث والأثر 3 / 127.

(4) انظر: فتح الباري لابن حجر 10 / 180.

(5) نقله عنه ابن حجر في: الفتاوى الفقهية الكبرى 4 / 12.

أرض الله»²، حيث دل الحديث الأول على أن الطاعون لا يدخلها، بينما الحديث الثاني يدل على أن الوباء يدخلها فدل على تغييرهما. وهذا التغيير لا يمنع من إطلاق أحدهما على الآخر مجازاً³.

المطلب الثاني: نماذج للأوبئة التي تصيب البشر

يجد الناظر في كتب التاريخ كثيراً من الأخبار عن أوبئة وطواعين نزلت بالبشرية على مر العصور، وقد أدت تلك الأوبئة إلى مرض وموت الآلاف بل الملايين من البشر، ووقع في بلاد المسلمين - خاصة - طواعين ذكرها كتاب السير والتاريخ والتراجم، وشراح الحديث، قال في التوضيح⁴: " وفي الإسلام عدة طواعين جمعتها في جزء، وذكرت ما أدركناه أيضاً، ومنها طاعون عمواس موضع بالشام مات منه معاذ وابنه وجميع أهله، ما بين الجمعة إلى الجمعة، واستشهد به أبو عبيدة، وكثير من المسلمين".

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل المدينة: باب لا يدخل الدجال المدينة، 22/3 برقم (1880)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج: باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها، 1005/2 برقم (1379).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل المدينة: باب كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة، 23/3 برقم (1889)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج: باب الترغيب في سكنى المدينة، 1003/2 برقم (1376)، واللفظ للبخاري.

(3) انظر: فتح الباري 10/180.

(4) التوضيح لشرح الجامع الصحيح 459/17.

وفيما يلي سرد لبعض تلك الطوائع على سبيل المثال لا الحصر، مما وقع في تاريخ المسلمين من ذلك:

ما جهد المسلمين من الوباء عند قدوم النبي ﷺ وأصحابه ﷺ إلى المدينة مهاجرين، حيث أصابتهم حمى المدينة فكانوا يصلون قعوداً، وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه ﷺ⁽¹⁾.

وكذلك ما وقع في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ عندما خرج إلى الشام فلقية أمراؤه وأخبروه أن الأرض وبيته، فاستشار كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار فاختلفوا عليه، ثم استشار مهاجرة الفتح فلم يختلف عليه منهم اثنان، وقالوا: ارجع بالناس فإنه بلاء وفناء، ثم لحقهم عبد الرحمن بن عوف ﷺ وكان متخلفاً عنهم فلما عرف الأمر قال: عندي من هذا علم، فقال عمر: ما عندك؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»⁽²⁾. فقال عمر ﷺ: فله الحمد فانصرفوا أيها الناس! فانصرف بهم⁽³⁾.

(1) انظر: السيرة النبوية لابن هشام 1/ 590.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب: باب ما يذكر في الطاعون 7/ 130 برقم (5729)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام: باب الطاعون والطيبة والكهانة ونحوها 4/ 1740 برقم (2219).

(3) انظر: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء 1/ 474-475 والرواية بكاملها في الصحيحين كما تقدم في تخريج حديث عبد الرحمن بن عوف ﷺ.

وفي سنة ثمان عشرة ومائتين وقع الوباء العظيم بمصر، فمات أكثرهم، ولم تبقَ دارٌ ولا قرية إلا مات أكثر أهلها. ولم يبق بمصر رئيس ولا شريف مشهور⁽¹⁾.

وفي سنة ثمان وثمانين ومائتين وقع الوباء بأذربيجان، فمات خلق كثير حتى فقد الناس ما يكفونون به الموتى، ولم يجدوا من يدفنهم، فكانوا يتركونهم مطروحين في الطرق⁽²⁾.

وفي سنة ست وأربعمائة نزل الوباء في البصرة حتى عجز الحفارون عن حفر القبور⁽³⁾.

وفي سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ورد الخبر بوباءٍ عظيم بالهند، وعزنة، وأصبهان، وجرجان، والرّي، ونواحي الجبل، والموصل، وخرج من أصبهان فيها أربعون ألف جنازة، ومات في الموصل بالجدرّي أربعة آلاف صبي⁽⁴⁾.

وفي خمس وعشرين وأربعمائة وقع الوباء بفارس حتى كانت الدُّور تُسدّ على أصحابها⁽⁵⁾.

(1) انظر: تاريخ الإسلام 27 / 15.

(2) انظر: تاريخ الرسل والملوك 83 / 10، الكامل في التاريخ 6 / 518.

(3) انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم 111 / 15.

(4) انظر: تاريخ الإسلام 23 / 29.

(5) انظر: المصدر السابق.

وفي سنة ست وثمانين وخمسمائة وصل ملك الألمان إلى أنطاكية، وفشا في
عسكره الوباء حتى لم يسلم من كل عشرة واحد، ولم يخرجوا من أنطاكية حتى
ملأوها قبوراً⁽¹⁾.

وفي سنة أربع وخمسين وستمائة اشتد الوباء بالشام وفني من أهل دمشق
خلق لا يحصى⁽²⁾.

هذه بعض الأوبئة التي مرت على بلاد المسلمين، والتي دوّنها المؤرخون
في كتبهم التي وصلت إلينا، أما في العصر الحديث فقد وقعت أوبئة وطواعين كثيرة
أيضاً منها:

وباء الموت الأسود (الطاعون) الذي انتشر في أوروبا وأدى بحياة ثلث
سكانها في منتصف القرن الرابع عشر⁽³⁾.

وكذلك الحمى الصفراء في فيلادلفيا ونيويورك، والكوليرا والتيفوس في
كاليفورنيا خلال القرن التاسع عشر⁽⁴⁾.

(1) انظر: زبدة الحلب في تاريخ حلب ص 422.

(2) انظر: ذيل مرآة الزمان 1 / 86.

(3) انظر: قصة الحضارة 22 / 122، الموسوعة الطبية الحديثة 13 / 1894.

(4) انظر: المصدر السابق.

المبحث الثاني

الأحكام المتعلقة بالأوبئة في الصلاة

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: حكم الصلاة لرفع الوباء

اتفق الفقهاء على مشروعية الصلاة لنوع واحد من الآيات والأفزع، وهي الصلاة لخسوف الشمس⁽¹⁾.

دليله:

حديث عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قالت: «خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ، فصلى رسول الله ﷺ بالناس.. الحديث»⁽²⁾.

واختلفوا في الصلاة لغير الخسوف من الآيات والأفزع على أقوال:

القول الأول: استحباب الصلاة في كل فرع كالرياح الشديدة، والزلزلة، والظلمة، والمطر الدائم، وهو مذهب الحنفية⁽³⁾، ورواية عن أحمد⁽⁴⁾.

(1) انظر: تحفة الفقهاء 1/181، المجموع 5/44، عجلة المحتاج 1/399.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، أبواب الكسوف: باب الصدقة في الكسوف، 2/34 برقم (1044)، ومسلم في صحيحه، كتاب الكسوف: باب صلاة الكسوف، 2/618 برقم (901).

(3) انظر: الأصل للشيباني 1/444، تحفة الفقهاء 1/183، بدائع الصنائع 1/282.

(4) انظر: الإنصاف 5/405.

واستدلوا لذلك بما يلي:

ما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه صلى لزلزلة بالبصرة⁽¹⁾.
وأنها من الأفراع، والأهوال مثل كسوف القمر والشمس فيُصلى لها
مثلهما⁽²⁾.

القول الثاني: أنه لا يصلى لشيء من ذلك إلا الزلزلة الدائمة، فيصلى لها
كصلاة الكسوف، وهو مذهب الحنابلة⁽³⁾.

واستدلوا لذلك بما يلي:

فعل ابن عباس - رضي الله عنهما -⁽⁴⁾.
وأنه لم ينقل عن النبي ﷺ، ولا أحد من أصحابه الصلاة لشيء مخيف من
الرياح العواصف، والأمطار الغزيرة، مع وجودها في عهدهم⁽⁵⁾.

القول الثالث: لا يصلى لغير الكسوفين صلاة جماعة، بل يستحب أن يصلى
في بيته، وأن يتضرع إلى الله بالدعاء عند رؤية هذه الآيات، وهو قول الشافعية⁽⁶⁾.

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب من صلى في الزلزلة بزيادة عدد الركوع والقيام قياساً على صلاة
الخشوف 3 / 343، وابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب الصلوات: باب في الصلاة في الزلزلة، 2 / 472.

(2) انظر: بداية المجتهد 1 / 224.

(3) انظر: المقنع ص 73، الإنصاف 5 / 405، كشف القناع 2 / 66.

(4) تقدم تخريجه في الصفحة السابقة.

(5) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع 5 / 194.

(6) انظر: المجموع 5 / 44، تحفة المحتاج 3 / 65.

واستدلوا لذلك:

بأنه لم ينقل أن النبي ﷺ صلى جماعة لغير الكسوف من الأفراع⁽¹⁾.

القول الرابع: لا يصلى لهذه الآيات مطلقاً، وهو قول المالكية⁽²⁾.

ودليلهم:

عدم نقل ذلك عن النبي ﷺ ولم يخلُ عصره ﷺ من شيء من تلك

الآيات⁽³⁾.

الراجع:

أنه لا يصلى لشيء من الآيات الكونية المخيفة إلا لخسوف الشمس والقمر؛ لثبوت صلاته ﷺ للخسوف دون غيره، وما روي عن ابن عباس ﷺ - إن صح - فهو اجتهاد في مقابلة النقل الصحيح عن النبي ﷺ من ترك الصلاة لتلك الآيات، والله أعلم.

(1) انظر: المجموع 5/55.

(2) انظر: بداية المجتهد 1/224، مواهب الجليل 2/200، الفواكه الدواني 1/279.

(3) انظر: شرح التلقين 1/1100.

أما الصلاة لرفع الوباء - وهي مسألة هذا المبحث - فقد ذهب بعض الحنفية⁽¹⁾، وفقهاء المالكية⁽²⁾ إلى أنه تندب الصلاة لدفع الوباء والطاعون ونحوهما، وهذه الصلاة من ذوات السبب.

فتكون الصلاة لها أفذاذاً أو جماعة إذا لم يحملهم الإمام على ذلك فإن جمعهم لذلك فتكون واجبة حينئذ⁽³⁾.
وعللوا مشروعية الصلاة لذلك بأنه أمر يخاف منه⁽⁴⁾.

والذي يظهر - والله أعلم - أن الصلاة لدفع الأوبئة كالطاعون ونحوه لا تشرع، لعدم ورود شيء في ذلك عن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، مع وقوع تلك الأمور في عهدهم، وكذلك بالقياس على ما تقدم من ترجيح عدم مشروعية الصلاة لغير الخسوف من الأفزاع والآيات المخيفة، وما علل به القائلون بالصلاة لدفع الوباء والطاعون أنه أمر مخوف لا يكفي دليلاً.

المطلب الثاني: حكم القنوت لرفع الوباء

يطلق القنوت في اللغة على عدة معان منها⁽⁵⁾:

(1) انظر: حاشية الطحطاوي 1/ 547.

(2) انظر: التبصرة للخمّي 2/ 615، شرح مختصر خليل للخرشي 1/ 351، حاشية الدسوقي 1/ 308،
قرة العين بفتاوى علماء الحرمين ص 34.

(3) انظر: المصادر السابقة.

(4) انظر: شرح مختصر خليل للخرشي 1/ 351.

(5) انظر: المحكم 6/ 338، الصحاح 1/ 261، مشارق الأنوار 2/ 186، تاج العروس 5/ 45.

الطاعة، والدعاء في الصلاة، وطول القيام في الصلاة، والسكوت والإمساك عن الكلام، والخشوع والخضوع والإقرار بالعبودية. ويصرف هذا اللفظ عند وروده إلى ما يحتمله الموضوع الذي ورد فيه¹.

والمقصود بالقنوت هنا: الدعاء بعد تكبير في قيام في الصلاة².

وقد اختلف الفقهاء في حكم القنوت لرفع الطاعون على قولين:

القول الأول: أنه يستحب القنوت في الصلاة لصرف الطاعون، وهو قول الحنفية³، والمالكية⁴، والمعتمد عند الشافعية⁵.

واستدلوا لذلك بما يلي:

1. أن النبي ﷺ دعا بصرف الوباء عن المدينة⁶؛ كما في حديث أم المؤمنين المؤمنین عائشة - رضي الله عنها -، قالت: قدمنا المدينة وهي وبئة، فاشتكى أبو بكر، واشتكى بلال، فلما رأى رسول الله ﷺ شكوى أصحابه، قال: «اللهم حبب إلينا

(1) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر 4/ 111، لسان العرب 2/ 73.

(2) انظر: معجم لغة الفقهاء ص 371.

(3) انظر: رد المحتار 2/ 11، حاشية الطحطاوي على مراقبي الفلاح ص 377.

(4) انظر: حاشية الدسوقي 1/ 308.

(5) انظر: تحفة المحتاج 2/ 68، نهاية المحتاج 1/ 508.

(6) انظر: نهاية المحتاج 1/ 508.

المدينة كما حبيت مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدّها، وحول
حُمّاها إلى الجحفة»⁽¹⁾.

2. أن الطاعون من أشد النوازل، فيقتل لرفعه كغيره من النوازل⁽²⁾.

القول الثاني: لا يشرع القنوت لرفع الطاعون؛ وهو مذهب الحنابلة⁽³⁾، وقول
بعض الشافعية⁽⁴⁾.

واستدلوا لذلك بما يلي:

أن الطاعون وقع في زمن عمر رضي الله عنه، ومع ذلك لم يقتلوا لرفعه⁽⁵⁾.
أن الموت بالطاعون شهادة فلا يُسأل لرفعه⁽⁶⁾. لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الشهداء خمسة: المطعون، ... الحديث»⁽⁷⁾.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المرضى: باب من دعا برفع الوباء والحمى، 7/ 122 برقم
(5677)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج: باب الترغيب في سكنى المدينة 2/ 1003 برقم (1376).

(2) انظر: حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ص 377.

(3) انظر: الفروع 2/ 367، كشاف القناع 1/ 421، المبدع 2/ 17، الإنصاف 2/ 175.

(4) انظر: روضة الطالبين 1/ 254، المجموع 3/ 494، نهاية المحتاج 1/ 508.

(5) انظر: الفروع 2/ 367.

(6) انظر: المصدر السابق.

(7) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير: باب الشهادة سبع سوى القتل 4/ 24 برقم
(2830)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة: باب بيان الشهداء 3/ 1521 برقم (1914).

الترجيح:

الراجح - والله أعلم - القول باستحباب القنوت لرفع الطاعون، للأدلة المتقدمة، وما ذكره القائلون بعدم مشروعيته من أنه لم ينقل عن السلف لا يلزم منه عدم الوقوع، كما أنه على التسليم بذلك فربما تركوا القنوت إثارةً للشهادة¹. وما ذكروه من أنه سبب للشهادة فلا يُدعى برفعه منتقض بالقنوت لنازلة العدو فيقنت لها مع أنه تحصل الشهادة لمن قتل منه، حيث ثبت سؤال العافية منها في قوله ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية»².

أما القنوت لرفع الوباء فإن قيل: بأن الوباء والطاعون واحد، فعلى الترجيح السابق يقنت لرفعه، وكذلك إن قيل: الطاعون أحص من الوباء، فيقنت لرفع الوباء الخالي عن الطاعون ولا يقنت لرفع الطاعون³، لأن الميت بمطلق الوباء لا يكون شهيداً؛ فيشرع القنوت لرفعه، ولأنه يفني العلماء والصلحاء حتى يختل نظام الدين، ففي رفعه مصلحة⁴.

(1) انظر: نهاية المحتاج 1/ 508.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التمني: باب كراهية تمني لقاء العدو 9/ 84 برقم (7237)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير: باب كراهة تمني لقاء العدو 3/ 1362 برقم (1742).

(3) انظر: العزيز شرح الوجيز 1/ 518، الفتاوى الفقهية الكبرى لابن حجر 1/ 141.

(4) انظر: المصدر السابق.

المبحث الثالث

الأحكام المتعلقة بالأوبئة في الجنائز

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: حكم غسل الموتى في الأوبئة

الإجماع منعقد على مشروعية غسل الميت غير الشهيد¹، لكن اختلف

الفقهاء في مشروعيته بين الوجوب والسنية على قولين:

القول الأول: وجوب الغسل، وهو قول جمهور الفقهاء من الحنفية²،

والشافعية³، والحنابلة⁴، واختيار بعض المالكية⁵.

واستدلوا لذلك بما يلي

قول النبي ﷺ لما توفيت ابنته: «اغسلنها...»⁶، وهذا أمر.

(1) انظر: الإقناع في مسائل الإجماع 1/ 183، المجموع 5/ 128

(2) انظر: المبسوط 2/ 58، تحفة الفقهاء 2/ 239، بدائع الصنائع 1/ 299.

(3) انظر: الحاوي الكبير 1/ 376، البيان 3/ 26، المجموع 5/ 128.

(4) انظر: المبدع 2/ 223، الإنصاف 2/ 470، كشف القناع 2/ 85.

(5) انظر: شرح التلقين 1/ 1113، حاشية الدسوقي 1/ 407

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز: باب غسل الميت ووضوئه بالماء والسر، 1/ 422 برقم

برقم (1195)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجنائز: باب في غسل الميت، 2/ 646 برقم (939).

قوله ﷺ في المحرم الذي سقط عن راحلته فمات: «اغسلوه بماء وسدر، وكفّنوه في ثوبين»⁽¹⁾ فهذا - أيضاً - أمر من النبي ﷺ والأمر للوجوب. أن النبي ﷺ غسل وأبو بكر بعده، وتوارثه المسلمون⁽²⁾.

القول الثاني: أن غسل الميت سنة، وهو قول أكثرية المالكية⁽³⁾.

واستدلوا:

بالأحاديث السابقة لكنهم حملوها على السنية، وقالوا: ليس في الحديثين أمر بيّن، فالأول خرج مخرج التعليم، وحديث المحرم خرج مخرج البيان لصفة ما يجوز أن يعمل بالمحرم وما يجتنب، وقد كان غسل الموتى قبل هاتين النازلتين أمراً معروفاً ومعمولاً به⁽⁴⁾.

والراجع - والعلم عند الله - هو ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من وجوب غسل الميت لقوة الأدلة التي ذكروها، وما ذهب إليه الآخرون من صرفها إلى الندب والسنية تحكم لا دليل عليه.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز: باب الكفن في ثوبين 1/425 برقم (1753)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحج: باب ما يفعل بالمحرم إذا مات 2/865 برقم (1206). ولفظه بتمامه: "اغسلوه بماء وسدر وكفّنوه في ثوبيه ولا تخمروا رأسه ولا وجهه فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً".

(2) انظر: تحفة الفقهاء 1/240.

(3) انظر: التاج والإكليل 3/3، حاشية الدسوقي 1/407، الدر الثمين والمورد المعين ص 314

(4) انظر: التبصرة للخمّي 2/648.

وإذا تبين مشروعية غسل الميت ووجوبه، فقد ينزل بالناس أمر فظيع يكثر فيه الموتى كوباء من طاعون ونحوه فيشق غسلهم، أو لا يوجد من يغسلهم، فما الحكم حينئذ؟

هذه المسألة ذكرها فقهاء المالكية⁽¹⁾ فقالوا:

لا بأس عند الوباء، وما اشتد على الناس من غسل الموتى لكثرتهم، ولم يوجد من يغسلهم أن يقبروا بغير غسل.

واستدلوا بذلك:

بما روي عن الشعبي أنه قال: "رمسوهم رسماً"⁽²⁾.

قالوا: ولأن الواجب المتفق عليه يسقط بالعجز عنه، فكيف بهذا المختلف فيه⁽³⁾.

المطلب الثاني: دفن الموتى بالأوبئة في قبر واحد

(1) انظر: شرح التلقين 1/ 1119، الذخيرة للقرافي 2/ 450، التاج والإكليل 3/ 46، النوادر والزيادات 548 / 1.

(2) لم أجد من رواه عن الشعبي إلا المصادر السابقة. والرمس أصله: الستر والتغطية، ويقال لما يحشى على القبر من التراب رمس، وللقبر نفسه رمس. انظر: المحكم والمحيط الأعظم 8/ 495، النهاية في غريب الحديث والأثر 2/ 263.

(3) انظر: شرح التلقين 1/ 1119، الذخيرة للقرافي 2/ 450، التاج والإكليل 3/ 46، النوادر والزيادات 548 / 1.

الأصل في الميت أن يدفن في قبر مستقل لا يشاركه فيه غيره، وقد اتفقت كلمة الفقهاء على أنه لا يجوز أن يدفن اثنان في قبر واحد إلا للضرورة¹.

والدليل على الأصل:

فعل النبي ﷺ حيث كان يدفن في كل قبر واحداً².

وروي عن جابر رضي الله عنه أنه قال: «دفن مع أبي رجل، فلم تطب نفسي حتى أخرجته، فجعلته في قبر على حدة»³.
أما الضرورة فمثلوا لها بأمثلة منها:

كثرة القتلى، أو الموتى في الوباء - وهي مسألتنا - أو الطاعون ونحو ذلك من أسباب الموت العام كالهدم والغرق⁴، وقلة من يدفنهم⁵، أو ضيق المكان⁶.

(1) انظر: المبسوط للسرخسي 2/ 65، المحيط البرهاني 2/ 193، الأم 1/ 316، بحر المذهب 2/ 549، الذخيرة للقرافي 2/ 479، القوانين الفقهية ص 66، الكافي في فقه الإمام أحمد 1/ 371، المغني لابن قدامة 2/ 420.

(2) انظر: تحفة الفقهاء 1/ 256

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز: باب هل يخرج الميت من القبر واللحد لعله 2/ 92 برقم (1352).

(4) انظر: المجموع 5/ 284، صلاة المؤمن 3/ 1294.

(5) انظر: بحر المذهب 2/ 549، الخلاصة الفقهية 1/ 154.

(6) انظر: مواهب الجليل 2/ 236، الفقه الإسلامي وأدلته 2/ 1560.

واستدلوا للضرورة بما روي أن النبي ﷺ قال يوم أحد لأصحابه: «احفروا وأوسعوا واجعلوا الرجلين والثلاثة في قبر واحد وقدموا أكثرهم قرآناً»⁽¹⁾. قالوا: وكانت الحالة حالة ضرورة؛ فالأنصار يومئذ أصابهم قروح وجه شديد فشكوا إلى رسول الله ﷺ، وقالوا: الحفر علينا لكل إنسان شديد، فأذن لهم بجمع أكثر من واحد في القبر⁽²⁾.

واختلفوا في حكم دفن أكثر من واحد في القبر الواحد لغير الضرورة، على قولين:

القول الأول: الكراهة، وهو مذهب الحنفية⁽³⁾، والمالكية⁽⁴⁾، وبعض الشافعية⁽⁵⁾، وذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية⁽⁶⁾. القول الثاني: الحرمة، وهو مذهب مذهب الحنابلة⁽⁷⁾، وبعض الشافعية⁽¹⁾.

(1) أخرجه أبو داود في سننه، باب في تعميق القبر 5/ 123 برقم (3215)، والترمذي في سننه، باب ما جاء في دفن الشهداء 3/ 265 برقم (1713)، والنسائي في سننه، باب ما يستحب من توسيع القبر 4/ 81 برقم (2011)، صححه ابن الملقن في البدر المنير 5/ 295، وقال الألباني في إرواء الغليل 3/ 194: "صحيح".

(2) انظر: المحيط البرهاني 2/ 193.

(3) انظر: المبسوط للسرخسي 2/ 65، الاختيار لتعليل المختار 1/ 96، المحيط البرهاني 2/ 193.

(4) انظر: مواهب الجليل 2/ 236، حاشية العدوي 1/ 434.

(5) انظر: المجموع 5/ 284، الغرر البهية 2/ 121، تحفة المحتاج 3/ 173.

(6) انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية 5/ 362.

(7) انظر: المغني لابن قدامة 2/ 420، الإنصاف 2/ 551.

المبحث الرابع

الأحكام المتعلقة بالأوبئة في الموارِيث

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: حكم التصرف في المال زمن الأوبئة

الإنسان الصحيح له حق التصرف في جميع ماله وقت حياته دون تحديد قدر معين، وذلك بشتى أنواع التصرف¹.

والعلة في ذلك: أنه إذا كان صحيحاً فلا حق لأحد في ماله فيجوز تصرفه في جميع المال².

واتفق الفقهاء على أن المريض مرض الموت يمنع من التصرف في المال بالتبرع أو الوصية بما زاد عن الثلث³.

واستدلوا لذلك بما يلي:

حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: مرضت، فعادني النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن لا يرديني على عقبي، قال: «لعل الله يرفعك وينفع بك ناساً»،

(1) انظر: المجموع 5/ 284، الغرر البهية 2/ 121، تحفة المحتاج 3/ 173.

(2) انظر: بدائع الصنائع 7/ 370.

(3) انظر: المصدر السابق.

(4) انظر: الإقناع في مسائل الإجماع 2/ 76، الإجماع لابن المنذر ص 77، مراتب الإجماع ص 113،

بدائع الصنائع 7/ 370، الاستذكار 23/ 51، المهذب 1/ 452، المغني 8/ 473.

قلت: أريد أن أوصي، وإنما لي ابنة، قلت: أوصي بالنصف؟ قال: «النصف كثير»، قلت: فالثلث؟ قال: «الثلث، والثلث كثير أو كبير»⁽¹⁾.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تصدق عليكم عند وفاتكم بثلث أموالكم، زيادة لكم في أعمالكم»⁽²⁾.

أن المال عند الموت يتعلق به حق الورثة، والوصية بما زاد على الثلث تتضمن إبطال حقهم، ولا يجوز من غير إجازتهم⁽³⁾.

وإذا تبين هذا الاتفاق على منع المريض مرض الموت من التصرف في ماله بما يزيد عن الثلث وجوازه في الثلث، فقد ألحق بعض الفقهاء بالمريض من هو في معناه كالمقاتل في الصف، والمحسوس للقتل ونحوهما⁽⁴⁾.

بل نص بعض الفقهاء على مسألتنا - وهي التصرف في المال في أزمته الوباء والطاعون - فألحقوا جميع الناس من أصابه ومن لم يصبه بالمريض، وقالوا بأن تصرفاتهم كلهم محسوبة من الثلث⁽¹⁾.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا: باب الوصية بالثلث 3/4 برقم (2744)، ومسلم في صحيحه، كتاب الوصية: باب الوصية بالثلث 3/1250 برقم (1628)، واللفظ للبخاري.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الوصايا: باب الوصية بالثلث، 4/14 برقم (2709)، وحسنه الألباني. انظر: إرواء الغليل 6/77 برقم (1641).

(3) انظر: بدائع الصنائع 7/369.

(4) انظر: رد المحتار 5/93، 423، القوانين الفقهية ص 212، حاشية الدسوقي 3/306، مغني المحتاج 2/165، كشاف القناع 3/416.

المطلب الثاني: الميراث في الأوبئة

من شرط الإرث تحقق حياة الوارث بعد موت المورث². وإذا مات المتوارثان معاً - كالغرقى والهدمي وموتى الطاعون ونحوه من أسباب الهلاك العام مثل الموتى بسبب الأوبئة في مسألتنا هذه - فلهما حالات:

الحالة الأولى: أن يُعلم أن أحدهما مات أولاً وعُرف بعينه، فإن الثاني يرث من الأول بلا خلاف³.

الحالة الثانية: أن يعلم أنهما ماتا معاً، ولم يتقدم أحدهما على الآخر، فلا توارث بينهما بإجماع⁴.

الحالة الثالثة: ألا يُعلم أي المتوارثين مات أولاً، وهذه المسألة فيها خلاف بين العلماء من زمن الصحابة - رضي الله عنهم - على قولين:

القول الأول: أن مال كل واحد منهم لورثته الأحياء، ولا يرث الأموات بعضهم من بعض، وهو قول زيد⁵، وبه أخذ أبو حنيفة⁶، ومالك¹، والشافعي².

(1) انظر: فتح المعين بشرح قوة العين ص 428، نهاية المحتاج 6/63، الفتاوى الفقهية الكبرى لابن حجر 14/4.

(2) انظر: نيل المآرب 2/94، تبين الحقائق 6/241، المغني 6/379.

(3) انظر: مراتب الإجماع ص 179، عيون المسائل ص 629، الحاوي الكبير 8/87.

(4) انظر: الحاوي الكبير 8/87، المغني 6/381، المحرر في الفقه 1/410.

(5) انظر: مختصر اختلاف العلماء 4/454، الإشراف على مذاهب العلماء 4/370.

(6) انظر: المسبوط 30/28، بدائع الصنائع 4/166، تحفة الملوك ص 263.

واستدلوا لذلك بما يلي:

أن سبب استحقاق كل واحد منهما ميراث صاحبه مشكوك فيه،
والاستحقاق ينبنى على السبب، والموارث لا تجب بالشكوك³.

القول الثاني: يرث الأموات بعضهم من بعض من التلاد، دون ما ورث كل
واحد عن صاحبه، وهو قول عمر وعلي وابن مسعود⁴، وبه أخذ أحمد⁵.

واستدلوا بما يلي:

أنه لما كُتِبَ إلي عمر رضي الله عنه في طاعون عمواس أن أهل البيت يموتون عن
آخرهم، فكتب عمر: أن ورثوا بعضهم من بعض⁶.

أن حياة كل واحد منهم كانت ثابتة بيقين، والأصل بقاؤها إلى ما بعد موت
الآخر، واليقين لا يزال بالشك⁷.

(1) انظر: التلقين 2/ 220، الإشراف على نكت مسائل الخلاف 2/ 1022، عيون المسائل ص 629.

(2) انظر: الحاوي الكبير 8/ 87، البيان للعمرائي 9/ 33.

(3) انظر: المبسوط للسرخسي 30/ 28، الإشراف على نكت مسائل الخلاف 2/ 1022.

(4) انظر: مختصر اختلاف العلماء 4/ 455، الإشراف على مذاهب العلماء 4/ 369.

(5) انظر: المغني 6/ 378، المحرر في الفقه 1/ 410، الإنصاف 7/ 345.

(6) أخرجه سعيد بن منصور في سننه، باب الغرقى والحرقي 1/ 106 برقم (232)، وضعفه الألباني في
إرواء الغليل 6/ 153.

(7) انظر: البيان للعمرائي 9/ 33.

أما سبب عدم توريث كل واحد منهما ما ورث عن صاحبه، فلأن ذلك يؤدي إلى الدور وهو باطل، فحينئذ لا يرث من ذلك المال بعينه⁽¹⁾.

الترجيح:

والراجح - والله أعلم - هو ما ذهب إليه أصحاب القول الأول من أن المتوارثين إذا ماتا معاً ولم يُعلم المتقدم منها فإنهما لا يرثان من بعضهما، ويرثهما الأحياء من ورثتهما، لأن شرط الإرث لم يوجد فيهما وهو تحقق حياة الوارث بعد موت المورث، وبقاء أحدهما بعد الآخر مشكوك فيه، والمواريث لا تجب بالشكوك. وما ذكره من كتاب عمر في طاعون عمواس ضعيف فلا تقوم به الحجة.

المبحث الخامس

التعامل مع الأوبئة بين الفقه والطب الحديث

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حكم التطعيم لأجل الأوبئة

المقصود بالتطعيم: "إجراء يتبع لتحصين الإنسان من مرض معدٍ، ويعطى المريض طعاماً يحتوي على جراثيم المرض الذي تُرجى الوقاية منه، تكون ميتة أو موهنة"⁽²⁾.

(1) انظر: منحة السلوك ص 457.

(2) انظر: الموسوعة الطبية الحديثة 2 / 322.

فالتطعيم على هذا التعريف نوع من التداوي، لكنه تداوٍ قبل نزول المرض.
وقد أجمع الفقهاء على مشروعية التداوي بعد نزول المرض⁽¹⁾، مع
اختلافهم في مراتب تلك المشروعية بين الوجوب⁽²⁾، والاستحباب⁽³⁾، والإباحة⁽⁴⁾.
واستدلوا على المشروعية بما يلي:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له
شفاء»⁽⁵⁾.

حديث ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم،
أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنا أنهى أمتي عن الكي»⁽⁶⁾.

حديث جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء
الداء برأ بإذن الله عز وجل»⁽¹⁾.

(1) انظر: الطب من الكتاب والسنة للبغدادي ص 179.

(2) وهو قول بعض الحنابلة. انظر: الإنصاف 2/ 463.

(3) وهو مذهب الشافعية. انظر: المجموع 5/ 96،

(4) وهو قول الحنفية، والمالكية، وبعض الحنابلة. انظر: المبسوط 10/ 156، البناية شرح الهداية

12/ 267، التاج والإكليل 2/ 6، الإنصاف 2/ 463.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب: باب ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً، 7/ 122 برقم
(5678).

(6) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب: باب الشفاء في ثلاث، 7/ 123 برقم (5681).

أما التداوي قبل نزول المرض، كما لو خشي وقوعه لوجود وباء أو نحوه من الأسباب الممرضة، وذلك بالتطعيم ونحوه فلم يذكره الفقهاء المتقدمون، حيث يظهر عدم تصورهم له.

وأما المتأخرون فقد ذهب بعضهم إلى جوازه، ومنهم الشيخ ابن باز-رحمه الله-².

واستدلوا بذلك:

بحديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من اصطبح بسبع تمرات عجوة، لم يضره ذلك اليوم سم، ولا سحر»³.

وجه الدلالة: أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشد إلى فعل ما يدفع البلاء كالسم والسحر ونحوهما، وذلك قبل وقوعه. "فكذلك إذا خشي من مرض وطعم ضد الوباء الواقع في البلد فلا بأس من باب الدفاع، كما يعالج المرض النازل، يعالج بالدواء المرض الذي يخشى منه"⁴.

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام: باب لكل داء دواء واستحباب التداوي 4 / 1729 برقم (2204).

(2) انظر: مسائل الإمام ابن باز ص 249،

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب: باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث 7 / 139 برقم (5779)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأشربة: باب فضل تمر المدينة 3 / 1618 برقم (2047).

(4) فتاوى الطب والمرضى ص 76.

وذهب البعض إلى الكراهة⁽¹⁾. ومثلوا له "بالتوتين الذي يفعله العوام يأخذون قيحاً من المجدور ويشقون جلد الصحيح ويجعلونه في ذلك المشقوق يزعمون أنه إن جدر يخفف عنه فهذا من التداوي عن الداء قبل نزوله كما يفعلون بالمجدور إذا أخذته حمى الجدري لطحوا رجليه بالحنا لئلا يظهر الجدري في عينيه"⁽²⁾.

وعللوا ذلك: بأن الفاعل له يستعجل البلاء قبل نزوله، فربما قتله فيكون قد أعان على قتل نفسه⁽³⁾.

والذي يظهر رجحانه: أنه لا بأس بالتطعيم؛ وليس من استعجال البلاء كما ذكروا بل هو من الأسباب التي دل على الأخذ بها الحديث الصحيح السابق.

(1) انظر: مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى ص 76.

(2) المصدر السابق.

(3) انظر: المصدر السابق.

المطلب الثاني: حكم الدخول لبلد الوباء والخروج منها

إذا وقع الطاعون في بلد، أو إقليم، أو ناحية، فقد يحتاج من خارجها إلى الدخول إليها لغرض كتجارة، أو طلب علم، أو زيارة ونحو ذلك، وكذلك قد يحتاج من داخلها إلى الخروج فراراً أو لغرض التداوي، أو نحو ذلك. فما حكم الشرع في ذلك الدخول والخروج؟

اختلف الفقهاء في الدخول لبلد الطاعون، والخروج منه فراراً على قولين:
القول الأول: التحريم، وهو قول جمهور الفقهاء من الحنفية⁽¹⁾،
 والشافعية⁽²⁾، والحنابلة⁽³⁾.

واستدلوا لذلك بما يلي:

حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الطاعون رجز أرسل على بني إسرائيل، وعلى من كان قبلكم فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض، وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه»⁽⁴⁾.

خبر خروج عمر رضي الله عنه إلى الشام، واستشارته لأصحابه في الدخول إليها لما علم بوقوع الطاعون فيها، وانصرافه عنها لما أخبره عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بقول

(1) انظر: حاشية الطحطاوي 1/ 547.

(2) انظر: بحر المذهب 2/ 605، المجموع 5/ 322.

(3) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع 4/ 42.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء: باب حديث الغار 4/ 175 برقم (3473)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام: باب الطاعون والطيبة والكهانة ونحوها 4/ 1737 برقم (2218).

النبي ﷺ: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض، وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»¹. وجه الدلالة: أن الحديثين صريحان في النهي عن الدخول لأرض الطاعون، والنهي عن الخروج منها لمن كان فيها فراراً منه. أن القدوم على الوباء تغرير بالنفس وإلقاء لها في التهلكة، والخروج منه فرار من قدر الله، وهو واقع لا محالة².

القول الثاني: لا بأس من الدخول والخروج، وهو المشهور عن مالك³.

وعلى ذلك: بأن النهي الوارد في الحديث السابق نهى إرشاداً وتأديباً لا نهى تحريم، وهو من باب النهي أن يحل الممرض على المصح حتى لا يقع في نفسه أن ما أصابه لم يكن لو لم يقدم⁴.

وقالوا في الجواب عن الأحاديث السابقة: "إن النهي عن دخول أرض الطاعون والخروج منها ليس المقصود منه مخافة أن يصيب غير من كتب عليه ويهلك قبل أجله، لكن حذار الفتنة بأن نظن هلاك من هلك من أجل قدومه، ونجاة من نجى لأجل فراره، وهذا نحو نهيه عن الطيرة ومخالطة المجذوم، وهو دليل على

(1) تقدم تخريجه في ص (7).

(2) انظر: المنتقى شرح الموطأ 7/200.

(3) انظر: البيان والتحصيل 17/396، الذخيرة للقرافي 13/325، التمهيد 21/183.

(4) انظر: الذخيرة للقرافي 13/326.

أن من خرج من بلاد الطاعون على سبيل الفرار فجائز له الخروج، ومن دخله إذا أيقن أن دخوله لا يجلب إليه قدراً لم يسبق فسائغ له الدخول"⁽¹⁾.

الترجيح:

الراجح - والله أعلم - ما ذهب إليه الجمهور من التحريم، للأحاديث الصحيحة الصريحة في النهي عن الدخول لمن كان خارج بلد الطاعون، والخروج لمن كان داخلها، والنهي يقتضي التحريم، ولا صارف له⁽²⁾.
أما الخروج عن بلد الطاعون بقصد آخر كالتداوي، أو لحاجة وغرض آخر غير الفرار فقد اتفق الفقهاء على جوازه⁽³⁾، للأحاديث الصريحة السابقة. وهذا الخلاف في الطاعون ينسحب على سائر الأوبئة لمن قال بأن الطاعون والوباء واحد، أما من فرق بينهما فيرى أن الخلاف في الخروج فراراً هو في الطاعون لورود النص عليه، أما غيره من الأوبئة فإن الفرار منها جائز بالإجماع⁽⁴⁾.

(1) إكمال المعلم بفوائد مسلم 7/ 133-134 بتصرف، وانظر: الفتاوى الفقهية الكبرى 4/ 11.

(2) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 14/ 205-207.

(3) انظر: الذخيرة للقرافي 13/ 325، المنتقى شرح الموطأ 7/ 200، شرح الزرقاني على الموطأ 4/ 379، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 14/ 207، فتح الباري 6/ 520، عمدة القاري 21/ 259.

(4) حكى الإجماع السيوطي فيما نقله عنه ابن حجر. انظر: الفتاوى الفقهية الكبرى 4/ 11.

وعللوا ذلك بأن:

الوباء غير الطاعون، فالوباء أعم من الطاعون، وقد اختص الطاعون
بخصائص منها: أن الموت به شهادة، وهو رحمة، فيختص بتحريم الفرار منه⁽¹⁾.
وقد سئل الشيخ ابن باز - رحمه الله - عن الخروج فراراً من الوباء، فقال:
"لا بأس، يخرج"⁽²⁾.

(1) انظر: الفتاوى الفقهية الكبرى لابن حجر 4 / 11.

(2) مسائل الإمام ابن باز ص 250.

المطلب الثالث: موقف الطب الحديث من الأوبئة

سبق الإسلامُ الطبَّ الحديث في التعامل مع الأمراض المعدية والأوبئة، ويتضح ذلك من خلال الأحاديث النبوية الشريفة التي دعت إلى الوقاية من العدوى، واجتناب مخالطة المرضى بالأمراض المعدية، وكذلك نهت من كان في بلد الوباء عن الخروج منه فراراً، وحتى لا ينتقل العدوى لغيره من البلدان، ووعدت من صبر على ذلك -موقناً مؤمناً بالقدر- أجر الشهيد، ومن تلك الأحاديث:

حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الطاعون رجز أرسل على بني إسرائيل، وعلى من كان قبلكم فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض، وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه»⁽¹⁾.

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا يوردن ممرض على مصح»⁽²⁾.

وحديث أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون، فأخبرها نبي الله ﷺ: «أنه كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابراً، يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر الشهيد»⁽³⁾.

(1) تقدم تخريجه في ص (22).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب: باب لا هامة / 7 / 138 برقم (5771)، ومسلم في صحيحه، كتاب السلام: باب لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر، ولا نوء، ولا غول، ولا يورد ممرض على مصح 4 / 1742 برقم (2221).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب: باب أجر الصابر في الطاعون / 7 / 131 برقم (5734).

ثم جاء الطب الحديث حاملاً معه طرقاً ووسائل عديدة للتعامل مع الأوبئة عبر مراحل حتى تبلورت فيما يسمى (بالطب الوقائي) Preventative medicine، الذي هو أحد فروع طب المجتمع والذي يهدف إلى الوقاية من حدوث الأوبئة الصحية، والتدخل السريع حين حدوثها لمنع انتشارها، والتقليل من أضرارها⁽¹⁾.

وقد بدأت ملامح هذا الفرع الطبي تظهر في القرن الثامن عشر الميلادي حيث لاحظ الجراح جيمس لند⁽²⁾ ارتباط الإصابة بداء الإسقربوط بتناول وجبات غذائية خالية من الفواكه والخضروات، فأوصى بتناول عصائر الحمضيات لمعالجة هذا الداء⁽³⁾، ثم جاء بعده الدكتور ادوارد جنز⁽⁴⁾ الذي اكتشف لقاح الجدري، وجربه على ابنه، وكان اكتشاف هذا اللقاح في العام 1796م⁽⁵⁾.

(1) انظر: الموسوعة الحرة، مصطلح طب وقائي، تم استرجاعها في 10/1/2019م: طب_وقائي

<https://ar.wikipedia.org/wiki/>

(2) هو عالم إسكتلندي، ولد عام 1716م، وله العديد من الأبحاث العلمية المشهورة في مجال الطب، كان في بداياته مساعد طبيب على ظهر إحدى سفن البحرية الملكية البريطانية، توفي عام 1794م. انظر: أصول التغذية للرياضيين ص 51، أساسيات علم التغذية ص 161.

(3) انظر: المصدرين السابقين.

(4) هو طبيب وعالم بريطاني، ولد في بيركلي عام 1749م، اكتشف لقاح الجدري، وتوفي عام 1823م. انظر: الموسوعة الحرة (ويكيبيديا)، تم استرجاعها في 11/1/2019م: ادوارد جينز

<https://ar.m.wikipedia.org/wiki/>

(5) انظر: الطب الوقائي تاريخ ومفاهيم ومستقبل، الدكتور المعترف الخير أحمد، مقال في مجلة الصحة والحياة، 2007م، العدد الأول، ص 10.

وقد تطور الطب الوقائي بعد ذلك في خطوات متسارعة حيث تم اكتشاف بعض العوامل المسببة للأمراض، ونشأت نظرية التجرثم، وفي أواخر القرن التاسع عشر تم تسجيل بعض الاكتشافات المهمة مثل اللقاحات والمضادات التالية: مضاد داء الكلب (1883م) ولقاح الكوليرا (1892م) ومضاد سم الدفتريا (1894م) واللقاح المضاد للتيفويد (1898م)⁽¹⁾.

وقد ظهرت في العصر الحديث مؤسسات محلية ودولية تهتم بموضوعات الصحة العامة، ورصد فاشيات الأوبئة، وطريقة التعامل معها ومكافحتها، ومن أهمها وأبرزها منظمة الصحة العالمية التي نشأت عندما اجتمع دبلوماسيون من شتى دول العالم لتشكيل الأمم المتحدة عام 1945م، وناقشوا خلال اجتماعهم إنشاء منظمة صحية عالمية، وأصبح لها دستور خاص بتاريخ 7 أبريل 1948م، وهو التاريخ الذي أصبح يعرف بيوم الصحة العالمي⁽²⁾.

وعلى الرغم من جهود تلك المؤسسات فإن تدابير التعامل مع جائحات الأوبئة تواجه صعوبات عديدة على المستوى العالمي، وذلك لعوامل كثيرة يمكن تلخيصها في ثلاثة جوانب رئيسية هي:

"الجانب الأول: نوعية الميكروبات، ودرجة تأثيراتها الصحية والطبية، ومدى مباغتتها أو توقع ظهورها في مناطق من العالم. والجانب الثاني: البنى التحتية لأنظمة تقديم الرعاية الطبية والصحية في المناطق المختلفة من العالم وفق

(1) انظر: المصدر السابق.

(2) انظر: الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية، تاريخ المنظمة، تم استرجاعها بتاريخ 2019/1/10م: <https://www.who.int/about/ar>

الإمكانات البشرية وغيرها، وتداخل العوامل الطبية مع العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية. والجانب الثالث: مستوى سقف التوقعات من قبل الأوساط الطبية وغير الطبية لقدرات أنظمة تقديم الرعاية الطبية والصحية للتعامل الناجع مع جائحات الأوبئة تلك قبل وحال ظهورها وفي المراحل التالية لذلك⁽¹⁾.

الخاتمة

وتشتمل على النتائج والتوصيات، وهي كالتالي:

أولاً- النتائج:

- توصل الباحث من خلال هذا البحث إلى عدد من النتائج يجملها في الآتي:
1. أن الوباء يطلق في اللغة على معان عدة منها: أنه كل مرض عام، وقيل: هو الطاعون، وفي الاصطلاح تعددت تعريفات الأطباء والفقهاء القدماء، وكذلك المحدثين للوباء وكلها تدور حول: كُـلُّ مرضٍ شديد العدوى، سريع الانتشار، وعادة ما يكون قاتلاً كالطاعون.
 2. هناك اتجاهان في الفرق بين الوباء والطاعون أحدهما: أنهما متطابقان، والآخر: أن بينهما عموم وخصوص، وهو الذي عليه المحققون من الفقهاء والمحدثين.
 3. كثرة الأوبئة والطواعين التي نزلت بالبشرية على مر العصور، وأودت بالآلاف بل الملايين من البشر، ونقلتها كُـتُبُ السير والتاريخ والتراجم.

(1) الاستعداد للتعامل مع جائحات الأوبئة، للدكتور حسن محمد صندقجي، مقال في صحيفة الشرق الأوسط، عدد يوم الجمعة 12 ربيع الأول 1436 هـ الموافق 02 يناير 2015 م، رقم العدد [13184].

4. لا تشرع الصلاة لغير الخسوف من الأفراع كالأوبئة والطواعين لعدم ورود ذلك عن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، ويشرع القنوت لرفع الوباء.
5. لا بأس عند الوباء، وما اشتد على الناس من غسل الموتى لكثرتهم، ولم يوجد من يغسلهم أن يقبروا بغير غسل.
6. اتفقت كلمة الفقهاء على أنه لا يجوز أن يدفن اثنان في قبر واحد إلا لضرورة ومن ذلك كثرة الموتى في الأوبئة والطواعين.
7. أن التصرف في المال في أزمة الوباء والطاعون محسوب من الثلث.
8. أن المتوارثين إذا ماتا معاً في الوباء ولم يُعلم المتقدم منها فإنهما لا يرثان من بعضهما، ويرثهما الأحياء من ورثتهما، لأن شرط الإرث لم يوجد فيهما وهو تحقق حياة الوارث بعد موت المورث.
9. أنه لا بأس بالتطعيم لأجل الوباء؛ وليس من استعجال البلاء بل هو من الأخذ بالأسباب التي دل على الأخذ بها الحديث الصحيح.
10. الخروج فراراً من الأوبئة جائز بالإجماع ويستثنى من ذلك الفرار من الطاعون لورود النص عليه.
11. سبق الإسلامُ الطبَّ الحديث في التعامل مع الأمراض المعدية والأوبئة، حيث دعت الأحاديث النبوية الشريفة إلى الوقاية من العدوى، واجتناب مخالطة المرضى بالأمراض المعدية، ونهت من كان في بلد الوباء عن الخروج منه فراراً.

12. حمل الطب الحديث معه طرقاً ووسائل عديدة للتعامل مع

الأوبئة، تبلورت فيما يسمى (بالطب الوقائي).

13. ظهرت في العصر الحديث مؤسسات محلية ودولية تهتم بموضوعات

الصحة العامة، ورصد فاشيات الأوبئة، وطريقة التعامل معها

ومكافحتها، ومن أهمها وأبرزها منظمة الصحة العالمية.

ثانياً- التوصيات:

بالنظر في مسائل هذا البحث ونتائجه، فإن الباحث يوصي بما يلي:

1. توجيه الباحثين لدراسة المسائل الفقهية الدقيقة وجمع متفرقاتها من كتب

المتقدمين.

2. العناية بدراسة النوازل الفقهية في المجالات الطبية ونحوها من

المجالات المعاصرة، وتبصير الناس بحكم الشرع المطهر فيها.

3. -العناية بنشر الثقافة الصحية وعقد الدورات الطبية لعلماء الدين

وطلاب العلم الشرعي.

4. -ضرورة التواصل بين الجهات الطبية والهيئات الشرعية لإصدار

الفتاوى الصحية في حالات الأمراض الوبائية.

5. التأكيد على أهمية تحديث الاشتراطات الصحية عند منح التأشيرات في

المواسم، حماية لصحة المجتمع من الأمراض الوبائية.

وفي ختام هذا البحث أسأل الله سبحانه أن يتقبل ما فيه من عمل، وأن يغفر

ما فيه من نقص وخلل، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اتبع

سنته واهتدى بهديه.

المراجع

1. الإجماع: لابن المنذر، ط1، تحقيق: فؤاد عبد المنعم، دار المسلم 2004م.
2. الاختيار لتعليل المختار: لابن مودود الموصللي، القاهرة: مطبعة الحلبي، 1937م.
3. إرواء الغليل: للألباني، ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1985م.
4. أساسيات علم التغذية: لمنى عبد القادر، مصر: مجموعة النيل، (د.ت).
5. الاستذكار: لابن عبد البر، ط1، تحقيق: سالم عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م.
6. الإشراف على مذاهب العلماء: لابن المنذر، ط1، تحقيق: صغير أحمد، رأس الخيمة: مكتبة مكة، 2004م.
7. الإشراف على نكت مسائل الخلاف: للقاضي عبد الوهاب، ط1، تحقيق: الحبيب بن طاهر، دار ابن حزم، 1999م.
8. الأصل: لمحمد بن الحسن، ط1، تحقيق: محمد بونوكالين، بيروت: دار ابن حزم، 2012م.
9. أصول التغذية للرياضيين: لطارق ادريس، ط1، عمان: الجنادرية للنشر، 2015م.
10. الأعلام: للزركلي، ط15، بيروت: دار العلم للملايين، 2002م.
11. الإقناع في مسائل الإجماع: لابن القطان، ط1، تحقيق: حسن الصعيدي، دار الفاروق، 2004م.

12. إكمال المعلم بفوائد مسلم: للقاضي عياض، ط1، تحقيق: يحيى إسماعيل، مصر: دار الوفاء، 1998م.
13. الأم: للشافعي، تحقيق: علي محمد، وعادل أحمد، بيروت: دار إحياء التراث، 2001م.
14. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف: للمرداوي، ط2، بيروت: دار إحياء التراث، (د.ت).
15. بحر المذهب: للرويانى، ط1، تحقيق: طارق السيد، بيروت: دار الكتب العلمية، 2009م.
16. بداية المجتهد: لابن رشد، القاهرة: دار الحديث، 2004م.
17. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: للكاساني، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1986م.
18. البدر المنير في تخريج أحاديث الشرح الكبير: لابن الملقن، ط1، تحقيق: مصطفى أبو الغيط، الرياض: دار الهجرة 2004م.
19. البنية شرح الهداية: للعيني، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م.
20. البيان في مذهب الإمام الشافعي: للعمراني، ط1، تحقيق: قاسم النوري، جدة: دار المنهاج، 2000م.
21. البيان والتحصيل: لابن رشد، ط2، تحقيق: محمد حجي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988م.
22. تاج العروس من جواهر القاموس: لمرتضى الزبيدي، دار الهداية، (د.ت).
23. التاج والإكليل لمختصر خليل: للمواق المالكي، ط1، بيروت: دار الكتب

- العلمية، 1994م.
24. تاريخ الإسلام: للذهبي، ط1، تحقيق: بشار معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 2003م.
25. تاريخ الرسل والملوك: للطبري، ط2، بيروت: دار التراث، 1387هـ.
26. التبصرة: للحمي، ط1، تحقيق: أحمد نجيب، قطر: وزارة الأوقاف، 2011م.
27. تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق: للزيلعي، ط1، القاهرة: المطبعة الأميرية، 1313هـ.
28. تحفة الفقهاء: للسمرقندي، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 1994م.
29. تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج: لابن الملقن، ط1، تحقيق: عبد الله اللحاني، مكة: دار حراء، 1406هـ.
30. تحفة الملوك: للرازي، ط1، تحقيق: عبد الله نذير، بيروت: دار البشائر، 1417هـ.
31. التلقين في الفقه المالكي: للقاضي عبد الوهاب، ط1، تحقيق: بوخبزة، بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م.
32. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: لابن عبد البر، تحقيق: مصطفى العلوي، المغرب: وزارة الأوقاف، 1387هـ.
33. التوضيح لشرح الجامع الصحيح: لابن الملقن، ط1، تحقيق: دار الفلاح، دمشق: دار النوادر، 2008م.
34. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: لابن عرفة، بيروت: دار الفكر، (د.ت.).

35. حاشية الطحطاوي: للطحطاوي الحنفي، ط1، تحقيق: محمد الخالدي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م.
36. حاشية العدوي على كفاية الطالب الرباني: للعدوي، تحقيق: يوسف البقاعي، بيروت: دار الفكر، 1994م.
37. الحاوي الكبير: للماوردي، ط1، تحقيق: علي معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، 1999م.
38. الخلاصة الفقهية على مذهب السادة المالكية: للقروي، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت).
39. الدر الثمين والمورد المعين: لميارة، تحقيق: عبد الله المنشاوي، القاهرة: دار الحديث، 2008م.
40. ذخيرة العقبى في شرح المجتبى: للإثيوبي، ط1، الرياض: دار المعراج، 1996م.
41. الذخيرة: للقرافي، ط1، تحقيق: سعيد أعراب، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1994م.
42. ذيل مرآة الزمان: لليوني، ط2، عناية: وزارة التحقيقات الهندية، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، 1992م.
43. رد المختار على الدر المختار: لابن عابدين، ط2، بيروت: دار الفكر، 1992م.
44. روضة الطالبين وعمدة المفتين: للنووي، ط3، تحقيق: زهير الشاويش، بيروت: المكتب الإسلامي، 1991م.
45. زبدة الحلب في تاريخ حلب: لابن أبي جرادة، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية،

1996م.

46. سنن ابن ماجه: للقزويني، تحقيق: محمد عبد الباقي، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت).

47. سنن أبي داود: للسجستاني، القاهرة: دار الحديث، 1988م.

48. سنن الترمذي: للترمذي، ط2، تحقيق: أحمد شاکر، مصر: مطبعة البابي، 1975م.

49. السنن الكبرى: للبيهقي، بيروت: دار المعرفة، (د.ت).

50. سنن النسائي: للنسائي، ط2، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات، 1986م.

51. سنن سعيد بن منصور: للخراساني، ط1، تحقيق: الأعظمي، الهند: الدار السلفية، 1982م.

52. سير أعلام النبلاء: للذهبي، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985م.

53. السيرة النبوية وأخبار الخلفاء: لابن حبان، ط3، بيروت: الكتب الثقافية، 1417هـ.

54. السيرة النبوية: لابن هشام، ط2، تحقيق: مصطفى السقا، مصر: مطبعة البابي، 1955م.

55. شرح التلقين: للمازري، ط1، تحقيق: محمد السّلامي، دار الغرب الإسلامي، 2008م.

56. شرح الزرقاني على الموطأ: للزرقاني، ط1، تحقيق: طه سعد، القاهرة: مكتبة الثقافة، 2003م.

57. الشرح الممتع على زاد المستقنع: لابن عثيمين، ط1، دار ابن الجوزي، 1422هـ.
58. شرح مختصر خليل: للخرشي، بيروت: دار الفكر للطباعة، (د.ت).
59. الصحاح: للجوهري، ط4، تحقيق: أحمد عطار، بيروت: دار العلم للملايين، 1987م.
60. صحيح البخاري: لمحمد بن إسماعيل، عناية: مصطفى البغا، ط1، بيروت: دار القلم، 1981م.
61. صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج، عناية: محمد عبد الباقي، رئاسة إدارات البحوث العلمية، 1980م.
62. صلاة المؤمن: لابن وهف القحطاني، ط4، القصب: مركز الدعوة والإرشاد، 2010م.
63. الطب من الكتاب والسنة: لعبد اللطيف البغدادي، ط3، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، بيروت: دار المعرفة، 1994م.
64. طبقات الشافعية: لابن قاضي شهبة، ط1، تحقيق: الحافظ خان، بيروت: عالم الكتب، 1407هـ.
65. عجالة المحتاج إلى توجيه المنهاج: لابن الملحن، تحقيق: البدراني، إريد: دار الكتاب، 2001م.
66. العزيز شرح الوجيز: للرافعي، ط1، تحقيق: علي معوض، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م.
67. عمدة القاري شرح صحيح البخاري: للعيني، بيروت: دار إحياء التراث العربي،

(د.ت).

68. عيون الأنباء في طبقات الأطباء: لابن أبي أصيبعة، تحقيق: نزار رضا، بيروت:

دار مكتبة الحياة، (د.ت).

69. عيون المسائل: للقاضي عبد الوهاب، ط1، تحقيق: علي بورويبة، بيروت: دار

ابن حزم، 2009م.

70. الغرر البهية في شرح البهجة الوردية: للأنصاري، الناشر: المطبعة الميمنية،

(د.ت).

71. فتاوى الطب والمرضى: من فتاوى ابن إبراهيم، وابن باز، واللجنة الدائمة،

جمعه: صالح الفوزان، الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، (د.ت).

72. الفتاوى الفقهية الكبرى: لابن حجر، جمعها: عبد القادر الفاكهي، المكتبة

الإسلامية، (د.ت).

73. فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر، عناية: ابن باز، نشر: رئاسة

إدارات البحوث العلمية، (د.ت).

74. فتح المعين بشرح قرة العين: للمليباري، ط1، الناشر: دار ابن حزم، (د.ت).

75. الفروع: لابن مفلح، ط1، تحقيق: عبد الله التركي، بيروت: مؤسسة الرسالة،

2003م.

76. الفقه الإسلامي وأدلته: للزحيلي، ط4، دمشق: دار الفكر، (د.ت).

77. الفواكه الدواني: للنفاوي، دار الفكر، 1995م.

78. القاموس المحيط: للفيروزآبادي، ط8، تحقيق: محمد العرقسوسي، بيروت:

مؤسسة الرسالة، 2005م.

79. قرة العين بفتاوى علماء الحرمين: للمغربي، ط1، مصر: المكتبة التجارية، 1937م.
80. قصة الحضارة: لويليام ديورانت، ترجمة: زكي نجيب، بيروت: دار الجيل، 1988م.
81. القوانين الفقهية: لابن جزي، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت).
82. الكافي في فقه الإمام أحمد: لابن قدامة، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1994م.
83. الكامل في التاريخ: لابن الأثير، ط1، تحقيق: عمر تدمري، بيروت: دار الكتاب العربي، 1997م.
84. كشف القناع عن الإقناع: للبهوتي، ط1، تحقيق: لجنة في وزارة العدل، 2000م.
85. لسان العرب: لابن منظور، ط3، بيروت: دار صادر، 1414هـ.
86. ما يفعله الأطباء والداعون بدفع شر الطاعون: للكرمي، ط1، بيروت: دار البشائر، 2000م.
87. المبدع في شرح المقنع: لابن مفلح، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م.
88. المبسوط: للسرخسي، بيروت: دار المعرفة، 1993م.
89. المجموع شرح المهذب: للنووي، بيروت: دار الفكر، (د.ت).
90. مجموعة الرسائل والمسائل والفتاوى: للتميمي، ط1، الطائف: دار ثقيف، 1398هـ.

91. المحرر في الفقه: لابن تيمية، ط2، الرياض: مكتبة المعارف، 1984م.
92. المحكم والمحيط الأعظم: لابن سيده، ط1، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000م.
93. المحيط البرهاني في الفقه النعماني: لابن مآزة، ط1، تحقيق: عبد الكريم الجندي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2004م.
94. مختصر اختلاف العلماء: للطحاوي، ط2، تحقيق: عبد الله أحمد، بيروت: دار البشائر، 1417هـ.
95. مراتب الإجماع: لابن حزم، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت).
96. مسائل الإمام ابن باز: جمع: عبد الله بن مانع، الرياض: دار التدمرية، 2007م.
97. مشارق الأنوار على صحاح الآثار: للقاضي عياض، الناشر: المكتبة العتيقة، (د.ت).
98. المصباح المنير: للفيومي، ط1، القاهرة: دار الحديث، 2000م.
99. مصنف ابن أبي شيبة: لابن أبي شيبة العبسي، ط1، تحقيق: كمال الحوت، الرياض: مكتبة الرشد، 1409هـ.
100. معجم الشعراء: للمرزباني، ط2، تعليق: ف. كرنكو، بيروت: مكتبة القدسي، 1982م.
101. معجم اللغة العربية المعاصرة: لأحمد عمر، ط1، بيروت: عالم الكتب، 2008م.
102. معجم المؤلفين: لعمر كحالة، بيروت: دار إحياء التراث العربي،

(د.ت).

103. معجم لغة الفقهاء: لمحمد قلعجي، ط2، الناشر: دار النفائس،
1988م.

104. المغني: لابن قدامة، تحقيق: عبد الله التركي، ط3، توزيع: وزارة الشؤون
الإسلامية، 1997م.

105. المقنع في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني: لابن قدامة، ط1، تحقيق:
محمود الأرناؤوط، جدة: مكتبة السوادى، 2000م.

106. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: لابن الجوزي، ط1، تحقيق: محمد عطا،
بيروت: دار الكتب العلمية، 1992م.

107. المتقى شرح الموطأ: للباجي، ط1، مصر: مطبعة السعادة، 1332هـ.

108. منحة السلوك في شرح تحفة الملوك: للعيني، ط1، تحقيق: أحمد الكبيسي،
قطر: وزارة الأوقاف، 2007م.

109. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: للنووي، ط2، بيروت: دار إحياء
التراث العربي، 1392هـ.

110. المهذب في فقه الإمام الشافعي: للشيرازي، بيروت: دار الكتب العلمية،
(د.ت).

111. مواهب الجليل لشرح مختصر خليل: للمغربي، ط1، بيروت: دار الفكر،
1398هـ.

112. الموسوعة الطبية الحديثة: لمؤلفين من مؤسسة Golden Press،
القاهرة: مؤسسة سجل العرب، (د.ت)

113. الموطأ: لمالك، بتعليق: محمد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1985م.

114. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج: للرملي، بيروت: دار الفكر، 1984م.

115. النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي، بيروت: المكتبة العلمية، 1979م.

116. النوادر والزيادات: للنفزي، ط1، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1999م.

117. نيل المآرب بشرح دليل الطالب: للتغلبلي، ط1، تحقيق: محمد الأشقر، الكويت: مكتبة الفلاح، 1983م.

118. وفيات الأعيان: لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1994م.

المواقع على الشبكة العنكبوتية (الانترنت):

1. الموقع الرسمي لمنظمة الصحة العالمية، تاريخ المنظمة، تم استرجاعها بتاريخ 10 / 1 / 2019م: <https://www.who.int/about/ar>

2. الموسوعة الحرة (ويكيبيديا): مصطلح طب وقائي، تم استرجاعها في 10 / 1 / 2019م: https://ar.wikipedia.org/wiki/طب_وقائي

3. الموسوعة الحرة (ويكيبيديا)، تم استرجاعها في 11 / 1 / 2019م: ادوارد جينر <https://ar.m.wikipedia.org/wiki/>

المقالات:

1. مقال بعنوان: "الاستعداد للتعامل مع جائحات الأوبئة": لحسن صندوقجي،

صحيفة الشرق الأوسط، العدد [13184] الجمعة 02 يناير 2015م.

2. مقال بعنوان: "الطب الوقائي تاريخ ومفاهيم ومستقبل": للمعتز الخير أحمد،
مجلة الصحة والحياة، 2007م، العدد الأول، ص10.

*The Juristic Judgments Related to Epidemics
Affecting Peoples, and The Related Position of
Contemporary Medicine – A Comparative Juristic
Study.*

*Dr. Mohammad Sanad Al Shamani
College of Sharia
Islamic University of Medina*

1440

Abstract

This research examines a renewable issue which pervades affliction in certain periods of time which is the epidemics and diseases overwhelming the people and kill them in groups and individuals.

Research problem focuses on the following main question?

What is the meaning of the concept of epidemics affecting people? What are the related judgments? What is the related manner of dealing according to the Sharia methodology? And what is the related position of contemporary medicine?

This research aims to identify the concept of epidemics affecting people, to mention certain historical samples of epidemic the people witnessed, to reveal the proper Sharia methodology of dealing with such epidemics, to seek the sharia judgment of such related issues, and to reveal the related position of the contemporary medicine.

The researcher will adopt the common scientific methodology adopted in the juristic research where: collect the scientific material related to the subject through the available resources, imagine the issued wanted to be researched, mention the agreed or disagreed juristic statements in such issues supported by evidences and aspects of significance, and then the preponderance and its reasons.

Among the most significant results: to demonstrate the sharia judgment in the issues related to epidemics overwhelming the people every once in a while, either affecting their worshipping, heritages and transactions; to enlighten people to the manner of dealing with such epidemics according to Sharia approach; and to acknowledge the related position of contemporary Medicine.

Key words:

Epidemics, epidemic, infection, diseases, plague

ثانياً:
الدراسات اللغوية
و الأدبية

إبداع الأجناس الأدبية و تلقّيها: بين سلطتي الموروث و التجديد

د. أشجان محمد حسين عبدالله هندي

أستاذ الأدب و النقد العربي الحديث المشارك

قسم اللغة العربية و آدابها- جامعة الملك عبدالعزيز

Googlna2014@gmail.com

المستخلص

للتنشئة و عواملها ممثلة في دور الأسرة و المدرسة و الجامعة و مناهج التعليم، و الإعلام الرسمي، و ما يلحق به من منصات حديثة و مؤثرة و غير رسمية؛ كوسائل التواصل الاجتماعي علاقة وثيقة بتشكيل ذاتتي إبداع و تلقّي الأجناس الأدبية. حيث تُشكّل هذه العوامل نسقاً يقوم بدور الرقيب، أو السلطة التي تفرض وصايتها على تشكيل ذاتتي الإبداع و التلقّي، لدى النشء خاصة، و توجيهها نحو جنس أدبي بعينه

تناقش هذه الدراسة دور التنشئة بعواملها السابقة في التأثير في عملية تصنيف الأجناس و الأنواع الأدبية المختلفة و وضع معايير خاصة بكل جنس و نوع أدبي إثر وقوعها بين سلطتين يمثلهما: الركون إلى التقاليد الأدبية الموروثة من جهة، و الدعوة إلى التجديد و التطوير من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: التنشئة، الجنس الأدبي، النوع الأدبي.

مقدّمة

"إننا نرث قدراتنا الذهنية كتركة بيولوجية، و لكنّ تفعيلها و تنشيطها يتم

بواسطة المجتمع و التجارب التربوية و الشعوريّة"

Robert Fisher

تُسهّم عوامل التنشئة كالأُسرة و المجتمع و المدرسة و الجامعة و مناهج التعليم، و المكتبات و القراءة، و النقد الأدبي، و الإعلام الرسمي، و ما يلحق به من منصّات حديثة غير رسمية كوسائل التواصل الاجتماعي في تشكيل ذائقة الأفراد و المجتمعات على صعيدي الخلق و الإبداع، و تلقّي الأجناس الأدبية بمختلف أنواعها.

كما تُشكّل هذه العوامل نسقًا يقوم بدور الرقيب، أو السلطة التي تفرض وصايتها على تشكيل ذائقتي الإبداع و التلقّي لدى النشء خاصة؛ حيث يتم التأثير في ذائقة النشء و توجيهها نحو جنس أو نوع أدبي بعينه، أو نحو تبني معيارية نقدية تتبع النسق الحديث السائد، أو النسق السابق الذي تمتد جذوره، غالبًا، إلى رؤية أحادية متحيّزة لكل جنس أدبي قديم و مُتأصل بحكم التراكم الزمني؛ مما يكاد يُدخله، تبعًا لذلك، في دائرة ما يجب ألا يُمس في مقابل رفض الأجناس الأدبية الجديدة و التصدي لها.

من جهة أخرى؛ فإن الدعوة المُقابِلة إلى فتح باب التجديد على مصراعيه، التي يفرضها النسق السائد في وقتنا الحاضر، دون تنشئة قادرة على التوجيه السليم، و دون رعاية ناقدة و فاحصة، و بوجود ذائقة غير قادرة على الفرز أحيانًا: تُشكّل نوعًا آخرًا من الرؤية الأحادية المُتحيّزة التي تُمثّل بدورها سلطة أو وصاية مُقابِلة. و قد تم خلط الأوراق تبعًا لهذه السلطة؛ فأفرزت أجناس أدبية جديدة غير خاضعة للمعايير النقدية، و أُصدرت العديد من الكتب و المؤلفات المُوسومة بكتب في الشعر أو الرواية مثلاً، في حين أنها قد لا تمت إلى ذلك بصلة.

تناقش هذه الدراسة دور عوامل التنشئة في التأثير في عملية إبداع و تلقي الأجناس و الأنواع الأدبية المختلفة، و وضع معايير خاصة بكل جنس و نوع أدبي

تبعاً لسلطتين يمثلهما: الركون إلى التقاليد الأدبية الموروثة من جهة، و الدعوة إلى التجديد و التطوير من جهة أخرى. حيث يُمثّل البحث في هذا الموضوع، اليوم، ضرورة للنهوض بدور الأدب و الثقافة و الفكر في مجتمعنا. و تتوسل الدراسة بالمنهج الوصفي لرصد و وصف جوانب هذا الموضوع وصولاً إلى تفسيره و ذكر الأسباب التي أدت إلى حدوثه، و النتائج المترتبة على ذلك، مع الاعتماد، في جزء منها، على تقنية تمثّلت في حوار مع عدد من المهتمين بقضايا الأدب تم إجراؤه عبر موقع التواصل الاجتماعي (تويتر Twitter). و تنقسم الدراسة إلى ثلاثة أجزاء: يناقش الجزء الأول مفهوم التنشئة و عواملها، و ينشغل الثاني بمفهوم الجنس الأدبي، في حين يسلط الجزء الثالث الضوء على عوامل التنشئة و دورها في تشكيل ذاتي إبداع و تلقي الأجناس الأدبية، يلي ذلك الخاتمة و التوصيات.

1- التنشئة: مفهومها و عواملها:

ينتقل الموروث الحضاري و الاجتماعي و الثقافي و الأدبي و سواه من جيل سابق إلى جيل لاحق عن طريق التنشئة عبر قنوات عدّة تصل الماضي بالحاضر و تتجاوز ذلك إلى صناعة المستقبل و تشكيله. و يُفترض أن تتم هذه الصناعة، و أن يتحقق هذا التشكيل دون وصاية أو هيمنة، مع الاهتمام بمراقبة عنصر الجودة، و أخذ عملية رعاية هذه الصناعة و تحفيزها بعين الاعتبار. و تكمن أهمية التنشئة في كونها من الوسائل القادرة، بشكل أو بآخر، على تغيير، أو توجيه بوصلة الذوق الجمعي، أو التأثير فيه في أضعف الأحوال؛ و ذلك بما تقترحه و تطرحه من معايير و مُحدّدات جديدة تتماشى مع الحاضر، و تستشرف آفاق المستقبل و أهدافه.

إن التنشئة الاجتماعية لا ترتبط بمرحلة الطفولة، بل هي عملية مُمتدّة لا تتوقف و لا تختص بمرحلة عمرية دون أخرى، و من ذلك ما تذكره رميشي، من أن

التنشئة الاجتماعية تبدأ من مرحلة الطفولة و تمتد إلى آخر مرحلة من عمر الإنسان. و تضيف موضحة أن كل مرحلة من المراحل السابقة تتميز عن المرحلة التي تليها في جوهرها و مضمونها؛ و ذلك تبعاً للأساليب التعليمية التي تحتاجها و تطبقها كل مرحلة من المراحل بناءً على الفترة الزمنية اللازمة لاكتمال نضج عملية التنشئة.¹

أما التنشئة الإبداعية فتعد نوعاً من أنواع التنشئة التي ينبغي الالتفات إليها في أي مجتمع من المجتمعات. فإلى جانب التنشئة الاجتماعية، و الدينية، و الرياضية، و الفنية؛ فإن هناك تنشئة تُعنى بالإبداع، كما تذكر العطاري، و هدفها خلق أفراد مبدعين في المجتمع من خلال الكشف عن طاقاتهم الإبداعية و العمل على تنميتها و تطويرها.²

تبدأ التنشئة الإبداعية في سن الطفولة التي يعدّها الكثيرون المرحلة الأهم من حياة الفرد؛ فهي المرحلة التي تتم فيها عملية التشكّل و الصياغة. و بالتالي فإن تنمية مهارات الإبداع لدى الأطفال بطرق إبداعية تُوازن بين الموروث المُنتج سلفاً و بين متطلبات الحاضر و اشتراطات المستقبل كفيلة بخلق أجيال قادرة على مواجهة التحديات. فالأطفال، تبعاً لـ فيشر Fisher، يحتاجون إلى الإبداع أكثر من حاجتهم إلى التفكير المُتوارث المُنتج سابقاً ليواجهوا تحديات الحاضر و المستقبل، و يتصل

¹ يُنظر: ربيعة رميشي، العوامل المؤثرة في عملية التنشئة الاجتماعية و الأسرية، مجلة آفاق علمية، العدد

الثامن، المركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، جوان 2013م، ص 42، 46.

² يُراجع: سناء العطاري، أدب الأطفال و التربية الإبداعية، يُنظر الرابط:

هذا الأمر بالتفكير النقدي الذي يُمكن أن يُضاف إلى كل الموضوعات و أن يُطوّر لدى الأطفال؛ فكل الأطفال يولدون بقدرة ابتكارية، و لكنهم يحتاجون إلى مناخ إبداعي، كما يحتاجون إلى التحفيز و الممارسة ضمن إجراءات إبداعية لتطوير إمكانياتهم الإبداعية، و تشمل العوامل المُحفّزة على الإبداع: القصص، و العصف الذهني، و الرسم، و غير ذلك. 1

و يُمثّل الأدب بما له من تأثير كبير على تشكيل لغة الأطفال و تفكيرهم "أحد المجالات التي تسعى التربية الإبداعية إلى توجيه الطفل نحوها إذا ما لوحظ وجود ميول أدبية لديه مثل: كتابة القصة و الشعر و غيرهما". 2 حيث يُولد بعض الأطفال بهبات إلهية تنمّ عن نبوغ مبكّر في الكتابة الأدبية التي ينبغي توجيهها و ملاحظتها من قبل المؤسسات المختلفة. و لعلّ من شواهد النبوغ الإبداعي المبكر لدى الأطفال، ما أُشير إليه في مصادر مختلفة، من أن الشاعر (طرفة بن العبد) قد كتب قصيدته الأولى و هو في سن السابعة، و أن (السيّاب) كتب الشعر في سن العاشرة، و أن الشاعر الفرنسي (رامبو) كتب الشعر و هو ابن تسع سنوات، في حين كتب الشاعر الإنجليزي (إليوت) أول قصيدة و هو لم يتجاوز العاشرة من عمره. 3

Robert Fisher, ibid, p. 52. 1

2. سناء العطارى، مرجع سابق.

3. يُنظر: فاضل الكعبي، كيف نقرأ أدب الأطفال، ط 1، مؤسسة الوراق، الأردن، 2012م، ص 29-30.

و بالإضافة إلى أدب الأطفال الذي يكتبونه بأنفسهم، فهناك الأدب الموجّه للأطفال و هو جزء مهم من ثقافة المجتمع. و نوع بالغ الأهمية من أنواع الأدب، و يشمل الشعر و القصة و المسرحية و صحافة الطفل و البرامج الإلكترونية و الأفلام السينمائية. و قد ظهر هذا الأدب و تزايد الاهتمام به في القرن العشرين الذي كثرت فيه الدراسات النفسية و الاجتماعية التي تناولت الطفل. إلا أن العناية به، كما يذكر لطروش، ممتدة جذورها إلى الأدب العربي القديم، و يظهر ذلك في مؤلفات و مصادر عربية قديمة يُمكن إدراجها تحت أدب الأطفال، من مثل (نوادير جحا) المذكور في الفهرست لابن النديم، و (الأغاني) لأبي الفرج الأصبهاني، و (البخلاء) للجاحظ، و (مقامات بديع الزمان الهمذاني)، و (حي بن يقظان) لابن طفيل، و (رسالة الغفران) للمعرّي، و غيرها. 1

و يُمثّل هذا الأدب نوعاً من الثقافة الموجّهة إلى الطفل يتم من خلالها الاستفادة من عدّة منجزات علمية لتأسيس قاعدة معرفية لدى الأطفال. و من هنا تأتي أهمية رعايته التي "ينبغي أن تنطلق من الأسرة و تمر عبر المدرسة و المجتمع و الدولة بأجهزتها الثقافية المختلفة (...). حيث يُصنّف هذا الأدب ضمن قائمة أصعب أنواع الإبداع لما يستلزم من مواصفات أدبية قيّمة و مقاييس فنية تلائم الفئات الصغرى. و هو يمزج بين التربية و التعليم و البناء ضمن إطار أدبي جذاب". 2

1. يُنظر: الشارف لطروش، أدب الطفل في الجزائر واقع و اقتراحات، مجلة حوليات التراث، جامعة

مستغانم، الجزائر، العدد 13، 2013م، ص 80.

2. المرجع السابق، ص 79.

و كما سبقت الإشارة؛ فإن هناك عوامل مهمة و مؤثرة في عملية التنشئة الإبداعية؛ كالأُسرة و المدرسة و الجامعات و مناهج التعليم، و النقد الثقافي و الأدبي، و الإعلام الرسمي، و ما يلحق به من منصات حديثة غير رسمية كوسائل التواصل الاجتماعي. حيث تُسهم هذه العوامل مُجتمعاً أو مُتفرقة، في تشكيل و تربية ذائقة الأفراد و المجتمعات على صعيدي الخلق و الإبداع، و تلقّي الأجناس الأدبية بمختلف أنواعها، و هذا مناط هذه الدراسة.

2- في مفهوم الجنس الأدبي:

الجنس الأدبي أعم من النوع الأدبي؛ إذ تتفرّع من الجنس أنواع مختلفة. فالشعر جنس أدبي تتفرّع منه أنواع شعرية تشمل القصيدة العمودية، و قصيدة التفعيلة، و قصيدة النثر، كما أن النثر جنس أدبي تتفرّع منه أنواع عدّة كالقصة و الرواية و المسرحية و غير ذلك. و كل مبدع يبحث ضمن هذه الأجناس و الأنواع عن النص الأنسب الذي يستوعب إبداعاته. إلا أن السؤال حول تداخل الأجناس و الأنواع الأدبية و اختلاطها ببعضها البعض، كما يحدث في عصرنا الحاضر، يظل من الأسئلة شديدة الأهمية و دائمة الدوران في فضاء البحث و النقد الأدبي، و في فضاء المؤلفين و المتلقّين على حد سواء؛ لما يترتّب على ذلك من إرساء المصطلحات و تحديد الأجناس و الأنواع الأدبية المختلفة، بالإضافة إلى وضع المعايير و المُحدّدات.

ضمن هذا السياق، يشير بعض الدارسين إلى أن اختلاط الأجناس و الأنواع الأدبية و تداخلها يُمثّل ظاهرة صحيّة. من ذلك ما يذكره فوغالي من أن النوع الأدبي يتّسم ضمن جنسه الذي ينتمي إليه بالتحوّل و التفاعل مع الأنواع أو الأجناس الأخرى؛ مما يؤدي إلى تداخل الأنواع أو الأجناس نفسها في نص واحد. و بالرغم

مما يبدو من أن هذه المرونة في الخلط قد تؤدي إلى صعوبة وضع تعريفات محددة للأجناس و الأنواع الأدبية، إلا أنه يرى في ذلك ظاهرة صحية في مجال الممارسة الإبداعية؛ لأن النص القادر على بقاء استمراريته و تواصله مع المتلقّي هو النص الذي تتجدد رؤيته فيكون قادرًا على التفاعل الإيجابي مع مختلف أشكال المعرفة.1 و بالعودة إلي مرحلة البدايات؛ فإنه يُحسب لفلاسفة اليونان بدايات الاشتغال بتصنيف الجنس الأدبي وفقًا لأحكام معيارية خاصة. حيث ظهرت نظرية المحاكاة عند أرسطو، و من قبله أستاذه أفلاطون في القرن الرابع قبل الميلاد فاتحة باب الأسئلة أمام ماهية الشعر و وظيفته. ففي كتابه (فن الشعر) قسّم أرسطو الشعر إلى ثلاثة أجناس: غنائي و ملحمي و درامي؛ مُفصّلًا القول في (التراجيديا)، و مقارنًا بينها و بين الملحمة، و مُحدّثًا عن المسرحية الشعرية، و واضعًا مواصفات و معايير فنية لكل نوع.2 و تبعت الجهود المنسوبة إلى أفلاطون و أرسطو، في تصنيف الشعر إلى غنائي و مسرحي و ملحمي، جهود منظري العصر الكلاسيكي كنيكولا بوالو و رينيه رابان، تلاهم الرومانسيون الألمان كالأخوين شليغل في بداية القرن التاسع عشر، و عنهم أخذ هولدرلين و شيلينغ و غوته و هيغل في القرن العشرين.3

1 يُراجع: باديس فوغالي، السرد الروائي و تداخل الأنواع، (تداخل الأنواع الأدبية - مؤتمر النقد الدولي الثاني عشر، جامعة اليرموك)، الأردن، 22-24 يوليو 2008، المجلد 1، ص 171.

2 يُنظر: أرسطو طاليس: فن الشعر، ترجمة عبدالرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت-لبنان، 2001م.

3. يُراجع: إيف ستالوني، الأجناس الأدبية، ترجمة محمد الزكراوي، ط1، المنظمة العربية للترجمة،

إن الدعوة إلى إعادة النظر في مفهوم الأجناس أو التصنيفات الثلاثة السابقة دعوة قديمة، ويظهر ذلك، كما يشير ستالوني، في تعريف الشاعر و الروائي الفرنسي فيكتور هوغو (Victor Hugo 1802-1885) للأجناس الثلاثة، أو الثالث الموروث (الأنشودة و الملحمة و الدراما) بأنها الأعمار الثلاثة في حياة البشر. حيث سمى هوغو الأزمنة البدائية بالأزمن الغنائية، و وصف الأزمنة القديمة بأنها أزمنة ملحمية، أما الأزمنة الحديثة فإنها أزمنة درامية. مُضيفاً أن المجتمع في البداية قد غنى ما يحلم به، ثم حكى ما يفعله و تحدث عنه، و أخيراً فإنه صوّر ما يراه. و لعلّ في ذلك كما يقول ستالوني حيلة لبزوغ الدراما كجنس أدبي جديد يلائم العصر، و إلى إعادة النظر في مفهوم الجنس. و يضيف بأن هذه الدعوة كان لها أصداء في القرن العشرين؛ حيث طعن الفيلسوف الإيطالي بينيديتو كروتشه (1866-1952 Benedetto Croce) في التصنيف الثلاثي الموروث للأجناس الأدبية.¹

يشهد العصر الحديث جدلاً واسعاً حول أهمية تحديد و ضبط المصطلحات لما في ذلك من تحديد و ضبط للمفاهيم، و يشمل ذلك صياغة مفهوم واضح و غير مُلتبس لجنس أدبي بعينه لتحقيق إمكانية تصنيف مجموعة معيّنة من النصوص الأدبية ضمن بوتقة واحدة و تحت مُسمى واحد. و قد شاب مصطلح (الجنس الأدبي)، في العصر الحديث، بعض الخلط الذي أدى بدوره إلى خلط مُماثل في

بيروت، 2014م، ص 34-35.

1. يُنظر: السابق، ص 36-37.

مفهوم الجنس الأدبي، و في تحديد و تصنيف مجموعة النصوص الأدبية التي تندرج تحت جنس أدبي بعينه تبعاً لمعايير معيّنة يدور الجدل حول ثباتها و وجوب عدم المساس بها من جهة، و حقيقة تغيّرها من عصر لآخر، من جهة أخرى.

يتبيّن الخلط في تحديد مصطلح واحد ثابت للجنس الأدبي لدى المفكرين الغربيين الذين اختلفوا بدورهم حول ذلك؛ فعلى سبيل المثال، يذكر شيفير أن الناقد و المنظر الفرنسي جيرار جينيت (1930-2018) قد وضع أربعة مصطلحات مختلفة في محاولة لضبط مفهوم الجنس الأدبي، و هي: (النمط)، (الصيغة الإنشائية)، (النص الجامع)، (الشكل الجمالي)، إلى جانب أن السمات التي تُحدد مفهوم الجنس الأدبي وفقاً للتصوّر الغربي قد استندت، كما هو الحال عند شيفير، على الموروث السابق للنص¹. إلا أن كثيراً من الدارسين المُحدثين قد نفوا أن تكون عملية وضع القواعد و تحديد السمات سابقة لعملية الإبداع؛ و من ذلك رفض إدوار الخراط وضع قوانين مُسبقة للأعمال الفنية، و ميله إلى استنتاج تلك القوانين و التقنيات من التحليل النقدي الذي يتلو عملية الإبداع².

إن الرغبة في التصنيف قد طالت مجال الأدب، كما يذكر ستالوني؛ حيث تمّت محاولات تصنيف الأعمال الأدبية استناداً إلى معايير خاصة: أسلوبية كانت، أو

1. يُراجع: جان ميري شيفير، ما الجنس الأدبي، ترجمة غسان السيد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،

1997م، ص 124، 107.

2. يُنظر: زروقي عبد القادر، خطاب السرد و هويّة الأجناس الأدبية، مجلة الأثر، العدد 22، جوان

2015، ص 117.

خطابية، أو موضوعاتية، أو غير ذلك، وهذا هو مجال الأجناس الأدبية كما يقول. و يشير ستالوني إلى أهمية تصنيف الأجناس الأدبية بالنسبة للمؤلفين؛ وذلك لحاجتهم إلى احتذاء نموذج بعينه في الكتابة لدعمه و الاستمرار فيه، أو لهدمه و العزوف عنه. و بالقدر نفسه فإن القراء أيضًا بحاجة إلى التصنيف ليتعرفوا على طبيعة الأعمال التي اختاروا قراءتها و السمات التي تجمع بينها، كما يحتاج إليه كل من الأستاذ و الشارح و الناقد الأدبي لأن اشتغالهم بتأويل الأعمال الأدبية يقتضي منهم الإحالة إلى تصنيف رسمي يُمكن قياس هذه الأعمال عليه. و يضيف موضحًا أن تحديد مفهوم الجنس الأدبي أمر مُسلم بأهميته، إلا أنه لا بد من الاعتراف بأن هذا المفهوم قد خضع للتغيير على مر العصور، و أن جهود وصفه و تحديده لم تكن حاسمة و لانهائية، و أنها لم تُفض إلى تعريفات واضحة¹.

و يبدو أن التعريفات في عصرنا الحاضر أكثر خلطًا، و أقل حسمًا. إذ تتدخل اليوم سلطة عوامل التنشئة، التي سبقت الإشارة إليها، فيما يُشبه الوصاية، في تشكيل ذائقة المُبدع و المُتلقي على حدٍ سواء، و في إعادة تصنيف الأجناس الأدبية وفق معايير جديدة، كما سيأتي.

3- عوامل التنشئة و دورها في تشكيل ذائقتي إبداع و تلقي الأجناس الأدبية:

تناقش هذه الجزئية دور عوامل التنشئة المؤثر في قولبة الذائقة التي تُنتج

1 يُنظر: إيف ستالوني، مرجع سابق، ص 20، 13-14.

الأجناس الأدبية، و الذائقة التي تتلقاها. مُفندة ذلك في: دور المؤلف/ المبدع، دور النقد الأدبي، دور الأسرة، و يشمل مستوى الأسرة الثقافي و التعليمي، و الطبقة الاجتماعية، و المرجعية الدينية، و نوع الجنس البشري للطفل ذكر أو أنثى، و المرجعية القبلية و الحضريّة، و الموقع الجغرافي، و المجتمع الاستهلاكي. إلى جانب مناقشة دور التعليم في المدرسة و الجامعة، و دور المكتبات و القراءة، و دور وسائل الإعلام الرسمية و غير الرسمية كوسائل التواصل الاجتماعي و مثالها تويتر. يبدو اليوم أن ثمة تجاوز سلطوي لدور عوامل التنشئة أدّى بدوره إلى التأثير في ذائقتي إبداع و تلقّي الأجناس الأدبية؛ مُشيرًا إلى ضرورة إعادة تصنيفها و تحديد معاييرها بعيدًا عن وصاية سلطتي النزوع إلى الموروث، و الرغبة في التجديد على حد سواء. و في هذا تكمن الإشكالية؛ إذ يصعب فصل الجنس الأدبي عن سياقه الماضي و فضائه الحاضر الذي تؤدّي فيه عدة عوامل دور التنشئة؛ إذ تقوم بدور الوصاية شبه الحتمية، فضلًا عن أنها مُتغيرة لا ثابتة. فهي تخضع، بلا شك، لحركة العصور المتتابعة، و لتغيّر موجبات تصنيف الأجناس الأدبية و وضع المعايير من عصر لآخر، أو في العصر الواحد ذاته؛ ممّا قد يؤدي إلى الخروج بتعريفات و تصنيفات مختلطة و غير ثابتة و غير حاسمة في كل مرة.

إلا أن هناك من يزهد في عملية تصنيف الأجناس الأدبية و يُشكك في أهميتها؛ فيرى أن تأويل الأعمال الأدبية و شرحها لا يقتضي بالضرورة عملية التصنيف و ما فيها من حصر شحيح، إن أمكن القول، لأن هذا لا يتفق مع مفهوم الإبداع الذي يتطلّب مساحة واسعة من الحرية. و بالتالي فإن هذه الرؤية تقود إلى التفكير في العملية الإبداعية و في الجنس الأدبي بعيدًا عن سياقه الماضي و عن فضائه المحيط بما فيه من عوامل تنشئة مؤثّرة، و ذا مما قد يستحيل تحقّقه. فالإبداع وليد الحرية التي تشترط المرونة، و بدونها لا يكون، و لكن هذه الحرية قد تحتاج إلى ضبط و معيارية حماية للإبداع نفسه من أن يُترك عُرضة لسلطة عوامل التنشئة

المتغيرة من عصر لآخر و من مجتمع لآخر. مع الالتفات إلى أن حماية الجنس الأدبي من سلطة ماضيّة التصنيف و المعايير الموروثة لا تقل أهمية عن حمايته من سلطة الدعوة إلى تجديد لا يلتفت، بشكل أو بآخر، إلى معايير سابقة، و لا يقبل الثبات؛ لأن ذلك سيؤدي حتمًا إلى استمرارية تغيير التصنيفات، و إلى الخروج بكم لا نهائي منها، و بالتالي إلى عدم الحسم.

و عن دور المؤلف/ المبدع في ذلك كونه المسؤول عن تحديد جنس المؤلف؛ فإن ثمة من يُحمّله مسؤولية تحديد و تصنيف الجنس الأدبي الذي يكتبه بناءً على العنوان الذي يضعه لمؤلفه أو كتابه الذي يضم نصًا أو مجموعة نصوص أدبية. و لكن هل يمكن أن يتحمل المبدع وحده هذا العبء، بل هل يُمكن أن يكون تصنيف الجنس الأدبي وفق معايير معينة عُرضه لفهم و اختيارات المؤلفين وحدهم؟

ستتم الإجابة عمّا سبق من خلال مناقشة مصطلح (المناص) أو النص الموازي الذي تردد كثيرًا في النقد الأدبي الحديث؛ و يشمل ذلك عنوان الكتاب و تأثيره في عملية قراءة النص المكتوب. حيث أضاء مفهوم (المناص) جيرار جينيت، و عدد ممن سبقوه من مثل ك.دوشي في مقالة له في مجلة الأدب (1971)، و دريدا في كتابه (التشتيت، 1972)، و فليب لوجان في كتابه (الميثاق السير ذاتي، 1975)، و م. مارتان بالتار في كتابه المشترك الخاص بالمقرر الأوروبي لتعليم اللغات الحيّة، 1979. إلا أن الحديث عن هذا المصطلح قد انتشر بعد كتاب جينيت (عتبات، 1987)، الذي فضّل فيه القول في المصطلح و مفهومه؛ ناقدًا و موضحًا أنواع المناص و علاقته بقراءة النص و فهمه، و قد أرضن لشيء من ذلك من قبل في كتابيه

(مدخل لجامع النص، 1979)، و (أطراس، 1982).1.

و يشمل المناس عند جينيت: اسم الكتاب، و العنوان، و تجليد الغلاف، و كلمة الناشر، و دار النشر، و حجم الكتاب، و السلسلة، و غيره مما يُعرف بمنطقة المناس النَّسْرِي/ الافتتاحي. أما الغلاف المطبوع فلم يُعرف إلا في القرن التاسع عشر الميلادي، و هو يأخذ اليوم مكانة مهمة في عصر الطباعة الإلكترونية و الصناعية و الرقمية، مع الالتفات إلى أن من أهم ما نجده في صفحة الغلاف عنوان أو عناوين الكتاب و هو ممّا تعود مسؤوليته للمؤلف، و ممّا يمكنه أن يُحدد الجنس الأدبي لمضمون الكتاب.2.

إن التصنيف الأجناسي الذي يعطيه المؤلف للكتاب يُمثل اقتراحًا لمادته؛ فإن وُضعت على غلاف كتابه كلمة (شعر، أو قصة) مثلاً، فإن المؤلف بذلك يقترح على المتلقي الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه النص، و إن كان، في حقيقته، لا يُمثل ذلك. و يشمل ذلك أيضًا الأنواع الأدبية المتفرّعة من جنس أدبي بعينه؛ حيث يقترح عنوان الكتاب أن المحتوى قصيدة نثر، أو مسرحية شعرية، أو سواه. علمًا بأن كثيرًا من المبدعين أو المؤلفين أصبحوا يتحاشون اليوم تسمية مؤلفاتهم و تأطيرها ضمن جنس أو نوع أدبي مُعيّن تاركين للمتلقي قارئًا و ناقدًا أحقية تسميتها بما يراه مناسبًا؛ مُتّصلين بذلك من مسؤولية التصنيف، و مُلقين بها على عاتق التلقي. و ذا ممّا يوافق

1. يُراجع: عبد الحق بلعابد: عتبات: جيرار جينيت من النص إلى المناس، ط1، الدار العربية للعلوم

ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008م، ص 29-30، 32.

2. السابق، ص 44، 46، 48، 76.

التوجهات النقدية الحديثة التي تُنظر للنص الأدبي المفتوح الذي تتداخل فيه الأجناس الأدبية.

و من الروايات الطريفة المُتعلّقة بذلك ما يذكره آندي ميللر في كتابه (سنة القراءة الخطرة) من أنه في عام 1945م طُلب من الكاتب مالكولم لوري من قِبل الناشر كتابة شيء عن سمات روايته (أسفل البركان)؛ فكتب يصفها: "يُمكن قراءتها ببساطة على أنها قصة (...)"، و يُمكن اعتبارها سمفونية أو أوبرا (...). إنها موسيقى ساخنة، قصيدة، أغنية، مأساة، كوميديا، مهزلة (...). إنها نبوءة، تحذير سياسي، رسالة مشفرة، فيلم مستحيل، و كتابة على الجدران. و يُمكن أيضًا اعتبارها آلة: و بإمكانها العمل، صدّقوني" 1.

و يلحق بما سبق (الاستهلالات)؛ كمقدمة الكتاب و دورها في تصنيف الجنس الأدبي، و الإيحاء للقارئ بأن الكتاب الذي بين يديه هو رواية، أو شعر، أو خلافه. و لا يتحمّل مسؤولية المقدمة و ما يرد فيها المؤلف وحده؛ إذ يشير جينيت إلى أن عتبة (مقدمة الكتاب) الافتتاحية لا يُشترط أن يكتبها المؤلف نفسه؛ فيمكن أن يكتبها الناشر أيضًا أو أحد أصدقاء المؤلف، أو أن يُكلّف طرفًا ثالثًا لكتابتها بعد موافقة المؤلف. غير أن المؤلف و الناشر، كما يقول، يتحملان وحدهما مسؤولية ما يُكتب فيها، مع التنبيه إلى أن استهلال الكتب بالكثير من المدح و الإطراء يقتل

1. آندي ميللر، سنة القراءة الخطرة، ترجمة: محمد الضبع، ط1، كلمات للنشر و التوزيع، الكويت،

النص، و يُسيء للكتاب.1 خاصةً إن تحوّلت تلك المقدمات إلى ما يُشبه الوسيلة الدعائيّة للكتاب أو لمؤلفه، و هذا ما يحدث، أحياناً، في وقتنا الحاضر مما يُمثّل مشكلة لأن ذلك يقتل النص و يُسيء للكتاب، سلّماً كان ذلك أو إيجاباً. فالمبالغة و الإسراف في المدح في مقدمة الكتاب تعطي ذات النتيجة المُضلّلة التي تُعطيها المقدمة التي لا تنم عن فهم جيد له؛ فتحدث عنه بنعوت و إشارات بعيدة كل البعد عن مضمونه؛ مما يُضللّ المتلقي و يقتل النص و يُقلّل من قيمة الكتاب في الحالتين. فضلاً عن أن المقدمات الطويلة تأتي على حساب حجم الكتاب نفسه، في حين أنها قد لا تُسهم في إيضاح مادته و تحليلها، و ذلك ما يذكره إتيان غلسون في مقدمته التي وضعها عام (1963) لكتاب باشلار (جماليّات المكان)؛ حيث يشير إلى أن مقدمته لن تُوصل إلى فهم الكتاب، منوّهاً إلى دور القارئ في ذلك بقوله: "إن الكيفية التي أنجز بها ذلك يجب أن يكتشفها كل قارئ نبيه بنفسه. إن التعليقات على الكتب في العادة أطول من الكتب ذاتها، و هي في التحليل الأخير أقل وضوحاً".2

إن رأي جينيت، السابق حول خطورة مقدمة الكتاب و أهميتها يُسلّط الضوء، اليوم، على كتب التراث الأدبي العربي، و غيرها من الكتب الحديثة التي تُطبع اليوم. و ذلك لما فيها من استهلالات تكيل الإطراء و تدبّج المديح للكتاب أو للمؤلف، و احتماليّة كونها قد قتلت النصوص و أساءت إليها اليوم و فيما مضى. و استناداً على

1. يُنظر: عبد الحق بلعابد، مرجع سابق، ص 54، 28.

2. مقدمة كتاب: غاستون باشلار، جماليّات المكان، ترجمة: غالب هلسا، ط2، المؤسسة الجامعية

للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، 1984م، ص 15.

ذلك؛ فقد يُشار إلى أن (سعيد يقطين) نفسه في مقدمته التي كتبها لكتاب بلعابد (عتبات جيران جينيت من النص إلى المناص، 2008) قد مدح المؤلف¹. إلا أن يقطين لم يُشد بجهد المؤلف إلا في نصف صفحة، من أصل أربع صفحات تقريباً، جاءت تحت عنوان: "تحية"²، و لا يبدو أن في هذا إسرافاً أو مبالغة في المدح، خاصةً أن جهد بلعابد في هذا الكتاب يستحق الشكر.

من جهة أخرى، و عن دور النقد الأدبي في تصنيف الأجناس الأدبية و تشكيل ذائقتي الإبداع و التلقّي، فيمكن الإشارة إلى قول ستالوني: "لا مبالغة في الزعم بأن مفهوم الجنس حلقة أساس في تاريخ التحليل الأدبي، أجمع المتخصصون كلهم على ذلك الهم الدائم، مع فترات كسوف تتخلّله"³، مُنبّهًا بذلك إلى العلاقة بين التحليل الأدبي و المفهوم الأجناسي. و في المقابل؛ فقد يُعتقد أن دور النقد الأدبي يتلخّص في البحث و التحليل فقط، أما الذائقة المتحكّمة في تحديد المفهوم و في قبول جنس أدبي بعينه أو رفضه فهي ذائقة التلقّي. و مع التسليم بأن ذائقة المتلقّي هي حكم مهم فإن للنقد الأدبي، كأحد عوامل التنشئة، دورا كبيرا في توجيه بوصلة هذه الذائقة.

1 تُنظر: مقدّمة كتاب عبدالحق بالعباد، مرجع سابق، ص 13-17.

2 السابق، ص 16-17.

3 إيف ستالوني، مرجع سابق، ص 27.

و بقياس ذلك وفق المعايير السائدة و الأخرى المتنحية التي قال بها عالم الوراثة النمساوي (غريغور يوهان مندل، 1822-1884)؛ فإن المؤلف/ المبدع هو الذي يوطّر ذائقة المتلقي و يقوده إلى التصنيف، و كذلك يفعل الناقد، أو النقد الأدبي و الثقافي، سواء بشكل منفرد، أو بمشاركة عوامل تنشئة أخرى. ممّا يؤثر في تشكيل الذائقة، و يسمح لسلطة قولبة ذائقة التلقي و الإبداع أن تظل مؤثرة على نحو مستمر، و لكنه غير ثابت. و بالتالي؛ فإن ذلك يؤثر بدوره أيضًا في هيمنة جنس أدبي بعينه، و تحوّل أو خفوت، على أقل تقدير، جنس أدبي آخر تبعًا لانتفاء ثبات المعايير و استمرارية تحوّل العصر و تعدّد و تنوع عوامل التنشئة فيه. و قد يكون من ذلك هيمنة (قصيدة النثر) قبل عدّة سنوات مضت، أو هيمنة (الرواية) اليوم كجنس أدبي على أجناس أدبية أخرى.

مع التأكيد على وجود فريق لمّا يزل يرى في تلك الهيمنة مؤامرة كبرى يقودها، على حد تعبيرهم، المتآمرون من أعداء العروبة ضد عروبة الأجناس الأدبية. و يرى هذا الفريق بأن قصيدة النثر، مثلاً، تُمثّل مؤامرة قصديّة ضد الشعر العمودي الذي يُعد الأصل و النوع الشعري الأوحده الذي يستحق الاستمرار في مقابل واد الأنواع الأخرى كقصيدة التفعيلة، و قصيدة النثر خاصة. و بالتالي فإن قصيدة العمود التي تُعد اليوم نوعًا من الأنواع الشعرية الموجودة إلى جانب غيرها تتحوّل تبعًا لهذا الفريق إلى (جنس أدبي) أوحده ليس له أنواع؛ يقف بمفرده في مقابل الجنس الثاني من أجناس الأدب، و هو النثر.

و كانت الباحثة قد أنشأت حوارًا في (تويتر) عبر طرح السؤال التالي: متى يتوقّف (بعض) النقد عن التورّط في تسمية كل ما يُنشر اليوم من نثر أدبي: رواية، كما سبق و تورّط في تسمية كل ما نُشر تحت مُسمّى شعر: قصيدة، دور النقد مهم و

خطير ففيمَ هذا التورُّط؟¹

لقد تباينت إجابات من شاركوا في الحوار على نحو مُلفت، ونبّه بعضها إلى خلط في المصطلحات بين الأجناس الأدبية و الأنواع الأدبية، و بين الأنواع الأدبية ذاتها؛ و ذلك من مثل الخلط بين الشعر الحر و المرسل و شعر التفعيلة و قصيدة النثر ممّا يؤكد الحاجة، اليوم، إلى إعادة ضبط و مراجعة هذه المصطلحات. و بالرغم من أن السؤال الذي طرحته الباحثة قد انصب تحديداً حول النقد و دوره، و حول ضرورة الالتفات، اليوم، إلى (نقد النقد) كون النقد في المحصّلة جهد بشري ليس فوق النقد، إلا أن بعض المداخلات قد دارت حول (نظرية المؤامرة)، التي سبقت الإشارة إليها، في خروج عن السياق الأصلي. و لعل ممّا قد يدعو إلى التعجّب دخول عبارات من مثل، (العرب و العدو، و الساحة و الانتصارات و الإخفاقات العسكرية) في حوار عن الشعر!

لقد رأى بعض المُحاورين أن لعبة المصالح بين النقد و الإبداع تتحكّم بشكل أو بآخر في صناعة شعراء و روائيين و هميين على حساب الإبداع؛ و هذا الرأي يصب في مشروع نقد النقد عن طريق تحليل هذه الظاهرة و قراءتها نقدياً. كما رأى البعض أن عددًا ممن يمارسون النقد لا يملكون أدواته، و أن عددًا آخرًا منهم يقوم بما يشبه الدعاية و الإعلانات المجانية لأسماء و أعمال لا تستحق ذلك. و أن

1 يُمكن العودة إلى كامل الحوار في تويتر بتاريخ 22 فبراير 2018م، تحت المُعرّف

@AshjanHendi ، و تمت العودة، هنا، إلى بعض هذه الآراء كنصوص منشورة في وسيلة

تواصل عامّة. و قد نُشرت بعض تفاصيل هذا الحوار تحت عنوان: (النقد الأدبي تورُّط في تسمية

النثر و الشعر)، صحيفة عكاظ، السبت 10 مارس 2018.

بعض النقد يقتصر على ذم أسماء و مدح أخرى، خاصةً الأسماء (الأثوية). كما عزى البعض الآخر الأمر إلى عدم جدية النقد، و كسل بعض النقاد عن القيام بدورهم. و ردّ البعض الآخر ذلك إلى بحث بعض المبدعين و النقاد عن الجماهيرية، ممّا يدفعهم إلى الكتابة ضمن الجنس أو النوع الأدبي المهيمن في فترة زمنية ما. في حين رأى البعض أن ذلك يعود إلى غياب التصنيف و المعايير الخاصة بكل جنس أو نوع أدبي.

و لعل مما يُثير القلق ما ذكره البعض من أن النقد قد أصبح سلعة تُباع و تُشتري لتلميع أسماء كُتاب بعينهم في ظل غياب أحقيّتهم بذلك. إلى جانب الإشارة إلى أن بعض النقد، اليوم، يظن أنه صاحب الفضل على الشعراء الذين يُنظر إليهم كمجرّد تلاميذ. كما استحسن البعض أن تتولّى جهات رسمية عملية تصنيف المنشورات و الإشراف عليها مشيرًا إلى أن بعض دور النشر في عصرنا لا تُميّز بين الشعر و الشر و دليل ذلك أن إحداها عرّفت كاتب قصة مشهور، في صفحة غلاف مجموعته القصصية، بأنه شاعر من المملكة العربية السعودية، و بالتالي فإن المشكلة الحقيقية تكمن في التسمية أو في تصنيف مادة الكتب.

من جهة أخرى، فقد احتدم الصراع، في الحوار المُشار إليه، حول الأنواع الأدبية الشعرية، مُخرِجًا، في أغلبه، قصيدة التفعيلة و قصيدة النثر، خاصةً، من باب الشعر. حيث ذكر أحد الشعراء أنه يفخر بارتداده، على حد قوله، بوعي و فخر إلى كتابة الشعر العمودي بعد أن كتب قصيدة النثر، لأنه، كما يذكر، قد توقّف عن تسمية الشعر نثرًا. هذا الهجوم الكاسح على (قصيدة النثر خاصة) يُذكر بشكل كبير بهجوم نازك الملائكة القديم على قصيدة النثر في كتابها: (قضايا الشعر المعاصر، 1962)، و كأن عجلة الزمن لا تدور، و كأن التاريخ يعيد نفسه في كل مرة.

و في رأي يُغاير ما سبق، يذكر أحد الشعراء أن تمسّكه بكتابة الشعر العمودي لا يعني إقصاءه للأنواع الشعرية الأخرى؛ فأى عصر من العصور يُنتج إبداعًا خاصًا

به و يُسميه شعراً: يكون من حقه ذلك. إلى جانب أن هناك من يرى أن الشعراء أنفسهم يتحملون مسؤولية نقد شعر بعضهم البعض دون مجاملة، و ليس النقد وحدهم. و بالتسليم بإمكانية ذلك، و بعيداً عن أحكام تُبنى على مواقف شخصية أو مجاملات إنسانية تضرّ الإبداع؛ فإنه يصعب القطع بمن له الأحقية من الشعراء للقيام بدور الناقد لشعر سواه، خاصةً في ظل غياب معايير واضحة تُبنى عليها الأحكام التي يُطلقها شاعر ما على آخر.

كل الآراء السابقة، و سواها، مما طُرح في الحوار المُشار إليه تُضيء مؤشراً و صاية التقاليد الأدبية الموروثة على ذاتتي الإبداع و التلقّي. فتمسك البعض، على نحو لا يقبل المراجعة، بالثواب المُتعارف عليها في الشعر منذ القدم يُمثل إصراراً على بقاء سلطة الثواب الموروثة بصفقتها تقاليد أدبية لا يجوز المساس بها أو تغييرها من عصر لآخر تبعاً لحاجة العصر. مما يجعل هذه التقاليد التي تُمثل منظومة تعريفات و ضوابط و معايير تُعترف عليها، و أُقرت بصفقتها ثوابت في زمن ما ثم انتقلت إلى زمن آخر: عبارة عن تركة يرثها اللاحق عن السابق و لا يكون من حقه التصرف فيها، و هذا من تضيق الواسع، و مما يتناقض مع مفهوم التركة؛ إذ للوارث، عادةً، حق التصرف فيما يرثه من المتوفي.

أمّا فيما يتعلّق بخلط و تداخل الأجناس الأدبية (الشعر و النثر) تحديداً؛ فهناك من يرفض ذلك تماماً و يرى وجوب الفصل بين الشعر و النثر و منع تداخلهما؛ مُعولاً في ذلك على التصنيفات و المعايير الثابتة الموروثة في الفصل بين الأجناس الأدبية. و بالرغم من هذا الرفض الذي يحدث اليوم؛ فإن تداخل الأجناس الأدبية الذي تُروّج له الطروحات النقدية الحديثة، و ما أنتجه ذلك من تشعير السرد، و تسريد الشعر، إن جاز القول، يُمكن رده إلى الشعر العربي القديم. فعنصر السرد موجود في القصيدة الجاهلية؛ حيث البنية السردية في (شعر الصعاليك)، و في (شعر

الحماسة و البطولة) و في (وصف الرحلة إلى الممدوح)، بالإضافة إلى وجوده في (شعر الطرديات) الذي ظهر في العصر الجاهلي و ازدهر في العصر العباسي. إلى جانب أن وصف العادي و اليومي و الهامشي كثيمات تتناولها القصيدة الحديثة، قد سبق إليه الشعر العربي القديم، و لا أدلّ على ذلك من بيت امرئ القيس في معلّته التي يقول فيها واصفًا الطلل:

ترى بَعَرَ الأَرَامِ في عرصاتِها *** و قيعانها كأنه حَبُّ فُلُقُلٍ

فهذا البيت لا يُظهر الحديث عن العادي و الهامشي فقط، بل يمتد إلى ما هو أبعد من ذلك ليكشف عن استخدام مفردات قد لا يُستساغ اليوم إيرادها في قصيدة؛ ككلمة (بَعَرَ).

من جهة أخرى؛ فإن هناك من يرى أن للشعر اليوم الصدارة و الأولوية لخلوّه من الخرافات و الأساطير كما هو الحال في الرواية. إلا أن هذا الأمر لا يقتصر على الرواية وحدها؛ فقد اشترك الشعر في عصرنا هذا مع الرواية في ذلك، بل سبقها زمنياً؛ حيث تناصّت الكثير من القصائد الشعرية الحديثة مع الميثولوجيا إلى درجة أن الأمر كان يُشبه الموضة الدارجة في شعر السبعينيات و جزء من الثمانينيات في القرن العشرين.

و بالرغم من أن النثر جنس أدبي لا يقلّ رُقياً عن الشعر، إلا أن الذائقة الجمعية العربية، فيما يبدو، ظلت متمسّكة إلى وقتنا الحاضر بالشعر و بفكرة أفضليته و أولويّته، و لعلّ المقولة الموروثة: (الشعر ديوان العرب) مما يتكئ عليه معظم المدافعين عن الشعر اليوم. من جهة أخرى، قد تثير هذه المقولة شيئاً من التوجّس و القلق على القيمة التي أصبح يمثلها الشعر اليوم، بعد أن عدّ في أزمنة سابقة روح الأمة، و ضميرها النابض. إلا أن الشعر لم يعد اليوم ديوان العرب، و هذا لا يُقلل من قيمته بقدر ما يُمثّل واقعاً له أسبابه و مواضعاته الثقافية و الاجتماعية و غيرها. لقد كان الشعر قديماً (ديوان العرب) حين مثل سجلاً حفظ تفاصيل

حياتهم وأيامهم وأنسابهم وغيرها، وهو دور لم تعد تتبناه القصيدة اليوم، ولا يبدو أنها مُلزَمة به في ظل وجود بدائل تكنولوجية تقوم بدور السجلات الحافظة لكل ما يخص حياة الأفراد والمجتمعات، إلى جانب أن الرواية اليوم تلعب، على نحو ما، دور التسجيل والحفظ الذي لعبه الشعر سابقاً.

من جهة أخرى، فإن مقولة (الشعر ديوان العرب) تكشف عن شبه قطعة تحدث اليوم بين القصيدة وبين المتلقي؛ مما تسبب في تضائل قيمة الشعر، وإحداث شرخ عميق بينه وبين الجمهور. ويُمكن تقسيم العوامل المتسببة في ذلك إلى: عوامل داخلية وخارجية تأتي، على التوالي، من داخل القصيدة ومن خارجها، وذا موضوع قد يُخرج هذه الدراسة عن سياقها لاّساعه.

وبوقفة سريعة على العوامل الداخلية، يظهر هجر (الأوزان الشعرية) التي ارتبطت بالقصيدة العربية الأولى (القصيدة الجاهلية) كأحد العوامل المهمة التي تسببت في هجر القصيدة في عصرنا الحاضر. فانقطاع ذلك الحبل السري (الوزني) الذي ربط المتلقي العربي زمنًا بالشعر مثل له خيبة كبرى تسببت في زهده في الشعر. وهذا رأي يدافع عنه الأغلبية اليوم رافضين فكرة أن لكل (نوع) شعري موسيقاه المجدولة بروح عصره، وأن لكل عصر أنواعه الشعرية، وموسيقاه الخاصة به.

إن تحوّل القصيدة من الشكل العمودي إلى سواه لا يُمثّل في حقيقته فعلاً تبناه التغريبيون من الشعراء العرب، كما قد يُعتقد، بل ما تفرضه عجلة الزمن بدورائها الحتمي الذي يستحيل إيقافه؛ فكل عصر مشغول بحاجة أهله، لا بحاجة من سبقوهم، أو من سيلحقون بهم. لقد طال التجديد في الشعر العربي اللغة والصورة الشعرية والوزن على مرّ العصور، و من أمثلة التجديد في الوزن: الموشّحات التي غيرت نسق العمود الشعري المتعارف عليه. إلا أن ثمة من يرفض اليوم المساس بالعمود مُعتبراً أوزان الخليل فيصلاً، و حدًا فاصلاً بين الشعر والنثر، ولعل في هذا

ما يُشير إلى أن الماضي كان أكثر تسامحًا و انفتاحًا من الحاضر. كما أن تحقُّق عنصر (الوزن)، وحده في أي نص غير كافٍ لجعله شعرا؛ و إلاّ لعدّت (ألفيّة ابن مالك) في النحو و غيرها من النظم، ممّا يُعرف بالشعر التعليمي، من أفضل الشعر. إلى جانب أن المفاضلة بين نص شعري و آخر على أساس (الشكل) فقط، حكم غير دقيق و غير سليم، إن لم يكن حكمًا بليدًا؛ ذاك أنه يُكرّس مبدأ الاتّباع لا الإبداع، و يحصر الأفضلية في مجرّد تكرار جهود السابقين دون إضافة أو تطوير. فلا جهد إبداعي لشاعر يكتفي بتكرار القوالب الشعرية التي سبق إليها بأزمنة، بل إن في ذلك إشارة إلى كسل التفكير، و الاكتفاء بجهود من سبق دون تطوير أو إضافة من اللاحق إلى جهد السابق.

و يظل للموسيقى دور السحر في الشعر، و هذا حكم خاص لا يفرض الوصاية على الأحكام الأخرى و لا يُصادرها. فالعنصر الموسيقي هو العنصر الذي يتسلل إلى الروح قبل الأذن مؤكّدًا على أن ما نستمع إليه ليس نثرًا خالصًا. و هو العنصر المُتمم و الواهب و الخلاق، إلى جانب عناصر أخرى مهمة كالخيال الشعري و المعنى و اللغة و العاطفة؛ حيث تُشكّل هذه العناصر مُجتمع ما يُسمّى (الشعر). إن الموسيقى الخلاقة تُلهم العاطفة و اللغة و المعنى و الصورة الشعرية، و هذه العناصر، مُجتمعًا، تُلهم بدورها الموسيقى ضمن عملية خلق إبداعي تبادليّة و شديدة اللحمة.

من جانب آخر، قد يصعب القول بأن تحقيق العناصر السابقة (ما عدا الموسيقى) في نص ما كفيّل بجعله شعرا. كما يصعب القول بأن إضافة (أوزان الخليل) قد تُسهم في رفع قيمة النص الشعري بالرغم من أنها ممّا يقربه من ذائقة المتلقّي اليوم، و ممّا يعده عن دائرة النثر الخالص. إلا أن القول في ذلك لن يُحسم ما لم تُحسم الإجابة عن ماهيّة الشعر التي يبدو، إلى اليوم، أنها مُتغيّرة لا ثابتة. إن قضية الشعر لا تتعلق بنوع القصيدة عمودية كانت أو تفعيلة أو سواه، و

كما أن هناك نماذج من العمودي هي نظم خالص لا علاقة له بالشعر، فهناك أيضًا نماذج من شعر التفعيلة و قصيدة النثر ليس لها بالشعر صلة؛ ف قضية الشعر ليست القوالب، بل روح النصوص، و التطوير ضد الجمود. و هذا التطوير و التجديد لا يجب أن يقف بدوره عائقًا أمام احتمال ظهور أنواع شعرية جديدة فإرضًا وصايتها، و مُمثلاً بدوره سلطة مُهيمنة تتحكم في ذائقة الإبداع و التلقّي. مع الالتفات إلى أهمية البحث عن ضوابط للأجناس و الأنواع الأدبية المختلفة نابعة من رؤية و حاجة كل عصر.

و يلحق بما سبق، الحكم على مستوى الإبداع في نص أدبي ما من ناحية الموضوع، مع تجاهل القيمة الفنيّة، و تلك قضية أخرى مُوهمة على صعيد الخلق و التلقّي على حد سواء؛ فالجراة (وحدها) لا تصنع أعمالاً أدبية. و تركيز (بعض) الكتاب و الكاتبات على طرح موضوعات جريئة في نصوصهم لاستغلال الفعل الإبداعي لصالح الفعل الفكري و الاجتماعي هو أمرٌ خطير و إن حقق مكاسب على أصعدة أخرى خارج نطاق الإبداع. و تأتي خطورته من إيهامه الذي قد يؤثر في ذائقة المبدع ذاته، و المتلقي الفرد، و الذائقة الجمعية؛ فما دامت تلك الأعمال التي تكشف الحُجب عن المستور و المسكوت عنه، و تغض الطرف عن القيمة الفنيّة تُصنّف بأنها أعمال أدبية: سيُنظر إليها كذلك، و سيظل فرزها فنيًا منوطًا بفئة قليلة. و من شواهد ذلك روايات عربية و محلية حققت نسب مبيعات عالية، و حصدت رواجًا كبيرًا وقت ظهورها لمجرد أنها مسّت موضوعات جريئة، و لكنها مع الوقت انطفأت، و انطفأت معها أسماء كتّابها كدليل على أن ما يحفظ الخلود للأعمال الأدبية هو قيمتها الفنيّة في المقام الأول. إلا أن ذلك لا ينفي قيمة الجراة في الطرح الأدبي؛ فلا إبداع دون حرية و جراة، و لكن دون أن تأتي على حساب القيمة الفنيّة للنص.

و بالإضافة إلى ما سبق من دور النقد كعامل تنشئة؛ فإن النقد الذي تمارسه (الرسائل العلمية الجامعية) يقوم من جهته بذات الدور في التأثير على ذائقة الإبداع و التلقّي ممّا يؤدي إلى تداخل الأجناس الأدبية و صعوبة التصنيف. فالباحث، غالباً، يختار عينات بحثه كما هي و بغض النظر عن قيمتها الفنيّة، كما أنه يجمع ما يُنشر تحت مُسمّى شعر أو رواية مثلاً، دون أن يكون له دور في التصنيف أو في إعادة التصنيف. فهو يجمعها كما أتت في مصادرها و إن تعارضت مع ذائقته الخاصة، أو رأى أن هذا النص أو ذلك لا ينتمي إلى الشعر أو الرواية، أو غيره، و من ثمّ فإنه بذلك يؤكّد، في رسالته، مُسمّى جنس أو نوع أدبيّ معيّن يُمثّل، في حقيقته، غير ذلك.

من جهة أخرى، فإن الأسرة و المدرسة و الجامعة و الإعلام، فضلاً عن عوامل التواصل الاجتماعيّ الحديثة تُعدّ من أهمّ عوامل التنشئة المؤثرة اليوم في تشكيل ذائقتي الإبداع و التلقّي. حيث تبدأ الوصاية من الأسرة لدورها الكبير في توجيه ذائقة الطفل و مواهبه و قراءاته باتّجاه جنس أو نوع أدبيّ بعينه. إذ يقضي الأطفال معظم وقتهم مع عائلاتهم فيكتسبون كمّاً من الميول و الاتجاهات و الأفكار و المعتقدات. و كما تشير رميشي؛ فإن هناك العديد من العوامل التي تؤثر في عملية التنشئة الأسريّة، من مثل مستوى الأسرة الثقافيّ و التعليمي و الدينيّ و الاقتصاديّ، بالإضافة إلى الطبقة الاجتماعيّة و حجم الأسرة و عدد أفرادها و نوع الطفل ذكر أو أنثى.1 و يُمكن إضافة العامل العرقيّ و الجغرافيّ لما له من تأثير أيضاً في التنشئة الأسريّة؛ حيث تختلف الأسر و الجماعات تبعاً لمرجعياتها العرقية أو القبليّة، و لمواقعها الجغرافية، كونها تعيش في الحاضرة أو الريف أو سواه، في طريقة و نوعيّة

1. يُنظر: ربيعة رميشي، مرجع سابق، ص 50-57.

تأثيرها في النشء، و ما يترتب على ذلك من تأثير في ذائقة الأطفال تجاه جنس أو نوع أدبي بعينه.

كما يتحكم مستوى الأسرة الثقافي و التعليمي في قولبة ذائقة النشء عن طريق فرض نوع من الوصاية على تشكيلها؛ فالأسر المثقفة ذات التعليم الجيد ينشأ أطفالها على الاهتمام بالقراءة و المطالعات العلمية و الفنية و الأدبية المختلفة. في حين أن الأسر الأقل تعليمًا أو ثقافة لا يُمنح أطفالها ذات الاهتمام فينشؤون على الاهتمام بأجناس أدبية دون غيرها؛ كأن يأتي الشعر مثلاً، خاصة العمودي منه، في الصدارة لأنه مما تربّت عليه ذائقة الوالدين في الوقت الذي تُقصى فيه أجناس أو أنواع أدبية أخرى، خاصة الحديثة منها.

بالإضافة إلى أن الطبقة الاجتماعية، و المرجعية الدينية، و نوع الجنس البشري للطفل ذكر أو أنثى، و المرجعية القبلية أو الحضرية، و الموقع الجغرافي تقوم بالدور ذاته في التأثير على ذائقتي الإبداع و التلقي لدى النشء. حيث ترفض بعض الأسر أجناس أو أنواع أدبية معينة خوفاً من تأثيرها غير الجيد على أطفالهم باعتبارها مستوردًا خارجيًا لا يخلو من نظرية مؤامرة. و يزداد الرفض لكل ما يُثار حوله أو حول من يكتبونه ضجيج إعلامي و مجتمعي تنتج عنه آثار سلبية على الجنس أو النوع الأدبي نفسه.

كما يُنظر إلى بعض الأجناس الأدبية، كالشعر مثلاً، بارتياح قد يدخله في باب المحظور اجتماعيًا أو دينيًا حين يتعلق الأمر بالأنثى تحديداً. حيث يرفض البعض أن تكتب الفتاة الشعر لما فيه من إمكانية إثارة الغرائز، أو فضح المستور من العواطف و الأحاسيس؛ فيتم اللجوء إلى الكتابة بأسماء مستعارة، أو في نطاق ضيق من الموضوعات، كالدينية و الوطنية منها فقط. و هذا ممّا يجعل شعر (الغزل) عند الشعراء الرجال أكثر غزارة و إبانة، في حين تختبئ الشاعرة الأنثى خلف جدار

شفيف مخافة التأويل. و بالرغم من أن تلك النظرة التوجسيّة للمرأة الشاعرة أو الروائيّة قد خفت حاليّاً على نحو كبير، إلا أن جذوتها لمّا تزال مُوقدة لدى البعض إلى يومنا هذا.

أمّا من ناحية الموقع الجغرافي؛ فإن المدن تختلف من حيث الخدمات المقدّمة لها بحسب اختلاف مواقعها الجغرافية؛ فالعواصم و المدن الاستراتيجية المهمة تحظى عادةً باهتمامات خِدميّة أكثر من غيرها، و هذا مما يؤثّر بدوره في تشكيل ذائقتي الإبداع و التلقّي لدى النشء. إن المدن التي يتركّز فيها وجود الجامعات و مدارس التعليم الخاصة، أو يزداد فيها وجود المكتبات و الأندية الأدبية الثقافية و جمعيات الثقافة و الفنون، و غير ذلك: هي مدن تتمتع بطابع مُنفّح و بمرونة و قابليّة لتداول و نشر الآداب و الثقافات المختلفة، و لتقبُّل الأفكار الجديدة، على العكس من المدن الأخرى الأقل حظّاً في ذلك. و يزداد الاحتمال كلّما كانت المدن أو القرى صغيرة و نائية و بعيدة عن المركز؛ ممّا يجعل طابعها السائد هو الحفاظ على التقاليد بكافة أشكالها، و منها الموروث الأدبي، و الميل إلى عدم تقبُّل ما هو جديد، أو خارج عن المألوف المُستقرّ في الذهن بالتوارث أو الاعتياد. ففي هذه المجتمعات، يتقدم المألوف و المتوارث زمناً بكل سياقاته النقدية الماضويّة لتصدّر المشهد الأدبي، مع مقاومة شديدة لغيره، في أغلب الأحيان، ممّا يُسهّم في برمجة ذائقة النشء الأدبية على استقبال أجناس و أنواع أدبية بعينها، و رفض غيرها.

و يتبع ما سبق: المجتمع الاستهلاكي و أثره في تشكيل ذائقة النشء الأدبية؛ فالمجتمعات الاستهلاكية المُنهكة بالاستهلاك المظهري هي مجتمعات منغمسة في حب التغيير المستمر، و تقبُّل كل ما هو جديد بشغف كبير، و يدخل في ذلك بلا شك تلقّي الأدب بأجناسه و أنواعه المتعددة. و يُعد أول من وضع مصطلح (الاستهلاك المظهري) عالم الاجتماع الأمريكي (ثورستين فيلن) في كتابه (نظرية

الطبقة المُرفَّهة، 1899)؛ حيث استخدمه في علم الاجتماع موضعًا أن معناه يعني تبيذير النقود في شراء حاجيات غالية الثمن و غير مهمة لبقاء حياة الفرد و استمراريتها. إلا أن قيمتها تكمن في تغذية حب الظهور و التفاخر و التباهي على الآخرين بمكانة اجتماعية خاصة تُميّز الفرد عن غيره، و تدل على انتمائه لطبقة مُرفَّهة أو ارسقراطية مهمة. 1

و بالتالي فإن لفكرة الاستهلاك المظهري أثر في إقبال النشء على جنس أو نوع أدبي بعينه لأنه يهب صاحبه نوعًا من الوجاهة الثقافية أو الاجتماعية التي تدور في فلك التباهي و حب الظهور لدلالاتها، ظاهريًا، على مكانة هذا الفرد العلمية أو الثقافية. فحين يظهر الشعر، مثلاً، كجنس أدبي مُهيمن و غالب في فترة زمنية ما، أو حين تُهيمن القصة أو الرواية أو سواها في فترة زمنية أخرى يحرص جمهور الاستهلاك المظهري من النشء على اتباع ذلك الجنس الأدبي طلبًا للشهرة، أو تقليدًا لمبدعيه و نُقَّاده و مُنظِّريه و جمهوره العريض، دون أدنى دراية أو معرفة. مما يؤدي إلى انتعاش سوق هذا الجنس أو النوع الأدبي مقارنةً بغيره، و إلى زيادة الإنتاج فيه، و إلى اختلاط الغث بالسمين و هبوط معيار الجودة، و هذا ما يحدث عادةً تحت تأثير فلاشات زائفة و مُبهرة للعبة السوق و العرض و الطلب. و مثال ذلك هذا الكم الهائل من الأعمال التي تُطبع و تُنشر اليوم تحت مُسمّى (رواية) و ليس لها بالرواية صلة من حيث القيمة الفنية. إذ أصبحت الرواية اليوم، كما يذكر سعد البازعي: "المطية الأدبية لكل من هب و دب، تُستهل كتابتها دون رؤية أو

1. يُنظر: ميتشيل دينكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة: إحسان محمد الحسن، ط 1، دار الطليعة،

جهد يُذكر، فكأنها النظم لمن لا يعرف من الشعر إلا وزن الأبيات" 1. و في غمار هذا البحث عن الجديد و أتباعه الاستهلاكي تظهر سلطة التجديد كمؤثر فاعل و مُهيمن في عملية أرصنة الذائقة الأدبية و تجديرها لدى كل من المبدع و المتلقي.

من جهة أخرى، تبرز أهمية دور التعليم من مدارس و جامعات حكومية و خاصة في توجيه بوصلة ذائقة النشء؛ إذ يكتسب الناشئ معارفه الأولى من دور التعليم عبر المناهج الدراسية، و مُختلف الأنشطة الصفية و اللاصفية. فالنشء بحاجة إلى امتلاك معرفة جديدة و متطورة على الدوام، و هذا أمر مهم خاصة في سنوات التشكّل الأولى من حياة الطفل؛ حيث تتكوّن هويته، كما يقول فيشر، كشخص مُفكّر في السنوات الأولى من عمره. و يضيف فيشر بأن الأطفال بحاجة إلى المعرفة، و لكن الأهم أنهم سيحتاجون إلى القدرة على امتلاك معرفة جديدة، معرفة خاصة بهم، معرفتهم هم، لذلك فهم بحاجة إلى التدريب على سلوك مُنفتح الأفق على المستقبل، مستقبلهم هم، لا مستقبلنا نحن. 2

و هذا ما ينطبق على دور الجامعات أيضًا؛ فدور الجامعة مهم في التأثير على ثقافة النشء و ذائقتهم الأدبية. فدور الجامعة يختلف عن دور المدرسة و إن كان امتدادًا له؛ و ذلك باعتبارها المرحلة المتأخرة من التعليم التي يتخصص فيها الطالب في مجال مُعيّن و يُؤهل لسوق العمل، بالإضافة إلى كونها تستقبل شبابًا تجاوزوا سن الثامنة عشر يأتون من مناطق مختلفة بأفكار و توجهات ثقافية مختلفة،

1. نشر د. سعد البازعي هذا الرأي في تغريدة على حسابه في تويتر @albazei بتاريخ 2018/2/21.

و يتلقون فيها تأهيلاً ثقافياً إلى جانب التأهيل العلمي و التربوي، و يختلطون بزملاء قد يؤثرون في توجهاتهم الثقافية.1 و يشمل ذلك، التوجهات الأدبية المختلفة. مع التأكيد على ضرورة العناية بتطوير المناهج، و الالتفات إلى النصوص المعاصرة، و إلى إنتاج الأدباء و الأدبيات من الجنسين على حد سواء.

أما عن دور المكتبات و القراءة؛ فهو دور بالغ الأهمية في مسألة التعلّم و الثقيف. و بالرغم مما يُقال اليوم من عدم أهمية وجود المكتبات في ظل توفر التقنية الحديثة التي تؤمّن للقارئ إمكانية الحصول على ملايين الكتب عبر الإنترنت، إلا أن دور المكتبة الثقافي في خلق أجواء مُحفّزة على القراءة بوجود أفراد يجمعهم العلم و المعرفة و الاطلاع و البحث يخلق ثقلاً ثقافياً و معرفياً حياً و متجسداً لا يمكن تعويضه عبر القراءة عن طريق الإنترنت. يشير آندي ميللر في كتابه (سنة القراءة الخطرة) إلى أن الأزمة الاقتصادية العالمية الحالية جعلت وضع الكتب الورقية في خطر حينما حرّضت على النظر إلى المكتبات العامة باعتبارها ترفاً لا يستطيع المجتمع تحمّل تكاليفه؛ فأغلقت بعض المكتبات بالفعل، و تمّت الاستعاضة عن الكتب الورقية في المدارس بالكتب الإلكترونية و الاعتماد على الإنترنت كبوابة للمعرفة، و لكن هذا الأمر لن يُعني عن الكتب الورقية و لا عن المكتبات.2

1. يُنظر: بوتقرايت رشيد، ظاهرة الاهتمام باللباس عند الشباب الجامعي - دراسة ميدانية لطلبة جامعة

الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006-2007م، ص 51.

2. يُراجع: آندي ميللر، مرجع سابق، ص 26-27.

إن للمكتبات و القراءة، و أنشطة الترفيه من سينما و مسرح و خلافه دور كبير؛ فما توفّره من معرفة و اطلاع على الآداب المختلفة كفيل بتوجيه بوصلة الذائقة الأدبية، خاصة لدى النشء. و لعلّ أكثر ما يعلّق بذاكرتنا هو قراءتنا الأولى، و الكتب الأولى التي أمسكنا بها بين أيدينا و يخطر ببالنا إعادة قراءتها عندما نكبر كما يذكر هنري ميللر في كتابه (الكتب في حياتي) الذي تحدث فيه عن تجربته المؤثّرة و المُلهمة مع القراءة، يقول: "إني وجدت أكثر فأكثر أن الكتب التي أتوق إلى قراءتها من جديد هي تلك التي قرأت في طفولتي و في عهد شبابي الأول".¹ فالقراءة خاصة في مرحلة الطفولة كما يُضيف ميللر: "تُغذّي ملكة الخيال، و مع تقدمنا في السن يشح الخيال و المخيلة باطراد (...). هناك أمر واحد يُفرّق بين القراءة التي تمّت في عهد الطفولة و القراءة اللاحقة، و هو غياب الانتقاء (...). و محظوظ الطفل الذي لديه أبوان حكيمان".² و في هذا ما يشير إلى دور الأسرة الذي تمّ تناوله فيما سبق.

إن توجيه النشء إلى قراءة كتب معيّنة، و الاهتمام بنوعية من الكتب دون غيرها في المكتبات المدرسية أو الجامعية، أو في مكتبات المساجد و المطارات و غيرها قد يوجّه ميول النشء و الأشخاص البالغين أيضًا إلى فضاءات قرائية بعينها، و هذا ما يجعل فكرة (مكتبة الحي) مؤثّرة و مُلهمة لدورها في إثراء و توجيه للفكر. فالمكتبات الصغيرة التي يتم إنشاؤها في المدارس تقوم بدور كبير في توجيه ذائقة

1. هنري ميللر، الكتب في حياتي، ترجمة: أسامة منزلجي، ط1، دار المدى للثقافة و النشر، بيروت،

2012م، ص 53.

2. المرجع السابق، ص 29.

الإبداع و التلقي لدى الأطفال صوب قراءات أدبية خاصة تتكى على القديم أكثر من الحديث؛ على اعتبار أن القديم يراعي منظومة التقاليد الأدبية الموروثة مما يجعله يحظى عادة بالقبول لما يُسبغه عليه تقادم العهد من هالة مُحترمة. و هذا بدوره قد يجعل للتقاليد الأدبية الموروثة نصيباً و حصّة كبيرة من اهتمام النشء، بعيداً عن الجديد الذي قد يُرتاب في هويته.

و فيما يخص الشعر تحديداً، فإن ذائقة النشء تتربى بواسطة التعليم و القراءة، على تذوق الشعر الموزون المقفى لما فيه من موسيقى يحرص عليها الشعر المكتوب للأطفال؛ فأذن الطفل و إحساسه الداخلي ينصت إلى الموسيقى كعالم ملوّن من الإيقاعات التي تُوافق مزاجه الطفولي الفطري. و لا شك أن عدداً ليس بالقليل ممّا يزل يختزن شيئاً من النعمات التي تسرّبت إليه عبر الأناشيد الأولى التي حفظها في طفولته، فضلاً عن أن أوّل ما يُهدد به الطفل في المهد هو نعمات تتسرّب عبر أغنيات شعبية بسيطة. و قد يظل كل ذلك عالقاً بذاكرته حين يكبر ممّا يجعل تصنيفه لأنواع أخرى من الشعر على أنها شعر أمراً مُستبعداً ما لم يُدرّب ذائقته على ذلك بشكل شخصي، أو عن طريق عوامل التنشئة المختلفة.

كما يرى البعض أن للطفل اتصالاً عفويّاً بالشعر بسبب "وجود صفات مشتركة عديدة بين الشعر و الطفل خاصّة في الصّفة الموسيقية، التي تنطلق من الواقع التّنغمي والإيقاعي في الجرس الموسيقي، وذلك لأنّ الشعر يقوم على أساس موسيقي، ويبنى على هذا الأساس بناء إيقاعياً ونغمياً وفق نظام لغوي، صوتي موزون، يميّزه عن النثر، كذلك الطفل فهو كائن إيقاعي، يميل إلى التّنغم والأصوات المموسقة في مجمل نشاطه وانفعالاته".¹ و ربما كان هذا ممّا يجعل

1. فاضل الكعبي، مرجع سابق، ص 36.

ذائقة الطفل تُربّي سلفاً على قبول الشعر الموزون فقط، و رفض سواه من أنواع شعرية جديدة تفتقر، تماماً أو على نحو جزئي، إلى الوزن أو القافية، أو كليهما. و يلحق بما سبق من عوامل التنشئة: وسائل الإعلام الرسمية، و غير الرسمية كوسائل التواصل الاجتماعي التي لا تقل خطورة في تأثيرها على ذائقتي الإبداع و التلقّي لدى النشء، إن لم تزد بحكم حداثتها و عمقها المغزول باليومي و العادي. ففي العصر الحالي اقتحمت هذه الوسائل بيوتنا و خصوصياتنا و أثرت، أو أوشكت أن تؤثر في خياراتنا الخاصة أيضاً و كأننا قد ارتهنّا لها. حيث تقودنا الإعلانات و البرامج التلفزيونية المختلفة و غيرها مما ينقله الإنترنت إلى خيارات تتعلق حتى بأكلنا و شربنا و طريقة لبسنا و غيره، فضلاً عن انتقاء ما نقرأ من كتب و من نتحمس لأعمالهم من فنانيين أو أدباء. علما بأنها تنقل خياراتنا من مستوى إلى آخر، و تبدلها على نحو مستمر من فترة لأخرى تبعاً للموضة الدارجة و توجهاتها التي لا تعرف الثبات. كما أن للبرامج الأدبية و الثقافية المتخصصة التي تُعرض على شاشة التلفزيون أثر، لا يُمكن تجاهله، في أرضنة الذوق العام لتلقّي أجناس أدبية بعينها، كالشعر أو الرواية، أو في تقديم نوع شعري على آخر، أو في إثارة قضايا نقدية مصاحبة لحالة ثقافية ما. إلا أن هذه البرامج لمّا تزل تُطل على استحياء في القنوات الفضائية، في حين تتصدّر المشهد برامج أخرى بقيمة فنية ضعيفة، و بإمكانيات مادية عالية و احترافية قادرة على الجذب و الإبهار.

مع الالتفات إلى مدى فاعلية و خطورة الدور القيادي للإنترنت في هذا العصر؛ حيث نقل حياتنا نقلة كبيرة و مؤثرة على كافة الأصعدة، و منها الأدب؛ فغزت وسائل التواصل الاجتماعي من تويتر و فيسبوك و سناب شات و غيرها

الذائقة الأدبية لدى الكبار و الصغار على حد سواء فأثرت فيها إيجاباً أو سلباً. أما (تويتر) بصفته منصة تواصل اجتماعي مهمة لها الكثير من المتابعين خاصة في المملكة، فإن له دوراً واضحاً في تغليب أو تفضيل جنس أو نوع أدبي ما، خاصة إذا ما صدرت الأحكام من مبدعين أو نقاد معاصرين لهم ثقلهم وتأثيرهم الواسع في شريحة كبيرة من المتابعين (Followers). وهذا مما يؤرض ذائقة المبدعين و المتلقين على حد سواء لاحتضان بذرة جنس أو نوع أدبي ما و التحيز له في مقابل التقليل من قيمة سواه. و بذلك تتغلب المعيارية النقدية التي يفرضها نسق المرحلة السائد الذي يُمثل بدوره سلطة حديثة (زمنياً) تتحكم بدورها في تشكيل الذائقة الجمعية، وقد سبق الحديث عن سلطة تويتر في موضع سابق من هذه الدراسة.¹

خاتمة و توصيات:

إنّ ذاتي إبداع الأجناس و الأنواع الأدبية المختلفة و تلقّيها ترزحان اليوم تحت وصاية كبيرة و سلطة نافذة من قبل عوامل التنشئة. و الذائقة الجمعية، التي تُمثل هنا المزاج الأدبي العام لأي عصر، تتأثر بذلك حتماً؛ فتقبل أجناس و أنواع أدبية و تُرفض أخرى؛ لتظل هذه الذائقة أسيرة صعود و هبوط مؤشرات السلطتين المؤثرتين في المشهد الأدبي و الثقافي العام: ماضوية و تجديدية. و في هذا ضرر كبير

1. للدلالة على ذلك، يُمكن العودة إلى موضع سابق من هذه الدراسة حيث الحوار (التويتري) حول

الشعر و الرواية، الذي يُظهر، اليوم، نوعاً من السلطة المؤثرة؛ بشقيها: الماضوي و التجديدي.

إذ انقسمت الأصوات حول الشعر و الرواية، إلا أن معظمها ذهب للشعر كجنس أدبي متجذر في

الذائقة العربية مما يجعله، فيما يبدو، عصياً حتى الآن على التحييد، أو الإزاحة التامة من قبل

الرواية.

و تقييد للإبداع الذي يتطلب مساحة حرّة للحركة خارج بؤرة سلطويّة الشروط و المعايير و الأحكام الماضويّة الجاهزة، أو الأخرى المرحليّة التي تتغيّر من زمن لآخر.

كما أن المعايير و الأحكام تالية للإبداع و ليس العكس، و ارتهان الإبداع لسلطة الشروط و المعايير و الأحكام الماضوية المُعدّة سلفاً: يحد منه و يُضيقه، و يقتل فيه عملية الخلق. فضلاً عن أنه يُفقد الحرة، كمناخ مُلازم و مطلوب، في ظل ارتهانه لتلك السلطة بعيداً عن الخلق و الابتكار و التجديد؛ ممّا يجعله أسيراً لرؤى جاهزة سلفاً و غير قابلة للتطوير. و لأن تكرار النموذج، دون تطويره، يقتل النموذج مهما بلغ من درجات الرقي و الاكتمال؛¹ فإن هذا الارتهان للسلطة الماضوية لن يُنتج إلا نماذج مكررة و متشابهة من الأعمال الأدبية التي تصبح مثيرة للملل لدخولها في حكم النموذج (المُكتمل) المُسلّم بوجوده.

فإدخال العمل الأدبي في حكم الإنتاج المُسلّم بوجوده لأنه موافق للشروط و

1. يُنظر حول (النفور من النموذج) و تكراره: نازك الملائكة: قضايا الشعر المعاصر، ط2، دار العلم

المعايير الموروثة يُمثل حكمًا خطيرا؛ لأنه يُغفل السمات الأصيلة الواجب تحققها في العمل بصفته إضافة إبداعية تثير الأسئلة، وتُحرّض على البحث والاكتشاف، و تحقق عنصر المفاجأة و دهشة التلقي في كل مرة تُفتح فيها مغاليق النص. فضلا عن أنه يُدخل النماذج (البليدة) إلى فضاء إبداعي لا ينبغي أن تكون فيه، حاكمًا بأفضليتها لمجرّد مراعاتها لجهود سابقة وضعها بشر مثلنا في زمن يختلف تمامًا عن زمننا هذا.

و إن استمرار حياة النماذج الأدبية السابقة، مهما بلغت جودتها و قيمتها الفنية، في النصوص اللاحقة دون تغيير أو تجديد: سيقتل الأدب حتمًا. لأن هذه النصوص ستبقى مجرد صور مكررة تدور حول النسخة الأصل منذ آلاف السنين، و ستستمر في الدوران حتى تفقد قيمتها الإبداعية ما لم تطلها يد التجديد؛ فكل ما لا يتطوّر و يتجدد يموت، و هذه سنة الكون. مع الالتفات إلى أهمية التجديد في الإبداع من حيث كونه ضرورة لا تُرف، و مطلب أزلي لبقاء الأجناس الأدبية و تطوّرهما، بل و لإمكانية ظهور أجناس أدبية جديدة لم تكن معروفة من قبل.

من جهة أخرى؛ فإن انفلات الأجناس و الأنواع الأدبية المختلفة، التام و غير الموقّح أحيانًا، خارج إطار التصنيف و المعايير و الشروط و الأحكام قد أفرز، اليوم، منصّة أدبية (خارج التغطية) إن جاز القول. حيث يخضع العمل الأدبي لسلطة الشروط و المواصفات و المقاييس المتغيّرة من وقت لآخر؛ ممّا يجعله أشبه ما يكون بسلعة محكومة بسوق العرض و الطلب. و قد باتت هذه المنصة تتصدّر المشهد الأدبي الحالي بعشوائية منفلطة من القيود، بما فيها المطلب الفني، و رافضة للتصنيف في ظل دعاية كبرى من (بعض) النقد، و من (بعض) قنوات الإعلام المُساندة. ممّا يُسهم في إيصال نماذج لنصوص يصعب القول إنها أدبيّة، فضلًا عن كونها إبداعية. و بهذا الخلط بين الغث و السمين يتم التشويش على الذائقة الجمعية

في تلقّيها لـ (البث الإبداعي) الجيد الذي يستحق وحده مهمة النهوض بالأدب كمكوّن مهم من المكوّنات المؤثّرة فكرياً و مجتمعيّاً.

إن الرأي التقليدي الذي طال تكراره ممّا أفقده التأثير، ربّما، و القاضي بأن (الإبداع يفرض نفسه في كل زمان و مكان) لم يعد قادراً، اليوم، على إنصاف الأعمال الأدبية الجيدة في ظل فوضى سوق العرض و الطلب؛ فالعديد من الأعمال (غير الموفّقة) إبداعياً، باتت تتصدر المشهد الأدبي في وقتنا الراهن. و ذا خطر آخر يُهدّد ذائقتي الإبداع و التلقي؛ لأن من يكتبون هذه الأعمال قد ينخدعون بقبولها و شهرتها فيستمرون في إنتاج المزيد منها مؤثرين بذلك في تأصيلها في ذائقة التلقي العام.

و بناءً على كل ما سبق؛ تتضح ضرورة إعادة النظر في الثقافة و الأدب، تحديداً، بصفقتها قوى ناعمة، و تحويلها إلى صناعة يُمكن المراهنة عليها، و لا يعني هذا (ميكنة) الأدب، بل إدخاله ضمن دائرة الاهتمام كغيره من العلوم و الصناعات و المجالات الحديثة الأخرى. مع الالتفات إلى صناعة النجوم في الأدب و الثقافة، و يُقصد بذلك: رعاية المواهب ابتداءً من مرحلة الطفولة و مروراً بمراحل تكوينيّة عدّة تتعدها عوامل التنشئة المختلفة، وصولاً إلى مرحلة تمام (القوى الناعمة) التي لا تتشكّل بمعزل عن عوامل التنشئة المختلفة. و من ذلك أن تتبنّى وسائل التنشئة المختلفة عملية صناعة الإبداع و صناعة النجوم في الأدب و الثقافة على نحو عام، مع استمرارية تحديث هذه الصناعة مواكبةً للعصر و بعيداً عن المجازفات بتكرار المكرر من نماذج فقدت تأثيرها، أو أخرى أثبتت مع الزمن عدم جدواها. و بعيداً أيضاً عن التقليل من دور الأدب كقوة مؤثّرة، أو استغلاله و تحويله إلى (مجرّد) منصّة دعائيّة لخدمة قضايا فكريّة أو مجتمعيّة بعينها و الترويج لها.

إن الالتفات إلى الثقافة كصناعة: يعني رسم الخطط قريبة و بعيدة المدى، و إعادة النظر في دور الثقافة، و الأدب كأحد مكوّناتها المهمة القادرة على التأثير، و

على خدمة أهداف التنمية البشرية، و صناعة العقول كأهم صناعة في حياة البشرية؛ فالعقول هي من ترسم الخطط و تُحرّك الآلة و تصنع التقنية، و تدفع عجلة التنمية إلى الأمام. و لعل مما تحتمه المرحلة لمواكبة و خدمة خطة المملكة 2030 هو تحويل الأدب و الثقافة إلى صناعة تواكب الخطط الإنمائية و التطوّرات الكبيرة التي تشهدها المملكة على جميع الأصعدة.

و من ذلك أيضاً الاهتمام بصناعة البرامج الثقافية التلفزيونية المؤثرة التي تحقق المتعة و الفائدة، و تهتم بعامل الجذب و التشويق، بعيداً عن الجمود في الشكل و الطرح و التقديم. بالإضافة إلى ضرورة دعم الأدباء و المؤلفين مادياً في الوسائل و المحافل الأدبية و الثقافية المختلفة؛ فما يقل ثمنه قد يُزهد فيه ممن لا يستطيع تقديره. و لعل ما تردد على مدى سنوات طويلة من أن لا قيمة ماديّة للأدب و الفكر في ظل الترفّع (الوهمي) عن ذلك من قبل الأدباء و المفكرين أنفسهم: قد دفع إلى التقليل من شأن عملية الإنتاج الأدبي و الفكري، حتى أن الأمر قد بلغ مرحلة بات معها تكريم الأدباء و المفكرين مادياً أمر مُلغ.

إن صناعة الأدب ستحل كثيراً من الإشكاليات المتعلقة بدور عوامل التنشئة في تشكيل ذاتي إبداع و تلقّي الأجناس و الأنواع الأدبية المختلفة، كما أنها سترتقي بقيمة الأدب، و تُثبت قدرته على الإسهام في تحقيق التنمية. بالإضافة إلى أنها ستدحض مقولة أن الأدب مما يجب الاستغناء عنه في هذا العصر؛ لأنه بات يُمثّل أحد أهم العوائق التي تُعطلّ عملية التنمية، في مقابل الدور الكبير و العصري الذي يلعبه العلم و التكنولوجيا الحديثة.

Abstract:

Upbringing and its factors representing in a role of family, school, university, educational curricula and official and social media is formatting both creation and reception of literary genres. These factors represent censor, or authority that imposes its guardianship on creativity and reception of literary genders, especially among young people.

However, this study discusses the role these factors play in influencing classification process of different genres under two powers: relying on inherited literary traditions on the one hand and calling for renewal and development on the other.

Keywords: Upbringing, literary genres.

التبعية اللغوية وأثرها على النهضة والتنمية العربية

د. هاجد بن دميثان الحربي

أستاذ الأدب والنقد الحديث المشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية
الأدب، جامعة الملك سعود، الرياض

hgg55@hotmail.com

المستخلص

تناقش هذه الدراسة إشكالية اللغة الأجنبية في التعليم العربي وأثرها في مسار النهضة والتنمية الوطنية معتمدة على المنظور الحضاري الجديد بشأن اللغة ودورها في التنمية البشرية وما تقوم به التبعية اللغوية من تفكك النسيج الاجتماعي وهجرة الكفاءات والتفريط بالتنمية المستدامة، وفي سياق هذه المناقشة تستعرض الواقع اللغوي بشيء من التحليل الدقيق القائم على التجارب اللغوية الأخرى وراهن التجربة العربية لفهم آلية التخطيط اللغوي ورصد حيثياته بين الواقع والمأمول.

الكلمات المفتاحية: التبعية اللغوية، التطور اللغوي، اللغة العربية، التنمية، النهضة، السلطة اللغوية.

المقدمة

التطورات المذهلة في الحضارة الإنسانية المعاصرة لم تترك شيئاً في جميع مجالات الحياة، وأصبحت تمارس دورها التفكيكي في كل شيء، فتغيرت الأساسيات وتصدّعت الثوابت ونوقشت المسلمات، ولم تكن اللغة بمنأى عن ذلك كله، بل إنها أصبحت حجر الزاوية في كل شأن، والتقدم الذي وصلت إليه العلوم الاجتماعية واللسانية قد تجاوز حصر اللغة في وظيفتها الاتصالية وأدرك أنها أهم عناصر الإنتاج البشري، وعرف دورها الرئيس في تنمية الفكر واقتصاد المعرفة، فأصبحت وطناً للتنمية وحاضناً للمعرفة لأن ((اللغة هي الأداة التي تمكن الفرد من النفاذ إلى مصادر المعلومات، وامتلاك المعرفة، واستيعابها، واستثمارها في إنتاج معارف جديدة. ومن هنا أصبحت اللغة والسياسة اللغوية في قلب العملية التنموية أو ركيزة لها))⁽¹⁾، وأضحت وسيلة مهمة للسيطرة على الاقتصاد العالمي وسوق المعلومات، وهي الآلية الجديدة في الاستعمار الجديد بعد التخلي عن الهيمنة العسكرية التي قوّض مهمتها وأهميتها الوعي الحضاري الجديد، وهذا ما تؤطره النظرية اللغوية في تحولها الراهن نحو اقتصاديات المعرفة وسوق اللغات وما يدخل في نطاق هذا التحول من مفاهيم ومصطلحات لغوية كالسياسة اللغوية والتخطيط اللغوي واقتصاد المعلومات والسير بذلك نحو التنمية البشرية وأدبيات الدراسات الاجتماعية.

أدرك الوعي العالمي الجديد أهمية اللغة في التنمية البشرية واقتصاد المعرفة وحرب المعلومات، فشرعت كل الدول المتقدمة ثقافياً واقتصادياً في

1. (1) علي القاسمي ومجموعة مؤلفين، التخطيط والسياسة اللغوية، (الرياض: مركز الملك عبدالله

صياغة خططها التنموية وسياساتها النهضوية على أساس هذا الإدراك، وعلى ضوء هذا الإدراك كان تأسيس المجلس الثقافي البريطاني كجزء مهم في خطط الإمبريالية الجديدة، إذ ((لم يدرك البريطانيون الحاجة للترويج لمصالحهم في الخارج بالدبلوماسية الثقافية إلا متأخراً، فقد قام الفرنسيون والألمان بالترويج للغاتهم وأسسوا المدارس في الخارج في القرن التاسع عشر، وجاءت الأموال من المصادر العامة والخاصة)) (1)، كما أنه في جانب آخر يفسر التحالف الأنموذجي بين أمريكا وبريطانيا في سبيل دعم التطور التنموي والاقتصادي بين الحليفين الرئيسيين، ولذلك يقول مدير سلسلة المدارس الديناميكية لتعليم اللغة الإنجليزية حول العالم: ((كنا في السابق نرسل شحنات الأسلحة والدبلوماسيين إلى بلدان العالم، أما اليوم فإننا نقوم بإرسال مدرسي اللغة الانجليزية)) (2)، ولكن الدول المتقدمة الأخرى أو التي تنشأ تقدماً معيناً لم تغفل عن خلفية هذا التحالف وسعيه لخدمة المصالح الاقتصادية والثقافية في آلية جديدة للهيمنة من أهم ركائزها اللغة الانجليزية، ولذلك اشتد ولا يزال على قدم وساق ما يسمى بحرب اللغات أو صراع الثقافات وفي بعض التحول المفاهيمي حرب المعلومات، يعكس ذلك كله تطور الفكر المعاصر ووصوله إلى وسائل الهيمنة الجديدة، وبذلك ندرك أن مفهوم السلام العالمي وحظر الأسلحة المدمرة لم تكن بمبادئ إنسانية بريئة تماماً - كما يروج لذلك - بقدر ماتعني فسخ المجال لآلية الهيمنة المعاصرة والحروب الاقتصادية الناعمة، وتشبه هذه الحالة - إلى حد ما - ما توطره المفاهيم السوسولوجية الجديدة حينما أولت

2. (1) روبرت فليسون، الهيمنة اللغوية، ترجمة (سعد الحشاش)، (الرياض: جامعة الملك سعود،

2007م)، ص 203.

3. (2) السابق، ص 13.

اهتماماً خاصاً بالعنف الرمزي كمقابل لمصطلح العنف المادي وما يحققه المصطلح الأول من نتائج مذهلة عند الممارسة على حساب ضآلة ما يمكن تحقيقه في المصطلح الأخير.

ولكن الوطن العربي في خططه التنموية لم يول قضية اللغة ما تستحقه من اهتمام في هذا المجال بل إنه في أغلب مشاريعه النهضوية قد اعتمد على التبعية اللغوية وظهر بصورة المستهلك المأمول في سياسات التنمية العالمية، وذلك بسبب أثر الاستعمار السابق للوطن العربي أولاً؛ والخطاب التراثي الذي فقد فاعليته بشأن القضية اللغوية ثانياً، و((لقد باتت إشكالية اللغة العربية، من المحورية والشمولية والتعقّد، بحيث يستحيل تناولها انطلاقاً من منظور التخصص الضيق، أو النظرة الاجتماعية القاصرة، ومن الخطورة والأهمية، بحيث يصعب إرجاؤها أو تناولها من دون إستراتيجية واضحة للإصلاح اللغوي الشامل، وذلك في إطار خطة قومية أكثر شمولاً، لإعداد مجتمعاتنا العربية لدخول عصر المعلومات))⁽¹⁾، والسير في طريق التنمية البشرية، واتباع الآليات الموصلة إلى سلوك هذا الطريق بصورة دقيقة وصحيحة، فالتنمية العربية أصبحت ضرورة ملحة يكشف واقع مجتمعاتنا أنها إشكالية رئيسة تحتاج إلى معالجة شاملة تعي ما كان غائباً أو مهمشاً فيها، إن عدم إلمامنا بالقضية اللغوية يكمن في أنه ((يقصر تناولنا لهذه الإشكالية- في أغلب الأحوال- على الجوانب التعليمية والمصطلحية، بقول آخر: إننا نتصدى لمعضلة اللغة على مستوى الأطراف الهامشية؛ تجنباً للخوض في المناطق الحساسة التي تتداخل فيها قضايا اللغة العربية مع قضايانا الاجتماعية وأمورنا الدينية وسياساتنا

4. (1) نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون

الوطنية والقومية))⁽¹⁾، ويأتي على رأس هذه القضايا التنمية الاقتصادية التي قد تطورت سلوكيا وإجرائيا إلى التنمية البشرية لدورها الفاعل في اقتصاديات المعرفة، وجعلت اللغة مقياسا رئيسا لتحقيق تلك التنمية، وهذا ما ستحاول هذه الدراسة مقارنته والعمل عليه في مناقشة تعتقد أنها قد تختلف عن السائد والمألوف في القضية اللغوية.

المحور الأول/ التبعية اللغوية بين التجربة العربية والتجارب اللغوية الأخرى.

على أساس الاستهلال السابق تبدو مقارنة الازدواجية اللغوية غير واعية بالإشكالية في التبعية اللغوية، إذ لم تعرف الأمة العربية مزاحمة اللغة الأجنبية لها على أرضها إلا بعد الاستعمار في العصر الحديث، والسبب في ذلك أن الثورة العربية ضد الاستعمار كان هدفها الاستقلال السياسي والعسكري ولم تكن تأبه بالاستقلال الثقافي وأثره المهم، وكان من آثار هذا الانشطار في الفهم والرؤية أن الاستقلال العربي قد حدث بصورة من تقدم برجل وتأخر بأخرى فبقي عالقا...، وهذا ما يسميه أحد كبار المهتمين بآثار الاستعمار على العربية بـ (التخلف الآخر) ويعني به: ((تخلف تلك المجتمعات لغوياً وثقافياً في استعمال لغاتها وثقافتها في المقام الأول في أوطانها، من ناحية، وشعور بمركب النقص (تخلف نفسي) إزاء الغرب من ناحية ثانية))⁽²⁾، ثم يمضي قائلاً: ((الفرد يصبح يتصف بأقصى أعراض التخلف الآخر عندما تصبح لغته الوطنية لغة ثانية في استعماله اللغوي اليومي في مجتمعه

5. (1) السابق، ص 234.

6. (2) محمود الذوادي، المجتمعات العربية وعلاقتها النفسية والاجتماعية بلغتها، (الرياض، مركز

الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، 2015م) ص 19.

المستقل))⁽¹⁾، ويشخص أسباب ذلك في أنه: ((يشير ذلك إلى مدى استمرار رواسب الاستعمار اللغوي والثقافي الفرنسي بين النخب الثقافية في هذه المجتمعات وذلك بعد عقود من الاستقلال، ولا ريب أن مثل هذا السلوك اللغوي النافر من اللغة العربية لدى صفوف المتعلمين والمثقفين في المغرب العربي يشير إلى أنهم يشكون بقوة من فقدان شعور الاعتزاز باللغة العربية))⁽²⁾، ومع أن هذا الطرح يركّز على الآثار الثقافية وما يندرج في تبعيتها من عوامل الهوية والانتماء الوطني إلا أنه يعكس مدى ما وصلت إليه المجتمعات العربية من الاستلاب اللغوي وفقد الانفعال بالهوية الثقافية، مما يعني فوضى وضبابية الشعور النهضوي في المجتمع بعد الاستلاب اللغوي الذي كانت تمارسه دول الاستعمار وما بقي من آثاره بعد الاستقلال.

بهذا ندرك آثار الاستعمار الباقية في الثقافة العربية ودورها الذي لا يزال فاعلاً في تأخر نهضة الوطن، ولعل من الجدير ذكره أن النهضة العربية كانت في حيز التحقق في مطلع ما يعرف بالنهضة العربية الحديثة إبان حكم محمد علي باشا حينما انتبه العرب إلى تقدم الغرب زمن الثورة الصناعية فتوجهوا بقرارات سياسية صارمة وقناعات قومية جادة نحو التعريب إذ تم تأسيس المدرسة العليا للطب في مصر سنة 1832م، وترجم فيها ما يزيد على 86 كتاباً في مجالات الطب والصيدلة والكيمياء، وما لبث تلك الكتب أن انتشرت في أنحاء العالم العربي والإسلامي⁽³⁾، وتخرج في الطب ما يزيد على ألف طبيب من تلك المدرسة، كما تأسست كلية الطب في دمشق

7. (1) السابق، ص20.

8. (2) السابق، ص26.

9. (3) انظر: أنور الجمعاوي ومجموعة مؤلفين، اللغة والهوية في الوطن العربي، (بيروت: المركز

العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2013م)، ص186.

و انتهجت تدريس العلوم الطبية باللغة العربية، وكانت جهود رفاة الطهطاوي ورفاقه في هذه المرحلة المهمة لا تزال تؤتي ثمارها في يقظة الضمير العربي وتطوره الثقافي، ولكن هذه الصحوة النهضوية التي لو قدر لها الاستمرار لكانت نقلة نوعية في تاريخ وحضارة الأمة العربية قوبلت بانتكاسة ثقافية مؤلمة حينما دخل الاستعمار الإنجليزي إلى مصر فتغير التوجه الثقافي وتراجعت حركة الترجمة والتعريب وتحول التعليم في الطب والتخصصات العلمية الأخرى من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية.

وفي هذا السياق دائما ما تحضر المقارنة بين التجربة الجزائرية والتجربة الفيتنامية في الثورة على الاستعمار الفرنسي، حيث كانت تلك الثورة بقطيها (الجزائري والفيتنامي) متشابهة في حركتها وتضحيتها وروحها القومية، ثم نجاحها في تحقيق الاستقلال وطرد المستعمرين، ولكن نتيجة هذا الاستقلال وما آل إليه مختلفة كل الاختلاف، لأن الفيتناميين جعلوا هدف ثورتهم تحرير الأرض وتحرير الذات، أما في الجزائر فلم يكن هناك اهتمام بالنقطة الأخيرة، فبقي الاستعمار جاثما على روح الشعب الجزائري بآثاره الثقافية واللغوية، ونتج عن ذلك الاستلاب الثقافي وهدر التنمية والنهضة الوطنية، حققت فيتنام بفننمة لغتها نهضة صناعية وتنمية تقنية وأصبحت في مدة يسيرة بعد استقلالها بلدا يضرب فيه المثل بتوطين المعرفة وتنمية الإنتاج البشري، كل ذلك حدث للفيتناميين مع أنهم مكثوا تحت الاستعمار ما يزيد على ثمانين عاما، وخرجوا منه شبه ممسوخين من هويتهم وثقافتهم، فالتعليم كان فرنسا بكامله، وسوق العمل والتسويق والإدارة كانت كذلك، ولكن روح الإصرار واستهداف التحرر الحقيقي وبناء الذات المفككة كانت بإرادة قومية وقرارات سياسية صارمة، حينما قال الزعيم الفيتنامي هوشي منه:

"حافظوا على صفاء لغتكم كما تحافظون على صفاء عيونكم"⁽¹⁾، ولم تكن هذه المقولة مجرد شعار لنشوة الانتصار، ولكنها تحولت إلى إرادة عملية وممارسة تطبيقية، فشرعوا في تأسيس مؤسسة كبرى لتدبير شأن اللغة والترجمة ونقل المصطلحات، وأوقفت المدارس والمعاهد والجامعات سنة كاملة حتى تم الانتهاء من مشروع الترجمة الجبار وفتنمة التعليم، فابتكروا بلغتهم الوطنية ما يزيد على ربع مليون مصطلح علمي وتقني، وفي التقارير والتصنيفات العالمية الصادرة عن منظمة التعاون والتنمية احتلت فيتنام المرتبة (12) عالمياً على أساس العلوم والرياضيات متقدمة بذلك على الولايات المتحدة الأمريكية وكثير من الدول الصناعية المتقدمة في هذا التطبيق⁽²⁾، كل ذلك حدث مع أن اللغة الفيتنامية لم تكن تمتلك في قوتها وتاريخها ما تمتلكه العربية، كما لم يكن لها من الانتشار الجغرافي والعمق الثقافي ما للعربية بهذا الخصوص. قد تكون التجربة الفيتنامية مدهشة في استقلالها الثقافي وبناء نهضتها، ولكن المهم فيها كيف تبرمج الاستقلال في الفكر القومي برؤية شمولية متكاملة، ثم كيف تحولت هذه البرمجة الفكرية إلى إطار عملي جاد، ولكن هذه التجربة ليست وحيدة عصرها، فجميع الشعوب والمجتمعات الأخرى التي تحررت من استعمار مسيطر أو خرجت من حروب مدمرة أو استفاقت من نكبات سياسية واقتصادية مؤلمة كانت لها تجارب مماثلة في هذا المجال، فاليابان التي خرجت من الحرب العالمية الثانية بانهزام كاسح وانهايار عسكري وسياسي كامل حينما استسلمت تحت وطأة القنبلة الذرية الأمريكية ((وفرض الأمريكيون شروطهم المجحفة على شعبها وهم مستسلمون (مثل تغيير الدستور الياباني وحل

10. (1) عثمان سعدي، جريدة الرياض، العدد(16623)، 28/12/2013م، ص13.

11. (2) انظر: سيف المعمرى، جريدة الرؤية العمانية، 26/6/2016م.

12. <https://alroya.om/post/165762> الموقع الإلكتروني، تاريخ المشاهدة 26/7/2018م.

الجيش ونزع السلاح وتغيير العلم الياباني... إلخ، فقبلت اليابان بتلك الشروط باستثناء شرط وحيد رفضت تماماً التخلي عنه، هو إسقاط لغتها القومية من مؤسسات التعليم الياباني ((1)، وباعتدادها الذاتي بلغتها القومية بنت نهضتها وتنميتها التي تعد أنموذجاً مثالياً في الحضارة المعاصرة، ويمثل هذا الاعتداد باللغة القومية ما حصل في كوريا بعد تحررها من الاستعمار الياباني لها حين كانت اليابانية لغة التعليم، فنهضت بإحساسها القومي من هذا الاستعمار الثقافي واستطاعت توطين المعرفة بلغتها وتكوين ثورة صناعية مبهرة جعلتها في مصاف الدول المتقدم في مدة زمنية وجيزة، بقي أن نخرج ونحن بهذا الصدد على إسرائيل التي نبتت في قلب الوطن العربي فأحيت لغتها المنقرضة، وبثت فيها روح الحياة وأمنت بهذا الاختيار وكرست العمل عليه في وقت يرضخ فيه العالم تحت وطأة لغة عالمية مستبدة، وحاليا يدرس الطب في كلية إسرائيل بالعبرية على حين يدرس باللغة الإنجليزية في كبرى عواصم الدول العربية، وينفق على البحث العلمي في العبرية أكثر مما ينفق على البحث العلمي في الوطن العربي بجميع دوله، والجامعات الإسرائيلية تحظى على تصنيف متقدم جداً في قائمة الجامعات العالمية، وهنا قد يرد تساؤل عقلائي يقول: لماذا لم تلجأ إسرائيل إلى لغة العلم والمعرفة والمصطلحات التقنية والصناعية المعاصرة مما سيوفر عليها كلفة مالية باهظة وجهوداً تخطيطية مزرية لاسيما وهي ليس لديها لغة قومية قائمة؟

قد تكون الإجابة عن هذا التساؤل صادمة، وقد تكون مثيرة، وقد تكون محبطة، وقد تكون أخيراً ملهمة وموقظة، وقد تتعدد الإجابات مستوعبة كل هذه الردود الفعلية...، لقد كان التخطيط اليهودي بشأن اللغة تجربة فريدة في العالم

13 . (1) أحمد حسين حسنين ومجموعة مؤلفين، اللغة والهوية في الوطن العربي، ص 363.

المعاصر، وكما فهم الفيتناميون واليابانيون والكوريون... إلخ أن الاستقلال الثقافي أهم من الاستقلال السياسي أو الفكري كذلك فهمت إسرائيل أنه لا هوية بدون لغة ولا وحدة بعد الشتات والتشردم الذي كان يعانيه الشعب اليهودي إلا بلغة تلم هذا الشتات وتوحد واقعه المبعثر في أنحاء الأرض وثقافتها المختلفة، وفي سياق هذا الفهم أدركوا أن الركون إلى الواقعية لن يكون إلا تضييطة وعائقا عمليا دون تحقيق حلم بعيد المنال، فاستوعبوا الاشتراطات وواجهوا التحديات، ((لكن مقياس الواقعية المزعوم لم يكن ليقضي على اللغة الموحدة التي اتخذت اللغة الرسمية الجامعة التي تجمع اليهود أينما كانوا، بموجب اختيار سياسي لأن توحيد اليهود في أرض واحدة ولغة واحدة لم يكن إلا حلما بعيدا، على نحو ما عبّر عنه المستشرق نولدكه، لكنه أصبح حقيقة ملموسة بسبب سياسة الدولة في توفير عوامل التوحيد التي تعبر عن هوية محددة))⁽¹⁾، وقد يقال في صدد استعراض هذه التجارب عند الشعوب والمجتمعات الأخرى بأن الأمة العربية لم تصل إلى درجة المعاناة الفيتنامية أو اليهودية خصوصا في جانبها اللغوي؛ إذ ما زالت العربية متسيدة المجال الديني والأدبي وكذلك الإعلامي إلى حد ما، مما يعني أن هوية الأمة لم تخضع لتحديات حقيقية أو ضغوطات مباشرة، ولو حدث ذلك لكان هناك ردة فعل ويقظة قومية جادة، وهذا القول الشبيه بالاعتراض وتمريض الهمم والحماس النهضوي قد يكون مقبولا وصادقا في أنه وواقعه، ولكنه كارثي في أثره وتبعياته، فالواقع اللغوي يتجه نحو الانحسار والتراجع، والتعليم يلهث بشغف لم يسبقه مثل نحو التغريب اللغوي، ناهيك عن العولمة وتحدياتها وأسلوب الحضارة العالمية الجديدة بتسارعها المذهل...، فما تدركه اليوم قد لا تدركه غدا، والوقاية خير من العلاج، وإرجاء التخطيط أو إهماله سيجعل المستقبل رهن المجهول، فهذا الواقع اللغوي

14 . (1) عبدالرحمن بودرع ومجموعة مؤلفين، اللغة والهوية في الوطن العربي، ص 119 .

لا يسير في الاتجاه الصحيح، وهو أشبه ما يكون بمرحلة الموت البطيء، وفي جانب آخر فإن هذا الواقع المتردي الذي لم يصل بالأمة إلى مرحلة الانهيار الكامل قد يجعل مسألة الإنعاش والتخطيط النهضوي الواعي لا تزال في مرحلة الممكنات ولم تصل إلى المستحيل أو المستعصي، ولكن ذلك يحتاج إلى عمل دؤوب وتخطيط ممنهج وإرادة سياسية جادة تحظى بقناعات شعبية وتأييد قومي على مستوى العمل والشعور.

كل إنسان يحمل انتماء وهوية معينة تتحكم فيها وتصلقها مكونات بيولوجية وسيكولوجية في مرحلة متقدمة من عمر الكائن البشري، وهذا التشكل الانتمائي والهوياتي قد لا يخضع لإدراك الإنسان وشعوره، ولكنه يتحقق لاحقا بإدراك مقصود وإرادة ذاتية، وهنا في موضوع الهوية والانتماء المتبلور في كل كائن بشري يرد تساؤل مشروع عن دور هذا الموضوع عند من ينادون بالتغريب اللغوي في مجتمعاتهم، ومع أن هذا التساؤل قد يبدو سطحيًا في قيمته وحضوره الأولي إلا أن إجابته الواعية تجعل منه مهما في معالجة قضيته وتأطير إشكالياتها، فمن أسباب النظرة الأولية لسطحية هذا التساؤل أن الإجابة عنه غالبًا ما تكون عاجلة وفي تنميط غير عقلاني يحصره في عدم الشعور بالانتماء أو عدم الاعتداد بالهوية أو غياب الانفعال الوجداني بالثقافة وخصوصيتها؛ وكأن الإنسان خارج تكوين منظومته النفسية والاجتماعية المعنية، فالإجابة عن هذا التساؤل تحتاج إلى وقفة متأنية لأهميته أولاً، ونظراً لما شاب معالجته غالبًا من ضيق النظرة وعدم المتابعة الدقيقة، ومقاربة هذه القضية بهذه الطريقة لن تؤدي إلى حلول عملية ومعالجة جماعية ناجعة، ولكنها ستعتمد إلى إقصاء فريق معني بالمعالجة وصياغة الحلول، وسيكون السجال المفقر مستأثراً بنصيب الاحتواء المثمر والحوار الفاعل، فيجب أن يكون هناك تحديد لنقطة التقاء وتقارب تكون مركزاً للانطلاق، فالهوية والانتماء القومي

ليست -رغم أهميتها- مجالاً للمساومة والنقاش، وتجريد طرف معين من وطنيته أو هويته من قبل طرف آخر بسبب وجهة نظر مختلفة أو طرح رؤية مغايرة لم يعد نمطاً حضارياً في ثقافة المجتمعات المدنية المعاصرة، والذين يطرحون مثلاً فكرة التعليم باللغة الأجنبية لا شك أنهم يؤمنون بالمواطنة والانتماء ولكنهم يرون ((أن الاهتمام بدمج اللغة في التفاعل العلمي ترف ذهني لا يسعفنا الوقت للسماح به، ويرى هذا الفريق - في أحسن الأحوال - تأجيل تلك المهمة اللغوية إلى أن يتم اكتساب العلم والتقنية، وبعد أن يصبح للأمة العربية حضور قوي ومؤثر على الساحة العلمية))⁽¹⁾، فالمنطلق الذي يتأسس عليه طرحهم بتسريع اكتساب المعرفة العلمية بأبسط الطرق وأسهلها تناولا، وتأجيل القضايا الأخرى المترتبة على هذا الاكتساب المعرفي إلى حين النضج المعرفي والتقدم النهضوي، ودائماً ما يقترن طرحهم بأهداف برقراطية حاضرة تلح على ضرورة التكيف للتعليم والمتعلم مع سوق العمل، ((واعتبار عولمة التعليم تنطوي على إيجابيات متعددة، منها الضغط باتجاه تحرير خدماته وتنويع مؤسسات وبرامجه وضمان فرص عمل جيدة للخريجين في سوق العمل المعولم والتعامل مع القطاعات الأجنبية ذات الدخول المرتفعة وتوسع الاختيارات والبدائل التعليمية المتاحة أمام المواطن العربي، كما تضغط دينامياتها من أجل التنوع في إنتاج المعارف وتداولها واكتسابها))⁽²⁾، ليأخذ بالتالي هذا الطرح منحى إنسانياً يندفع نحو منظومة أخلاقية وديمقراطية يسوّغها بشكل أو بآخر ما يعانيه الإنسان العربي في مجتمعه من ضيق العيش وضآلة الفرص وتحديات الحياة الاجتماعية المتدنية، وحينما تحضر مثل هذه الأمور كبنية نصية رئيسة في خطاب أصحاب تلك الرؤى وأطروحاتهم النهضوية فإنهم يكتسبون قوة

15. (1) خضر القرشي، إكسير التنمية، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط 1، 2016م)، ص 331.

16. (2) أحمد حسين حسنين ومجموعة مؤلفين، اللغة والهوية في الوطن العربي، ص 346.

ذاتية تدفعهم نحو المواجهة مع الأطراف الأخرى التي تفتقد غالبا عقلانية الطرح ومنطقية المعالجة حاملة شعار الاتهامات والتخوين الثقافي، ولذلك يجدون ما يلوذون به في السجال والمماحكات الفكرية فيسعون إلى تهميش الرؤى التي تواجههم بأنها لا تعدو أن تكون خطابًا حماسيا انفعاليا لا يناسب متطلبات التنمية المعاصرة وتحديات العولمة الجديدة.

وأمام هذه الرؤى المتناحرة والطرح التقابلي الذي شطر فكر الأمة النهضوي بشأن اللغة الأجنبية ظلت تتقدم تقدما كاسحا في التعليم العربي وارتقت إلى مستويات جديدة وحضور باذخ في المعاهد والجامعات ثم تسربت بقوة هائلة إلى مراحل التعليم المتقدمة، وأخيرا تجاوزت كل ذلك لتدخل في النشاط التجاري والإعلامي، وتنامي الشعور الاجتماعي بأهميتها وضرورتها؛ ذلك الشعور الذي يقابله تبدل الإحساس تجاه العربية، وفي سياق هذا كله كُتبت جهود النهضويين المقاومين واعتراهم الملل والإحباط وأثر كثير منهم الانسحاب وركوب قطار الحياة السائرة خوفا من الانتقاد والوصم بالرجعية والتخلف.

أمام هذا الواقع المزري الذي آلت إليه النهضة الوطنية، أين نحن الآن؟ إننا نعيش بوهم آخر وغفلة جديدة في (الآن - الهنا)، وما ينبغي أن نتداركه الآن هو أن تراجع العربية السابق وتقهقرها في ميادين المعرفة الجديدة وسجنها في التراث والأدبيات لم يكن إلا استراحة محارب ينبغي أن يعود مجددا ويدخل في أزمة النهضة وإشكالية التنمية بعد اكتشاف تشتت البحوث وإهدار الكفاءات وضبابية الإستراتيجيات، فبعد ما يقارب القرن الكامل من الزمن ما الذي خرجت به تجربة التغريب اللغوي، وما الذي تحقق لنا من اللغة الأجنبية التي أفسحنا لها مجالا واسعا ومنحناها فرصة كافية للفحص والاختبار، سنجعل هذه القضية في محددات زمانية ومكانية وسنعمد على أسلوب المقارنة لضبط القضية وحصرها

من التشعبات والخروج عما يمكن معاينته والإمساك به، ففي القرن العشرين أصبحت اللغة الأجنبية لغة التعليم في التخصصات العلمية والتقنية وما ينضوي تحتها من علوم الصحة والهندسة والصناعة... إلخ، وعملا بالمعيار الذي أشرنا إليه سابقا في ضبط القضية سوف نقتصر على مجال العلوم الطبية لأنه من أهم هذه التخصصات أولا، ولوجود تجربة تؤهله للمقارنة ثانيا، ولأنه قد استأثر بالنصيب الأكبر من اللغة الأجنبية أخيرا، وأمام هذه الاعتبارات سنكون قادرين على مقارنة هذه القضية بشكل دقيق كما يلي:

كنا قد أشرنا مسبقا إلى أن النهضة العربية بعد حملة نابليون قد حققت نجاحا محمودا ومؤثرا في نقل المعرفة آخذة بألية التعريب والترجمة؛ ولكنها انتكست بعد دخول الاستعمار حينما استبدلت اللغة العربية بالإنجليزية في كليات الطب المصرية، وكانت دوافع ذلك الاستبدال نهضوية في مبادئها وتوجهاتها، وقد بدأ هذا التحول في أواخر القرن التاسع عشر، ومع مرور قرن كامل أصبح هناك ما يزيد على مئة كلية طب تدرس باللغة الإنجليزية معظمها في المشرق العربي (مصر - الخليج العربي - الشام - العراق) ويقابل هذا الكم الهائل خمس كليات تدرس الطب بالعربية في قطر عربي وحيد (سوريا)، وأمام هذه النسبة غير المتكافئة وخلال مدة زمنية ليست بالقليلة لا بد من طرح التساؤلات الآتية:

- هل حقق التعليم باللغة الأجنبية تقدماً علمياً وأثراً معرفياً يسهم في تنمية الوطن العربي؟

- هل كان هناك اختلاف بين الطلاب السوريين الذين درسوا الطب بالعربية والطلاب العرب الآخرين الذين درسوا الطب في اللغة الإنجليزية من حيث التحصيل العلمي، وإتقان مهارات التخصص الضرورية، والقدرة على مواصلة التعليم وكتابة البحث العلمي... إلخ؟

وقف باحث عربي متخصص في الطب على أبعاد هذه القضية في أبحاث

متعددة جمعها في كتاب أسماه بـ(تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية)، ويقول الدكتور زهير السباعي بأنه قد زار كليتي الطب في دمشق واللاذقية وحضر هناك عددا من المؤتمرات الطبية والمحاضرات التدريسية فوجد الطلبة والأساتذة يتحدثون بحيوية وانطلاق، ويلمون بقضايا تخصصهم ويتناقشون بطلاقة واضحة، ويشير إلى أن ذلك نكاد نفتقده في كليات الطب التي تدرس باللغة الإنجليزية، وفي مقام آخر يؤكد الباحث على نتائج وإحصائيات عالمية، ففي امتحان المجلس التعليمي للأطباء الأجانب الذي تعده الجامعات الأمريكية بشكل متكرر لآلاف الأطباء من الدول التي تعلم الطب بلغاتها والهدف منه أن يكمل أولئك الطلبة دراساتهم العليا أو يتمكنوا من العمل بمهنتهم في الولايات المتحدة الأمريكية...، في هذا الامتحان ولأكثر من مرة أظهرت نتائج الأطباء السوريين نجاحا مدهشا تفوقوا فيه أحيانا بنتائجهم على بعض طلبة الدول الأوروبية ودول أمريكا الجنوبية وغيرها من المجتمعات الأخرى التي تعلم الطب بلغاتها الوطنية(1)، وخلاصة المقارنة في هذه المعادلة التي قد لا تكون متوازنة في طرفيها من حيث الكم والكيف أن الطبيب العربي الذي درس الطب بلغته العربية لم يكن أقل من زميله العربي الآخر حينما درس بلغة أجنبية، فالأداء المهني والمهارة العملية والقدرة على التطور إن لم تكن متماثلة في كليهما فهي في الطبيب المتعرب أكثر كفاءة وأعم إفادة لقدرته على الانخراط في مجتمعه والمشاركة الميدانية في قضايا التنمية والتطور المتماشية مع تخصصه.

هذه التجربة في تعليم الطب في الوطن العربي لا ينبغي تجاوزها دون الكشف

17. (1) انظر: زهير السباعي، تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية، (الدمام، نادي المنطقة الشرقية

عن خصوصياتها وحيثياتها الأخرى المتعلقة بطرفيها المتقابلين (العربي - الإنجليزي)، حيث كان الطرف الأول يسير وحيدا في تجربته مختلفا عن ركب مجموعته (الأوطان العربية الأخرى) مما يعني الشعور بالاعتراب النفسي والاجتماعي علاوة على شح التواصل مع بيئته الإقليمية التي يقع فيها، إضافة إلى تدني الحالة الاقتصادية في بيئته المحلية، أما الطرف الآخر (طلاب الطب في اللغة الإنجليزية) فقد كان يسير في ركب جماعي تؤلفه مجموعة كبيرة جداً من الأقاليم العربية، مما يعني وجود فرصة كبيرة للتواصل بين الأقاليم في نشاطها التخصصي والتشارك المعرفي، علاوة على الإمكانيات المادية المريحة خصوصاً في مثل دول الخليج العربي، ووفرة فرص العمل والوظائف وتداول هذه الفرص بين تلك الأقاليم، إضافة إلى الروافد المعرفية والعلمية من الدول المتقدمة في المصطلحات الطبية والابتكارات الجديدة دون الحاجة إلى التعريب أو الترجمة، كل هذه الأمور تجعل التجربة لم تكن متساوية بأي حال من الأحوال في المسارين المذكورين، ويؤكد الواقع الملموس وجود عقبة كبيرة من التحديات والصعوبات أمام طرف معين يقابله تدليل تلك التحديات أو تضاؤلها لدى الطرف الآخر، ومع كل ذلك لم يكن هناك اختلاف في التحصيل العلمي أو الممارسة العملية، وإذا وجدت فروق نسبية لأي طرف على حساب الآخر ارتفاعاً أو انخفاضاً فليست بذات قيمة ملموسة أو مؤثرة في هذه المقارنة قياساً على ما يقدمه كل طرف من خدمات صحية لمجتمعه الذي يعيش فيه، لم نمارس تحيزاً لصالح تجربة على حساب أخرى ولكن سعياً للمصادقية فإننا نجد أحد المصادر المهمة قد رصدت بلغة الأرقام إحصائية مهمة حيث ((تبين مصادر الجمعية الطبية العربية الأمريكية أن عدد الأطباء السوريين في الولايات المتحدة الأمريكية يفوق 6000 طبيب من أصل 15000 طبيب عربي، ويحتل الأطباء السوريون والمصريون المرتبة الأولى، كما يقدر عدد الأطباء السوريين المقيمين في ألمانيا ب 18000 طبيب من أصل عدد الجالية

السورية المقدرب 59000 ألف))⁽¹⁾، ولا تحتاج هذه الإحصائية الدولية إلى تعليق أو استنتاج لما في مجمل عبارتها من الوضوح .

فاجأت هذه التجربة الدقيقة في أسلوبها المقارناتي الكثير من المفكرين النهضويين والمهمومين بقضايا الأمة وتقدمها الحضاري، كما أصابت بالإحباط بعض المنادين بالتعليم الأجنبي في الوطن العربي وشعر كثير منهم بخيبة الأمل والانتكاسة الأخلاقية تجاه الهوية والثقافة وروابط الوحدة والانتماء، وتيقظ الفكر العربي بعد شعوره بتفريط شديد وسبات طويل، فتوالت المؤتمرات والندوات وعقدت القمم العربية في أعلى مستوياتها وأصدرت الكثير من القرارات والتوصيات بقوانين سياسية وتشريعات قانونية، ((ومن ذلك ندوة تعريب التعليم الطبي والصحي التي عقدت في دمشق سنة 1988م، والتي شارك فيها ثلاثة عشر وزيراً وأربعون من عمداء كليات الطب في العالم العربي، وقررت هذه الندوة أن يكون عقد التسعينيات هو عقد التعريب الطبي))⁽²⁾، ثم بعد ذلك انعقد المؤتمر الإقليمي لتعريب الطب عام 1999م وقد عقدته منظمة الصحة العالمية في القاهرة وأوصى المؤتمر بتطبيق التعليم الطبي باللغة العربية على الفور في الوطن العربي، وقد جاء في توصياته: ((يؤكد المؤتمر أن تعليم العلوم الصحية باللغة الأم عمل ثقافي وحضاري وعلمي يضمن حسن الاستيعاب ويسر العملية التعليمية مما يؤدي إلى تحسن أداء الخدمات الصحية ورفع المستوى الصحي بوجه عام، ويسجل المؤتمر بكل اعتزاز تلك الصحوه النشيطة لحركة تعريب الطب الصحي والطبي التي سادت العالم

18. (1) سلام الكواكبي، الهجرة الدولية والتنمية في بلدان الإسكوا: التحديات والفرص، (نيويورك: هيئة

الأمم المتحدة، 2011م)، ص72.

19. (2) حمد آل فريان، جريدة الجزيرة، (الرياض، العدد 13974، 1/1/2011م)، ص14.

العربي في السنوات الأخيرة)) (1)، وعلى مستوى تمثل أكبر تبنت القمة العربية المنعقدة في عامي 2008م ثم 2009م توصيات بضرورة تعريب الطب في الوطن العربي، ثم شرعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية بصياغة هذا المشروع وبدء العمل به... إلخ، ولكن جميع هذه التشريعات لم تخرج إلى حيز التنفيذ، وكأنها إنما كانت لدغدغة مشاعر الحماس الوطني وتهدة الطموحات النهضوية فيه.

المحور الثاني/ التبعية اللغوية بين الممارسة العملية والفهم الحضاري للغة.

بعد التحليل السابق للتجربة العربية في التبعية اللغوية واعتماد منهج المقارنة فيها نوشك أن نكون قد أسهمنا بجزء كبير من التنظير لمحتوى المشكلة ولكنها لم تصل بعد إلى حد النضج والاكتمال، فيظل التساؤل حائراً والقلق قائماً في لماذا مع كل هذا التحليل والاستنتاج يظل التعليم باللغة الأجنبية باقياً؛ وكيف يتقدم الآخرون ونحن نتأخر؟ وتتفرع من هذه التساؤلات تساؤلات كثيرة تتعلق بها وتسير في نمطها، وقد أكدنا مسبقاً عدم اكتمال التنظير لهذه القضية، ولا نريد الآن أن نقع في شرك أزمة الخطاب النهضوي العربي حين يقوم بمباشرة معالجة مشكلاته قبل التنظير الكامل لمحتواها وأبعادها الاجتماعية المتعددة، وكنا قد لمحنا في العرض السابق أنه ليس هناك عجز لغة ولا ضعف إمكانيات ولا تصدع هوية ولا فقدان انتماء، ومن المؤسف أن أغلب النهضويين يناقشون هذه القضية في حدود تلك المعطيات، واستمراراً في تأطير القضية ووضعها المتفاهم نجد أنه لا بد من

الوقوف على نقطتين مهمتين تتعلق أولهما بالممارسة العملية أما الأخرى فتتعلق بالفهم الحضاري واستيعاب واقع الحضارة الجديدة.

ففي الممارسة العملية نجد أن المدة الزمنية الممتدة في التعليم باللغة الأجنبية وفيما يزيد على قرن من الزمن -رغم تدني مستوى إنتاجيتها- قد ألفت بظلالها على عقول المتخصصين في التخصصات العلمية والتقنية، وقد أوجدت لديهم ألفة لغوية وانسجاماً نفسياً أحدثته دراسة تلك التخصصات ثم تدريسها والبحث العلمي فيها، لأن ((إحلال اللغة الأجنبية محل اللغة العربية في التعليم ينتج موقفاً ثقافياً قيمياً عند المتعلم يجعله متعاطفاً بشدة مع ثقافة اللغة التي يتعلم ويدرس)) (1)، ونظراً لطبيعة المحتوى اللغوي في هذه التخصصات بأسلوبه العلمي والمصطلحي الدقيق فليس من السهل تصور هذا المحتوى بلغة أخرى نتيجة الممارسة والتدريب أو ما تصطلح عليه اللسانيات الحديثة الاكتساب اللغوي، فما اعتادوا عليه ومارسوه في لغة تخصصية دقيقة لن يكون الانتقال منه والتحول عنه سهلاً وسيظل في عقولهم وتصوراتهم أمر بالغ الصعوبة بل إنه قد تحول إلى قيمة اجتماعية حدث تطيرها في التنشئة التربوية وأصبحت سلوكاً وعادة راسخة في اللاشعور، ونستطيع أن نصف هذا الموضوع بالاستلاب اللغوي الذي تؤكد اللسانيات الاجتماعية، وقد يكون من شواهد الواقعية ما يذكره أساتذة الجامعات والمعاهد الفيتنامية في مذكراتهم بعد أن أصدرت الدولة قانونها الصارم بفتنمة اللغة، فيذكرون أنهم في إعداد دروسهم وامتحاناتهم كانوا في بداية الأمر يجدون صعوبة بالغة وحرجا كبيرا لأن إعداد تلك الدروس وامتحاناتها كان يأخذ وقتاً كبيراً منهم، ولكن ترجمة ذلك إلى الفيتنامية كانت تأخذ وقتاً مضاعفاً وجهداً كبيراً، ويقولون بأن ما يكون إعدادها في ساعة

21. (1) أحمد حسين حسنين ومجموعة مؤلفين، اللغة والهوية في الوطن العربي، ص 397.

معدودة تستهلك ترجمته أسبوعاً كاملاً لأنهم قد اعتادوا على اللغة الفرنسية تعلماً وتعليماً.

فالاستلاب اللغوي يستولي على مدارك الإنسان ويوجه رؤيته ويتحكم في قناعاته ومواهبه، ويقودنا هذا التحليل إلى أن نتجاوز مناقشة الهوية والانتماء القومي إلى قضية العادة والسلوك الاجتماعي الذي تتحكم فيه تنشئة تربوية سابقة وممارسة عملية لاحقة لتصوغان معاً شعوراً وجدانياً يؤثر في الرؤى والتصورات والمفاهيم، ولذلك تفقد قوانين وتوصيات التعريب فاعليتها وأثرها في قناعات المعنيين والمستهدفين بها، لأن القضية برمتها قد تحولت إلى مكونات ثقافية وسلطة معرفية لا يمكن خلخلتها وإزاحتها إلا بالعمل على تشكيل سلطة ثقافية مناهضة تتأسس في ثنائية (اللغة - الإنسان)، وسنستفيد من معطيات المفاهيم السوسولوجية المعاصرة مثل: رأس المال الثقافي والعنف الرمزي وإعادة الإنتاج؛ واستخدام هذه المصطلحات في سوسولوجيا التربية، فالعنف الرمزي استخدمه الباحث الفرنسي بيير بورديو وهو يقابل في هيئته العنف المادي، إذ إن العنف الرمزي يكون بواسطة اللغة والإيديولوجيات السائدة، وهو عنف لطيف ومهذب وغير محسوس، بل إنه يمارس دوره بطريقة سحرية لأنه غير مدرك بالنسبة لضحاياه، ويكون مجاله التطبيقي عبر الطرق والوسائل الرمزية الخالصة مثل التواصل وتلقي المعرفة، ويتحول هذا العنف غير المحسوس بواسطة اللغة إلى رأس مال ثقافي، وبغض النظر عن المحتوى المعرفي في هذا الرأسمال الثقافي فإن اللغة تظل الأداة والآلة الفاعلة في تشكيل ذلك المحتوى، وهنا يتداخل العنف الرمزي ورأس المال الثقافي مع إعادة الإنتاج بصورة عفوية لا واعية، هذه المفاهيم السوسولوجية في الميدان التربوي قد نستفيد منها بشكل كبير في تحليل الظاهرة التي نحاول الإمساك بها وتأطيرها بشكل يخالف السائد والمألوف في أغلب طروحاتنا النهضوية، حيث يناقش بورديو في أعماله حول النظام المدرسي وفق المفاهيم السابقة أن ((اللغة التي نستخدمها في

هذا المجال لغة مهيمنة لكننا نجهل أنها مهيمنة، بمعنى نعترف بها ضمناً كلغة مشروعة، وأي لغة مهيمنة تكون مشروعة عندما يُعترف لها ضمناً بالمشروعية، وعندما تكون هيمنتها محط جهل من طرف من يتحملها، ويمكن أن نصوغ هذه الفكرة في قضية منطقية كما يأتي:

إن لغة (ص) تهيمن على شخص (ش) إذا كان هذا الأخير (ش) يجهل هيمنة تلك اللغة (ص) عليه.

يعترف الشخص (ش) بمشروعية (ص) نظرًا ل (1) (2)؛ بمعنى أن مشروعيتهما محددة بتوافر الشرطين الأولين.

ولم يتوقف بورديو عند نظرة المهيمن للسلطة على المستوى التفاعلي، وإنما ذهب إلى التشديد على إعادة إنتاج علاقات السلطة كبعد أساسي للهيمنة⁽¹⁾.

قد لا نستغرب بعد هذا التحليل السوسيولوجي أن المنادين بالتعليم باللغة الأجنبية ينطلقون من رؤية نهضوية يؤمنون بها ويناضلون من أجلها، وتفكيك هذه الهيمنة اللغوية وسلطتها الثقافية لن يكون بين عشية وضحاها؛ بعد أن تشكلت في أجيال متعاقبة؛ ولكنه يحتاج إلى عمل دقيق وتخطيط لغوي متكامل مع عدم إغفال إستراتيجية الاحتواء والحوار المتوازن الفعال.

كما كان الفكر العربي قاصراً عن إدراك الفهم السوسيولوجي للممارسة اللغوية فإنه في زاوية أخرى يفتقد الوعي بمفهوم الحضارة الجديدة في محتواها اللغوي حين يصرف جل اهتمامه إلى مكونات تلك الحضارة المادية والاجتماعية العامة، دون التعمق في قضية اللغة وأثرها في تلك الحضارة، وقد يكون تطور

22. (1) حسن احجيج، نظرية العالم الاجتماعي قواعد الممارسة السوسيولوجية عند بيير بورديو،

الرباط: مؤمنون بلا حدود، ط1، 2018م)، ص160.

اللسانيات البنوية ومنهجها الوصفي كما عند الباحث الأمريكي بلومفيلد مهما في تشكيل وعي معقول حول شأن اللغة في الحضارة المعاصرة، حيث تبدو الحضارة محصورة في بنية لغوية جديدة في جميع اللغات، لغة (المصطلحات العلمية - المعلومات - التكنولوجيا - الابتكارات والمخترعات)، مما يجعل الحضارة ذات خصوصية لغوية، لغة ذات طابع علمي وتقني دقيق، فهو عصر ثورة لغوية لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية، فالابتكارات والمخترعات والتطور المعلوماتي والتكنولوجي بسرعه المدهشة ينعكس بشكل مباشر على اللغة، وكأنها تستجيب بدينامية مذهلة لدينامية الحضارة في محتواها التكنولوجي والمعلوماتي، وحتى اللغات التي نشأت فيها هذه الحضارة وما زالت بها أصبحت تعاني من ملاحقة المصطلحات الجديدة والاختراعات الطارئة والتحديث السريع بها، وصار ماضي تلك اللغات - نتيجة لهذا الانفجار العلمي - تراثا وتاريخا لغويا، ولعل في ظهور الاختصارات اللغوية في المسميات والابتكارات الجديدة ما يبرهن على تجاوز النظام اللغوي ماضيه وظهور منظومة ألسنية جديدة، وكمثال على هذه الحضارة اللغوية واختراقها الثقافي لن نذهب إلى المتداول اللغوي في المجتمع الغربي ولكننا سننظر إلى ذلك في المجتمع العربي، إذ نجد في المملكة العربية السعودية ملفوظا شاع تداوله واستعماله وهو (stc) مسمى شركة الاتصالات السعودية الرمزي، إذ أصبح مستخدما في لغة المثقف والعامي وكذلك الأمي، وينطقها الكل بـ (إس تي سي) مع أن الأغلبية قد لا يعرف دلالتها الترميزية، وما هذا إلا مثال واحد من بين كثير من الأمثلة في مصطلحات ومسميات الشركات والمعاهد والبرامج والمخترعات... إلخ، وما هذا المثال التبسيطي إلا دليل على واقع اللغة في الانفجار الحضاري الجديد، وهو واقع أشبه ما يكون بالقطيعه اللغوية مع الماضي، وقد تنبه لهذا الواقع وأدرکه المفكرون في مجتمعات الحضارة نفسها، ولذلك نجد الباحث الأمريكي جلن سيورج يصرح قائلاً: ((في العقدين الماضيين استطاع مجتمعنا أن

يلتهم العلوم، ولكنه لم يتمكن بعد من هضمها، وهذا مؤشر على طفولة (المجتمع العلمي) الذي حدث في العشرين عاما الأخيرة، ويجب أن نتوقع أن تكون العشرون عاما الأخيرة أكثر ديناميكية، وهذا - بالضرورة - يستوجب الإسراع في عملية الاستيعاب⁽¹⁾، فإذا كانت المجتمعات العلمية في موطن الحضارة تعاني من عملية الاستيعاب فكيف سيكون حال المجتمعات المستهلكة لهذه الحضارة وغير الفاعلة فيها، و((من العلامات الكبيرة لبداية تكون هذه الحضارة الجديدة أن منجزات العلم والتكنولوجيا والمعارف والآداب والفنون قد بدأت تكوّن لغة عالمية جديدة، تتخاطب بها جميع الشعوب، وهي لغة متعددة ميادين استخدامها، إنها لغة جديدة تؤسس للتقارب بين الشعوب والعلاقات فيما بينها، لكن شروط ترسخها وتحولها إلى حقيقة تاريخية إنما تتمثل أساساً في حوار الثقافات، الذي يجب أن تقتنع الشعوب والأمم بضرورته وبحاجتها إليه في شروط العصر الجديد))⁽²⁾، ويشير زهير الكرمي إلى عدم التمييز في الفكر العربي بين (الحضارة الغربية) و(الحضارة العلمية الحديثة)، فلأولى جذورها الدينية والفلسفية الواضحة، كما أن لها بيئة محددة ومناخ فكري مميز شأنها في ذلك شأن كل الحضارات التي سبقتها، أما الأخرى فإنها تختلف جذرياً عن أي من الحضارات التي سبقتها بما فيها الحضارة الغربية نفسها رغم أنها نشأت منها وفي جوّها ومناخها، ولعل جوهر الاختلاف في كون الحضارة الجديدة ذات ملمح عالمي عام غير مرتبط ببيئة محددة أو بوطن أو بأمة، كما أنها في طبيعتها أقرب إلى الثورة المتضاعفة منها إلى الوليد النامي،

23. (1) خضر القرشي، إكسیر التنمية، ص 378.

24. (2) كريم مروة، نحو نهضة جديدة لليسار في العالم العربي، (بيروت: دار الساقى، 2017م)، ص 87.

وموجات آثارها تتخطى الحدود وتلك الأبواب وتجتاح كل الثقافات (1). يفهم الفكر الغربي لغة الحضارة الجديدة في نمطية من القطيعة والانفصال عن ماضيه وتراثه اللغوي، ويعالج هذا الإشكال في دينامية السير الحثيث مع التحديث اللغوي، أما الفكر العربي فإنه يظن أن الحضارة الجديدة مرتبطة بلغة مجتمعتها، ولذلك يسير في تعلم اللغة الأجنبية بقانونها وماضيها التداولي ليكتشف أنه -إن أتقن هذه اللغة وأجادها- أمام واقع لغوي مختلف وسريع التحولات يحتاج معه إلى العمل بطريقة مختلفة وآلية جديدة لاستدماج الحركة العلمية، والمفارقة العجيبة أنه قد يفاجأ بأن أبناء مجتمعه الذين لم يتعلموا اللغة الأجنبية قد عرفوا وتداولوا الكثير من المصطلحات والمخترعات والمسميات الكثيرة في لغة الحضارة أكثر منه؛ نتيجة الاختراق اللغوي الذي تمارسه قنوات التواصل والمعلومات في ثورتها المعرفية الجديدة، وبهذا تكون الحضارة قد صاغت برهانا جديدا على أن اللغة وإن كانت لها بنيتها المستقلة إلا أنها لغة مخترقة باستمرار، وهذا الاختراق يمارس دوره التفكيكي والفوضوي وتبديد فكرة أن اللغة نظام سلطوي ماضوي تكون حركيته في التكرار والثبات.

وإذا كانت مجتمعات الحضارة نفسها تعيش حالة من الاغتراب اللغوي فطبيعي جدا أن يتكون المجتمعات المستهلكة أو المتأخرة عن ركب الحضارة تعيش هذه الحالة بصورة أشد، ولكن الحلول في هذا المأزق لا تعني الذهاب إلى مأزق آخر يحتاج إلى جهود مضاعفة وتخطيط تراثي حين تعلم اللغة الأجنبية ظنا أنها الطريق الموصل إلى هذه الحضارة، ولكنه يكون في ((بعث نسق المعرفة العربية وإحيائها وتنميتها، وربطها بالتنمية الحديثة، حتى تؤدي العربية بالتعريب للعلوم

25. (1) انظر: زهير الكرمي، العلم ومشكلات الإنسان المعاصر، (الكويت: المجلس الوطني للفنون

والتكنولوجيا، مهمة فاعلة في النمو الحقيقي للاقتصاد العربي، وذلك بتحويله من اقتصاد الربيع المتواكل علميا إلى اقتصاد أصيل ينمو نموا مستداما⁽¹⁾، بمعنى نقل هذه الحضارة وتوطينها حتى نعيش معها انسجاما ثقافيا وتناغما اجتماعيا مع مراعاة عامل السرعة والتواصل المستمر والمباشرة الشاملة ونبد ثنائية(الانعزال الذاتي/ الارتقاء في أحضان الآخر)، كما تفعل ذلك كثير من الدول المتقدمة التي تؤسس نهضتها وتبني تنميتها المستدامة على أساس من الإيمان الكامل بقدراتها وإمكاناتها الثقافية واللغوية.

يعني هذا أن تعلم اللغة الأجنبية لم يعد الطريقة المثلى للحركة العلمية والحضارة المعاصرة لأنها بطبيعتها لا تعترف أو ترتبط بهذه اللغة، ولكن الآلية الصحيحة هي الدخول المباشر في هذه الحركة والاندماج مع لغتها الجديدة، وهذا يستلزم حركة تعريبية منفتحة واستلهاما سريعا لكل جديد من خلال الوعي الكامل بمفهوم التطور اللغوي كعامل مهم في التنمية البشرية والتطور الثقافي للمجتمع.

أمام هذا الواقع اللغوي في الحضارة الجديدة وغربته وإثارته الشديدة تفهم الفكر العربي أن القضية قضية لغة أجنبية يجب إتقانها لينطلق بها إلى السير في ركب الحضارة غافلا عن أن هذا الاغتراب للغة أزمة تعيشها المجتمعات المتقدمة نفسها، وبذلك تشكلت رؤيته بصورة منقوصة غير متكاملة، وانحصرت تبعيته في جزئية أصبحت هامشية وغير مؤثرة في كينونة الحضارة، وكلفه هذا الفهم هدر طاقاته واستنزاف جهوده في تخبط تخطيطي لم ينتج شيئا سوى الإفافة على واقع مأزوم وتخلف حضاري وتبعية معوجة.

ترتبط بهذه المقارنة مقارنة أخرى تقوم على توسيع المجال ليكون بين

26. (1) محمد مرياتي، أسئلة اللغة، (الرباط، معهد الدراسات والأبحاث والتعريب، 2002م)، ص 9.

(النهضة الأدبية/ النهضة العلمية) في الثقافة العربية المعاصرة، حيث تطور الأدب العربي تطوراً ملحوظاً وحدثت فيه تحولات جذرية لم يكن لها سابق مثيل في تاريخ الثقافة العربية، فالشعر العربي عبر عن روح عصره مستوعباً آليات الحداثة في الأدب العالمي بلغة عربية جديدة وتشكيل موسيقي مختلف، ((لقد صار الشعراء المعاصرون على وعي كاف بتلك الوظيفة، حيث أدركوا أن الكشف عن الجوانب الجديدة في الحياة يستتبع بالضرورة الكشف عن لغة جديدة، فليس من المعقول في شيء، بل ربما كان من غير المنطقي، أن تعبر اللغة القديمة عن تجربة جديدة. لقد أيقنوا أن كل تجربة لها لغتها، وأن التجربة الجديدة ليست إلا لغة جديدة، أو منهجا جديدا في التعامل مع اللغة. ومن هنا تميزت لغة الشعر المعاصر بعامة عن لغة الشعر التقليدية)) (1)، إن ترجمة الكثير من الأعمال الأدبية المعاصرة إلى لغات أخرى يدل على امتيازات فنية وموضوعية جعلت تلك الأعمال الأدبية تنطلق إلى مستوى العالمية، وما حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل العالمية وتكريم عدد من الشعراء والروائيين العرب في المحافل الدولية إلا مؤشر دقيق على قيمة الأدب العربي في تطورات الحضارة المعاصرة، إن هذه النهضة والتطور الذي حققه الأدب العربي من الشواهد الواقعية الحية على قدرة اللغة العربية ومثانة نظامها لاستيعاب الحضارة والتطور والدخول في مجال العلوم التقنية والتكنولوجية بكفاءة واقتدار، لأن الكتابة الأدبية دائماً تقع في مستوى أعلى وخصوصية أدق من النظام اللغوي، وحينما كان ممكناً تحقيق التطور في هذا المستوى اللغوي المخصوص فإن إمكانية ذلك في المستويات اللغوية العامة أسهل بكثير، ونعني بذلك المجالات المهنية والعملية التي تحتاج إلى لغة تواصلية تقريرية مباشرة، ولعل من المهم

27. (1) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية، (بيروت: دار العودة، ط5،

استثمار جدلية هذا التطور اللغوي في بلورة حقيقة الأداة اللغوية التي يمتلكها الإنسان العربي، وهنا قد يظهر من يقول بأن تطور الأدب العربي ووصوله إلى العالمية لم يكن إلا بتأثير مباشر بتطور الأدب الغربي واستيعاب آلية ذلك التطور، ومع التسليم جدلاً لمثل هذه الأقوال إلا أننا نؤكد على ما يهمننا في مضمار ذلك الطرح وهو اللغة العربية التي كتب بها هذا الأدب، أما قضية التأثير والتأثير الفكري فليست محل اهتمام هذه الدراسة، بل قد يكون في ذلك إثبات قدرة العربية على توطين ونقل المعرفة في الحضارة الإنسانية المعاصرة، فاستيعاب المذاهب اللغوية بمستواها الأعلى والاتجاهات النقدية بحمولتها الفلسفية في النهضة المعاصرة للأدب العربي من الأدلة المهمة على سهولة نقل المعرفة وتوطينها في النهضة العلمية والتكنولوجية المأمول الاشتغال عليها وتولي تدبيرها، وفي هذا الصدد لا يمكن الغفلة عن التطور المماثل في المجالات الإنسانية الأخرى كالعلوم الاجتماعية والتاريخية علاوة على التطور في المحتوى المعلوماتي كما تشهد بذلك إحصائيات الأبحاث المعنية بهذا التوثيق.

المحور الثالث/ آثار التبعية اللغوية على التنمية.

يتضح مما سبق أن آثار التبعية اللغوية على أي مجتمع من المجتمعات آثار كبيرة وشاملة، فهي لا تقتصر على التبعية الثقافية وتهديد عناصر الهوية والانتماء ولكنها تتجاوز ذلك إلى هلهلة بناء النسيج الاجتماعي وهدر الاقتصاد والتنمية المستدامة، ولكننا سنتجاوز هنا قضية التأثير على الثقافة والهوية؛ ليس لعدم أهميتها ولكن اعتقاداً بأن هذا التأثير قد نال مناقشته المقنعة في طروحات فكر النهضة العربية ومعالجات قضايا الوحدة والقومية والهوية العربية، وسنلتزم بمحددات هذه الدراسة ومقاصدها الملزمة بقضية التنمية البشرية ودورها الفاعل في هوية الاقتصاد

وتطورات الحضارة الجديدة ومفاهيمها المتعلقة بتوطين المعرفة وتأسيس التنمية المستدامة، ولذلك سنقتصر على النقطتين الآتيتين:

- انهيار التبعية اللغوية:

من المسلمات أن العالم في كل عصر من عصوره يخضع لهيمنة لغوية تكون في الغالب خاضعة لعامل الهيمنة السياسية والثقافية، والتجربة التاريخية في هذا المجال تكشف عن نماذج متعددة للهيمنة اللغوية كاللغوية اليونانية والعربية والفرنسية... وغير ذلك، واليوم وفي ظل ما يسمّى بالعولمة تهيمن الإنجليزية كلغة العصر في الثقافة والعلوم، ولكن الملحوظ أن الزمن المعاصر لم يتحقق به هيمنة لغوية كاملة؛ فالإنجليزية تعاني من منافسة شديدة للغات أخرى لا تقل شأنًا في حضورها السياسي والاقتصادي ثم الثقافي والفكري .. كالفرنسية والصينية واليابانية والألمانية والروسية والعبرية... إلخ، وكأن العالم المعاصر قد استوعب التجربة التاريخية في عدم الهيمنة الدائمة وتبادل الأدوار، فأخذت جميع المجتمعات والدول المتطورة على عاتقها ضرورة بناء نهضتها وتنميتها بلغاتها المحلية، وقد بات من البديهيات أنه مع أي اختلال سياسي أو اقتصادي قد يتولى زمام الهيمنة والتسلط الثقافي والفكري لغات أخرى وأنظمة جديدة، وستضطر جميع المجتمعات التابعة إلى دفع ضريبة التبعية والانسحاق وراء صاحب الهيمنة المعاصر، لأنها ستدرك بأنها في أمس الحاجة إلى الركض خلف صاحب الهيمنة الجديدة والاستفادة منه وطرح ما تأسس لديها مسبقًا من تعليم وثقافة لانهيار المتبوع السابق، ولهذا السبب فقد وعت المجتمعات هذه الحقيقة واستفادت من دروس الماضي، وأصبحت جميع الدول تسعى إلى التعليم بلغاتها المحلية، حتى تلك التي استقلت مؤخرًا عن الاستعمار وكانت تعاني لعقود طويلة من هيمنة المستعمر ومسخ هويتها ثقافيا وفكريا، ونماذج ذلك كثيرة في الثقافة المعاصرة وفي التجربة الكورية والفيتنامية والعبرية خير الأمثلة على ذلك.

وما ينبغي أن يدركه التخطيط اللغوي في الفكر العربي أن التجربة التاريخية

في هيمنة اللغة وسيادتها تثبت دائماً عدم الثبات والاستقرار، و((قضية اندثار اللغات قضية محسوسة في التاريخ الإنساني، فكم من اللغات كانت ذات صولة وجولة، كتبت بها العلوم وسجلت بها أروع ما أنتجه العقل البشري من آداب وفنون، وانتشرت في مساحات واسعة من الأرض ولكن عوادي الزمان عدت عليها))⁽¹⁾، وبعيدا عن الاستقراء التاريخي في تاريخ اللغات وما آلت إليه هيمنتها في العصور الماضية فلعل من أقرب شواهد ذلك الأمر انحسار الفرنسية على حساب الإنجليزية في العصر الحديث، ويعد الفرنسيون هذا الأمر هزيمة تاريخية لهم بسبب ((تأثير الفتح الروماندي في إنجلترا في القرن الحادي عشر الميلادي، وبه صارت الفرنسية في إنجلترا هي لغة البلاط والقضاء والبرلمان، واللغة الرسمية للدولة مدى قرنين تقريبا))⁽²⁾، مما يعني أن الإنجليزية كانت تحت الاستعمار الفرنسي في يوم من الأيام! ولكن المؤلم جدا أن المجتمع العربي هو صاحب التجربة المتفردة في هذا المجال فقد استطاع الاستقلال السياسي والعسكري ولكنه لم يحقق الاستقلال الثقافي والفكري، ففهم الاستقلال فهما قاصرا ولذلك لم تنجح جميع مساعي المجتمعات العربية في مشاريعها التنموية والتعليمية وبناء النهضة والرقي بالمستويات الاقتصادية والاجتماعية للشعوب العربية، فالوطن العربي يعاني من تبعية الإنجليزية مشرقا والفرنسية مغربا - نعني هنا التبعية اللغوية - وكأنه بذلك مازال رهين الاستعمار .

ففي الوقت الذي تحتل به الإنجليزية مكانة ملحوظة وتأثيراً عارماً نجد

28. (1) أحمد الضبيب، اللغة العربية في عصر العولمة، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 2001م)،

29. (2) محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، (بيروت: دار العودة، 1987م)، ص 116.

فرنسا ((من أكثر أهل الأرض اعتناء بلغتها وحرصا عليها وعلى نشرها بين الناس، والمحافظة على المناطق التي انتصرت فيها هذه اللغة وانتشرت فيها، وتبدي جهودها المكثفة في أنشطة كثيرة سواء من خلال المؤسسات المختلفة أو من خلال منظمة الفرنكفونية التي أصبحت منظمة سياسية تستقطب الدول الناطقة بالفرنسية))⁽¹⁾، بل إن وزير الثقافة الفرنسي في أحد المؤتمرات العالمية أشار علانية إلى ((صرخة القارة الأوروبية بالفرنسية لوقف هذه العولمة: يثقافات العالم اتحدي ضد الغزو الثقافي الأمريكي، وتخلصي من وطأة الإنكليزية))⁽²⁾، ومع أن هذا الصراع اللغوي يشير بشكل مباشر إلى الوعي الحضاري بدور اللغة في الاقتصاد والتنمية الوطنية إلا أن ما يهمنا فيه أثر التبعية اللغوية الفرنسية في الوطن العربي في مرحلة زمنية قريبة جدا حينما كانت الفرنسية اللغة العالمية المهيمنة، فقد بدأ كثير من البلدان العربية يدرك واقع هذه الأزمة وآثارها الاجتماعية والاقتصادية كما في لبنان وبلاد المغرب العربي، ففي لبنان مثلا كانت السياسة اللغوية بعد الانتداب الفرنسي على سورية ولبنان عام 1992م تنص في الدستور الجديد على اعتبار اللغة الفرنسية لغة رسمية وفرضها في المعاهد الخاصة واشترط معرفتها والإلمام بها على طالب العمل...، أما الانجليزية فلم تكن (ثنائية لغوية عربية انجليزية في لبنان، لأنها لم تكن لغة طائفة، ولم تكن لغة المستعمر في ذلك الحين، ولم تكن اللغة الأجنبية الأساسية في لبنان))⁽³⁾، ولكن ما حدث بعد ذلك في أواخر القرن العشرين أن ((اكتسحت العولمة سياساتها واقتصادها وثقافتها المنطقة برمتها، وصارت اللغة

30. (1) أحمد الضبيب، اللغة العربية في عصر العولمة، ص 66.

31. (2) نسيم الخوري، الإعلام العربي وانهار السلطات اللغوية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة

العربية، ط1، 2005م)، ص 431.

32. (3) انظر: حسن حمزة وآخرون، التخطيط والسياسة اللغوية، ص 79-80.

الانجليزية طريق الخلاص عند عدد كبير من اللبنانيين الساعين إلى الهجرة التي صارت في بعض الأحيان أمنية لا تعادلها أمنية. أدت هذه الأسباب مجتمعة إلى خفوت الصراع الذي كان محتدما بين دعاة التمسك باللغة الفرنسية ودعاة التعريب، فلم يعد الأولون قادرين على الوقوف في وجه اللغة الإنكليزية ولم يعد الآخرون متمسكين بالتعريب ((1)، وكانت نتيجة التبعية الفرنسية في السياسة اللغوية اللبنانية تلاشي الآمال والأحلام المعقودة في هاجس المجتمع اللبناني بعد انحسار أهمية الفرنسية وهيمتها السابقة علاوة على الهدر المالي والثقافي الذي استنزفته تلك السياسة اللغوية، ولكن الإشكالية الكبرى أن هذه السياسة لم تستفد من تجربتها السابقة في فشل التبعية السابقة وانساق في إطار تجربة تبعية جديدة ستكون نتيجتها كنتيجة سابقتها في يوم من الأيام.

وفي تونس التي كانت تعيش تبعية لغوية منظمّة ومدعومة ماليا وإعلاميا من الحكومة الفرنسية، أصبحت الفرنسية تعاني ((من عجزها عن المنافسة العالمية مقارنة بالإنكليزية أو حتى لغات أخرى)) 391، وبعد تبعية طويلة للفرنسية أصبحت الحاجة إلى الإنكليزية -لجدواها الاقتصادية وما توفره من فرص العمل- مطلبا اجتماعيا جديدا، مما يدل على فشل التبعية السابقة والبحث عن تبعية جديدة وهذا ما تشير إليه أرقام وإحصائيات وزارة التعليم التونسية الجديدة، وما يقال عن التبعية اللغوية في لبنان أو تونس يمكن قوله عن بلاد المغرب العربي وأوطان عربية أخرى، كما أنه يتسق بشكل متشابه مع تجارب لغوية في مجتمعات أخرى من الدول المصنفة في درجة العالم الثالث .

-نزيف الأدمغة / هجرة العقول .

يعالج موضوع نزيف الأدمغة وهجرة العقول العربية بشكل كبير جدا في كتابات كثير من المفكرين والمثقفين المتخصصين وكذلك المؤسسات والهيئات الرسمية، حيث ((تمثل هجرة العقل العربي وغربته عن وطنه ومجتمعه إحدى الارتباطات الخطيرة بالتعليم بلغة أجنبية وتفكيك الهوية العربية، فثمة اتفاق واضح بين دراسات الآثار السلبية للتعليم بلغة أجنبية على أنه يمثل البوابة الرئيسة لهجرة العقول العربية أو هجرة الأدمغة العربية إلى خارج وطنها)) (1)، واللافت للانتباه أن الأرقام في كثير من التقارير والإحصائيات المعنية بذلك تبدو مخيفة إلى حد الدهول، حيث ((تشير الإحصاءات المأخوذة من الدراسات التي قامت بها جامعة الدول العربية ومنظمة العمل العربية ومنظمة اليونسكو وبعض المنظمات الدولية والإقليمية المهمة بهذه الظاهرة إلى الحقائق الآتية :

- يسهم الوطن العربي في ثلث هجرة الكفاءات من البلدان النامية .
- إن 50٪ من الأطباء و 23٪ من المهندسين و 15٪ من العلماء من مجموع الكفاءات العربية المتخرجة يهاجرون إلى أوروبا والولايات المتحدة وكندا بوجه خاص .
- إن 54٪ من الطلاب العرب الذين يدرسون في الخارج لا يعودون إلى بلدانهم .
- يشكل الأطباء العرب العاملون في بريطانيا حوالي 34٪ من مجموع الأطباء العاملين فيها .
- إن ثلاث دول غربية غنية، وهي الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا تصطاد 75٪ من المهاجرين العرب، بل أكثر من ذلك قامت بعض الدول الغربية بمنح جنسياتها للعقول العربية المهاجرة حتى يكون هناك نوع من الولاء والانتماء لها .
- يهاجر 100000 من العلماء والمهندسين والأطباء والخبراء كل عام من ثمانية

34 . (1) أحمد حسين حسنين ومجموعة مؤلفين، اللغة والهوية في الوطن العربي، ص 373 .

أقطار عربية (سوريا - لبنان - العراق - الأردن - مصر - تونس - المغرب - الجزائر).

- بلغت خسائر الدول العربية التي ترتبت على هجرة عقولها حوالي 200 مليار دولار(1).

والحقيقة أن كثيرا من الأبحاث والدراسات المهمة بذلك قد اعتمدت على الاستنساخ والتكرار في كثير من طروحاتها بهذا الشأن، فدائما ما تتمركز دراساتنا في بحث أسباب الهجرة وحصر ذلك في الأبعاد السياسية، كعدم الاستقرار السياسي، وضعف الحريات العامة، وانتشار الفساد والمحسوبية، أو الأبعاد الاقتصادية كانهخفاض مستوى المعيشة وعدم الاستقرار الوظيفي.. إلخ، دون الوعي بالاستنزاف الاقتصادي وهدر التنمية البشرية في تلك المجتمعات، لأن معظم هذه الإحصائيات تصدر من جهات معنية بمبادئ حقوق الإنسان ومعالجة الفقر والبطالة بصورة آنية وعاجلة دون التعمق في إصلاح الخلل الأساسي حينما ((تؤدي الهجرة إلى حرمان اقتصادات ومجتمعات الدول المرسله من القوة العاملة الأكثر فتوة والأكثر مبادرة فيها)) (2)، ويتبع ذلك في تفاقم الإشكالية أن ((المهاجرين لا يرغبون أو هم غير قادرين على ترك مواطنهم الجديدة والعودة إلى أوطانهم الأصلية بعد حصولهم على الخبرات العلمية والمهارات التقنية التي يمكنها النهوض بالتنمية في

35. (1) نزار قنوع وغسان إبراهيم و جمال العص، هجرة الكفاءات العلمية العربية (النقل المعاكس للتكنولوجيا)، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية المجلد (28) العدد (1)، 2006م..

36. (2) سلام الكواكبي، الهجرة الدولية والتنمية في بلدان الإسكوا: التحديات والفرص، ص 68

أوطانهم، ومن هنا يمكن أن تشكل هذه الهجرة خسارة اقتصادية وتقنية لا يمكن تجاهل أثرها على التنمية)) (1)، ولعل أرقام الإحصائية التي ذكرناها سابقا كفيلة

37. (1) السابق، ص 71.

38. قائمة المصادر والمراجع:

39. أحمد حسين حسنين وأنور الجمعاوي ومجموعة مؤلفين، اللغة والهوية في الوطن العربي، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2013م).

40. أحمد الضبيب، اللغة العربية في عصر العولمة، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 2001م)

41. حسن احجيج، نظرية العالم الاجتماعي قواعد الممارسة السوسولوجية عند بيير بورديو، (الرباط: مؤمنون بلا حدود، ط1، 2018م).

42. حسن حمزة وعلي القاسمي ومجموعة مؤلفين، التخطيط والسياسة اللغوية، (الرياض: مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، ط1، 1417هـ).

43. حمد آل فريان، جريدة الجزيرة، (الرياض، العدد 13974، 1/1/2011م).

44. خضر القرشي، إكسبير التنمية، (الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 2016م).

45. روبرت فليسون، الهيمنة اللغوية، ترجمة (سعد الحشاش)، (الرياض: جامعة الملك سعود، 2007م).

46. زهير السباعي، تجربتي في تعليم الطب باللغة العربية، (الدمام، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، 1995م).

47. زهير الكرمي، العلم ومشكلات الإنسان المعاصر، (الكويت: المجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب، 1987م).

48. سلام الكواكبي، الهجرة الدولية والتنمية في بلدان الإسكوا: التحديات والفرص، (نيويورك: هيئة الأمم المتحدة، 2011م).

49. سيف المعمرى، جريدة الرؤية العمانية، 26 / 6 / 2016م.

بالنهوض الكبير في الوطن العربي لو كان هناك وعي بمكان استثمارها الصحيح.

50. <https://alroya.om/post/165762> الموقع الإلكتروني، تاريخ المشاهدة 26 / 7 / 2018م.
51. عثمان سعدي، جريدة الرياض، العدد(16623)، 28/12/2013م).
52. عزالدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية، (بيروت: دار العودة، ط5، 1988م).
53. كريم مروة، نحو نهضة جديدة للياسار في العالم العربي، (بيروت: دار الساقى، 2017م).
54. محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، (بيروت: دار العودة، 1987م).
55. محمد مراياتي، أسئلة اللغة، (الرباط، معهد الدراسات والأبحاث والتعريب، 2002م).
56. محمود الذوايدي، المجتمعات العربية وعلاقتها النفسية والاجتماعية بلغتها، (الرياض، مركز الملك عبدالله الدولي لخدمة اللغة العربية، 2015م).
57. نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، (الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2001م).
58. نزار قنوع وغسان إبراهيم و جمال العص، هجرة الكفاءات العلمية العربية (النقل المعاكس للتكنولوجيا)، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية المجلد (28) العدد (1)، 2006م.
59. نسيم الخوري، الإعلام العربي وانهار السلطات اللغوية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2005م).

إن الوطن العربي حينما يعلم أبناءه باللغة الأجنبية ويتخذها لغة للتنمية والنهضة التعليمية والفكرية إنما يلبس ثوبا مستعاراً، فالجيل المتعلم باللغة الأجنبية سيكون خسارة على وطنه ومجتمعه، لأن كل عقل مفكر وعالم مؤثر وصاحب مؤهل عال أو تخصص فريد مهما كان .. ؛ عند وجود أي اختلال سياسي أو اقتصادي سيجد وطننا آخر يرحب به ويرفع قيمته ويضمن له عيشاً آمناً، أما وطنه الأصلي فسيخسره لأي ظرف طارئ على حياة واستقرار ذلك الوطن، وما خسره الوطن العربي من علمائه ومفكره وكفاءاته في هذا العصر لم يكن ليحدث لو أن تلك الكفاءات كان تعليمها وبحثها وإنتاجها بلغتها الوطنية .

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات:

وقفت هذه الدراسة على إشكالية التبعية اللغوية في المجتمع العربي متخذة أسلوباً مختلفاً عن الممارسة التقليدية في ضبط هذه الإشكالية وطريقة معالجتها، وذلك حين تحصر تلك الممارسة جل اهتمامها في قضية الهوية والانتماء غير واعية بتطورات الحضارة المعاصرة حينما جعلت اللغة ركيزة أساسية في التنمية البشرية والاقتصاد المعرفي وما يتمحور في هذا المضمار من نهضة المجتمع وتنميته المعرفية والاقتصادية، وفي سبيل السعي نحو منهج مختلف في ضبط الإشكالية ومعالجتها فقد قامت هذه الدراسة بعقد مقارنة متعددة التوجهات تعتمد على الواقع اللغوي في المجتمع، فقارنت أولاً بين التبعية اللغوية في المجتمع العربي ونماذج لهذه التبعية في مجتمعات أخرى، وبينت في هذه المقارنة كيف استطاعت تلك المجتمعات التخلص من آثار الاستعمار والتحرر الثقافي من هيمنته على حين لم يستطع المجتمع العربي تحقيق هذا التحرر والتخلص من رواسبه الباقية في الثقافة والفكر، وفي مقارنة أخرى نظرت إلى تدريس الطب في الوطن العربي باللغة العربية واللغة الأجنبية كأنموذج مائل للتبعية اللغوية، وكانت نتيجة هذه المقارنة بعد فحص

الإحصاءات والدراسات المعنية بذلك عدم وجود أي قيمة للتبعية اللغوية علاوة على آثارها المستقبلية في شطر المجتمع لغويا واستنزاف مدخراته وثرواته في اتجاهات غير صحيحة، وفي مجال آخر من هذه المقارنات تبين كيف استطاع المجتمع العربي مجاراة التطور العالمي في الإبداع الأدبي واستثمار آليات النقد الجديدة بلغته العربية على حين لم يستطع الوصول إلى ذلك في المجالات العلمية والتقنية التي تمارس فيها التبعية اللغوية، وقد اعتمدت هذه الدراسة في مقارناتها السابقة على مقارنة حجاجية تلتزم بمحددات المنطق والأسلوب العقلاني بعيدا عن الاندفاعات العاطفية وهوس الذاتية المفرطة في الطرح والمعالجة.

وحيثما أعملت هذه الدراسة كثيرا من اهتمامها على الواقع اللغوي فإنها لم تغفل عن استشراف المستقبل والتركيز على تبني سياسة لغوية وتخطيط مستقبلي يكون مبنيا على أسس تنموية وأهداف نهضوية، فبينت النتائج السلبية للتبعية اللغوية حين انهيار المتبوع سياسيا أو اقتصاديا؛ والضريبة التي تدفعها المجتمعات التابعة حين حدوث مثل هذه الأمور، وقد حرصت الدراسة على إبراز وعي المجتمعات المتطورة بهذه القضية واستفادتها من التجارب السابقة في هذا المجال، كما حاولت الدراسة التركيز على هجرة العقول العربية وبينت بالأرقام والإحصاءات مدى ما يخسره الوطن العربي ويستثمره الآخرون في هذا الاستنزاف التنموي الذي لو كان موجها في طريقه الصحيح لكان كفيلا بتحقيق النهضة العربية وتنمية الإنسان العربي. وفي سبيل تأطير الفهم القاصر لجدوى التبعية اللغوية وأهميتها في تحقيق التنمية ونقل التقنية كان من الضرورة استعراض دور الحضارة المعاصرة في النظام اللغوي والتطور السريع والمتراسل في المنتجات والمصطلحات مما جعل الاختراق اللغوي ملمحا رئيسا في واقع الحضارة الجديدة، وهو ما يعني بالتالي أن قضية النهوض ليست في التبعية اللغوية وتعلم اللغات الأجنبية ولكنها في طبيعة

الحضارة ذاتها وديناميتها اللغوية وهو ما بات محسوسا لدى أصحاب تلك الحضارات نفسها، ولذلك أصبح من الضروري الوعي بهذا التطور اللغوي والدخول المباشر في طبيعة الحضارة وواقعها اللغوي بفتح منافذ التهريب والمثاقفة المستمرة لإثراء المحتوى اللغوي واستيعاب التطور الحضاري للغة بصورة تناسب مع واقع الحياة المعاصرة.

وأخيرا فإن هذا البحث حاول الوقوف على واقع التبعية اللغوية وآثارها على التنمية والنهضة العربية مدركا إمكانية النهوض وتحقيق التطور عند اتباع سياسة لغوية صحيحة وجعل اللغة ركنا رئيسا في كل رؤية تسعى إلى التطور والنهوض، والإمكانات الذاتية للأمة العربية وتاريخ لغتها وعدد متكلميها قادر على تحقيق ذلك بكل كفاءة واقتدار، والطريق الموصل إلى ذلك هو السياسة اللغوية الصحيحة والتخطيط السليم.

*Language Dependency- the Arabic Renaissance
and Development- language arabic*

*Haged Dumaithan Al-Harbi
Associate Professor of Modern Literature and
Criticism Arabic Department – Collage of Arts – King
Saud University*

Abstract

This study discusses the issue of a foreign language in Arabic education and its impact on the renaissance and national development. The study depends on the modern cultural perspective on the language and its role in the human development and also on how the linguistic dependency leads to the disintegration of the social fabric and the migration of competencies and neglect of sustainable development. In this study, the linguistic reality is also reviewed with a very detailed analysis based on other linguistic experiences, and the current Arab experience to understand the mechanism of linguistic planning between the reality and expectations.

صورة الصحراء بين ديواني "موقف الرمال" لحمد الثبتي و"مواقيت الرمال" لحمد الصفراني: دراسة موازنة

د. مجدي الأحمدى
جامعة تبوك
كلية التربية و الآداب ، قسم اللغة العربية
mealahmadi@ut.edu.sa

المستخلص

تهدف الدراسة إلى الوقوف عند صورة الصحراء ومكوناتها، وظهورها من خلال الموازنة بين ديواني "مواقيت الرمال" للشاعر محمد الصفراني، و "موقف الرمال" للشاعر محمد الثبتي، فتقف عند محورين رئيسيين، متمثلان في الصحراء والإنسان، والصحراء ومظاهر الطبيعة، إضافة إلى الصحراء والتناص البعدي، مع الكشف عن هذا الظهور ومدى تعالق الشاعر مع الصحراء.

الكلمات المفاتيح : (الصحراء - الإنسان - الطبيعة - التناص البعدي)

مقدمة

على الرغم مما يتمتع بهما ديوانا : "موقف الرمال" و "مواقيت الرمال" للشاعرين السعوديين، محمد الثبيتي (1) ومحمد الصفراني (2)، من خصوصية تميز كل واحد منهما من حيث العناصر الفنية، كالصورة والموسيقا والألفاظ إلخ، إلا أن القارئ للديوانين يجد وجوها عديدة من التلاقي في الثيمات التي يطرحها الشاعران، ابتداء من الثيمة العامة التي تشكل الإطار الكلي للثيمات المتناثرة في قصائدهما،

(¹) محمد عواض الشبيبي شاعر سعودي، ولد عام 1371هـ/ 1952 م في منطقة الطائف، تلقى تعليمه الابتدائي بالطائف، ثم انتقل إلى مكة المكرمة حيث واصل دراسته المتوسطة والثانوية وتخرج في معهد إعداد المعلمين بمكة 1392هـ، ثم حصل على البكالوريوس في الاجتماع من جامعة الملك عبدالعزيز بجلدة 1400هـ وعمل بالتدريس في المرحلة الابتدائية حتى عام 1404هـ ثم انتقل إلى العمل بإدارة التعليم بمكة، دواوينه الشعرية: عاشقة الزمن الوردى - تهجيت حلمًا... تهجيت وهمًا-التضاريس- موقف الرمال توفي عام 1432هـ/ 2011م، يُنظر:

-معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، الكويت، 1995م، المجلد4، ص190.

(²) محمد سالم الصفراني شاعر وأكاديمي سعودي، ولد بالمدينة المنورة عام 1389هـ تلقى تعليمه في مدارسها، ثم حصل على البكالوريوس من جامعة الملك عبدالعزيز، وعلى الماجستير من الجامعة الأردنية في تخصص الأدب والنقد، ثم حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة الملك سعود في تخصص الأدب والنقد، ويعمل حاليا في جامعة طيبة بالمدينة المنورة، دواوينه الشعرية: شارب المحو- المدينة-مواقيت الرمال، بالإضافة إلى عدة مؤلفات منها: شعر غازي القصيبي دراسة فنية، نحو مجتمع المعرفة: متطلبات التنمية الثقافية والأمن الفكري في المملكة العربية السعودية، نقلا عن الرابط الإلكتروني:

<https://www.taibahu.edu.sa/Pages/AR/Sector/SectorPage.aspx?ID=13&PageId=15>

2بتاريخ 4/6/2018م.

- ينظر: الخطر اوي، محمد العيد، أسرة الوادي المبارك، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة،

الرياض، ط1، 1426هـ، ص432.

وهي " الصحراء " التي تشكل " الرمال " مادتها الأساسية والأكثر انتشارا في أرجائها، الأمر الذي يستقيه القارئ مبدئيا من تقاطع عنواني الديوانين في مصطلح "الرمال".

إلى ما يلي ذلك من ثيمات جزئية متناثرة بين قصائد الديوانين، لا يجد القارئ بدا من عدّها من متعلقات الصحراء، من مثل: الرمال، والأعراب، والرحلة، والقصيدة، والمرأة، والظمأ، والنخيل والحرملة والشوك، والسراب، والنجوم، والسنور، والخوف، والظلام، والخيل، والنار، والريح، والماء . تلك العناصر التي تغني بها الشعراء في قصائدهما، كل بأسلوبه الخاص .

لذلك فقد وجد الباحث من المناسب مقارنة الديوانين من هذا الجانب الذي قرأ فيه صورة الصحراء بين الديوانين، وما يلي ذلك من ثيمات جزئية ذات علاقة بالصحراء، في دراسة موازنة تحاول تلمس وجوه الالتقاء والاختلاف بينهما، وأسباب ذلك وتداعياته الفنية.

حيث جاءت الدراسة في محورين رئيسيين : أولهما محور "الصحراء والإنسان"، وقسّمه الباحث لجزئيات، تتعلق بقواسم مشتركة بين الإنسان والصحراء في وجدان الإنسان العربي، على وفق ما هو وارد في الديوانين بالطبع، وهي : الصحراء والأعراب، والصحراء والرحلة، والصحراء والمرأة، والصحراء والقصيدة، والصحراء والظمأ.

أما المحور الثاني، فقد جاء بعنوان "الصحراء ومظاهر الطبيعة"، وقسّمه الباحث أيضا إلى جزئيات، تتعلق بقواسم مشتركة بين الإنسان ومظاهر الطبيعة القارة في وجدان الإنسان العربي، على وفق ما هو وارد في الديوانين كذلك، وهي : الصحراء والنبات والصحراء والحيوان، فضلا عن متفرقات أخرى من عناصر الصحراء، إضافة إلى استثمار التناص البعدي، آملا أن أقدم بذلك حقيقة علمية مفيدة، والله من وراء القصد .

تمهيد:

يلحظ القارئ لديواني الشاعرين، أنهما لا يعمدان إلى مقارنة الأفكار والموضوعات والقيم المطروقة لديهما بشكل مباشر، والتعاطي معها بشكل حسي ملموس تحليليا ومناقشة وتفكيكا وتركيبيا، وإنما يعمد كل منهما إلى تغليف لغته بهالة من الألفاظ والتعابير الجذابة والصور البلاغية الرقراقة والموسيقا الهادئة، حالهما في ذلك كحال معظم شعراء العصر الحديث الذين يميلون إلى استخدام لغة الرمز بديلا عن التعاطي المباشر مع الأفكار التي يطرقونها، بحيث تتراءى الأفكار والموضوعات والقيم التي يقارنها كل منهما من بين ثنيات تلك التعابير والصور والموسيقا، ولكنها في النهاية لا تخفى على القارئ النبيه .

بحيث تشكل الصحراء مكونا مهما إن لم يكن الأهم بين تلك الموضوعات المتناثرة على أديم كل من الديوانين، فالصحراء من أفقر الأماكن على وجه الأرض في التنوع اللوني(1)، وقد "تُعطي المعنى بُعدًا إضافيًا في التعبير عن المعاناة والقسوة"(2)، فيجد القارئ الصحراء تفرض نفسها منذ اللحظة الأولى ابتداء بعنواني الديوانين: موقف الرمال ومواقيت الرمال، والرمال ولا شك هي المكون الحسي الأبرز في الصحراء التي تشكل جزءا غير يسير من أراضي وطننا العربي الكبير على امتداده، وعبر مراحل تاريخه القديم والحديث، ليجد القارئ بعد ذلك الثيمات المتعلقة بالصحراء متناثرة في الديوانين، ولعلّي أقسم تعاطي الشاعرين مع

(١) صالح، صلاح، دراسة المكان الصحراوي، مجلة فصول، المجلد الثاني عشر، العدد 3، حزيران 1993م، الهيئة المصرية العامة، ص 301.

(٢) القرني، عبدالله، شعرية المكان في أعمال القصصي الشعرية، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، السنة الرابعة، العدد 5، 1436هـ، ص 390.

تلك الثيمات وفق المحورين الآتيين :

المحور الأول : الصحراء والإنسان .

فقد كانت الصحراء وستظل تحتل مساحة واسعة من وجدان الإنسان العربي قديماً وحديثاً، فقد شاء له القدر أن تشكل جزءاً واسعاً من البلاد التي يعيش فيها، من شبه الجزيرة العربية موطن الإنسان العربي الأول، إلى ما يليها من أصقاع الوطن العربي وأمصاره، والثيمات التي يجد القارئ أنها تشكل تواشجاً بين الصحراء والإنسان في ديواني الشاعرين، تتمثل في:

أ- الأعراب

في اللغة الأعرابي: البدوي وهم الأعراب والأعراب: جمع الأعراب، وليس الأعراب جمعاً لعرب، والنسب إلى الأعراب أعرابي والأعرابي إذا قيل له: يا عربي فرح بذلك وهش له، والعربي إذا قيل له يا أعرابي غضب له. فمن نزل البادية أو جاور البادين وظعن ظعنهم وانتوى بانتوائهم، فهم أعراب ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمي إلى العرب فهم عرب وإن لم يكونوا فصحاء(1)، يقول محمد السموري: "فالعرب أمة قومية والأعراب جماعات جغرافية منهم العرب وغير العرب فهناك أعراب فارس وأعراب الحبشة وأعراب من العرب"(2)

لقد وردت كلمة الأعراب لدى الشاعر الثبيتي، إذ جعل قصيدة كاملة تحت عنوان "الأعراب"، يقرأ المتلقي بين سطورها ذاك الشوق في قلب الشاعر ووجدانه

(١) ابن منظور، لسان العرب، مجلد1، مادة (عرب)، دار صادر، بيروت، ص586.

(٢) السموري، محمد، العرب والأعراب: خلط المفاهيم، وفوضى الدلالة!، 2007م، موقع ديوان العرب:

<http://www.diwanalarab.com/spip.php?article7884> /2/1 2109م

للأعراب الذين تراءوا في مخيلته وهم يسرجون خيولهم، ومن ثم يتنادون إلى ساحته، حيث يتمنى الشاعر لو أنهم أوقدوا نارهم تحت نافذته واستراحوا:

" ليتهم حينما أسرجوا خيلهم

وتنادوا إلى ساحتي

أوقدوا نارهم تحت نافذتي

واستراحوا" (1)

وفي موضع تال يستدعي شخصيتين من شخصيات التاريخ العربي، واحدة مما قبل الإسلام والأخرى من العصر العباسي الأول، عرفتا بعلاقتها الوطيدة بالصحراء وكرمهما الذي كان فيه عوض لإنسان الصحراء، عن الجوع والسغب والمخمصة، التي كانت تتسبب بها الصحراء في حق إنسانها، حينما كانت تضن عليه في بعض الأحيان بخيرها الذي في جوفها، وهما حاتم الطائي ومعن بن زائدة:

" كان يثوي بقربي حزينا

ويطوي على ألم ساعده

قلت: من؟

قال: حاتم الطائي وأنت؟

فقلت:

أنا معن بن زائدة [التمييز في الأصل] (2)

إذن فهي علاقة شائكة تلك العلاقة التي تربط الإنسان العربي بصحرائه؛ فبالرغم من أنها تقسو عليه في بعض الأحيان، إلا أنه لا يفتأ يحبها ويشتاق إليها

(١) الشبيبي، محمد (2009م)، الأعمال الكاملة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، النادي الأدبي بحائل، ط1،

ويحن لها، إلا أنّ الشخصيتين لم تأت بالوجه المألوف، "إذ ابتعدتا عن دلالتهما التاريخية"⁽¹⁾ فكانتا تعانيان مما يقود المتلقي إلى الإحساس بتضامن هاتين الشخصيتين مع الشاعر.

وإذا كنا قد وجدنا في أبيات الشيبتي السابقة الشوق للصحراء واستدعاء بعض رموزها من إنسانها الأول، فإننا لا نعدم هاتين الفكرتين في شعر الصفرائي، فهو يجوب الفراغ في رحلة ذهنية روحية، يبث متلقيه بعضاً من آلام نفسه، لتتراءى الصحراء وإنسانها الأعرابي من بين ثنيات سطور القصيدة:

جبت الفراغ وفيه كل مخمصة وعدت لا ماء حول الراحـل

البرم

أو فسحة في ذقون البدو أنقشها وردا سوى الصيف يقري الضيف

بالنقم (2)

فهو قد جاب الفراغ في رحلته هذه، لكن أوبته لصحرائه وإنسانها البدوي، تعكس في أغلب الظن شوقاً مبطناً من الشاكي تجاه المشكو منه وهو الصحراء، ليقول الشاعر في موضع تال:

"وحدي أنا

أبتاع أمزجة من التاريخ تأنس بي

وأحملها لأهلي في البوادي

وأريح كوكبة الصهيل" (3)

(1) الشمري، زيد، محمد الشيبتي شاعراً، إشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم البعول، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة، 2014م، ص73.

(2) الصفرائي، محمد، مواقيت الرمال، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، النادي الأدبي-الباحة، ط1، 2011، ص47

(3) المصدر نفسه، ص58

فالاستدعاء واضح ولا ريب، من خلال استخدام الشاعر مفردة " التاريخ " مقرونة في السياق بمفردة " أبتاع "، لكنّ المستدعى هنا غير واضح كما كان عند الشبتي، فهو يستدعي من ذلك التاريخ ما يتوافق مع مزاجه الذي يوحى السياق بأنه ليس صافياً، ليحمل ذلك المستدعى المجهول إلى أهله في البوادي، وكأنه يريد بذلك أن يهدئ شيئاً مما يجيش في نفسه ونفس قارئه الذي، الذي يفترض الشاعر أنه متأثر بما يقرأه.

ويقول في قصيدة (سيرة ذاتية لموالات الرياح):

بعض أعرابٍ أقاموا هاهنا

فأقم إن شئت لن تلقى وطن (1)

إذ تحضر مفردة الأعراب مثلاً لعدم القدرة على التعايش، فالأعراب يمثلون جانب الإنسان القادر على التكيف مع أفسى الظروف، فالشاعر وصل إلى حد يتجاوز التصوّر، فقدرته على التكيف مع الصحراء جعلته يصوغ سيرة ذاتية لصوت الرياح، وأصبح دليلاً لهذه التضاريس.

فالمعاناة واضحة لدى الشاعرين، وشوق الإنسان العربي لصحرائه غير خاف، مضافاً إليه الاستدعاء من التاريخ، لكن بشيء من الإيجابية أكثر لدى الشبتي مما هو عند الصفراني.

ب- الرحلة

تمثل الرحلة الانتقال من رغد المكان إلى قسوة الأرض بحثاً عن

(١) المصدر نفسه، ص 36.

البقاء(1)، وهي صراع لا ينتهي مع الطبيعة، لجأ لها العربي القديم؛ حفاظًا على توازن الحياة واستقرارها وسيورتها.

لقد أحب الجاهلي الرحلة ووقعت من نفسه موقعًا عميقًا؛ فإذا به يختلي مع حيوانه ليتخذها رفيقًا كالناقة والفرس، أو يظل مستفردًا كالنسر والعقاب والوعل والثور الوحشي والأتان والحية والعقرب(2)، ونجده، أحيانًا، يتخذ منها جمهورًا صامتًا، فهو أشبه بالمعلم(3).

فعنتره العبسي، على سبيل المثال، يقر بأن السفر فيه هروب إلى الفلاة طلبًا للخلوة، متعذرًا لعبلة حين خروجه:

أطوي فيافي الفلا والليل معتكراً وأقطع البيد والرمضاء تستعر(4)
والحركة "جوهر الرحلة وأساسها الذي لا ينقطع عنها، وتعتبر مكونًا أصيلاً من مكونات الإنسان، وذلك لأن الحركة دليل الحياة"(5)، مقابل أن السكون "من دلائل الموت، وأن تتحرك حركة ضعيفة يؤمل أن تقوى، أحب ... من أن تسكن"(6).

لذلك أصبحت الحركة لازمة من لوازم علاقة الإنسان العربي بصحرائه،

(١) يُنظر: رومية، أحمد وهب شعرنا القديم والنقد الجديد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1996م، ص 122.

(٢) يُنظر: عجينة، محمد، موسوعة أساطير العرب في الجاهلية، ج 1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط 1، 1999، ص 281.

(٣) يُنظر: زواوي، خالد، تطور الصورة في الشعر العربي، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ط 1، 2000م، ص 231.

(٤) ابن شداد، عنتره، الديوان، مطبعة الآداب، بيروت، 1893م، ص 38.

(٥) العليان، وفاء سليمان، الارتحال في الشعر الجاهلي، بحث مُقدّم لنيل شهادة الماجستير، إشراف د. جميل مغربي، جامعة الملك عبدالعزيز، 2011م، ص 17.

(٦) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1986م الجزء الثاني، ص 420.

وعنصرا من العناصر الفنية في عمود القصيدة العربية القديمة التقليدية. أما الرحلة لدى الشعارين، موضع البحث، فتشكل منفسا للتبرم والشكوى من وعثاء السفر ومشقته والألم الذي تعانيه الذات، لا سيما أن كليهما يستخدمان ضمير "الأنا" أو أل "نا" في التعبير عن التبرم والشكوى. وهنا لا تكون الرحلة حقيقية كما كانت عند العرب بل إنها رحلة للذات، تعكس صعوبة اندماج الذات مع الواقع، وهذا ما يتجلى أثناء وصف رحلة الذات في الصحراء لدى كل منهما.

يقول الثبيتي:

"وأمر ما بين المسالك والمهالك
(...)

ويرتمي ظلي أمامي
(...)

وأجوب ببداء الدجى" (1)

وفي موضع آخر:

"وكلانا تغشته حمى الرمال
فلم يدر أي رياح تلقى
وأي طريق سلك" (2)

فالشكوى واضحة من وعثاء الرحلة ومسالكها ومهالكها وظلامها الذي يمتد عبر طريقها، فضلا عن الحمى التي قد تعترى الضارب في عمق الصحراء والخوف من الضياع في فجاجها، كما يتبين أن الثبيتي يستثمر تقنية الحذف في موضعين للتعبير عن الفراغ، وأن ما يشعر به لا يمكن البوح به.

(١) الثبيتي، الأعمال الكاملة، مصدر سابق، ص 21، 23، 25.

(٢) المصدر نفسه، ص 37.

والأمر ذاته يجده المتلقي في ديوان الصفراني، لكن بقدر أكبر من الحدّة في التعبير عن التبرم والشكوى، فهو يقول في موضع :

لهفي على الذارعين البيد فرّقهم

أشيمط الحزن حلال الذؤابات(1)

فاستهلال الشاعر هذه الأبيات بكلمة " لهفي "، مقرونة في السياق بكلمات : الذارعين والبيد وفرّقهم، تؤتي أثرها في بيان مدى تحسره على أولئك الذين يتسبب تجوالهم في الصحراء وقطعهم لها، في مشاق تبلغ في قسوتها حد أن يسري الشيب في شعر الرأس، فتنحل الذؤابات ويختلط سواد الشعر ببياضه.

ويعمّق الشاعر من مدى التبرم من هذه الرحلة بقوله في موضع آخر:

سارون والدرب الطويل خديعة

كبرى ولا صبح ليحمد ذا السرى(2)

فالقوم خارجون في مستهل رحلتهم في وقت السرى، لكن ما يزيد الألم وفق قناعة الشاعر، أن هذه الدرب الطويلة التي سيذرعها أولئك القوم، هي خديعة كبرى يحيط بها الظلام، بحيث لا يجدون متنفساً لأمل يجعلهم يحمدون سراًهم ذلك في تلك الرحلة .

ولا أجد بأساً في أن أقرن بالشاهدين السابقين، شاهداً ثالثاً يقول فيه

الصفراني :

" بلا موعد

ومن بين الخطى اللاتي

تسطر صفحة الترحال

(١) الصفراني، مواقيت الرمال، مصدر سابق، ص 8.

(٢) المصدر نفسه، ص 23.

من بين الدروب / التيه " (1)

والموطن الأكثر لفتا للانتباه في قول الشاعر هذا، هو استخدامه للفظه " التيه " مرادفة للفظه " الدروب " التي هي ممر الراحلين ومعبرهم في رحلتهم، بحيث يبيّن هذا الاستخدام قناعة راسخة لدى الشاعر، أن الرحلة هي الخطوة الأولى من خطى التيه.

فالشاعران كلاهما يظهران التبرم من الرحلة والشكوى مما بها من مشاق ووعثاء ومخاطر، ولكن نبرة الشكوى كانت لدى الصفراني ظاهرة أكثر مما لدى الشبتي.

ج- المرأة

وعلى الرغم من ندرة حضور " المرأة " في ديواني الشعارين، مقارنة بغيرها من الثيمات الأخرى، إلا أن المتلقي يجدها في ديوان الشبتي حاضرة بوصفها المعشوقة، التي يعلق بها العاشق متغزلا واصفا لمكان جمالها، بصورة أوضح مما لدى الصفراني الذي لا يتعدى ورودها في ديوانه، مثلا على الحب العذري في تاريخ الثقافة العربية.

فالشبتي يتغنى بلازمتين من لوازم جمال المرأة: شعرها الذي يمتد بامتداد تصور الشاعر لامتداده، وباسمها الذي يبحث عنه في أساريها وسجاياها ليعرفه ويسبر غوره، لكنه لا يجد السجية أو الخلق الذي يصلح لأن يكون اسما لها، لسمو قدرها الكامن في وجدانه وعقله، يقول الشبتي :

" يا شعرها

ومدى الضفيرة

(١) المصدر نفسه، ص 91.

(...)

فمضيت للمعنى

أحذق في أسارير الحبيبة كي أسميها

فضاقت

عن

سجايها

الأسامي (1)

وفي موضع آخر يقول الشبيبي في مستهل قصيدة بعنوان "يا امرأة":

"يا امرأة

بيننا قدح صامت

كيف أعبر هذا الفضاء السحيق

لكي أملاه" (2)

فهي لا تعدو كونها النديمة، التي يمّني الشاعر نفسه أن يعبر الفضاء السحيق

الممتد بينهما ليملاً القدح.

ويقرن الصفراني بين الموال والرياح في قصيدة بعنوان "سيرة ذاتية لموال

الرياح"، واصفا العلاقة بينهما في أحد مواضع القصيدة بأنها مجرد وهم أصابهما في

علاقتهما هذه، ويضرب مثالا على ذلك الوهم بقوله:

مسه الوهم فجافاه هنا

نشأ القلب عليه ومرن

وهمه ليلى وليلاه رؤى

(١) الشبيبي، الأعمال الكاملة، مصدر سابق، ص 26، 27.

(٢) الشبيبي، الأعمال الكاملة، مصدر سابق، ص 43.

أي قيس كاد من وهم يجن (1)

فإن كان الصفراني يقصد أن يجعل من قصة العلاقة العذرية بين قيس بن الملوّح ولىلى الأخيلىة، مثالا يضربه على وهم العلاقة، فهو يبحث عمّا يقارب نظرتة في تمدد الوهم من خلال التاريخ، أمّا الثبتي راح يبحث عن اسم المعشوقة بين سجايها ولم يجد السجّية المواتية التي يشتق للمعشوقة اسما منها، وكأنّه يجد نفسه عاجزا عن تصويرها، لأنّها في الحقيقة خيال، لذا راح يتساءل عن الكيفية التي سيملأ القدح الكامن خلف الفراغ السحيق، ليقدمه من ثم لنديمته التي هي محبوبته.

د- القصيدة

ليس في مكنة المرء أن يجعل " القصيدة " من متعلقات الصحراء وحدها من دون الحاضرة والريف وحسب، ولكنها بالرغم من ذلك تظل متنفسا للأعرابي وهو يتجول في بديائه ويجوب أرجاءها، منشدا أنغامه وقصائده ومستقطا بعض ما في نفسه من لواعجها مع تلك الأنغام، ولعل هذا ما يجعل المرء يجيز لنفسه هنا أن يدرج ثيمة " القصيدة " في هذه الموازنة بين شعري الثبتي والصفراني .

واللافت للانتباه هنا أن الثبتي لا يكاد يدرج " القصيدة " إلا في موضعين أو ثلاثة على الأكثر، حيث يجد المتلقي أن السياق الذي يرد فيه ذكر القصيدة يغلب عليه جو من القتامة والبؤس، نتيجة استخدام الشاعر لعدد من الألفاظ والصور التي تأتي القصيدة في إطارها، يقول الثبتي :

" قال :

يا أيها النخل

هل ترثي زمانك

(١) الصفراني، مواقيت الرمال، ص 34.

(...)

والقصائد في يدك مصائد

والليل بحر للهواجس والنهار

قصيدة لا تنتمي إلا لباريها" (1)

فهي ترد في سياق يخاطب فيه الشاعر النخيل سائلا إياه إن كان يرثي زمانه، ثم يتبع ذلك برسم صورة يجعل فيها من القصائد مصائد، ومن الليل بحرا للهواجس، لتتكب القصيدة بعد ذلك لكل ما يحيط بها ولا تنتمي إلا لباريها، فهذه الألفاظ التي تتعالت في مقاطع: ترثي زمانك - القصائد في يدك مصائد - الليل بحر للهواجس - قصيدة لا تنتمي إلا لباريها. تنقل مخيلة المتلقي إلى جو من الحزن والكآبة ولا ريب، وهو يحوم في ثنيات هذه الصور التي تتكون نتيجة تعالت هذه المفردات بعضها ببعض.

وليس ببعيد من ذلك السياقات التي يدرج فيها الصفراني "القصيدة" في ديوانه هذا، مع فارق أنها أي القصيدة، ترد عند الصفراني في مواضع كثيرة مقارنة بالشيبتي (2)، ولعل أبرزها وأكثرها نطقا بمراد الشاعر بشكل واضح مقطعان، يقول في أولهما في قصيدة بعنوان "قصائدي" التي يقول فيها:

من فاره الصمت صاغ القمع نبرتها

قوافيا ظامئات لانطلاقات (3)

ويقول في الموضوع الثاني:

يا صاحبي زور القصائد موجعي

(١) الشيبتي، الأعمال الكاملة، مصدر سابق، ص 19.

(٢) الصفراني، مواقيت الرمال، منها على سبيل المثال: ص ص 11، 18، 19، 25، 33، 39، 55، 63، 71، 93.

(٣) الصفراني، مواقيت الرمال، مصدر سابق، ص 7.

وأنا الصراحة والصراحة موجعة

(...)

ما الشعر إن لم يحتمل أصواتنا

ويجيدُ عن ملق وقشرة منفعة

يأبى قصيدي أن يكون منافقا

ما حيلتي والقلب أضحي منبعه؟ (1)

فالمعاني التي يريدها الشاعر هنا واضحة ولا تحتتمل التأويل، فشعره في الموضوع الأول نابع من معاناة، فجرت قصائده وجعلتها ظامئة متعطشة للانطلاق والتغني بمواده الذي يريد التعبير عنه، ويؤكد هذا التوجه في الموضوع الثاني بالتعبير المباشر، أنه يأنف من الشعر الذي ينطق بالزور، ولا يجعل من الصراحة سبيلا له، وإلا فلم وجد الشعر إن لم يجند لقول الحقيقة النابعة من القلب والصدق بها! فواضح إذن أن هذه الأبيات تحمل في طياتها إيقاعا مرتفعا، لأنها تعبر عن غضب الشاعر وتنكره لكل شعر لا يجند لخدمة الإنسان وقضاياه، بمقابل سياق البؤس والقتامة الذي ترد فيه ثيمة القصيدة عند الثبتي .

هـ- الظمأ

إذا كان البدوي العربي يعشق صحراءه إلى حد الغرام بها، فإنه لا يعدم الشكوى من الظمأ الذي يلحق به وهو يجوب فيا فيها، بحيث يكون الظمأ بمثابة لازمة من لوازم العلاقة بينه وبين صحرائه، وبالرغم من أن هذه الثيمة لم ترد عند الثبتي إلا في موضع واحد، وعند الصفراني في موضعين، إلا أننا نلاحظ أن الثبتي يغلف الشكوى من الظمأ الذي يعتريه فيها بهريق أمل، في حين أن الصفراني يشكو من

(١) المصدر نفسه، ص 20، 21.

الظمأ في الوقت الذي يتمسك فيه به، وكأنه يتلذذ بهذا الظمأ.

ففي قصيدة بعنوان "الظمأ" يقول الثبيتي:

"ظمان

تستسقي الرمال

تصوغ من ألامها قدحا

ومن آمالها بريقا" (1)

فالشخص الذي يخاطبه الثبيتي هنا يشكو من الظمأ، لكن الماء في الوقت ذاته يلوح له قدحا من بين ثنيات رمال الصحراء وآلامها، على شكل أمل يلمع في أفق خياله .

أما الصفراني فإنه يشكو من الظمأ ويقاومه، في الوقت الذي يشكل العطش بغية له، حيث يقول:

أنفقت عمري أسقي بغيتي عطشي

وأستظل ببال غص بالتهم (2)

فالتنازع واضح في الشطر الأول من البيت بين لفظتي: "أسقي" و"بغيتي" على لفظة "عطشي"، بحيث لا يدري المتلقي، هل يسقي الشاعر عطشه أم هو بغية له!! وكأنه يتلذذ بالظمأ في الوقت الذي يشكو فيه منه.

المحور الثاني: الصحراء ومظاهر الطبيعة.

وإذا كان الإنسان هو الكائن الأهم في الكون، الذي به تتحقق فكرة خلافة المخلوق لخالقه على ظهر هذه البسيطة، وإذا كان الإنسان كذلك هو الكائن الأهم

(١) الثبيتي، الأعمال الكاملة، مصدر سابق، ص 50.

(٢) الصفراني، مواقيت الرمال، ص 46.

في الصحراء، فإن الصحراء أيضا تزخر بوجود كائنات أخرى غير الإنسان على ظهرها، كالنبات والحيوان، إلى غير ذلك من الكائنات الأخرى.

هذه الكائنات التي تتبدى في ديواني الشاعرين جنبا إلى جنب مع الإنسان في حوض الصحراء، ولعلنا نوازن بين تصور كلا الشاعرين لها في المحاور الثلاثة الآتية:

أ- الصحراء والنبات

وفي الصدارة منها بالطبع نبتة " النخيل "، وهي النبتة الأكثر انتشارا في بلاد العرب، والتي صارت بمثابة جذر يربط الإنسان العربي قديما وحديثا بأرضه، التي تشكل الصحراء الرقعة الأوسع منها، وبمثابة رمز من رموز تمسكه وتعلقه بها، هذا المعنى الذي يلمسه المتلقي بوضوح في قول الشبيتي :

" ستموت النسور التي وشمتم دمك الطفل يوما

وأنت الذي في عروق الثرى نخلة لا تموت

مرحبا سيد البيد " (1)

فسيد البيد الذي يخاطبه الشاعر هنا، يمكن أن تموت النسور التي وشمتم دمه الطفل في يوم من الأيام، إلا أنه وبرغم ذلك سيظل نخلة مغروسة في الأرض لا يزحزحها حتى الموت .

أما الصفراني فعلى المنوال نفسه الذي لوحظ خلال الصفحات السابقة، من ارتفاع حدة نبرته في الحديث وروح التمرد التي لا يخلو حديثه مها، فإنه يتحدث بضمير ال " نا " عن أصحاب النخيل، لأنه واحد من أصحاب النخيل الذين يشكل النخيل جذرا من الجذور التي تربطهم بهذه الأرض، وبرغم ذلك فإن هذا النخيل ما

(١) الشبيتي، الأعمال الكاملة، مصدر سابق، ص 9.

عاد يهدي التمور لأهله، ومن ثم فإن الشاعر بات هنا كمن يقاتل ذاته بسلاحه، حيث يقول:

لا نخلنا يهدي التمور لأهله
وبلادهم هجر جنان مترعة
من بيتلى بالنخل يدرك أنه
كمقاتل أمسى يقاتل مدفعه (1)

فبيرة التمرد والشكوى وعدم الرضى واضحة ولا ريب .
وهناك أنواع أخرى من النباتات أتى الصفراني على ذكرها : كالعشب،
والأزهار، والورد، والحرمل، والشوك، والكروم، والعرار، والبن (2) وبحدة
الخطاب ذاتها، فهو يصف قصائده بقوله : موبوءة بانتعاش العشب حاصرها
سيل من البارق النَّزَّاقِ لِلآتِي (3)

فتوقه للحرية والتخلص من القمع الذي يستشعره، يجعل انتعاش العشب في
مخيلته وباء يحاصر قصائده تلك .

ثم يستمع في موضع تال لوصايا حكيم الخبت، وهو يخاطبه ألا يستنشق
الأزهار لأن بديعها نزع من الشيطان، في صورة غرائبية تحيل الجميل إلى قبيح، في
قوله في مطلع قصيدته "وصايا حكيم الخبت" :

" - لا تنشق الأزهار

إن بديعها

نزع من الشيطان" (4)

(١) الصفراني، مواقيت الرمال، مصدر سابق، ص 17.

(٢) المصدر نفسه، ص 7، 29، 34، 45، 47، 51، 58، 67، 69، 80، 89.

(٣) المصدر نفسه، ص 7.

(٤) المصدر نفسه، ص 29.

ليجهد روحه في موضع تال، في جعل حصاد الشوك جوهر طموحه، ذاك الطموح الذي لا يقف عند هذا الحد من الغرائبية، بل يتعداه إلى جعل حلم عيشه ثقب الشوك وجعله الناي أداة العزف المعروفة، عندما يقول:

أنا حاصد الشوك لب الطموح

أعيشُ لأستثقبَ الشوكَ نايًا (1)

أما الثبتي فإنه لا يبلغ حد الصفرا في تعداد أنواع النباتات التي تنبث في صورته الشعرية، غير أنه يمتاز بأنه يأتي على ذكر ألفاظ، هي في ظني حاضنات للنباتات وأوعية لها وحسب، وهي: البساتين والمزارع والجنائن والحدائق (2).

ب- الصحراء و الحيوان :

تبرز لدى الشاعرين الطيور، فالثبتي يميل لذكر الطير (3) بدون تحديد نوعه، ولهذا بعد دلالي يتمثل في تركيزه على الأجنحة التي تمتلكها الطيور، فتعكس رغبته في التحليق، والبحث عن الذات، ومن ذلك ما جاء في قصيدة ((الأوقات)):

فأوغرنا صدور الطير كي تشدو مُبكرة

فنشعل قُبلة أخرى على باب الهوى الشرقي (4)

يتبين أن الطيور تبرز في ديوانه دون تحديد، وهذا لم يمنعه من ذكر البلابل والحمام في موضعين (5)، وجاء ذكر الخيل في موضع واحد تحديداً في قصيدة ((وضاح)):

(١) الصفرا في، مواقيت الرمال، مصدر سابق، 51.

(٢) الثبتي، الأعمال الكاملة، مصدر سابق، ص 13، 14، 17، 22، 41.

(٣) المصدر نفسه، 30، 46، 47، 50.

(٤) المصدر نفسه، ص 46.

(٥) المصدر نفسه، ص 14، 22.

هل ستهجس بالحبّ - بين اتساع الحنين

وضيق الميادين -

لو طوّقتك خيولُ الدّرْك (1)

فحضور الخيل في المقطع السابق لم يكن إيجابياً بل سلبياً.

أما الصفرائي يميل إلى تحديد جنس الطيور، فحضرت العصافير ثلاث مرات²، وتحضر القبرة في موضع واحد⁽³⁾، وحضر الدجاج في قصيدة ((رائية الضجر: بيان من الشنفرى)):

و مقتُّ تدجين الأسود لأنّه:

فشِل الدجاج بأن يصير غضنفر⁽⁴⁾

تتجلّى السخرية من حالة الأمة العربية، فالشاعر يقارن بين تدجين الأسود، ومحاولة الدجاج بأن يأخذ مكان الأسد، فيتبين بأن الشاعر جمع بين نوع من الطيور، وبين الغضنفر⁽⁵⁾، ويتكرر الأسد مرة أخرى⁽⁶⁾، ولم يخل ديوانه من ذكر ذكر الخيل في موضعين⁽⁷⁾، منها ما جاء في قصيدة ((جواب الفراغ)):

تلوكُ من حيرتي خيلي أعنتّها

(١) الشيبتي، الأعمال الكاملة، مصدر سابق، ص 41 .

(٢) الصفرائي، مواقيت الرمال، مصدر سابق، ص 37، 64، 80 .

(٣) المصدر نفسه، ص 80 .

(٤) المصدر نفسه، ص 26 .

(٥) أسدُ غَصَنَفَرٍ غليظِ الحَلْقِ مُتَعَصِّنُه اللَّيْثُ الغَصَنَفَرُ الأَسَدُ ورجلُ غَصَنَفَرٍ إذا كان غليظاً أو غليظ الجَنَّة، انظر: ابن

منظور، لسان العرب، مجلد5، مادة (غ ض ر)، مصدر سابق، ص 25 .

(٦) الصفرائي، مواقيت الرمال، مصدر سابق ص 100 .

(٧) المصدر نفسه، ص 37، 48 .

وتستقلُّ صراعي نحو مُختَصمي (1)

فالخيل تشاركه الحيرة من مضغها للعنان، وتحضر الخيل لكن بصفة من صفاتها، وهي الصافنات (2) والصفان من الخيل: القائم على ثلاث قوائم وطرف حافر الرّابعة استعدادًا للانطلاق، ومن الحيوانات التي ظهرت الأغنام (3)، كما ظهرت لديه الزواحف متمثلةً في العقارب والحية (4)، وظهر الجراد في قصيدة ((رائية الضجر: بيان من الشنفرى)):

حرُّ أريد الأرض أن تتحررا

من كفّ ساحرة تؤرجح مجمرًا

تسطو وأسراب الجراد بخورها

أفنى حقول النور في دنيا الورى (5)

فالجراد دلالة الفناء من خلال إفسادها للمحاصيل، وعنوان القصيدة يكشف البحث عن الحرية والخروج عن الواقع، فالشاعر يرى أن القمع مثل الجراد الذي يُفني الحقول، ويُغطي الأفق حاجبًا للنور.

يتبين في هذا المحور أنّ الشبيبي يميل للطير من خلال افتنانه بالأجنحة، فهو يرى الحرية من خلالها، مع غياب لباقي الحيوانات، أمّا الصفراني يتفوّق على الشبيبي باستثماره لأجناس عديدة من الحيوانات تتناسب مع الدلالات المقصودة.

(١) المصدر نفسه، ص 48.

(٢) المصدر نفسه، ص 55.

(٣) الصفراني، مواقيت الرمال، مصدر سابق، ص 13.

(٤) المصدر نفسه، ص 50، 66.

(٥) المصدر نفسه، ص 23.

ثالثاً: الصحراء والتناص البعدي

التناص "ترحال للنصوص وتداخل نصّي في فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى" (1)، وهو من التقنيات الحديثة التي أسهمت في إثراء النص الأدبي، ومنحت المبدع مساحة يستطيع أن يتحرك في حدودها (2)، وقد "عُرف قديماً تحت تسميات: الاقتباس والتضمين والأخذ والسرقعة" (3).

يتكئ التناص على الثقافة المعرفية للمبدع (4)، ويظهر في عدة أشكال، تتمثل في: الديني، والتاريخي، والأسطوري، والشعبي، والأدبي، والبعدي. والدراسة الآتية ستقف عند التناص البعدي، الذي "يطراً بعد إنتاج النص الشعري" (5)؛ لا سيما وأن كثيراً من "المؤلفات لا تخلو مراحل إخراجها، وإيصالها .. من دلالات، كالإهداء أو المقتبسات والمقدمات أو الرسوم والصور والخطوط" (6).

إن التناص الذي يتلو الإبداع "يترك أثراً في توصيل النص (7)" ولا يمكن تجاهله؛ لما له من أثر كبير في نقل دلالة النص، وبيان مضامينه الفنية، والكشف عن

(1) كرسيفا، جوليا، علم النص، ترجمة فريد زاهي، دار طوبقال، المغرب، ط2، 1997، ص21

(2) الأحمد، مجدي، الرؤيا والتشكيل: دراسة في شعر محمد لافي، نادي تبوك الأدبي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2017، ص163.

(3) الرواشدة، سامح، فضاءات الشعرية، المركز القومي للنشر د.ط، 1999م، ص77

(4) الرواشدة، فضاءات شعرية، مرجع سابق، ص78.

(5) الصكر، حاتم، (1994م)، كتابة الذات دراسات في وقائعية الشعر، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، ص25-26.

(6) المرجع نفسه.

(7) المرجع نفسه، ص26

قدرة المبدع وإمكانات شاعريته.

من العناصر التي تدخل في التناص البعدي (1):

- الصور أو الرسوم التي يضمها غلاف الكتاب الشعري أو تلك التي تُنشر مصاحبه للنص.

- عبارات الإهداء، وعبارات التقديم: سواء ما كان منها تضميناً أو مقتبساً أو مكتوباً بقلم الشاعر نفسه.

- الغلاف الأخير: الصور أو الخلاصات أو التعريف بالعمل.

- المكان والزمان: المقصود كتابة النص لا المطبوع.

يستثمر الصفراني هذه التقنية في خدمة دلالات النصوص الواردة، إذ يتجلى هذا النوع من التناص في غلاف الديوان (2) (واجهته الكتاب)، فالكثبان الرملية تكشف قسوة الواقع المتجلى في مخيلة الشاعر، ويُضيف الشاعر أحد عشر ملفاً (3)، على الكثبان الرملية، جاعلاً لكل ملف اسماً، يحمل بُعداً دلاليًا، منها سبعة أسماء ذات علاقة بما يتعرض له الإنسان، وهي: (الفساد - الظلم - القمع - الكبت - التكميم - الحرمان - الاستبداد)، وملف باسم الحجاج بن يوسف دلالة على القسوة والقمع، وآخر باسم طرفة بن العبد الشاعر الباحث عن الذات لكنه لقي حتفه بسبب الثقة، وإعراضه عن قبول المشورة، وملف باسم الشنفرى أحد الصعاليك الذين آمنوا الحرية، والخروج عن سيادة القبيلة، وملف باسم

(1) المرجع نفسه، ص 26.

(2) الغلاف من تصميم الشاعر محمد الصفراني.

(3) ملفات تظهر في الحاسب الآلي.

المنجل(1)، وأخيراً يجعل بين الملفات صورة لحاوية عليها كتب عليها الإنسان، وكأنّ هذه الملفات جميعها تجدها في هذا المخلوق الذي يئن من وقع الحياة، لكن المنجل أداة لمن يرغب في الخروج من دائرة الضغط، إذ يستطيع المرء اجتثاث ما يعكّر صفوه، فلا يقبل بما يحرمه من الحرّية، فالإرادة تتمثل في الشنفرى، والبحث عن الذات يتمثل في طرفة بن العبد، أمّا الغلاف الأخير(خلفية الكتاب) فتختفي فيه الملفات، وتصبح الكتيبان ذات ألوان باهتة، وكأنّ ملامح الحراك والثورة على الواقع بدأت تنخفض، ويؤكد هذه الحال كتابته لمقطع قصير على الغلاف الخلفي من قصيدة (منامات) يتمثل في قوله:

يا صاحبي سجني

كلانا واحد

هاؤم كتاب

الواحد

المحترار

مكتوبا على كفل الصبا

هاؤم بلد(2)

إذ تكشف خاتمة الديوان من

فالعلاف يوحى بدلالات إيجابية لمن أراد، ولا يخلو من الدلالات السلبية التي تزداد سوءاً مع وجودها في الصحراء، ومن أشكال التناص البعدي ذكر الفترة التي تمت فيها كتابة القصائد، ولقد ذكر الصفراني أنّ القصائد كتبت ما بين عامي 1992م و 1995م، وبالتالي يتبين أنّ القصائد واكبت الصحوة التي شنت

(¹) المنجل الذي يُقضب به العود من الشجر فينجل به أي يرمى به، انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان

العرب، مادة (ن ج ل)، دار صادر، بيروت، ص 647.

(²) الصفراني، مواقيت الرمال، مصدر سابق، ص 59-62- غلاف الكتاب.

حرباً على المثقفين في المملكة العربية السعودية، فجاء الديوان مُعبراً عن الشعور بالقمع من رجال الدين.

أما الثبيتي لم يستثمر هذه التقنية في جانب الغلاف، كذلك لم يؤرخ لقصائده لكن ما تعرّض له الثبيتي من هجوم من رجال الصحوة ترك أثره في الكثير من قصائده مثله مثل جميع المثقفين ممن عاصروا الصحوة.

الخاتمة:

يتبدى للمتلقى حضور الصحراء عند الشاعرين، وهذا أمرٌ لا يتوافق مع حياتهما، إذ كانت حياة الثبيتي في بدايتها ما بين قريته (الشروط) - وهي إحدى قرى (بني سعد) 1- و(مكة المكرمة)، فالصحراء تبتعد عن حياته، وكذلك محمد الصفرائي الذي ارتبط بـ(المدينة المنورة)، فتضاريس الصحراء لم تكن متغلغلة في حياتهما، إلا أنّها جزء مهم من تضاريس الجزيرة العربية، لكن هذا التوجّه يكشف عن حالة من الانفصال عن الواقع من خلال اللجوء للصحراء، فجاءت تفاصيلها ومكوناتها في أشعارهما، وبات ملاذاً للشاعرين، وكأتهما يبحثان عن الهدوء أملاً في التأمل.

يقول محمد غنيمي هلال " تتجلّى عبقرية المرء في أنّه لا يقصر همّه في نطاق ذاته بل يحيا فيما هو عالمي... فيمتد إلى ما ينعكس في ذات نفسه على رؤية الورد والأشجار والحيوان... حيث يجد رجل العبقرية ذاته في كلّ شيء" (2)

فعلاقة الإنسان بالصحراء تتجلّى في عدة أمور منها: حضور الأعراب في قصائدهما، فيأتي بوجه إيجابي عند الثبيتي أكثر من الصفرائي، وأمّا الرحلة فجاءت

(١) من قرى الطائف، وهي قرية ذات مناظر جميلة لوقوعها بين الجبال.

(٢) هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م، ص 391.

مرتبطة بالشكوى والألم والمعاناة، وإن زادت حدة الشكوى عند الصفراني، ويتفوق الشيبتي في جانب المرأة الذي لم يحضر عند الصفراني إلا دلالة على الحب العذري عند العرب، في حين تظهر لفظة القصيدة - التي ترتبط بالصحراء من خلال الشعراء في العصور السابقة من وقوف على الأطلال وتأمل في آثار المحبين - فتبدى عند الصفراني في سياق رافض لكل قصيدة لا تخدم قضايا الإنسان، أما الشيبتي فلا ترد عنده كثيرا إلا أنها تحمل البؤس والقناتمة، أما الظمأ فلم يرد كثيرا إلا أنه يحمل الشكوى عند الشيبتي، وهذا أمر طبيعي، لكنه عند الصفراني يأخذ منحى مختلف من خلال التلذذ بالظمأ.

كما أن الطبيعة تبرز لدى الشاعرين، فالصفراني تميز بظهور النباتات في شعره بشكل أوضح من الشيبتي، حتى أنه يخرج عن طبيعة الصحراء من خلال ذكر البساتين والحدائق وغيرها، مما يكشف عن الرغبة في التغيير، ويتفوق أيضا في استدعاء مكونات الصحراء وغيرها من خلال التنوع في الحيوانات التي تتناسب مع الدلالات التي يبتغيها، أما الشيبتي فيميل للطير دون تحديد النوع أملاً في الحرية من خلال افتنانه بالأجنحة، كما يستثمر الصفراني التناص البعدي في ديوانه متمثلاً في غلاف الديوان، وهذا لا يجده المتلقي عند الشيبتي.

ويرى الباحث أن الشاعرين وفقا في استثمار الصحراء، واستدعاء مكوناتها في ديوانيهما، لخدمة الدلالات، إضافة إلى أن المبدع يلجأ لما يتناسب مع حالته الشعرية، والتضاريس مهما كانت بعيدة عن حياته، من الممكن استثمارها وتوظيفها لخدمة النص.

وأخيراً يتبين أن عنوان "مواقيت الرمال" الذي تصدر ديوان الصفراني يُمثل موقفه من الزمان والمكان إذ يربط بين الرمال والمواقيت، فجاءت الصحراء هروبا من الزمان والمكان، في حين يتجلى موقف الشيبتي من المكان من خلال عنوانه "موقف الرمال" فكانت الصحراء تُعبّر عن عدم الرضى بالمكان وما فيه من تداعيات،

فالرمال لا تلتزم بموقعها إذ تذرورها الرياح، وفي هذا تعبير عن محاولة الخروج عن الواقع.

المصادر :

1. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين مكرم، لسان العرب، مجلد5، مادة (غ ض ر)، دار صادر، بيروت.
2. ابن شداد، عنتره، الديوان، مطبعة الآداب، بيروت، 1893م.
3. الشيبى، محمد، الأعمال الكاملة، بيروت-لبنان، مؤسسة الانتشار العربي، النادي الأدبي بحائل، ط1، 2009م.
4. الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1986م المجلد الثاني.
5. الصفراني، محمد، مواقيت الرمال، بيروت-لبنان، مؤسسة الانتشار العربي، النادي الأدبي-الباحة، ط1، 2011م.

المراجع :

1. تودوروف، تزفيتان، في أصول الخطاب النقدي الجديد ترجمة أحمد المدني أدار الشؤون الثقافية العامة أبعداد ط1 1987م.
2. الخطراوي، محمد العيد، أسرة الوادي المبارك، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ط1، 1426هـ.
3. الأحمدى، مجدي، الرؤيا والتشكيل: دراسة في شعر محمد لافي، نادي تبوك

- الأدبي، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2017م.
4. الرواشدة، سامح، فضاءات الشعرية، المركز القومي للنشر، د.ط، 1999م.
5. رومية، أحمد وهب شعرنا القديم والنقد الجديد، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، 1996م.
6. زاوي، خالد، تطور الصورة في الشعر العربي، مؤسسة حورس الدولية، الإسكندرية، ط1، 2000م.
7. السموري، محمد، العرب والأعراب : خلط المفاهيم، وفوضى الدلالة !، 2007م.
8. الشمري، زيد، محمد الشيبتي شاعرا، إشراف الأستاذ الدكتور إبراهيم البعول، رسالة دكتوراه، جامعة مؤتة، 2014م.
9. صالح، صلاح، دراسة المكان الصحراوي في "فساد الأمكنة"، مجلة فصول، المجلد الثاني عشر، العدد 3، حزيران 1993م، الهيئة المصرية العامة.
10. عجينة، محمد ، موسوعة أساطير العرب في الجاهلية، ج 1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 1999م.
11. القرني، عبدالله، شعرية المكان في أعمال القصصي الشعرية، مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية، السنة الرابعة، العدد 5، 1436هـ.
12. الصكر، حاتم، كتابة الذات دراسات في وقائعية الشعر، عمّان، دار الشروق، ط1، 1994م.
13. العليان، وفاء سليمان، الارتحال في الشعر الجاهلي، بحث مُقدّم لنيل شهادة الماجستير، إشراف د. جميل مغربي، جامعة الملك عبدالعزيز، 2011م.
14. كرستيفا، جوليا، علم النص، ترجمة فريد زاهي، دار طوبقال، المغرب، ط2، 1997م.

15. --معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، الكويت، 1995م،
المجلد 4.

16. هلال، محمد غنيمي، النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر
والتوزيع، القاهرة، 1997م.

<https://www.taibahu.edu.sa/Pages/AR/Sector/SectorPage.aspx?ID=13&PageId=152>

<http://www.diwanalarab.com/spip.php?article7884>

*The image of desert among the two written
collections of "the sand stance" by Mohammad Al-
thubaiti and "the timings of sand" by Mohammad
Al-Safrani: a comparative Study*

Abstract

Desert's Image between Two Poetical Collections: Mawqif al-Rimalby Mohammad Al-Thobaty and Mawaqit al-Rimalby Mohammad al-Safrani: a comparison study.

This study aims to show the desert's image and its components through a comparison between Mohammad al-Safrani's poetical collection, Mawaqit al-Rimal, and Mohammad Al-Thobat's poetical collection, Mawqif al-Rimal. It concentrates on two parts: the desert and the man and the desert and the nature. In addition, it shows the desert and textuality to highlight the relationship between the poet and the desert.

Keywords: desert, man, nature, and textuality.

الرباطة كنتيجة للاتصال بين اللغات : دراسة نظرية تركز على علم اللغة جماعي لفهم ظاهرة الرباطة

د. محمد ظافر الحازمي

الجامعة الإسلامية

al-tawoos@hotmail.com

المستخلص

تهتم هذه الورقة البحثية بتقديم المزيد من التوضيح للأسس النظرية لظاهرة اللغة المبسطة، وتناقش الورقة تلك الأسس النظرية خاصة وأن بعض النظريات العالمية للغة المبسطة قد تبدو بعيدة عن الظروف المحيطة باللغة المبسطة في الخليج. كما تقدم الورقة بعض النماذج المختلفة للغات المبسطة حول العالم وذلك في معرض شرح النظريات المتعددة لتقديم صورة أوضح حول تلك النظريات. وبما أن هذه الورقة تهتم بالنواحي النظرية للغة المبسطة فلن يكون هناك عمل ميداني إذ تحاول الورقة أن تجمع بعض النظريات الخاصة باللغة المبسطة من مصدرين مختلفين: أحدهما الكتب والبحوث التي تحدثت عن اللغات المبسطة عموماً دون التركيز على منطقة معينة، الثاني: البحوث التي ركزت على اللغة المبسطة في الخليج GPA. وفي خضم عرض هذه الآراء يتم مناقشة بعض القضايا الخاصة باللغة المبسطة في الخليج واللغات المبسطة حول العالم. المخرج العلمي الذي تهدف هذه الورقة للوصول إليه هو تقديم الفهم النظري العميق لهذه الظاهرة اللغوية. في هذا السياق لا بد من التنويه إلى أن أحد أهم الإشكالات في دراسة اللغة

المبسطة يعود إلى شح المصادر والمراجع المكتوبة بالعربية حول هذه الظاهرة اللغوية التي أصبح المتكلم العربي يستعملها بشكل لا إرادي خاصة في التواصل مع الوافدين في الخليج عموماً. الإشكال الثاني وهو تعريف هذا المصطلح ونقله أو ترجمته من اللغة الإنجليزية إلى العربية. حيث تعددت الترجمات وتنوعت التعريفات مما أدى إلى إطلاق البعض لمصطلحات أخرى على هذه اللغة. إن تقديم المزيد من التوضيح للأسس النظرية لدراسة اللغة المبسطة للقارئ العربي أمر في غاية الأهمية وذلك لدفع حركة البحث في منطقتنا باتجاه دراسة مثل هذه الظاهرة في الميدان اللغوي والنظر إليها من زوايا متعددة، كدراسة اللغة المبسطة من خلال نظريات تعلم اللغة الثانية أو دراستها ميدانياً من بيئات مختلفة للوقوف على تأثيرها وتأثيرها في العربية.

الكلمات المفتاحية: اللغة المبسطة، لغة سوق العمل، البيجن، نظريات اللغة المبسطة.

اللغة المبسطة «البيجين» وسيلة للاتصال: دراسة نظرية

تتجلى اللغة المبسطة (Pidgin language)، كظاهرة لغوية اجتماعية، في السعودية التي يفد إليها أعداد كبيرة من الباحثين عن العمل. ويجد هؤلاء الوافدون أنفسهم في حاجة للتواصل أثناء قضاء احتياجاتهم اليومية¹ وهذه الحالة هي التربة الخصبة لظهور مثل هذه اللغات على اختلافها بما فيها تلك التي نشأت في كنف اللغات الأجنبية.

إن دراسة مثل هذه الظواهر لا يمكن أن تُعد من باب الترف العلمي، بل هي

¹ Alshurafa 2014, 14.

دراسة لظاهرة لغوية طغت على سوق العمل حتى تكلم بها أهل اللغة أنفسهم. ولتوسع هذه الظاهرة أصبحت دراستها وفهمها أمراً في غاية الأهمية لرفع مستوى وعي الجمهور من المتخصصين وغيرهم حول هذه الظاهرة وتأثيرها.

الدراسات السابقة:

يشير البحث عن أعمال علمية تهتم بدراسة اللغة المبسطة إلى قلة مثل تلك الدراسات باللغة العربية (أغلب البحوث المكتوبة حول ذلك كتبت باللغة الإنجليزية). وهنا لا بد من الإشارة إلى بعض المقالات الصحفية باللغة العربية التي تحدثت عن هذه الظاهرة في دول الخليج العربي عامة والسعودية خاصة، إلا أن تلك المقالات لا تقوى مجتمعة لتكون في مرتبة المقالات العلمية التي يمكن عدها ضمن المصادر. وقد تحدثت بعض كتب علم اللغة الاجتماعي المترجمة من اللغة الإنجليزية عن ظاهرة اللغات المبسطة ومن أهم هذه المراجع كتاب (علم اللغة الاجتماعي) لهادسون، ترجمة محمود عياد ونشر عالم الكتب 1990م. والإشارة إلى اللغة المبسطة في هذا الكتاب تأتي ضمن الحديث عن المستويات اللغوية التي يفرضها الواقع الاجتماعي لكل لغة وهي لا تتجاوز الحديث عن ماهية هذه اللغة المبسطة وظروف نشأتها فيما لا يتجاوز الصفحة الواحدة.

تحفل اللغة الإنجليزية بالكثير من الأعمال، سواء في ذلك الكتب التي أفردت لدراسة اللغات المبسطة أم المقالات العلمية المحكمة. وأحد أقدم تلك المراجع هو كتاب:

1- Hall, R. A. (1966). (اللغات المبسطة والكريولية للباحث هال)

Pidgin and Creole Languages.

وكان من أوائل الكتب التي ألفت في هذا المجال. اهتم الكتاب بمسألة التطور اللغوي وعلاقته بتشكيل المستويات اللغوية داخل اللغة الواحدة مشيراً إلى

بعض النماذج من اللغات المبسطة في الإنجليزية. وقد تبع هذا الكتاب عدد من الكتب المنشورة حول هذه اللغات فعلى سبيل المثال:

2- Tod (1974). Pidgins and الكريوليات لتود
Creoles. (

3- Holm (1988). Pidgins والكريوليات لهولم
and Creoles. (

4- Mark Sebba (1997). Contact Languages: Pidgins and
Creoles.

(اتصال اللغات: اللغات المبسطة والكريوليات لمارك سبا)

5- Siengh (2000). Pidgin and Creole: an introduction.

(مقدمة لدراسة اللغات المبسطة والكريولية لسنغ)

أما آخر ما ألف في هذا المجال فهو:

6- Siegel (2008). Emergence of Pidgins and Creoles.

(ظهور اللغات المبسطة والكريوليات لسيجل)

تهتم هذه الأعمال بالجانب التنظيري أولاً الذي يرسم النظريات العلمية لظاهرة اللغات المبسطة، كما تشير إلى نماذج معروفة منها في اللغات الأجنبية. ولكن لا تشير هذه المراجع إلى اللغات المبسطة في دول الخليج العربي أو السعودية، تلك الظاهرة التي ازدادت بشكل واضح خاصة بعد ثورة النفط وقدم أعداد كبيرة من الأيدي الآسيوية العاملة ممن لا يتقنون العربية.¹

¹ Avram 2014, 8; Bakir 2010, 202.

أما من حيث الرسائل والمقالات العلمية الإنجليزية، فنجد أيضا عدداً من المقالات العلمية تناولت بشكل أو بآخر اللغات المبسطة في دول الخليج عموماً وأذكرها حسب التاريخ كالتالي:

1- Smart, R. J. (1990). 'Pidginisation in Gulf Arabic: a First Report'. In: Anthropological, 32, 83-119.

تشكل اللغة المبسطة في الخليج العربي لسمارت، مقال منشور في مجلة اللغويات الأنثروبولوجية.

2- Wiswall, A. (2002). Gulf Pidgin: An Expanded Analysis. On-line Paper for the University of Ohio.

(اللغة الخليجية المبسطة: تحليل موسع، ورقة علمية منشورة على الشبكة لجامعة أوهايو)

3- Almoaily, M. (2008). A Data-based Description of Urdu Pidgin Arabic. An MA dissertation: Newcastle University.

(وصف اللغة الأوردية المبسطة في العربية دراسة مبنية على قاعدة بيانات للمعيلي، رسالة ماجستير في جامعة نيوكاسل)

4- Næss (2008). Gulf Pidgin Arabic: Individual Strategies or Structured Variety. An MA dissertation: University of Oslo.

(اللغة العربية المبسطة في الخليج، استراتيجيات فردية أم تنوع لغوي، رسالة ماجستير في جامعة أوصلو)

5- Bizri, Fida. 2009. "Sinhala in Contact with Arabic: The Birth of a New Pidgin in the Middle East". In: Annual Review of South Asian Languages and Linguistics, Rajendra Singh (ed.), 135-148. Berlin / Boston: De Gruyter Mouton.

(اتصال السنهالية والعربية: ميلاد للغة مبسطة جديدة في الشرق الأوسط)

6- Bakir, M. (2010). 'Notes on the verbal system of GPA'. In: Journal of Pidgin and Creole Languages, 25:2. 201-228.

(تعليقات حول نظام الأفعال في اللغة العربية المبسطة في الخليج، مقال منشور في مجلة اللغات المبسطة والكريوليات)

7- Almoaily, M. (2012). Language Variation in Gulf Pidgin Arabic. PhD thesis: Newcastle University.

(التنوع اللغوي في اللغة الخليجية العربية المبسطة، رسالة دكتوراة: جامعة نيوكاسل)

8- Avram, Andrei A. 2012. "On the Functions of Fi in the Verbal System of Arabic Pidgins". Romano-Arabica,

XII. 35-58.

(حول وظيفة (في) في نظام الأفعال للغة المبسطة العربية)

9- Alshurafa, Nuha S. 2014. "Linguistic Functions of fii/maafii in Hejaz Gulf Pidgin Arabic". King Khalid University journal for Humaities, Volume 21, No. 1, 11-28.

(التركيب اللغوي لاستخدامات (فيه/ مافيه) في اللغة المبسطة "البيجين"
 العربية الخليجية الحجازية)

10- Avram, Andrei A. 2014. "Immigrant workers and language formation: Gulf Pidgin". ArabicLengua y migración 6:2- ISSN : 1889-5425. Universidad de Alcalá), 7-40.

(العمال المهاجرون وتشكل اللغة في الخليج: لغة الخليج المبسطة)

11- Potsdam, E. and Alanazi. M. 2014. "Fi in Gulf Pidgin Arabic". Kansas Working Papers in Linguistics, Vol. 35, 9-29.

(استعمال (في) اللغة المبسطة الخليجية العربية)

12-Avram, Andrei. 2017. "A. Superdiversity in the Gulf: Gulf Pidgin Arabic and Arabic Foreigner Talk". Philologica Jassyensia", an XIII, nr. 2 (26), 175–190.

(التنوع في الخليج: اللغة المبسطة العربية الخليجية وكلام الأجنبي)

13-Avram, Andrei. A. 2017. "Sources of Gulf Pidgin Arabic Features". Linguistic Studies in the Arabian Gulf, Quaderni di RiCOGNIZIONI, vol VII, 131-151.

(مصادر خصائص اللغة المبسطة العربية الخليجية)

من خلال الاطلاع على هذه الدراسات يتضح أن كل واحدة منها ركزت على دولة خليجية معينة وهي الإمارات، السعودية، عمان، قطر، الكويت ولبنان. ثم إن بعض هذه الدراسات الوصفية ركزت على جانب معين في اللغة المبسطة على سبيل المثال محاولة فهم نظام الأفعال فيها أو استعمالات كلمة (في) أو محاولة فهم اللغة المبسطة التي يستعملها أصحاب خلفية لغوية معينة.

التسمية والتعريف

تعددت الترجمات للمصطلح الإنجليزي pidgin فمثلا هناك مصطلح (هجين) ومن أوائل من أطلقوا هذا المصطلح في ترجمتهم لكلمة pidgin هو الخولي في كتابه معجم علم اللغة النظري إنجليزي-عربي¹. ومن الترجمات التي تشابهت دلالاتها مع ما ذكره الخولي ما جاء في معجم مصطلحات علم اللغة الحديث حيث ترجمت pidgin إلى (لغة الاتصال الهجينة)²، ويرى المسدي أن

¹الخولي 1982، pidgin.

²معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، 1983: 83.

الترجمة (لغة خليط)¹، ويرى الدكتور عبد الوهاب ترّو أن ترجمة pidgin (لغة المستعمرات الهجينة في هايتي) ويقصد بها اللغة الإنجليزية المبسطة.² ويترجمها مبارك إلى (لغة هجين).³ ويظهر أيضا مصطلح مركب يستعمل في التعبير عن اللغة المبسطة وهو (pidgin language) ويترجمه رمزي البعلبكي (لغة خليط).⁴ ويترجمه عياد حنا بأنه (اللغة المهجنة أو لغة التعامل).⁵

من تصاريف هذه المادة الهجينة وهي عظم الخلق في الخيل، وهجان الإبل كرامها والهجين من الناس الذي أمّه أمّة.⁶ وذكر الأزهرى بأن الهجين في الخيل هو من ولدته برذونة (بغلة) من حصان عربي، وروى عن المنذري بأن الهجين هو من كان أبوه خير من أمه.⁷

أما عن المعاجم في العصر الحديث فيضيف المعجم الوسيط فعلا للهجانة وهو هَجَنَ الشيء جعله هجينا (خليطا).⁸ ويمكن للمدقق أن يلاحظ على هذه التعريفات الأنفة الذكر ما يلي:

أن دلالة مادة (هجن) على الاختلاط وردت أولا في سياق عرقي وذلك بعد أن حصل الاختلاط الثقافي بين العرب وغيرهم من الأمم وتبع ذلك الاختلاط العرقي حيث حصل التزاوج بين العرب والعجم وظهر جيل جديد. ورغم أن

¹ المسدي، 1984: 155.

² بيار أشار، 1995، 56.

³ مبارك، 1995: 227.

⁴ رمزي البعلبكي، 1990،

⁵ حنا، 1997، 107.

⁶ ابن دريد، 1987: 1، 498.

⁷ الأزهرى، 2001، 6: 38.

⁸ المعجم الوسيط، 2004: 974.

الإسلام قد جاء بالمساواة بين الأمم إلا أن مسألة المفاضلة العرقية ظلت حاضرة ومن هنا ظهر مسمى الهجين الذي جاء في بعض تعريفاته المذكورة آنفا بأنه من كان أبوه خير من أمه. إلا أن الملاحظ في الاستعمال المعاصر هو موت جميع المعاني للجزر (هجن) باستثناء الأخير الذي يدل على الاختلاط العرقي. هذا المعنى الضيق المختص باختلاط الأعراق طاله شيء من التوسع الدلالي فأصبح الهجين يدل على ما كان مختلطاً في كل شيء لذا فقد أقر مجمع اللغة العربية كلمة هجين في علم الأحياء ومعناها: نبات أو حيوان ينتج عن تزاوج نوعين أو سلالتين أو صنفين مختلفين.¹

وفي مقابل مصطلح الهجين أو الخليط هناك مصطلح الرطانة وأول من أطلقه المترجم إبراهيم عياد في ترجمته لكتاب علم اللغة الاجتماعي لهادسون، حيث استعملها في مقابل pidgin.² وقد تابعه البعلبكي في معجمه حيث ترجمها (رطانة).³

تعريف كلمة رطانة في المعاجم يظل عاماً ومبهماً فعلى سبيل المثال، جاء في المعجم الوسيط أن الرطانة الكلام الذي لا يفهمه الجمهور وإنما هو مواضعة بين اثنين أو جماعة.⁴ ومما يلحظ على هذا التعريف ما يلي:

(أولاً) شمول التعريف لكل ما ليس مفهوماً سواء في ذلك ما كان كلاماً دائراً بين اثنين أو جماعة.

(ثانياً) عموم كلمة الجمهور إذ تنطبق على جمهور العوام ممن يتكلمون

¹ المعجم الوسيط 2004: 975.

² هادسون، 1990، 100.

³ البعلبكي، 1996، 687.

⁴ المعجم الوسيط 2004، 352.

العامية وجمهور المثقفين ممن يحظون بأكثر من مستوى لغوي واحد، على سبيل المثال جمعهم بين العامية والفصحى.

لهذا يمكن القول بأن الرنانة تصلح لتكون ترجمة لكلمة (jargon) التي تحمل في طياتها معنى الكلام الغير مفهوم. ومما يدعم ذلك تقسيم كمال بشر للرنانة إلى قسمين:

(الأول) رنانة عامة وهي حسب رأيه تشمل كل كلام خارج عن السلوك اللغوي المؤلف فصيحاً كان أم عامياً¹. ويضم هذا لغات أبناء الحرف والصنائع والمهين كذلك بعض العبارات التي تستعمل في المزاح والنكات. ويرى أنها تنشأ في الأصل بين الطبقات الدنيا في المجتمع. والمقصود من عبارة (الطبقات الدنيا) هو (الطبقات العمالية وغير المثقفين).

(الثاني) من الرنانة هو الخاصة ويقصد بها الأساليب اللغوية التي تكثر فيها المصطلحات التخصصية كلغة الأطباء والمحامين وغيرهم من أصحاب التخصصات على اختلافها.

وقد ذكر البعلبكي مصطلحاً ثالثاً في مقابل كلمة pidgin وهو (لغة

مبسطة)². وذكر عبد الوهاب ترو أيضاً أنها تتم بنقل أصواتها للعربية (بيجين)³.

من خلال الإشكاليات التي تم عرضها في المسميات السابقة وهي (لغة هجين)، (لغة خليط) أو (رنانة) يتضح أن مصطلح اللغة المبسطة هو الأقرب إلى ترجمة pidgin. وذلك لأن الهجين قد يكون أقرب إلى ترجمة مصطلح hybrid language. كما أن اللغة الخليط والهجين وردت ضمن ترجمات مصطلح

¹ بشر 1997، 213.

² البعلبكي، 1996: 687.

³ ييار أشار، 1995: 48.

1.creole language أما مصطلح اللغة المبسطة فلا يشبهه مع غيره من الترجمات كما أنه يصدق على العملية التي تشكل هذه اللغة. في بحثها حول وظيفة (في) في اللغة الخليجية الحجازية المبسطة الباحثة الشرفا استعملت مصطلح اللغة المبسطة وأضافت ((الييجين)) بعد كلمة المبسطة² وهذا ما سألتم به خروجاً من الإشكاليات المترتبة على المسميات الأخرى. أما إضافة كلمة (بيجين) ففي العنوان فقط وذلك لمزيد من الوضوح بحيث يتم ربط ذهن القارئ بمصطلح pidgin مباشرة.

إن الاختلاف في ترجمة مصطلح (Pidgin) يجلي مشكل ترجمة المصطلحات في اللسانيات حيث تخضع الترجمة لعدد من الحثيات كالثقافية للترجم و حدود اللغة المنقول إليها اللفظ وقوانينها الاشتقاقية والصرفية إضافة إلى السياقات المختلفة التي يتنظم فيها المصطلح في اللغات الأجنبية والتي تلقي بظلالها على فهم المترجم حينما ينقل المصطلح. علماً بأن المجامع اللغوية ومكتب تنسيق التعريب قد وضعت عدداً من المعايير والأسس لنقل مثل هذه المصطلحات تجنباً للنقل العشوائي وحرصاً على التقريب بين ترجمات المصطلحات التخصصية.³

ويعرف كريستال كلمة (pidgin) بأنها: أحد مصطلحات علم اللغة الاجتماعي تطلق على لغة موسومة ببساطة في التراكيب النحوية والمعجمية والأسلوبية مقارنة باللغات الأخرى إضافة إلى أنها ليست لغة أمماً لأحد حتى

¹ الخولي، 1982، creole.

² الشرفا، 2014.

³ للاستزادة حول هذا الموضوع ينظر (نقل مصطلحات اللغويات الاجتماعية إلى العربية في النصف الثاني من القرن العشرين لسلطان المحيول).

الناطقين بها.1 بينما يعرفها تود بأنها: لغة هامشية تتطور لأغراض التواصل المحدود بين أناس لا تجمعهم لغة واحدة.2

ويعرف معجم تشامبرز كلمة (pidgin) بأنها خليط من لغتين طالهما التغيير وتستعمل للتواصل.3 ويبدو أن هذا تعريف عام، لكن المعجم يقدم تعريفاً آخر خاصاً باللغة الإنجليزية المبسطة (pidgin English) ويعرفها بأنها تشمل كل لغة مشتركة بين الإنجليزية وغيرها.4

أما التعريف في المعاجم العربية-الإنجليزية فأذكر منها تعريف رمزي البعلبكي حيث يرى أنها: لغة تنشأ عن التماس بين لغتين اثنتين ولكنها ليست اللغة الأم لجماعة لغوية ما، وتتميز ببساطة تراكييها ومحدودية كلماتها، وتستخدم في الغالب لأغراض تجارية تحتم الحد الأدنى من التفاهم بين جماعتين لغويتين.5

وفي سياق إشكال التعريف بهذا المصطلح يجدر التنويه إلى أن الباكورة من دراسات السابقين من علماء اللغة الأوروبيين كانت موجهة للغات المبسطة الناشئة عن الاتصال بين اللغات الأوروبية مثل كالإنجليزية والفرنسية والبرتغالية من جهة، وغيرها من لغات السكان الأصليين من جهة أخرى. الأمر الذي لعب دوراً في تشكيل نظرة متحيزة تجاه هذا الحقل من الدراسة اللغوية. يمكن توضيح ذلك من خلال الوقوف على التعريفات التي بدت ضيقة الأفق في تناول مفهوم اللغات المبسطة حتى جعلها بعضهم مرتبطة بشكل أساسي باللغات الهندو-أوروبية. على سبيل المثال: ينص بيكرتون Bickerton اللغوي البريطاني في تعريفه للغة المبسطة

Crystal 2008: 369. 1

Todd 1990: 1. 2

<http://chambers.co.uk/search/?query=pidgin&title=21st> 3

السابق. 4

معجم المصطلحات اللغوية لرمزي البعلبكي 1990، 380.

بأنها تتطلب خليطاً لغوياً نتيجة التوسع الاستعماري الأوروبي.¹ ويعرف مؤيدون Mufwene أستاذ علم اللغة في جامعة شيكاغو اللغات المبسطة بأنها لغات جديدة تطورت نتيجة الاتصال بين اللغات الهندو-أوروبية وغيرها.² ويرى المعيلي أن الرد على مثل هذه الرؤية يكمن في عدة محاور:

أولاً: ظهور دراسات حديثة لعدد من اللغات المبسطة المختلفة التي لم تتصل باللغات الهندو-أوروبية، هذه الدراسات تشير بوضوح إلى التشابه في البنى اللغوية بين اللغات المبسطة عموماً سواء اتصلت باللغات الهندو-أوروبية أم لا. ثانياً: أن كل دراسات اللغات المبسطة سواء في ذلك التي اتصلت وتشكلت من اللغات الهندو-أوروبية أو غيرها لتؤكد على أن هذه الظاهرة تنشأ حينما يضطر المتكلمون للتواصل في حال عدم وجود لغة مشتركة بينهم،³ سواء كان ذلك في كنف اللغات الهندو-أوروبية أم لا.

ربما يكون السبب وراء هذه النظرة ضيقة الأفق حداثة البحث في اللغات المبسطة إذ غالب تلك الآراء درجت عند البعض قبل العشر سنوات المنصرمة التي ظهر خلالها عدد من الدراسات تناولت لغات مبسطة تشكلت من غير اللغات الهندو-أوروبية.

أنواع اللغات المبسطة

تتنوع مثل هذه اللغات حول العالم لاعتبارات متعددة تؤثر فيها كاليئة الاجتماعية الحاضنة وظروف الهجرة أو الإقامة للناطقين بها. ثم هناك دور السياسات والقوانين لدمج الناطقين بها في المجتمع أو إعطائهم جنسية البلد

¹ Mufwene, 2008:74.

² Bickerton, 1981: 5.

³ Almoaily 2012:36.

المضيف. هناك أيضا عوامل سياسية بحثة تؤثر في اللغات المبسطة كما حصل في المستعمرات الناطقة بها بعد أن نالت استقلالها من المستعمر مثل الكثير دول أفريقيا. كل هذه العوامل تؤثر في اللغات المبسطة وتطبعها بخصائص تميزها عن غيرها، الأمر الذي يسهل على الباحثين تصنيفها حسب تلك الخصائص والميزات، وفيما يلي ذكر لأشهر أنواع اللغات المبسطة.

1. اللغة العسكرية المبسطة

أقدم اللغات العسكرية المبسطة في أوروبا هي السابير Sabir تشكلت زمن الحروب الصليبية. حيث دفعت ظروف تلك الحروب إلى اجتماع أعداد كبيرة من الجنود الناطقين بعدة لغات أوروبية لأداء مهمة مشتركة فرضت عليهم التواصل فنشأت لغة السابير. ويمكن الاستشهاد على اللغات العسكرية المبسطة بلغة جوبا في السودان، التي تشكلت عن طريق الجنود السودانيين الذين انضموا إلى الجيش المصري الذي عسكر في جنوب السودان منتصف القرن التاسع عشر وبمرور السنين انتشرت بين الجيش والسودانيين الجنوبيين لغة للتفاهم بينهم نتيجة الاتصال بين العربية ولغة سكان جنوب السودان.¹ على أن أولئك السودانيين لم يكونوا عربا ولم تجمعهم لغة بالجيش المصري بل كانوا من الناطقين باللغات الكوشية. تلك اللغة المبسطة أضحت اليوم اللغة الأم لعدد من السكان في جوبا عاصمة جنوب السودان.

2. اللغات البحرية المبسطة

تعد الملاحة البحرية أحد أهم البيئات المناسبة لظهور مثل هذه اللغات. لقد شاركت في هذه الأنشطة البحرية شعوب مختلفة فظهرت بينهم اللغات البحرية

¹ Sebba 1997: 27.

المبسطة كبديل للغة المشتركة المفقودة بينهم. بها يبيعون ويشترون ويتواصلون مع من يجدونهم في المرافئ البعيدة التي لا تجمعهم بمن يعمل فيها لغة. وبما أن البيع والشراء كان الدافع الأهم وراء الإبحار أُطلق اسم لغة التجارة المبسطة على اللغات البحرية المبسطة. ويمكن أن تتداخل اللغات العسكرية المبسطة والبحرية المبسطة في حال ما انتقلت الجيوش عبر البحر فيستعمل أفراد الجيش البحرية المبسطة للتواصل مع غيرهم. وعلى سبيل المثال فإن أكثر اللغات المبسطة المنتشرة في غرب أفريقيا تعود في الأصل إلى اللغات المبسطة للبحارة والتجار. من ذلك لغة السايبر وتشارك مع المبسطة العسكرية التي تعود في معجمها إلى البرتغالية. وهي لغة تشكلت مع طلائع المستعمرين الذين رست سفنهم في عدد من الشواطئ الأفريقية وهناك أصبحت هذه اللغة المبسطة مشتركة لتجارة الرقيق ومن سواحل غرب إفريقيا انتقلت مع المستعبدين إلى أمريكا الوسطى، فظلت هناك ردحا من الزمن حتى تطورت وأصبحت اللغة الأم لسكان تلك الدول. ومن الأمثلة على اللغة المبسطة البحرية لغة Russenorsk رشنورسك المكونة من اللغتين الروسية والنرويجية. وظهرت هذه نتيجة الاتصال بين البحارة الروس والنرويجيين الذين تواصلوا في بحار شمال الكرة الأرضية حول القطب الشمالي، إذ كانت بينهم أنشطة مشتركة مثل الصيد. ولم تزل لغة الرشنورسك إلى اليوم قائمة كلغة للتواصل بين الصيادين يستعملونها.¹ هذا وقد تواصل البحارة العرب الذين انطلقوا من سواحل الجزيرة العربية كالبحر الأحمر باللغات المبسطة مع من لا يحسنون العربية ممن قابلوهم في جنوب السودان والقرن الإفريقي. ولم يكتف البحارة العرب بالإبحار إلى الشط المقابل من البحر الأحمر بل ذكر لي بعضهم² ممن عمل في موانئ البحر

¹ Holm 1989:316-17.

² كان ذلك أثناء جمع المادة العلمية لرسالتني المنشورة عام 2016 بعنوان: Maritime Terminology of the Saudi Arabian Red Sea Coast.

الأحمر أنهم وصلوا إلى جنوب إفريقيا وامتدت الرحلة ببعضهم إلى شواطئ الهند. أما في الساحل الشرقي لجزيرة العرب فقد احتك البحارة الناطقون بالعربية مع الفرس والهنود والصينيين ولا لغة تجمعهم سوى اللغات المبسطة البحرية والتجارية.

3. لغة المهن المبسطة

وتشمل هذه المهن الزراعة والتعدين والبناء. وتعد الزراعة أحد الأنشطة التي ازدهرت خلال الفترة الاستعمارية الأوروبية حيث إن المستعمرين لما وصلوا إلى عدد من المستعمرات كدول أفريقيا وجدوا أرضها خصبة غنية فأرادوا الاستفادة من زراعتها وتصدير محاصيلها. ولقلة اليد العاملة عند المستعمرين، لجأوا إلى توظيف عمالة بأجور رخيصة من السكان الأصليين. أولئك السكان الأصليون كانوا ناطقين بعدة لغات محلية يختلف بعضها عن بعض إضافة إلى أنهم لا يتقنون لغة من وظفهم لخدمة تلك الحقول لذا فقد احتاجوا أثناء عملهم إلى التواصل فيما بينهم أولاً ومع مُشغليهم ثانياً. هنا تظهر اللغة المبسطة كحل سريع للتواصل فهي لا تحتاج إلى معلم ولا دراسة أو كتب وإنما هي لغة تؤدي وظيفة التواصل في العمل فقط. وبخلاف المستعبدين، فإن العاملين في الزراعة يعودون لأهلهم بعد انتهاء عملهم وهنا يتعد احتمال أن تتطور هذه اللغة المبسطة لتصبح اللغة الأم للناطقين بها إذ هم يستعملونها فقط أثناء العمل ولا يستعملونها مع أسرهم في حياتهم اليومية. إلا أن هذا الحال لا ينفي تسرب كلمات من لغة العمل المبسطة إلى لغات السكان المحلية إذ إن لغة عملهم فيها عدد من المصطلحات لأشياء جديدة لم توجد لها أسماء في لغاتهم وهنا تأتي عملية الاقتراض اللغوي (borrowing) التي لا تكاد تسلم منها لغة. ومن الأمثلة على ذلك اللغات المبسطة في جزر هاواي وغيانا الجديدة وإقليم

كوينزلاند في شمال أستراليا، حيث كانت هذه المناطق الخصبة مكانا لتجمع عدد من السكان الأصليين العاملين في الحقول عند المستعمرين الذين طوروا تلك الأراضي الخصبة وكانت هذه من اللغات المبسطة التي نمت في كنف الإنجليزية. وقد ظهر عدد من لغات الزراعة المبسطة في كنف عدة لغات كالفرنسية والهولندية والإسبانية.¹

لغات المهن الأخرى لا تختلف كثيرا عن لغة الزراعة المبسطة في ظروف نشأتها واحتكاكها بلغة المستعمر أو المطور للمواقع الزراعية أو المناجم أو الطرق والسكك الحديدية. ومن ذلك لغة الفانالكالو Fanakalo التي ظهرت كنتيجة للاتصال بين شعب الزولو Zulu أحد أكثر الأعراق عددا في جنوب أفريقيا والمهاجرين من الأوروبيين. وفي هذا دليل على أن اللغة المبسطة تنشأ في بعض الأحيان من اتصال أكثر من لغتين إذ كان الأوروبيون المقيمون في جنوب أفريقيا ذوي لغات متعددة وإن غلب عليهم الناطقون بالإنجليزية. وانتشار هذه اللغة المبسطة في دولة جنوب أفريقيا كان نتيجة ارتباطها بالعمل في المناجم، إذ كانت هي لغة المناجم. وقد نشر عمال المناجم هذه اللغة حتى غدت متداولة في أغلب مناطق جنوب أفريقيا.²

وفي الكاميرون، وجدت لغة مبسطة تُسمى A-70 نتيجة اجتماع الناطقين بلغتين مختلفتين وهما البانتو Bantu والبولو Bulu ممن عملوا في إنشاء السكة الحديدية التي تحمل نفس اسم هذه اللغة A-70 المؤدية إلى العاصمة سنة 1920. يذكر أن هذه اللغة أخذت اسم سكة الحديد A-70 بسبب أنها نشأت بسبب اختلاط العمال الذين بنوا السكة من السكان الأصليين الناطقين بلغات محلية

¹ Sebba 1997:30.

² السابق.

³ Holm 1989: 561.

مع مشغليهم من الناطقين بالإنجليزية، ومن هنا فإن هذه اللغة مبسطة من ثلاث لغات، لغتان محليتان إضافة إلى الإنجليزية.

الفرق بين لغة المهاجرين المبسطة ولغة الوافدين المبسطة

المقصود بالمهاجرين هم المستوطنون في البلد المضيف. يمكن التمثيل للغة المهاجرين المقيمين بصورة دائمة بلغة الأتراك المقيمين في ألمانيا ويسمىها الألمان Gastarbeiterdeutsch (لغة الضيف العامل)، وقد ظهرت نتيجة الاتصال بين اللغتين التركية من جهة وهي اللغة الأم للمهاجرين الأتراك واللغة الألمانية وهي لغة البلد الذي انتقلوا إليه. مثل هذه اللغات المبسطة التي يرغب الناطقون بها الإقامة الدائمة في الوطن الجديد وربما يتبع ذلك الحصول على الجنسية غالباً ما تكون لها نهاية وتندثر ولو بعد زمن طويل لعدة أسباب:

أولاً: أن الناطقين بها يستعملونها فقط للتواصل مع الناطقين بالألمانية في خارج دائرتهم الاجتماعية أما إذا تواصلوا مع بقية أفراد جاليتهم وأسرههم فإنهم يتواصلون بالتركية لذا تظل لغة محدودة في الاستعمال.

ثانياً: أبناء هذه الجالية يذهبون إلى المدارس وهناك يتعلمون اللغة الرسمية لتلك البلاد وهي الألمانية.

ثالثاً: إن الناطق بهذه اللغة المبسطة لا تتوقف عملية تعلم اللغة الجديدة عنده فتتغير لغته المبسطة ويبدأ باتجاه اللغة الألمانية.

رابعاً: الكثير من أصحاب الإقامة الدائمة يكونون من طلاب الحصول على الجنسية التي يتطلب قانون منحها لغير الألمان إتقان اللغة الألمانية الأمر الذي يدفع الناطق باللغة المبسطة إلى الجد في تعلم اللغة الرسمية ليبعد عن نفسه صورة الشخص حديث العهد بالهجرة.

إلا أنه وفي بعض الحالات تستمر لغة المهاجرين المبسطة رغم كل العوامل السابقة التي تدفع إلى اندثارها كأن يستمر تدفق اللاجئين دون انقطاع مما يجعل البيئة خصبة لبقاء اللغة المبسطة تبعا لحاجة المهاجرين الجدد الذين لا تنفك أعداد منهم تتدفق هربا من الحروب أو طلبا لحياة أفضل.

أما الوافدون فهم المهاجرون من غير المستوطنين ممن يقضون مدة من الزمن طالت أم قصرت في بلد لا يتقنون لغته فأمرهم مختلف، وهم على قسمين: (1) الذين هربوا من النزاعات والحروب ممن ينتظرون استقرار الأوضاع في بلدانهم ليعودوا إليها.

(2) الذين قدموا للعمل بعقود واتفاقيات ذات أجل معلوم كأصحاب المهن والحرف ممن لم تسنح لهم الفرصة في تعلم لغة البلد الذي وفدوا إليه. وغالبا ما يعمل هؤلاء الوافدون في البلدان التي تحتاج إلى الأيدي العاملة، ولا يصطحبون عائلاتهم معهم إذ إن إقامتهم غير دائمة ولو طالت.

يقضي هؤلاء العمال ساعات يومهم في العمل الذي يحتاجون فيه للتواصل مع من يعملون عنده وهنا تكون البيئة الحاضنة للغة المبسطة حاضرة بقوة. ثم إن هؤلاء الوافدين يعيشون في مجموعات، كل مع أبناء جاليته ويبقى اتصالهم اللغوي مع أبناء البلد الذي وفدوا إليه محصورا ببيئة العمل مما يقلل فرصة اتقانهم للغة. ثم إن الناطقين باللغة المبسطة لا يجدون في كثير من الأحيان من يكلمهم بلغة البلد الذي قدموا إليه بل يبادرهم أبناء البلد وبقية الناطقين بلغته باللغة المبسطة. لهذا السبب ربما يقضي الوافد سنوات طويلة من عمره في بلد ما ولا يتقن من لغته سوى اللغة المبسطة التي تعلمها في سوق العمل. وتنطبق هذه الحالة على وضع الوافدين الآسيويين في السعودية ودول الخليج نظرا للحاجة إلى الأيدي العاملة. خاصة وأن الخليج يشكل نموذجا للمناطق ذات التنوع الكبير كنتيجة لحركة التمدن المتسارعة

إضافة إلى عدد الوافدين والمهاجرين للعمل¹. حيث توجد أعداد كبيرة من هؤلاء العمال ولهم لغتهم التي نشأت في كنف لهجات دول الخليج العربي على اختلافها. ومما يساعد على ازدهار اللغة المبسطة الحالة الاجتماعية في الخليج التي تتسم بفجوة بين مجتمع العرب المتكلمين بالعربية ومجتمع العمالة الناطق باللغة المبسطة. حيث إن مثل هذه الحالة لا تشجع القادمين الجدد من العمالة لإتقان لغة البلد المضيف². ويرى Næss أن هذه الفجوة بين الوافدين من العمال ومجتمع العرب المتكلمين بالعربية ربما تشير إلى أن العرب يمارسون هذا التبسيط للغة بشكل متعمد وذلك لكي يتمكن الوافد من تقليد هذه اللغة المبسطة فقط ولا يدخل إلى مجتمعهم اللغوي³. وهو في ذلك يشير إلى ما ذكرته Bizri التي قدمت أمثلة لظاهرة تقليد الخادمت السيريلا نكيات في لبنان للغة المبسطة التي يتواصل بها معهم مشغلوهم⁴. وعند النظر إلى واقع اللغة المبسطة في الخليج لا يمكن تعميم ما ذهب إليه Næss. حيث إن السبب الذي يدفع المجتمع لبدء الحوار مع العمالة باستخدام اللغة المبسطة ربما ليس محاولة متعمدة لإبعادهم عن المجتمع اللغوي العربي بل هي نتيجة لضيق الوقت والحرص على سرعة التعامل مع الوافد إما لشراء غرض ما أو إنجاز عمل ما. ويحصل هذا غالباً في المدن حيث يتسارع إيقاع الحياة وتكثر المشاغل. مما يؤيد ذلك أن عدداً كبيراً من الوافدين الذين يسكنون ويعملون في البوادي يتقنون لهجة مشغليهم إلى حد كبير بخلاف عمال المدن. وعند النظر إلى الحالة اللغوية في تلك القرى والبوادي يلاحظ المدقق أن مشغليهم يكلمونهم بالمستوى اللغوي المعتاد بينهم ولا يلجأون إلى تبسيط اللغة لتفاهم مع العمالة.

¹ Avram 2017, 176.

² Baker 2014, 203.

Næss 2008, 20. ³

⁴ Bizri 2005, 58.

وفي هذا دليل على أن أفراد تلك المجتمعات لا يمانعون دخول الوافدين في مجتمعهم اللغوي بل إنهم يعدون ذلك مدعاة للإعجاب بذلك الوافد الذي يتقن لهجتهم.

وتختلف البيئات التي يعيش فيها الوافدون من منطقة إلى أخرى تبعا لعوامل عدة منها طبيعة العمل الذي يقوم به الوافد وبعده أو قربه من المدن الكبيرة. إذ لا يخالط بعض الوافدين أهل البلد خارج العمل بل يخالطون جاليتهم فيتكلمون بلغتهم الأم ولا يحتاجون إلى اللغة المبسطة. ويحدث هذا في المدن الكبيرة التي تجمع عدة أعراق يعيش كل منها في دوائر اجتماعية (social communities or groups) تخصهم وتعزلهم عن المجتمع. فعلى سبيل المثال رغم أن الأغلبية من هذه الأيدي العاملة في الخليج تسكن المدن¹ إلا أن هناك نسبة منهم ممن يسكنون ويعملون في الضواحي والبوادي. وبالرغم من قلة عدد السكان في هذه بيئات الضواحي والبوادي إلا أن الوافدين العاملين هناك في بعض الأحيان يحظون بقدر أكبر من الاحتكاك بمن وظفهم من أبناء البلد، كالوافدين الذين يعملون في المزارع أو الرعي ونحوها لذا فإنهم أقدر على اكتساب لغة من يخالطهم، أضف إلى ذلك أن العاملين في الأماكن النائية محرومون في كثير من الأحيان من التواصل مع أبناء جاليتهم وهنا تزداد حاجتهم لتعلم اللغة. لذا فإننا نلتقي أحيانا ببعض العاملين في الأماكن النائية وندهش من اتقانهم لل لهجة المنطقة التي يعيشون فيها.

4. لغة السواح والمسافرين المبسطة

تشكل اللغات المبسطة كما ذكر أنفا عندما تنعدم اللغة المشتركة بين المتكلمين الأمر الذي يتعرض له بعض السواح والمسافرين في حال ما إذا لم

¹ Avram 2014, 12.

تجمعهم لغة مشتركة مع سكان البلد الذي سافروا إليه. يلجأ السائح أو الزائر دائماً إلى مثل هذه اللغات المبسطة ليسأل عن مكان أو طريق. كذلك قد يحتاج الزائر إلى شراء الطعام والهدايا في المحلات والأسواق. وهنا يلجأ البائع إلى طرق متعددة لتسهيل لغته مع استعمال الإشارات والأرقام المكتوبة أحياناً ليتمكن من التواصل ولو على أقل المستويات مع هذا الزائر أو السائح الذي يهتم باكتشاف البلد الذي هو بصدد زيارته. ونظراً لقصر المدة التي يقضيها السائح في البلدان التي يزورونها، يصعب توصيف لغة السواح بدقة، إذ هي لغة مبسطة متغيرة باستمرار تبعاً لخلفية السائح الثقافية واللغوية. ويؤدي بعض الباعة مهارة عالية في توظيف هذه اللغات المبسطة في سبيل تسويق البضائع على الزائرين. إذ يتقن بعضهم عدداً من الكلمات الأساسية من عدة لغات يوظفها في حوارها المبسط مع السائح ويمكن تسمية هذه اللغات بالتجارية المبسطة (business pidgin). وتبسيط الحوار يشكل عدة خصائص صوتية ونحوية ومعجمية لهذه اللغة.¹ من الأمثلة على ذلك اللغة التي يتواصل بها الباعة في السوق مع الحجاج والزائرين في مكة والمدينة. إذ يأتي للحج والعمرة وزيارة المسجد النبوي أعداد كبيرة من الحجاج ممن لا يتكلمون العربية فيتواصل معهم الباعة بأنماط متعددة من اللغات المبسطة كل واحدة منها تناسب عرفاً معيناً من أعراق الحجاج والزائرين حيث يدخل البائع عدداً من الكلمات من لغة الزائر في حوار ميسر.

ولا يقتصر الأمر على الباعة بل إن بعض المجاورين للحرمين كانوا يتقنون هذه اللغات المبسطة بسبب اتصالهم بالحجاج وزائري الحرمين إلا أن الأمر اليوم يكاد يقتصر على الباعة لعدة عوامل منها:

(1) البعد النسبي بين السكان والحرمين بسبب مشاريع التوسعة اليوم الأمر

¹ Avram 2017, 132-134.

الذي يقلل من تواصل السكان الأصليين مع الزوار والحجاج.

(2) ظهور شركات الفنادق والطوافة التي تتكفل للزائر والحاج بالسكن والنقل وغيرها مما يقلل حاجة الزائر للتواصل مع أهل البلد.

(3) الاعتماد المتزايد على التواصل باللغات العالمية وغالبا ما تكون الإنجليزية نتيجة لزيادة أعداد الناطقين بها والمتعلمين لها خاصة في جيل الشباب سواء كانوا ممن يسكن أو يعمل في مكة أو المدينة أم كانوا من الزائرين والحجاج.

وقد تتحول لغة العمالة في بعض الأماكن إلى لغة سياحية مبسطة (tourist pidgin) في أماكن أخرى. ويمكن أن تضرب لغة العمالة في السعودية على ذلك مثلاً. حيث تنشأ اللغة المبسطة بين العامل ومشغله لحاجة ماسة وهي التواصل بينهما.¹ لكن وبسبب أن مدة بقاء هؤلاء العمال وإن طالت تظل محددة زمنياً فلا يلبثوا أن يعودوا إلى بلدانهم، وهناك يتواصلون مع الزائرين لبلدانهم من الناطقين بالعربية بواسطة اللغة المبسطة التي تعلموها في بيئة العمل والسوق في السعودية. يمكن ملاحظة هذه الظاهرة في المناطق السياحية في تركيا والهند وإندونيسيا وماليزيا التي يعمل فيها عدد ممن سبق لهم العمل في السعودية أو الخليج. هذا المثال تتجلى عالمية اللغة المبسطة وكيف أنها تسافر أحياناً مع الناطقين بها ليستعملوها في التواصل وقد تقدم المثال على ذلك بلغة المستعمر البرتغالي المبسطة (السابير) وكانت عالمية وجدت في أماكن متباعدة من أصقاع الأرض. ومن الأمثلة على لغات السياح المبسطة أيضاً الأنماط المُبسطة من اللغة التركية التي يستعملها سكان القرى التركية التي يأتي لزيارة معالمها السواح ممن لا يتقنون التركية.²

¹ Avram 2014, 12-13.
² Hinnenkamp 1982: 20.

ظهور اللغات المبسطة

تشكل مثل هذه اللغات نتيجة لما يلي:

(أولاً) اجتماع عدد من الظروف في بيئة لغوية واحدة كاجتماع عدد ممن لا تجمعهم لغة واحدة في مكان واحد.

(ثانياً) البيئة التي تنشأ فيها مثل هذه اللغات غالباً ما تكون بيئة فيها أخلاط من اللغات والأعراق.

ويقود إلى تلك الحالة عدد من الظروف التاريخية والاجتماعية التي تجمع هذه الشعوب بعضها ببعض. مثل هذه العوامل يمكن للباحث أن يستعين بها على فهم ظهور اللغات المبسطة إلا أنها لا تشكل نظرية متكاملة تمكن الدارس من فهم عملية نشوء مثل هذه اللغات. لذا فقد اهتم المتخصصون بوضع عدة نظريات لفهم هذه الظاهرة. ويبدو أن هذه الجزئية قد طالها النقاش والردود، الأمر الذي يُظهر إشكال البحث في نظريات ظهور اللغات المبسطة حيث يُسقط كل باحث حيثيات اللغة المبسطة التي يدرسها على النظرية التي تؤصل لنشأة هذا النوع من اللغات، وبهذا يصعب إسقاط تلك النظرية على جميع اللغات المبسطة. هذه الإشكالية ظهرت كذلك عند تعريف اللغة المبسطة في الفصل الأول. لذا فإنه من الوارد أن تكون بعض النظريات أدق من بعض في شرح ظهور بعض اللغات المبسطة تبعاً لظروف نشأتها وتشكلها. على الجانب الآخر، قد توجد بعض النظريات العامة التي تستوعب كثيراً من اللغات المبسطة على اختلاف اللغات التي احتكت بها سواء كانت هندو-أوروبية أو خلاف ذلك من اللغات المتعددة التي احتضنت اللغات المبسطة ووهبتها الكثير من المصطلحات والقوالب اللغوية.

نظريات ظهور اللغات المبسطة

هناك أكثر من نظرية حول ظهورها ومنها:

(1) نظرية الأصل الواحد

أول النظريات التي تشرح ظهور اللغات المبسطة تسمى (Monogenesis theory) أي نظرية الأصل الواحد التي تفترض أن اللغات المبسطة كلها ترجع إلى أصل واحد، يدعمها التشابه الكبير بين عدة لغات مبسطة حول العالم في النواحي النحوية والصرفية والمعجمية مما يبدو وكأنه ظاهرة عامة. يمكن شرح فحوى هذه النظرية كالتالي: أن اللغات المبسطة المعاصرة حول العالم مرتبطة إن بشكل مباشر أو غير مباشر بلغة مبسطة قديمة ظهرت في حوض البحر الأبيض المتوسط مثل السابير Sabir أو أي نسخة متأخرة عنها. تبعا لهذه الفرضية فإن كل اللغات المبسطة الأحادية الأصل - تعود لأصل واحد - وتعرف مفرداتها اللغوية من معجم اللغة البرتغالية إحدى اللغات اللاتينية الأصل. وقد حصلت البرتغالية على هذا الانتشار خلال عصور الاستعمار الأوروبي الذي أفسح المجال واسعا لظهور اللغات المبسطة في أنحاء متباعدة من العالم.¹ إذ بعد دخول المستعمر يحتاج سكان ذلك البلد التواصل مع من استعمرهم.

يمكن الاعتراض على مثل هذه النظرية بأن الاستعمار الأوروبي رغم إسهامه في ظهور اللغات المبسطة إلا أنه أعني الاستعمار كان متعدد اللغات فهناك الفرنسي والإسباني والبرتغالي والهولندي والإيطالي فلماذا يقال إن لغات الاستعمار الأوروبي المبسطة غالبا ما تكون تابعة للبرتغالية؟ ربما تختلف ظروف كل استعمار عن الآخر لكن تبقى اللغات التي تشكلت في ظلها اللغات المبسطة مختلفة. هذه الإشكالية يمكن الرد عليها بفكرة استبدال الكلمات في اللغات المبسطة

¹ Sebba 1997:72-73.

(relexification). حيث حصل تبديل الكلمات تبعا للغة المستعمر الجديد لكل بيئة استعمارية نشأت فيها لغة مبسطة وفي النهاية أدى هذا التبديل إلى تشابه معجمي في لغات مبسطة متعددة لحظ دارسوها تشابه المصطلحات فيها بوضوح، وغالبا ما يكون هذا التشابه في مصطلحات يعود أصلها للبرتغالية.

ويتساءل سبّا Sebba: هل تبديل المصطلحات مجرد تنظير أم أنه واقع وكيف يمكن شرحه؟ يمكن فهم تبديل الكلمات على النحو التالي: الاستعماريون الأوائل من البرتغاليين أسهموا في انتشار اللغة البرتغالية المبسطة على امتداد الطرق المائية التي أبحروا خلالها في كثير من أنحاء العالم. ولما جاء المستعمرون المتأخرون واحتكوا بتلك الشعوب الناطقة بلغة البرتغاليين المبسطة، غيّر المستعمر الجديد عددا من كلمات اللغة المبسطة إلى لغته سواء كانت الفرنسية أو الإنكليزية وبقي عدد لا تخطئه عين الدارس من المصطلحات برتغاليا مشتركا بين الناطقين في المناطق المستعمرة رغم بون المسافة.¹ ثم إن البرتغالية المبسطة بعد انتشارها في كثير من الأنحاء في العالم أصبحت وكأنها لغة عالمية يستعملها السكان الأصليون في كثير من الأماكن للتعامل مع كل دخيل لا يتبع لبيئتهم الاجتماعية.

(2) نظرية الأصول المتعددة

أما النظرية الثانية التي تؤصل لظهور اللغات المبسطة هي نظرية الأصول المتعددة (polygenesis) التي ترجح أن اللغات المبسطة لا يجمعها أصل واحد بل تطورت بشكل مستقل عن بعضها البعض. أما التشابه الحاصل فيما بينها في المعجم وتبسيط القواعد وانعدام الصرف يمكن تشبيهه بالطرق المتشابهة لتأدية عمل معين وفي النهاية تكون نتيجة ذلك العمل واحدة. فمثلا لو أن هناك عملا ما يمكن تأديته بطرق متعددة ومتشابهة هذه الطرق تقود إلى نتيجة واحدة إلا أن

¹ Sebba 1997:74.

البدايات لكل طريقة من هذه الطرق يختلف بعضها عن بعض. يرى روبرت هول صاحب هذه النظرية أن هذه الفكرة الفلسفية المجردة تدعم نظريته إذا أسقطها على الواقع اللغوي للغات المبسطة. أما اللغات المبسطة المتشابهة التي شجعت الباحثين ليزعموا أن أصلها واحد كما ذكر في النظرية الأولى فيمكن شرح التشابه بينها على النحو التالي: أن الخلط الذي حصل بين اللغات الهندو أوروبية ونتجت عنه اللغات المبسطة أدى لتنتج متشابهة، فمثلاً، امتزاج لغة أوروبية مع أفريقية في أمريكا الوسطى أنتج لغة مبسطة مشابهة للغة مبسطة نتجت بالاتصال بين لغة أوروبية أخرى في جزر المحيط الهادي ولغة السكان الأصليين، مع ملاحظة أن هناك تشابهاً في البنى التركيبية بين معظم اللغات الأوروبية وتشابه عارض بين اللغات الأفريقية ولغات جزر المحيط الهادي. كما يمكن فهم التشابه بين اللغات المبسطة من خلال النظريات التي تميل إلى أن اللغات المبسطة تشكل من قواعد مبسطة مشتقة من لغات السكان الأصليين وألفاظ مقترضة من اللغة الدخيلة على السكان الأصليين. هذه اللغات المحلية تتقاسم الكثير من الخصائص اللغوية وربما الألفاظ فإذا أضيفت إليها بعض الكلمات من اللغات الأوروبية وظهرت حينها لغة مبسطة يمكن ملاحظة التشابه بين تلك اللغات المبسطة رغم اختلاف اللغات التي احتكت بها كالفرنسية والإنكليزية والإسبانية. على سبيل المثال، تتألف اللغة الكاريبية من خليط من لغات غرب أفريقيا التي تشكلت خلال عصور ازدهار تجارة الرقيق، حيث اجتمعت أعداد من المستعبدين في أمريكا الوسطى وكانت لهم عدة لغات. هذه اللغات الغرب إفريقية تتشابه في قواعد التركيب، وهذا ما يؤدي إلى تشابه في اللغات المبسطة الناتجة عن الاحتكاك بين هذه اللغات الأفريقية وبين لغات المستعمر الأوروبي كالفرنسية والإنجليزية وغيرها.¹

¹ Sebba 1997:78.

(3) النظرية الشمولية

هناك نوع ثالث من النظريات الشمولية (universalist) العالمية التي يمكن تطبيقها على اللغات المبسطة على اختلافها. وتكمن الفكرة الأساسية في هذه النظريات في شرح الاستراتيجيات الفطرية لتبسيط اللغة التي يلجأ إليها كل متكلم يحاول التواصل مع من لا تجمعه به لغة واحدة. يمكن تشبيه ذلك بتعلم اللغة الثانية دون معلم. حيث يلجأ متعلم اللغة الثانية إلى سبل كثيرة ليتعلم البنى والمصطلحات الأساسية. وهنا تتداخل نظريات اللغة المبسطة مع نظريات تعليم اللغة الثانية أو تعليم اللغة الأجنبية (second/foreign language teaching). حيث يمكن تبسيط اللغات ذات البنى المختلفة بطرق متشابهة الأمر الذي يجعل اللغات تبدو متشابهة في تبسيط التراكيب وانعدام الصرف. كل لغة لديها القابلية للتبسيط الذي يمكنها من الوصول لهذا المستوى من سطحية البنية.¹ تدعم هذه النظرية بعض الحقائق التي توصل إليها الباحثان كيلن Klien و برديو Perdue ويمكن تلخيص عملهما في المقارنة بين عملية تعلم اللغة الثانية وعملية تشكل اللغة المبسطة. ولكي يكون عملهما دقيقاً لم يهتموا بعملية تعلم اللغة في قاعة الدرس وإنما في الميدان بعيداً عن التعليم النظامي فطبّقوا ذلك على الإنجليزية والألمانية والهولندية بمراقبة عدد من متعلميها من غير الناطقين بها لمدة ثلاثين شهراً. حينها لاحظ الباحثان أن كل متعلمي لغة من تلك اللغات ظهر بينهم خليط لغوي معين من لغتهم الأم واللغة التي يتعلمونها. وفي هذا المجال لا بد من التأكيد على أن هؤلاء المتعلمين لم يكونوا من الطلاب المنخرطين في عملية تعلم اللغة الثانية في صفوف دراسية حقيقية كانت أم افتراضية. ثلث أولئك المتعلمين لم يجتازوا اللغة المبسطة واكتفوا بها كوسيلة للاتصال باستثناء تعلم مصطلحات جديدة، بينما استمر البقية باتجاه اتقان اللغة

¹ Hinnenkamp 1984: 160.

الثانية بنواحيها الصرفية والنحوية. يتضح هنا أن الجميع قد اشترك في الاستمرار باتجاه تطوير المعجم بينما الثلثان فقط استمروا في تطوير اللغة بنواحيها المختلفة.¹ هذا الحال يمكن تطبيقه على الناطقين باللغة المبسطة حيث نرى فئة معينة منهم ممن يستمرون في عملية تعلم اللغة المتداولة في البلد الذي وفدوا إليه، وهي العاميات في مختلف المناطق السعودية. التساؤل الذي يمكن طرحه حول جهد الباحثين الأنف ذكرهما وأنها استخدمتا مصطلح تعلم اللغة خارج قاعات الدرس الأمر الذي يمكن تطبيقه على اللغة المبسطة نفسها التي يتعلمها الناطق بها خارج دائرة التعليم النظامي وبهذا يصبح لا فرق بين تعلم اللغة المبسطة وتعلم لغة ما خارج دائرة منظومة التعليم الممنهجة (داخل قاعات الدرس) فكيف تتم مقارنة هاتين العمليتين ببعضهما رغم أنهما شيء واحد. يصير الباحثان على أن هذين النمطين من أنماط تعلم اللغة مختلفان تماما رغم وجود بعض أوجه الشبه بينهما.²

يرى المعيلي أن الربط بين عملية تعلم اللغة الثانية ونشوء اللغة المبسطة يواجه مشكلا واضحا بسبب الفروق بين متعلمي اللغة الثانية ومتعلمي اللغة المبسطة إذ تقل عملية التعلم عند الناطقين باللغة المبسطة مقارنة بما يتلقاه متعلمو اللغة الثانية/الأجنبية في قاعات الدرس مثلاً. كما أن متعلمي اللغة المبسطة تختلف مواقفهم ودوافعهم تجاه تعلمها مقارنة بدوافع متعلمي اللغة الثانية.³

يظهر مما تقدم أن مثل هذه النظريات الشمولية تربط القضية بالناحية الفطرية المركوزة في بني البشر لتعلم اللغة التي يعول عليها الإنسان في تعلم لغته الأم ثم يستعملها ثانية متى ما احتاج لتعلم لغة ثانية بعيداً عن إشراف معلم أو إرشاد كتاب. وهي من الحلول التي يبتكرها المتكلم البالغ حينما يجد نفسه مضطراً للتواصل مع

¹ Klien and Perdue 1997: 340.

² Klien and Perdue 1997:301.

³ Almoaili 2012: 178.

من لا تجمعه به لغة واحدة.¹ فعلى سبيل المثال لو أن شخصا زار بلدا من البلدان التي لا يتقن لغتها وسأل بلغة واضحة الركافة عن مكان ما فليس من المتوقع أن يجيبك المسؤول بلغة أدبية راقية بل سيستخدم لغة مبسطة ما أمكن ربما حتى لو كان ذلك التبسيط على حساب التركيب أو الصرف. وهناك احتمال قوي بأن كل المجتمعات اللغوية لديها أنواع مبسطة من الكلام تُستعمل للتخاطب مع الطفل ومن لا يتقن اللغة وغيرهما ممن يحتاجون إلى تبسيط الكلام.²

إن دعوى عودة اللغات المبسطة لأصل واحد بسبب التشابه هناك ما يدحضها وهو وجود عدد كبير من تلكم اللغات المبسطة التي لا تتشابه مع اللغات المبسطة القديمة المتحدرة من أصول برتغالية. من ذلك اللغات المبسطة الأفريقية مثل السانغو Sango في جمهورية أفريقيا الوسطى واللغة المبسطة في زائير Lingua واللغة العربية المبسطة المستعملة في جوبا عاصمة الدولة الوليدة جنوب السودان.³ لا شك أن النظريات السابقة تشكلت لتشرح ظهور اللغات المبسطة إلا أن كل نظرية منها انطبعت عليها ظروف خاصة جعلها تتواءم ونوعا خاصا من اللغات المبسطة المشتركة في بعض الخصائص. إذ إن الدارس لإحدى اللغات المبسطة يضع نظرية تناسب وظروفها الزمانية والمكانية والاجتماعية. فعلى سبيل المثال تتحدث النظرية الأولى عن اللغات المبسطة ذات الأصل الواحد وترجع في غالبها إلى البرتغالية التي أبحر بها المستعمر البرتغالي في أرجاء متباعدة من العالم. ثم تبعه بقية المستعمرين الناطقين باللغات الهندوأوروبية فظلت اللغات المبسطة الناشئة تحت كنف هذه اللغات متأثرة بها جميعا خصوصا البرتغالية. مثل هذه النظرية تنطبق على حال اللغات المبسطة التي ظهرت في عصور الاستعمار وازدهار تجارة

¹ Alshurafa 2014, 16.

² Sebba 1997:84.

³ Hall 1966:23.

الرفيق الذي احتاج أسياده التواصل معه بعد استعبادهم له. هذه النظرية ربما لا تنطبق على اللغات المبسطة التي ظهرت في كنف اللغات غير الهندو أوروبية. من ذلك اللغة المبسطة في دول الخليج، إذ لا علاقة واضحة تربطها باللغات الأوروبية التي شكلت عصب اللغات المبسطة في عصور الاستعمار. ويبدو أن هذه النظرية تشكلت على أيدي الدارسين الأولين للغات المبسطة من الأوروبيين الذين وجدوا آثار لغاتهم في لغات المستعمرات المبسطة ولم تظهر في ذلك الوقت دراسات حول لغات مبسطة لم تحتك باللغات الأوروبية لذا اقتصر نظرياتهم على البيئات التي درسوها. أما النظرية الثانية فبالرغم من أنها تروم التعميم إلا أنها تكاد تنكر العلاقة بين اللغات المبسطة جميعاً على أنها لا تنكر بعض التشابه بين تلكم اللغات المبسطة، هنا تكمن الإشكالية؛ لأن التشابه في المعجم بين تلكم اللغات المبسطة وخاصة في المستعمرات يوصى إلى ظاهرة الاقتراض اللغوي الذي لا يمكن تفسيره بفكرة فلسفية مجردة بعيدة عن الواقع اللغوي التي ترى أن هذا التشابه كالتشابه الواقع بين عمل يمكن تأديته بعدة طرق تقود إلى نتيجة واحدة.

أما النظريات العامة التي لا تختص بلغة مبسطة معينة فربما تكون الأقرب إلى واقع اللغات المبسطة بشكل عام إذ تتجنب تخصيص نوع معين من اللغات بل تدرس القضية على أنها ظاهرة لغوية مشتركة. تركز هذه النظرية على ظهور اللغات المبسطة بالفطرة الإنسانية والملكة اللغوية التي لدى كل متكلم. حيث يختصر ويلجأ للبنى اللغوية اليسيرة بعيداً عن التعقيد محاولاً إيفهام من لا تجمعه به لغة. وفي ذلك ربط لظهور اللغات المبسطة بتعلم اللغات، إذ يُعد الناطق باللغة المبسطة في طور تعلم لغة ثانية مع بعض الفروق ومنها:

(1) أن الناطق باللغة المبسطة متعلم للغة ثانية إلا أن عملية التعلم لم تتطور عنده لإتقان اللغة التي نشأت المبسطة في كنفها، خاصة إذا لحظ أن اللغة المبسطة تمكنه من التواصل الذي يغطي حاجاته.

(2) الناطق باللغة المبسطة هو متعلم للغة بلا معلم أو وسائل تعليمية. عند النظر في ملخص هذه النظرية يُلاحظ أنها لا تتحدث عن التشابه في اللغات المبسطة بل تتحدث عن سلوك لغوي يمكن تطبيقه على كل ناطق باللغة المبسطة كالشعوب التي استعمرها الأوروبيون أو المهاجرين للعمل في بعض الدول. ويمكن القول إنه بالرغم من أن مثل هذه النظرية تعد الأقرب إلى واقع نشأة اللغات المبسطة إلا أن لغة العمالة المبسطة في السعودية والخليج ربما تشترك في ظروف نشأتها أكثر من نظرية ولا يمكن الجزم على وجه التحديد بأن نظرية ما هي التي يمكن فقط من خلالها فهم نشوء اللغة المبسطة في السعودية؛ لأن اللغة المبسطة في السعودية فيها تنوع واضح. فعلى سبيل المثال، لو تم التحقق من الأنظمة الصرفية والنحوية للغات الأم للناطقين باللغة المبسطة وبعد التحقق تم رصد مظاهر تلك اللغات في اللغة المبسطة في السعودية يمكن أن يدعم هذا الرأي النظرية الثانية المذكورة سابقا وهي نظرية الأصول المتعددة التي تحافظ على الأنظمة الصرفية للغات الأم للناطقين باللغة المبسطة. في المقابل، إظهار اللغة المبسطة في السعودية والخليج لبعض خصائص اللغات الهندو أوروبية يدعم نظرية تعلم اللغة الثانية التي تشرح نشأة اللغة المبسطة من خلال فكرة التيسير اللغوي الذي يلجأ إليه متعلم اللغة للتواصل مع الآخرين.¹

الخاتمة

تحاول هذه الورقة أن تقدم فهما نظريا عاما للغة المبسطة وأول ما يُلاحظ تعدد الترجمات العربية لمصطلح pidgin بتعدد فهم المتخصصين الناقلين لذلك

المصطلح. كما أن ثقافة المترجم تُلقِي بظلالها على عملية نقل المصطلح كاللغة الثانية التي تعلّمها ونَقَلَ المصطلح منها. اللغة الأم للناقل أيضا تؤثر في نقل المصطلح حيث إن كل مجتمع بشري له مسرح يؤثر في نظرة الباحث إلى قضايا اللغة العامة التي تشترك فيها اللغات البشرية. فحينما يرغب متخصص أن ينقل مصطلحا ما، لا شك أنه يتأثر بما يجري على المسرح اللغوي في اللغة التي يريد أن ينقل المصطلح إليها التي ربما تكون لغته الأم. بعيدا عن إشكالية المصطلح ونقله يؤكد البحث على مسألة عالمية اللغة المبسطة كونها سلوكا لغويا يلجأ إليه البشر عندما يرغبون بالتواصل بلا لغة جامعة. من خلال هذه الحقيقة اللغوية يمكن للمتأمل أن يربط اللغة المبسطة بنشأة اللغات وتعددتها التي تبدأ كلغة مبسطة للاتصال بين شعبيين كحل وسط لتقف بين هاتين اللغتين وعلى مر العصور تستقل اللغة المبسطة لتصبح لغة ثالثة.

يفتح هذا البحث آفاقا جديدة لدراسة اللغة المبسطة: كدراستها من زاوية نظريات تعلم اللغة الثانية والبحث عن عينات تشرح ظاهرة الفروق الفردية في عملية تعلم اللغة الثانية من خلال فهم تقدم بعض الوافدين في إتقان لغة البلد الذي وفدوا إليه واعتماد بعضهم على اللغة المبسطة وحدها رغم أنهم يعيشون في بيئة واحدة ومدة إقامتهم واحدة.

ثم هناك عوامل أخرى يمكن دراسة اللغة المبسطة من خلالها كمدى تقبل المجتمع لفتح الحوار مع الوافد خارج نطاق العمل، والمستوى اللغوي الذي يتم التواصل به مع الوافدين ودوره في تعلم الوافد للعربية أو الدارجة أو استمراره باستعمال اللغة المبسطة، وهل ينطوي ذلك على موقف أهل البلد من الوافدين سواء بتقبلهم داخل المجتمع اللغوي أو إبقائهم في مجتمع اللغة المبسطة. ويمكن أيضا دراسة اللغة المبسطة من جهة كيفية التعامل معها ورسم السياسة اللغوية المناسبة في التعاطي معها. في هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن هذا البحث وما ألف قبله في

دراسة هذه الظاهرة اللغوية في السعودية ودول مجلس التعاون الخليجي يعد إحدى الخطوات الباكرة في مجال الدراسات اللغوية الاجتماعية في العربية التي هي في حاجة إلى من يكمل مسيرتها؛ لتكتمل صورة المشهد اللغوي العربي لدى المتخصصين، ولا تتضح هذه الصورة إلا بعد توصيف الواقع ومحاولة فهمه من خلال معطيات التخصص ونظرياته.

المصادر والمراجع العربية:

1. الأزهرى، أبو منصور. 2001. تهذيب اللغة؛ محمد عوض مرعب. دار إحياء التراث العربي بيروت.
2. بشر، كمال. 1997. علم اللغة الاجتماعي (مدخل): الطبعة الثالثة. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة.
3. البعلبكي، رمزي. 1990. معجم المصطلحات اللغوية: إنكليزي-عربي مع 16 مسردا عربيا: الطبعة الأولى. دار العلم للملايين-بيروت.
4. البعلبكي، منير. 1996. المورد: قاموس إنكليزي-عربي؛ الطبعة الثلاثون. دار العلم للملايين-بيروت.
5. أشار، بيار. 1995. سوسولوجيا اللغة، ترجمة عبدالوهاب ترو. منشورات عويدات-بيروت.
6. حنا، سامي عياد. 1997. معجم اللسانيات الحديثة: إنكليزي-عربي: الطبعة الأولى. مكتبة لبنان ناشرون-بيروت.
7. الخولي، محمد علي. 1982. معجم علم اللغة النظري، إنكليزي-عربي مع مسرد عربي-إنكليزي. مكتبة لبنان-بيروت.
8. ابن دريد، أبو بكر. 1987. جمهرة اللغة؛ تحقيق رمزي البعلبكي. دار العلم

للملايين-بيروت.

9. مبارك، مبارك. 1995. معجم المصطلحات الألسنية: فرنسي-إنكليزي-عربي: الطبعة الأولى. دار الفكر اللبناني-بيروت.
10. المسدي، عبدالسلام. 1984. قاموس اللسانيات: عربي-فرنسي و فرنسي-عربي مع مقدمة في علم المصطلح؛ الدار العربية للكتاب.
11. معجم مصطلحات علم اللغة الحديث: عربي-إنكليزي وإنكليزي عربي 1983. مكتبة لبنان-بيروت.
12. المعجم الوسيط 2004. الطبعة الرابعة: مكتبة الشروق الدولية-القاهرة.
13. هرسون. 1990. علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمود عياد. عالم الكتب-القاهرة.

المصادر والمراجع الأجنبية:

1. Almoaily, M. 2012. *Language Variation in Gulf Pidgin Arabic*. PhD thesis: Newcastle University.
2. Alshurafa, Nuha S. 2014. "Linguistic Functions of *fii/maafii* in Hejaz Gulf Pidgin Arabic". *King Khalid University journal for Humaities*, Volume 21, No. 1, 11-28.
3. Avram, Andrei A. 2014. "Immigrant workers and language formation: Gulf Pidgin". *ArabicLengua y migración* 6:2- ISSN : 1889-5425. © Universidad de Alcalá), 7-40.
4. Avram, Andrei. 2017. "A. Superdiversity in the Gulf: Gulf Pidgin Arabic and Arabic Foreigner Talk". *Philologica Jassyensia*”, an XIII, nr. 2 (26), 175–190.

5. Avram, Andrei. A. 2017. "Sources of Gulf Pidgin Arabic Features". *Linguistic Studies in the Arabian Gulf, Quaderni di RiCOGNIZIONI*, vol VII.. Torino: Universita di Torino.
6. Bakir, Murtadha J. 2010. "Notes on the Verbal System of Gulf Pidgin Arabic". *Journal of Pidgin and Creole Languages*, 25:2. 201-228.
7. Bickerton, D. 1981. *Roots of Language*. Ann Arbor, MI: Karoma.
8. Bizri, Fida. 2005. "Le Pidgin Madam, un nouveau pidgin arabe" in *La Linguistique* no. 41:53-66.
9. Crystal, David. 2008. *A Dictionary of Linguistics and Phonetics*. Oxford: Blackwell Publishing; Sixth edition.
10. Hall, R. A. 1966. *Pidgin and Creole Languages*. Ithaca: Cornell University Press.
11. Hinnenkamp, V. 1982. *Foreiner Talk und Tarzanisch*. Hamburg: Helmut Buske Verlag.
12. Holm, J. 1989. *Pidgins and Creoles*, vol. II *.Reference Survey*. Cambridge: University Press.
13. Klein, W. and Perdue, C. 1997. "The basic variety (or couldn't natural languages be much simpler)", *Second Language Research* 13 (4). 301-347.
14. Næss (2008). *Gulf Pidgin Arabic: Individual Strategies or Structured Variety*. An MA dissertation: University of Oslo.

Abstract

This paper focuses on the theoretical aspect of pidgin language. It discusses several international theories of Pidgin languages in the context of the fact that some of these theories seems different than the actual reality of pidgin language in the GCC countries. Through the discussion of these theories the paper presents some pidgin languages around the world as examples. This work will be achieved by collecting and discussing data from two sources: first, works that dealt with pidgin language in general without concentrating on a specific area, Second, research and papers that focused on Gulf Pidgin Arabic. The outcome is to provide a deeper theoretical understanding of this linguistic phenomenon to the Arabic reader. In this context it should be noted that Arabic is lacking in pidgin language studies. Furthermore, there is a confusion in the translation of the term (pidgin) and its definition. Building a theoretical foundation of the study of pidgin languages in Arabic is very important. This will help other researchers to take the study a step further by investigating this linguistic phenomenon in its linguistic context from different perspectives. The examples include studying pidgin language according to the theories of second language acquisition and studying the possible effects between Arabic language and pidgin language.

Keywords: pidgin language, labor market language, simplified linguistic variety, theories of pidgin language.

ثالثاً:
الدراسات
الإجتماعية

النظريات الجيوستراتيجية القديمة وتأثيرها على منطقة الخليج العربي

الدكتور عبدالله بن علي آل خليفة

باحث في الشؤون السياسية والاستراتيجية والقانون العام - مملكة
البحرين

Ali1044aziz@gmail.com

مستخلص

يعتبر علم الجغرافيا السياسية من المناهل المهمة في حقل العلوم السياسية والعلاقات الدولية والتي برزت في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فيما اجتهد العلماء في وضع القواعد المعرفية والمناهج المصاحبة التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بحقل الجغرافيا السياسية كعلم متفرد بذاته ومتنوع في حقوله المعرفية ليصبح من الدراسات السياسية. وقد يُعتبر علم الجغرافيا السياسية حديث الولادة في دراساته الأكاديمية، ولكن هذا لا ينفي حقيقة أن الجغرافيا السياسية كانت لها جذور قديمة، ولكن مع تطور مراحلها ولاسيما في القرن العشرين تفرّع علم جديد من رحمها بات يُعرّف بـ(علم الجيوبولتيك)، وأصبح من العلوم المهمة التي تعبر عن طبيعة عصرنا الحالي من حيث التنافس الدولي.

المقدمة

إن علم الجغرافيا السياسية (Political Geography) يستقي في تكوينه من المحددات الطبيعية والبشرية والتي تكون سبباً في قوة الدولة إيجاباً أم سلباً، ومن هذه المحددات الموقع الجغرافي والاستراتيجي للدولة كإشرافها على البحار أو الأنهار مما يعتبر رافداً اقتصادياً مهماً بخلاف الدول الحبيسة (Land Locked Countries) التي لا تمتلك سواحل بحرية، إضافة إلى مساحة الدولة والرقعة الجغرافية للدولة ومدى اتساع الإقليم أو ضيق مساحته، وكذلك إلى طبيعة ونوعية الموارد الطبيعية المتوفرة فيه برأً وبحراً للدولة. أما عن المحددات البشرية فإنها تعود إلى عدد السكان في الدولة، وتحليل التفاعلات البشرية السريعة التطور على الصعيدين الداخلي والخارجي للدولة (1)، فيما تعتبر دراسة الجيوبوليتيكا نتاجاً للعلاقات السياسية الدولية والتي تكون مرجعاً للأوضاع والتركيب الجغرافي والتي تعد متغيرة وغير ثابتة مع تعيُّر واختلاف الأوضاع الجغرافية التي تكون مدعومة بتطور العلم التكنولوجي للبشرية والمصاحب لمفاهيم وقوى جديدة للجغرافيا السياسية. وتعتبر دراسة الجيوبوليتكس (Geopolitics) المرجع الرئيسي للنظريات المتعلقة بالدولة، وهي المورد المؤسس لها قديماً وحديثاً، مع الأخذ بنظر الاعتبار ما استجد وتطور من أمور حياتية وحضارية وتكنولوجية، وأصبح لها ارتباط وثيق بمجريات الدولة ودورها في المعترك الدولي وقوتها العسكرية (2).

الكلمات المفتاحية: الجغرافيا السياسية - النظريات السياسية - الخليج العربي - التنافس الدولي - الحرب الباردة.

تعتمد إشكالية البحث في توضيح المقاصد المتعددة للتوجه الجيوستراتيجي للقوى المتنافسة على بسط السيطرة على دول العالم وعلى منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي تحديداً، وتأثر ذلك على مصالحها ومصالح دول الخليج العربي في ظل المتغيرات العالمية في مرحلة الحرب الباردة وحتى انهيار الاتحاد السوفيتي السابق إلى دخول حقبة الألفية الجديدة، وما هو المستقبل الجيوستراتيجي لمنطقة الخليج العربي في ضوء النظريات الجيوستراتيجية القديمة.

2- أهداف البحث:

تحديد النظريات الجيوستراتيجية القديمة ومدى صلة تأثيرها على منطقة دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية.
توضيح وتحليل مدى حدة التنافس في منطقة البحث في ضوء المؤشرات التي تناولتها النظريات الجيوستراتيجية.

3- فرضية البحث:

- تتضمن الفرضية إجابات على المشكلة البحثية تتضمن:
- تحتل آسيا الوسطى والشرق الأوسط موقعاً مهماً في النظريات الجيوستراتيجية القديمة (ماكندر، ماهان، سيفرسكي، سبيكمان).
 - تقع دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية في استراتيجية التنافس الدولي منذ القدم.
 - تشهد منطقة الخليج العربي توجهات استراتيجية جديدة مقترنة مع التحولات العالمية.

4- حدود البحث:

تتضمن حدود البحث من نهاية الحرب العالمية الثانية حتى انهيار الاتحاد السوفيتي السابق مروراً بفترة التسعينيات.

5- منهجية البحث:

لقد كان عماد هذا البحث هو المنهج التاريخي من أجل توضيح بعض الجوانب التاريخية المتصلة بالبحث، مع الاستعانة بالمنهج التحليلي من أجل تحليل المجريات التي قامت في المنطقة ومن ثم عرض الحقائق المتعلقة بالبحث والنتائج.

6- الدراسات السابقة:

- محمود رياض، الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا، 2012. تطرق الكاتب إلى تعريف السياسة والنتائج المتبعة في دراستها وكيفية تأثير الجغرافيا على السياسة مبيناً طرق تحليل العلاقات السياسية على ضوء الأوضاع على الأرض، مع الأخذ بعين الاعتبار بأن الجغرافيا لا تعني مظاهر السطح فحسب بل تشتمل على أنماط الحركة والانتقال وأن التفاعل المستمر في ما بين السياسة والجغرافيا يظهر لنا تفرعات جديدة بالدراسة، فالدولة ينبغي التعامل معها كوحدة جغرافية سياسية بغية فهم نشأتها وتطورها وتحليل الخصائص الحضارية والديمغرافية بسكانها، فضلاً عن الآلية الجيوبوليتيكية التي ترسم الحدود بين الدول وتبلور شكل الدولة والتي تطرق فيها المؤلف إلى منطقة الشرق الأوسط كمنطقة تتوسط العالم.
- معين حداد، الجيوبوليتيكا قضايا الحيوية والانتماء بين الجغرافيا والسياسية 2006. يغطي المؤلف تعريفات علم الجيوبوليتيكا والتحليل المعمق

للنظريات الجيوستراتيجية وفهم ما جرى من قبل وما يحدث الآن من صراعات وتحالفات وتوازنات قوى في سياق تشكيل الهويات والانتماءات الخاصة بالأمكنة والأراضي، كما ركز المؤلف على الجيوبوليتيكيا باعتبارها "علم الدولة" أي العلم الذي ينبغي أن تقوم عليه الدولة الساعية إلى القوة والاقتدار. إذ لم يكن الجيوبوليتيكيا حتى ذلك الحين سوى التسمية المختصرة للجغرافيا السياسية. كما تطرق المؤلف إلى انبعاث الجيوبوليتيكيا مجدداً في الربع الأخير من القرن العشرين وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة، شهد مصطلح الجيوبوليتيكيا تداولاً متنامياً، كما يحلل كذلك مفهوم الأرض في الجيوبوليتيكيا بأبعادها الثقافية والجغرافية والسياسية.

- أمين الهويدي، البيروسترويكيا وحرب الخليج الأولى، 1997. ويعني هذا الكتاب إلى التحولات السياسية والاستراتيجية بعد التحول الذي أحدثته جروباتشوف بالبيروسترويكيا والجلانوست في موسكو والكيفية التي يتجه بها العالم هل هي الهيمنة أم نظام وحدة القوى أم توازن القوى، كما ركز الكتاب على مفهوم القوى السياسية التي تحقق توازناً عالمياً. كما تطرق إلى الفكر الاستراتيجي المعاصر ثم تطورات النظام الإقليمي حرب الخليج الأولى عام 1991.

- هنري كيسنجر، الدبلوماسية من الحرب الباردة إلى يومنا هذا، 1995. تطرق المؤلف لسيرورة تطور الدبلوماسية من القرن السابع عشر الميلادي وحتى اندلاع الحرب الباردة ويعرض كذلك التطورات السياسية الدولية من الحرب الباردة حتى منتصف عقد التسعينيات من القرن الماضي والذي لعبت فيه الدبلوماسية الأمريكية دوراً كبيراً، يقدم المؤلف تحليلاً عميقاً لتفاصيل الحراك السياسي الدولي ثم يذكر سياسة الاحتواء المتبعة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وأسبابها ثم يذكر نهاية الحرب الباردة ورؤيته للنظام العالمي

الجديد لاحت بواده مع العقد الأخير من القرن العشرين مع ذكر التحديات الجيوسياسية لروسيا الاتحادية.

7- هيكلية البحث:

ينقسم البحث إلى ملخص ومقدمة وأولاً وثانياً والاستنتاجات والتوصيات والخاتمة المراجع والهوامش.

أولاً: نشأة الجغرافيا السياسية والحاجة للنظريات الاستراتيجية.

تعتبر الجغرافيا في نشأتها مصاحبة لنشأة الإنسان فقد عُرِفَت منذ أقدم العصور والأزمنة، وجرى استخدامها منذ قرون خلت، فيما يعود أول من أطلق لفظ الجغرافيا (Geography) هو اليوناني إراتوستينس (Eratosthenes)(3)، وهي كلمة مركبة وتتكون من مقطعين (Geo) وتعني الأرض و (Graphs) وتعني وصفاً، لتصبح الكلمة (وصف الأرض). وقد استمر هذا التعريف متداولاً عند علماء الرومان كبطليموس (Ptolemy) واسترابو (Strabo)(4)، فيما تطرق العلماء العرب لوصف الجغرافيا من خلال أسفارهم وترحالهم في شتى بقاع الأرض وتعرّفهم على طبيعتها من بحار وسهول ووديان وجبال، وأسهبوا كذلك في الحديث عن أجناس العرب كابن بطوطة وابن جُبَيْر، وأبي القاسم ابن حوقل في كتابه (المسالك والممالك)، وأبي الفداء في كتابه (تقويم البلدان)(5).

ولقد ساعدت التطورات الحاصلة في الدول الأوروبية على جميع الأصعدة - ومنها العلمية والاجتماعية والثقافية، وما صاحبها مما سُمِّي بعصر النهضة - على الاستفادة من علم الجغرافيا، والذي لم يكن مستخدم قبل القرن الخامس عشر الميلادي بشكل منظم كعلم يستفاد منه من قِبَل قادة الدول الأوروبية لرسم سياسة

بلدانهم والقيام بمختلف المهام الخارجية. وقد عزز ذلك ما صاحب علم الجغرافيا في ذلك الوقت من اكتشافات أدت بدورها إلى (عصر الاستكشافات)(6).

وبرزت في تلك الفترة نخبة من العلماء والأدباء الذين كانت لهم إسهامات في ربط علم الجغرافيا (مناخ وتضاريس وتعداد السكان والاقتصاد) بالحياة السياسية، وتأثير الجغرافيا على التباين السياسي والسلوك البشري كالكتاب الفرنسي الشهير مونتسكيو Ch.Montesquien (1689-1755م) الذي أولى أهمية قصوى لدراسة العلاقة ما بين القوانين والنظم القضائية وربطها بالجغرافيا والمناخ اللذين يلعبان دوراً كبيراً في تحديد التطور السياسي للدولة، وأيده في ذلك الحقل السياسي الفرنسي جاك رويبر تورغو J.R.Turgot (1727-1781م) الذي أبرز العلاقة الوثيقة بين الجغرافيا والسياسة والاقتصاد(7)، إلا أنه في تلك الفترة لم يعتمد الساسة والقادة على عوامل علم الجغرافيا الحديثة بشكل علمي ومنظم حتى نهاية القرن السابع عشر الميلادي، حيث ابتكر المخترعون عندها أدوات القياس الصحيحة والدقيقة التي مكنتهم من تحديد المواقع وحساب المسافات والارتفاعات ورسم الحدود(8).

أما فيلسوف عصر التنوير الألماني إيمانويل كانت Immanuel Kant (1724-1804م) فقد تناول مفهوم الجغرافيا بأنها سجل للظواهر التي تتوالى على سطح الأرض سواء أكانت طبيعية أم بشرية(9)، فيما ذهب الجغرافي الألماني كارل ريتير Carl Ritter (1779-1859م) بتعريفه لعلم الجغرافيا بأنه "ذلك الفرع من العلم الذي يتعامل مع الكرة الأرضية بجميع صفاتها وظواهرها وعلاقتها كوحدة مستقلة والذي يُظهر العلاقة ما بين الإنسان وخالقه". هذا ويعتبر ريتير أن ظروف السطح والمناخ لها تأثيرها المباشر على الحركات البشرية وتاريخ الشعوب وهجراتهم(10)، بينما يذهب رائد الجغرافيا الفرنسية الحديثة فيدال دي لا بلاش

مبادئ الجغرافيا البشرية بأن الجغرافيا علم مختص بدراسة صفات الإقليم بكافة مظاهره وخصائصه الطبيعية(11).

وترجع الجغرافيا الحديثة في نشأتها إلى بداية القرن العشرين والتي برعت فيها المدرسة الألمانية والتي كان من أبرز روادها فريدريك راتزل Friedrich Ratzel (1884-1904م) الذي يُعتبر مؤسس الجغرافيا الحديثة والذي أصدر عام 1897م كتابه المسمى (الجغرافيا السياسية Politische Geographie) الذي ربط فيها بين التاريخ السياسي والعلاقات الدولية والجغرافيا. وقد جاء بروز أفكار راتزل ومجموعة من قادة المدرسة الألمانية للجغرافيا آنذاك لما كانت تشهد القارة الأوروبية من أحداث جسام وتنافسية محمومة على جميع الأصعدة ومن أهمها السياسية، حيث كانت التنافسية التوسعية لأقصى مدى بين الدول الأوروبية، فلذلك سعى الجغرافيون الألمان إلى رسم الأراضي التي تلزم ألمانيا أو حتى تطمح لها من واقع كونها دولة ذات طموح استعماري شأنها شأن الدول الأوروبية الأخرى(12)، لذلك كان عقد ستينيات القرن التاسع عشر مهماً لألمانيا، حيث تمكن رئيس الوزراء الألماني آنذاك أوتو فون بسمارك Otto Von Bismarck (1815-1898م) من توحيد الولايات الألمانية في إطار دولة قومية في 18 يناير 1871م وذلك بعد انتصار ألمانيا على فرنسا وتنازلها عن مقاطعتي "الألزاس واللورين" لألمانيا(13)، ووثقته فرنسا بتوقيع اتفاقية تنازل عن مقاطعتي "الألزاس واللورين" في قصر فرساي في العاصمة الفرنسية باريس(14)، والذي شهد كذلك حفل تتويج فيلهام الأول ملك بروسيا إمبراطوراً على الإمبراطورية الألمانية حتى تنازله عن العرش عام 1918م(15).

ويعد راتزل المؤسس لعلم الجغرافيا السياسية الحديثة، لذلك استطاع أن

يستقل بعلم الجغرافيا السياسية عن باقي الدراسات البشرية، وذلك بعد تأليفه الكتاب السابق الذكر عام 1897م، والذي ركّز فيه على العلاقة بين علم السياسة والبيئة الطبيعية كالأرض والمناخ(16)، لذلك كان اتجاه راتزل على المستوى السياسي والذي اعتبر فيه الدولة كالكائن الحي، فهي تتعامل في محيطها وبيئتها على اعتبار أنها كائن حي تدفعه الضرورة للتوسع حتى لو اضطر إلى استخدام القوة لتحقيق ذلك التوسع. إذًا الدولة في نظر راتزل كالشخص الحي، والأشخاص يتباينون بيولوجيًا في قوتهم وبنائهم الجسماني والعضلي، فالدولة حسب نظريته تتكون من عنصرين أساسيين هما الأرض والشعب، وينجم عنهما عنصر ثالث وهو تفاعل البيئة كـمكوّن طبيعي نتيجة لذلك التفاعل(17)، فيما تشمل دراسة الأرض عناصر الجغرافيا الطبيعية والتي من أهمها عامل المكان الجغرافي والأقاليم التابعة للدولة، وتشمل دراسة الشعب عناصر عدة، منها دراسة الحياة البشرية والتي تتكون من أعراقهم وسلالاتهم ولغاتهم. أما العلاقة بين الأرض والشعب فهي متداخلة ومعقدة، ومنها تبرز قوة الدولة أو ضعفها بالإضافة إلى الوحدة السياسية المكوّنة للدولة، وهنا تأتي أهمية الحدود السياسية للدولة والتي تعتبر كأهم مقوّم للوحدة الأساسية في الجغرافيا السياسية على الرغم مما تتعرض له الحدود السياسية للدول من تغيرات(18). ومن خلال أفكاره التي وردت في كتابه (الجغرافيا السياسية) كان راتزل يهتم بنمو الدولة، حيث يذكر منها على سبيل المثال أن الجغرافيا تتحكم في نمو الدولة وتكوينها، ومنها أن حدود الدولة قابلة للنمو أو حتى التغيّر في حدودها الطبيعية إذا لم تجد مقاومة من دول الجوار، وبذلك فقد أسس نظرية المجال الحيوي (Vital Area Theory) والتي تسمى باللغة الألمانية (Lebensraum)(19).

ولقد حازت المدرسة الألمانية قصب السبق والريادة في مجال الجغرافيا

السياسية ومدى تأثير العلاقة الدائرة بين مجال الجغرافيا وما بين طبيعة الحركة السياسية للدول، وأسهم المفكرون السابق ذكرهم في تلك الريادة، فيما أنشئت في ألمانيا الجمعية الجغرافية والتي تفرعت منها المدرسة الجيوبوليتيكية في مدينة ميونخ، والتي ترأسها (كارل هوسهوفر Karl Houshofer) في عام 1924م (20)، فيما أسهم مفكرون آخرون سواء من القارة الأوروبية أو الأمريكية في تطور جوانب الجغرافية السياسية، وبرع منهم الأستاذ الأمريكي (آيسايا بومان Isaiah Bowman) (21) الذي أسهم في كتاباته في الجغرافيا السياسية فيما بعد الحرب العالمية الأولى (1914-1918م). وقال بومان في عام 1930م "إن الجغرافيا هي الموضوع الوحيد الذي يعطي تركيباً إقليمياً بطريقة منظّمة، لأن الإقليم يعني تضافر عدد من الظواهر على سطح الأرض بما يجعل بعض أجزائه مختلفة عن بعضها الآخر، ومن ثم يصبح موضوع الجغرافيا هو دراسة وفهم الإقليم (22).

وعلى هذا النحو فإن الجغرافيا السياسية تهتم بدراسة الظواهر السياسية (Political Phenomena) في أبعادها المساحية (Aerial Context) بهدف دراسة الجوانب التي تخص الدولة، بغرض تحليل القوى (Power Analysis) وخصائص ومقومات الجغرافيا السياسية للدولة، ومنها التركيب السياسي والقوة والمكانة السياسية للدولة، ولذلك يمكن تقسيم تلك الخصائص والمقومات إلى فئتين هما (23):

1- المستويات والخصائص الطبيعية: يُعتبر عامل الموقع الجغرافي ذا أهمية بالغة لجغرافية الدولة حيث يقترن بتغيير قيمة الموقع التاريخي حسب الظروف السياسية والعلاقات الدولية، فيما قد تستفيد الدولة من الموانع الدفاعية الطبيعية

كالصحارى الشاسعة والغابات الكثيفة وسلسلة الجبال الوعرة والبحار كما هو الحال عندما اكتشفت المحيطات، حيث أصبحت الدول المطلة على المحيط الأطلسي هي مراكز القوى في العالم إذ ترعمت العالم حينها كل من إسبانيا وبريطانيا وفرنسا ومن ثم الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي (سابقاً)، وذلك راجع لما يمثله موقعهم الجغرافي من مزية سهولة الاتصال بالعالم الخارجي، فلذلك أصبح الموقع البحري الجغرافي عنصراً حيوياً من عناصر قوة الدولة (24)، وبناءً عليه نستخلص مما سبق أن الموقع الجغرافي ومدى اتساع مساحة الدولة يلعبان دوراً رئيسياً في تحديد قوة الدولة وثقلها السياسي، مما يؤهلها للسعي لامتلاك مجال أكبر (تعتبره دافعاً حيوياً) من أجل تنفيذ سياستها الخارجية.

وكذلك يُعتبر الموقع الفلكي أي امتداد الدولة في عدة دوائر عرض عنصراً من عناصر القوة لأية دولة بسبب ما يضيفي لها ذلك من تنوع مناخي يصب في مصلحة اقتصادها ونفوذها التجاري، مما يسهل لها بالتالي امتلاك مصادر وموارد زراعية ممتدة وثروات طبيعية كالتّي تُستخرج من الغابات، ويعطيها تبعاً تنوعاً جيولوجياً له مردود إيجابي على غزارة وتنوع مواردها الطبيعية سواء كانت زراعية أو نفطية أو بحرية أو من المعادن الطبيعية المتعددة (25). ويذكر الجغرافي والسياسي (فالكنبرغ) بأن هناك علاقة ما بين كبر أو صغر المساحة الجغرافية للدولة، ويكون ذلك حسب فكر (فالكنبرغ) مصاحباً لعلاقة الدولة في قوتها أو ضعفها (26)، فيما يصنف في كتابه (عناصر الجغرافيا السياسية) الدول حسب المساحة والأحجام، وهي كالاتي (27):

أ- الدول العملاقة (Giant States) والتي تبلغ مساحتها أكثر من مليون ميل مربع.

ب- الدول الكبرى (Large States) والتي تتراوح مساحتها ما بين المليون ونصف المليون ميل مربع.

ج - الدول متوسطة الحجم (Medium States) والتي تتراوح مساحتها ما بين نصف المليون ومائة ألف ميل مربع.

د - الدول الصغيرة الحجم (Small States) والتي تتراوح مساحتها ما بين مائة ألف وعشرة آلاف ميل مربع.

هـ - الدول الصغيرة جداً (Tiny States) والتي تقل مساحتها عن عشرة آلاف ميل مربع.

2 - المقومات والخصائص البشرية: يُعتَبَر السكان من أحد أهم عناصر الجغرافيا السياسية وعامل متحرك في داخل الدولة سواء بفعل الزيادة الطبيعية (نسبة المواليد، الوفاة، الهجرة) أو غيرها. فعدد السكان ونوعيتهم وتوزيعهم على مساحة الدولة وتَجَانُسهم العِرْقِي أو اختلاف قومياتهم ولغاتهم وكذلك دياناتهم، من المؤثرات في تكوين قوة أو ضعف الدولة (28). فيما يذهب بعض المفكرين الباحثين في الجغرافيا السياسية إلى أن حجم السكان يعد مقياساً لقوة الدولة في انتصارها أو فشلها في الحرب، كما أن هناك ارتباطاً وثيقاً ما بين الحجم السكاني والناحية الاقتصادية من حيث استغلال الثروات الطبيعية والتي تنعكس على السوق المحلي للدولة من ناحية مستوى القوة الشرائية داخلها، فيما تمثل دوافع الهجرة سواء كانت داخلية بين أقاليم الدولة أو خارجية شاملةً أبعادها السياسية وكذلك تعتبر من المؤثرات على قوة الدولة أو ضعفها، و من ناحية أخرى تعتبر الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية - فالتركيب العمري للسكان

وحجم القوى البشرية العاملة في سوق العمل وتفاقم مشاكل البطالة - قد تكون من مهّدات الدولة وضعفها(29).

الجيوبوليتيكس: شهد مطلع القرن العشرين تنمية وتطوير علم الجغرافيا السياسية لاسيما في القارة الأوروبية؛ ليخرج من رحم علم الجغرافيا السياسية علم جديد ألا وهو علم (الجيوبوليتيكس)، وبينما كانت أفكاره قديمة إلا أن الفكر الجيوبوليتيكي حديث الولادة، فقد تم تطوير قواعده الفكرية ونظرياته وعلاقاته الدولية لاحقاً، فيما تختلف الجيوبوليتيك عن الجغرافيا السياسية في منظور الجغرافي (نورمان باوندز Norman Pounds)(30) بأنها تهتم بدراسة الدولة من حيث سياستها الخارجية، والتي تُعنى بالمظهر الجغرافي للعلاقات الخارجية، بحيث تجمع ما بين السياسة والموقع الجغرافي، وكذلك جعل المعلومات الجغرافية أداة مطواعة لقادة الدولة وساستها والعسكريين بها، بهدف المحافظة على أمن ووحدة وسلامة البلاد. واعتبر علم الجيوبوليتيكس الأرض محور الدولة ورمز قوتها، إذ تتكون كلمة الجيوبوليتيك ذات الأصل اليوناني من جزئين (Geo) وتعني الأرض والتي ترمز إلى علم الجغرافيا، أما الجزء الآخر فهو (Politique) بوليتيك) وتعني سياسة الدولة، وبذلك فإن الكلمة في مجملها تعني دراسة العلاقة ما بين الأرض والسياسة(31). وهو ما يُعرف بجغرافية الدولة وعلاقتها الداخلية والخارجية.

ومن خلال العلاقة ما بين الجغرافيا السياسية وقوة الدولة جعل الجغرافيون جُلَّ اهتمامهم على مبدأ قوة الدولة ذات المصلحة القومية الضيقة التي تهتم بالقُطر، بينما أسهب آخرون من الجغرافيين السياسيين في الاهتمام بالعلاقة بصورة أوسع لتشمل المستوى العالمي في حالتي السُّلم والحرب. وهنا برز اتجاهان مختلفان يهتم الأول بالجيوبوليتيك بمفهومه الضيق أما الآخر فهو الجيوستراتيجية ذات المفهوم الأوسع والأشمل. ولقد برعت المدرسة الألمانية في الجيوبوليتيكا

وأصبحت مبدأ مهمًا في الحرب العالمية الأولى ومن ثم الثانية (32).

ولقد وردت مفردة كلمة الجيوبوليتيكا لأول مرة في القرن التاسع عشر من قبل السياسي السويدي رودولف كيلين Rudolf Kjellen (1864-1922م) (33) والذي عرّفها في كتابه (القوى الكبرى) بأنها "علم الدولة ككائن جغرافي أو كيان في الفضاء أي أن الدولة في وصفها بلداً وإقليمًا تتميز بكونها حكمًا مبسوطًا على هذا الكيان الجغرافي" (34). وأضاف بأن الجيوبوليتيكا هي التطبيق العملي للجغرافيا السياسية في تحليل القوة القومية، مشددًا على فكرة المجال الحيوي التي تبناها (راتزل) من قبل والتي أوضح فيها أن الدول إنما هي كائنات حية كأبي كائن حي يعيش في صراع دائم للحصول على مساحات أكبر لتكفل له البقاء والحياة حين يكبر، حتى لو دفعه ذلك إلى استعمال القوة.

ولقد وضع (كيلين) ما تُعرّف بقوانين النمو المساحي للدول (35)، ولذلك فقد اتجه لمبدأ الانتشار والتوسع الخارجي، إذ يرى أن توطن الإنسان في قطعة ما من الأرض بصفة مستمرة واتسمت إقامته بها بالتماسك والتعايش والولاء والانتماء سوف يؤدي ذلك إلى ميلاد أمة أطلق عليها (الغريزة الجغرافية)، ولذلك قسم (كيلين) دراساته المرتبطة بنظرية الدولة إلى (36):

أ- الجيوبوليتيك (Geopolitics) وتُعنَى بدراسة البيئة الطبيعية للدولة.

ب- الديمغرافيا السياسية (Demo politics) وتُعنَى بدراسة سكان الدولة.

ج - الاقتصاد السياسي (Eco politics) وتُعنَى بدراسة موارد الدولة الاقتصادية.

د - الاجتماع السياسي (Socio politics) وتُعنَى بدراسة الهيكل

الاجتماعي للدولة.

هـ - حكومة السياسة (Government Politics) وتُعنَى بدراسة حكومة الدولة.

إذاً يرجع الفضل لكل من راتزل وكيلين لاستخدامهما وتنظيرهما لعلم الجيوبوليتيك الحديث، بينما برع (كارل هاوسهوفر Karl Haushofer) في الفترة ما بين الحربين الكونيتين الأولى والثانية وفي ظل تأثره بأفكار كل من راتزل وكيلين وخصوصاً بشأن أن الدولة كائن حي، وسعى إلى تطبيق اتجاهاتهما في دراساته ومؤلفاته والتي تعتبر أن (المجال قوة سياسية) والتي ركز فيهما إلى أن السيادة على المجال تأتي عن طريق العوامل الجغرافية والبشرية، وعلل بذلك بأن ألمانيا تمتاز بعدد سكان كبير مقارنة بالدول الأوروبية الأخرى التي رغم أنها تسيطر على مساحات أكبر إلا أن عدد سكانها أقل مقارنة بالشعب الألماني الذي كان تعداده 85 مليون نسمة في عهد الزعيم النازي أدولف هتلر، فلذلك أصبح لفظ المجال الحيوي متداولاً بكثرة عند القادة الألمان(37).

لذلك يعد هاوسهوفر من المفكرين الألمان الذين نهضوا بعلم الجيوبوليتيك مستنداً في ذلك إلى ما لديه من أفكار ذات نشاط سياسي توسعي، بحيث يعد من المعارضين لاتفاقية فرساي التي أبرمت بعد الحرب العالمية الأولى ولما تمخضت عنها من نتائج تنتقص من سيادة ألمانيا. هذا وقد جمعت بينه وبين الزعيم النازي أدولف هتلر علاقة، واجتمع الاثنان بعد سجن هتلر على إثر التمرد الانقلابي الذي قام به ضد حكومة فايمار عام 1923م سعيًا منه للاستيلاء على السلطة ولم يكتب له النجاح(38)، كما أنه يذكر بأن الزعيم هتلر قد اقتنع بأفكار هاوسهوفر بشأن الجيوبوليتيك كما وردت في كتابه (كفاحي) أو (ماين كامبف Mein Kampf) بالألمانية، إذ كان هاوسهوفر يعتقد أن الحياة والبقاء للدول الكبرى فقط، أما الدول

الصغرى فمسيرها إلى الزوال أو الانطواء تحت هيمنة الدول الكبرى، وأن العالم باتت تتحكم فيه ثلاث قوى رئيسية هي الولايات المتحدة الأمريكية في الغرب واليابان في الشرق وألمانيا في أوروبا وأفريقيا(39).

ولقد شكّلت أفكار وتنظيرات هاوسهوفر مبدأ الجيوبوليتيكا الألمانية في الفترة ما قبل الحرب العالمية الثانية، والتي شهدت فيها ألمانيا توسعاً كبيراً واستطاعت من توسيع مساحتها الجغرافية عن طريق احتلال مناطق من الدول المجاورة كبولندا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا ثم فرنسا معتبرة إياها من مجالها الحيوي ومن حقها التمدد فيه، ليصبح علم الجيوبوليتيكا المرجع العلمي والسياسي للدولة الألمانية الذي تستند إليه في تحديها وطموحها التوسعي الخارجي(40)، ومما خدم الحزب الاشتراكي الوطني الألماني (النازي) بزعامة أدولف هتلر وتلاءم مع أفكاره وتوجهاته، وهو ما أثار ردود أفعال معاكسة ضد علم الجيوبوليتيكا سواء في أوروبا أو في العالم برُمَّته، والتي كانت بداية لتشويه هذا العلم وإبعاده عن أهدافه الأساسية العلمية وتبني معتنقي فكرته مفاهيم خاطئة(41).

ثانياً: النظريات الجيوستراتيجية.

قد نخطئ إذ نرجع بعلم الجيوبوليتيكا إلى المدرسة الألمانية فقط، وإنما كما أوردنا أنه كانت لها الأسبقية في وضع قواعد ومناهج علم الجيوبوليتيكا، فمع انقضاء الحرب العالمية الأولى برزت كل من المدرستين الأمريكية والإنجليزية في هذا المجال، كما أنبثقت النظريات الجيوبوليتيكية التي عُرفت عبر الفترات السابقة والتي تركز على وظيفة الدولة كوحدة متحركة بسبب قابليتها في انطلاقتها للسيطرة الكونية، وتهدف النظريات الجيوبوليتيكية التي برزت عبر السنين إلى اتباع سياسة بناء القوة الذاتية للدول المعنية بالأمر في المجالات العسكرية والسياسية

والاقتصادية، مع السعي لتأمين استمراريتها، و تلك النظريات هي نظرية المجال الحيوي والقوة البرية والقوة البحرية والقوة الجوية (42) ونذكرها كالآتي:-

1- نظرية المجال الحيوي (Living Space):

ارتبطت هذه النظرية بالمفهوم الجيوبوليتيكي، وهي تعتبر أن المجال الحيوي بشكل عام هو عبارة عن المساحة اللازمة لنمو واستمرار الكائن . ولقد تم ربط هذا المعنى بالجانب السياسي للدول، وهي بلا شك ذريعة للدول الكبيرة للتوسُّع على حساب الدول الأخرى من أجل تأمين حاجات شعبها هي دون النظر إلى حاجات الشعوب في هذه الدول إلا بما يتناسب مع مصلحتها (أنظر الشكل 1).

وقد ركزت تلك النظرية على أن الكائن الحي مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمجال الأرضي للدول، ومن أجل البقاء فلا بد لها من التوسُّع في هذا المجال حتى ولو بالقوة، وإذا لم تتوسع فإنها ستعرض للانحيار، مع التركيز على أن الدولة كائن عضوي يكبر وتزداد احتياجاته باستمرار، وأن الحدود هي أشبه بجلد الكائن العضوي والذي يجب أن يتمدد باستمرار مع نموه (43). ويُعتبر أول مَنْ تَبَنَّى النظرية هو الألماني (فريدريك راتزل Friedrich Ratzel) (1844-1904م) بشكلها العلمي، وجرى تطبيقها في فترة الحكم النازي (1939 - 1945م) مع صعوده وتعاظم قوته وفي سبيل تأمين نمو اقتصاد ألمانيا، وذلك عبر التوسُّع بأراضي الدول المجاورة لها لتأمين المواد الأولية اللازمة لاقتصادها ومن ثمَّ بناء الأمة الألمانية (44).

الشكل 1 والذي يوضح المجال الحيوي للألمان خلال الحرب العالمية

(الثانية)



Hitler's Foreign Policy: <https://www.bbc.com>

2- نظرية القوة البرية (The Theory of Land Power):

يُعتبر المفكر الاستراتيجي (هالفورد ماكيندر Halford Mackinder (1861-1947م) أبرز الجغرافيين والسياسيين الكبار الذين أسهبوا في هذا المجال، فهو صاحب نظرية قلب الأرض (Heart Land) التي تعتبر أول نظرية عامة في الاستراتيجية العالمية، كما أنها إحدى النظريات المعروفة في مجال القوى العالمية (أنظر الشكل2)، والتي جرى طرُحها عبر محاضرة علمية في الجمعية الجغرافية الملكية بالعاصمة البريطانية لندن عام 1904م وحملت عنوان (محور الارتكاز الجغرافي في تعاليم التاريخ The Geographical Pivot of History)(45).

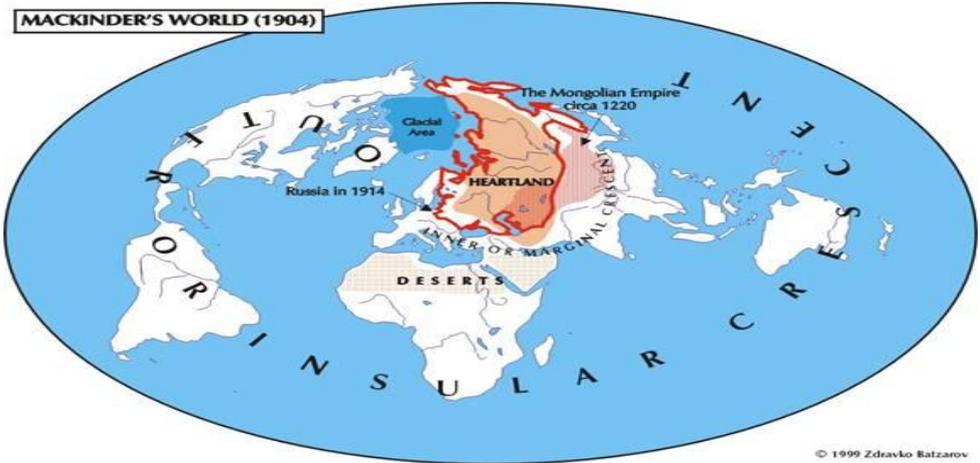
وقدم ماكيندر مفهوم (قلب الأرض Heart Land) للإمبراطورية البريطانية، وفسر الحاجة إلى معالجة التوسُّع الروسي تجاه الخليج العربي في الوقت التي كانت فيه روسيا القيصرية تسعى لبناء نظام (السكك الحديدية Rail Road System) الذي يمكنه السماح للقوة البرية الروسية القيصرية لتكون تقريباً كمحرك للقوة البحرية الملكية البريطانية، وهذا ما يمنح مزايا حاسمة في جزيرة العالم(46).

وأطلق ماكيندر على المنطقة الوسطى في الجزيرة العالمية اسم منطقة (الارتكاز Pivot Area)، فيما أطلق عليها فيما بعد (قلب الأرض Heart Land) وهي المنطقة المهمة من العالم، وتغطي مساحة مقدارها 3309 ملايين كم²، ويمكن تحديدها من نهر الفولغا في روسيا غرباً إلى شرق سيبيريا، ومن المحيط المتجمد الشمالي إلى هضاب إيران وأفغانستان وبلوشستان في الجنوب.

وتتكون المناطق الشمالية والوسطى والغربية من سهل عظيم الاتساع ولا تقطعه سوى جبال الأورال الروسية المتصلة بين آسيا وأوروبا. ولقد أوضح ماكندر أن مَنْ يتحكم في منطقة العالم هي قوة أخرى أقوى بكثير من أية دولة منفردة، وأن أية قوة تتحكم في منطقة جزيرة العالم فإنها تتحكم في ثلثي مساحة العالم وسبعة أثمان من سكانه، وقد تلخصت نظرية قلب العالم على النحو التالي (47):

- مَنْ يحكم شرق أوروبا يسيطر على العالم.
 - مَنْ يحكم قلب العالم يسيطر على جزيرة العالم.
 - مَنْ يحكم جزيرة العالم يسيطر على العالم بأسره.
- (الشكل 2) نموذج الخارطة (Heartland):

<http://www.habitat.org.tr/jeopolitik/391-the-geographical-pivot-of-history.html>



ونشير هنا إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية بنهاية الحرب العالمية الثانية (1939-1945م) قد أتبعَت سياسة الاحتواء (Containment Policy) وذلك من قبل إدارة الرئيس الأمريكي السابق هاري ترومان (Harry Truman) (1945-1951م)، فقد سعت إلى بناء قواعد في أرجاء العالم بهدف احتواء خطر النفوذ الشيوعي في حدود الدول الشيوعية آنذاك والحيلولة دون وقوع أوروبا الغربية ودول العالم النامي تحت هذا النفوذ(48)، وتجسيدا إلى نظرية قلب العالم فقد سعت الولايات المتحدة الأمريكية في إنشاء عدداً من الأتحاف العسكرية ومنها حلف شمال الأطلسي (NATO) عام 1949م في سبيل مواجهة الخطر الشيوعي وذلك بعد سعي الاتحاد السوفيتي (سابقاً) إلى بسط نفوذه على أوروبا، كما سعى الحلف لإقامة بنى داخلية قوية للدول الأعضاء في الحلف فضلاً عن إقامة رابط جماعي للحفاظ على الأمن والسلم في القارة الأوروبية(49)، كما أمتد التنافس إلى منطقة الشرق الأوسط من خلال إقامة حلف بغداد (Baghdad Pact) عام 1955م والذي تكون من المملكة المتحدة، تركيا، العراق، إيران، باكستان(50)، كما أدت التطورات في الشرق الأقصى لعقد حلف بعد أن فبعد أن صارت الصين شيوعية عام 1949م، إذ سعت الولايات المتحدة الأمريكية عبر وزير خارجيتها آنذاك (جون فوستر والاس) لتكوين حلف لتطويق جمهورية الصين الشعبية الموالية للاتحاد السوفيتي في منطقة شرق وجنوب شرق اسيا والذي أسفر عن ولادة حلف (سيتو Seato) اختصاراً للأحرف الأولى من (حلف جنوب شرق اسيا) باللغة الانكليزية في سبتمبر 1954م ولم تكن إلا الفلبين وتايلند فقط من دول جنوب شرق آسيا التي قبلت الدخول فيه(51).

3- نظرية القوة البحرية (Naval Warfare):

ترجع أصول هذه النظرية إلى تطور المجال في السياسة الجغرافية السياسية منذ نهاية القرن التاسع عشر وتعاظم دور الولايات المتحدة الأمريكية في السياسة الدولية، وقد برز في هذا المجال القائد البحري الأمريكي (ألفريد ماهان Alfred Mahan) (1840-1914م) في مقدمة رواد القوة البحرية، وتتلخص نظرية ماهان حول القوة البحرية في أن السيطرة على البحر وأعالي البحار ضرورة أولية للسيادة العالمية، وأكد ماهان على أهمية التطور البحري في تاريخ الدول، كما أكد على أن أهم عامل جغرافي يؤثر في قوة الدولة ليس مساحة الدولة التي تمتلكها بقدر ما يكمن في طول السواحل والموانئ التي تسيطر عليها(52).

ويؤكد ماهان في هذا المجال أن الشرط الأساسي للقوة العالمية هو التَّحَكُّمُ في البحر، ولقد كان مقتنعاً بأن القوة البحرية في المحيطات لها اليد العليا في ترجيح كفة الصراع في أية مشكلة عالمية، وذلك راجع إلى الموقع المناسب الذي يعطي ميزة سياسية و اقتصادية للدولة بعيدة المدى (أنظر الشكل 3)، بينما يكون الأمر عكس ذلك ويُرْتَبُّ أعباء كثيرة على الدولة عندما لا تظل على أية سواحل وبحار وتسمى دولة الموقع الحبيس إضافة مساحة الدولة الكبيرة وكتلة السكان التي تسمح بالدفاع ومجتمع مولع بالبحر والتجارة ووجود حكومة لديها الرغبة بالهيمنة على البحار(53). واعتبر ماهان في ذلك الوقت أن بريطانيا هي القوة الأولى في العالم من واقع تمتُّعها بالموقع البحري الممتاز وبما لها من قواعد منتشرة في كافة أرجاء العالم مما جعلها تتمكن من المحافظة على تفوقها البحري، كما أكد أنه ينبغي للولايات المتحدة الأمريكية أن تسعى نحو امتلاك قوة بحرية قوية وقواعد بحرية حول مناطق العالم(54).

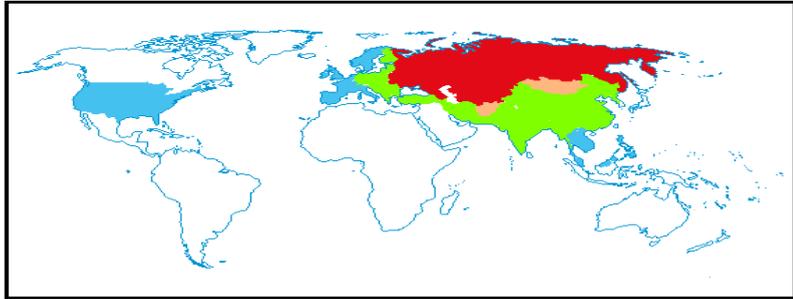
ويضيف ألفريد ماهان أن الدولة التي تقع على البحر يجب أن تكون لديها قوة

بحرية مدعّمة بجيوش برية، ليس على أراضيها فحسب بل وفي قواعد خارج حدودها؛ حتى تتمكن من دفع الخطر عنها حال وقوعه قبل وصوله إلى أراضيها. وتنبأ ماهان بأن كلا من بريطانيا وألمانيا واليابان والولايات المتحدة الأمريكية سوف تجد أن من مصلحتها السيطرة على العديد من مناطق العالم وخاصة الاتحاد السوفيتي (السابق) والصين، ويرى أنه لا بد من وجود منطقة عازلة (Buffer Zone) بحرية بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي (السابق)، بحيث تسيطر أمريكا على البحار والمحيطات ولا تدع القوى المعادية تفرض سيطرتها على مياه أعالي البحار والمحيطات(55).

(الشكل 3)

خريطة

نظرية ماهان - القوى البحرية



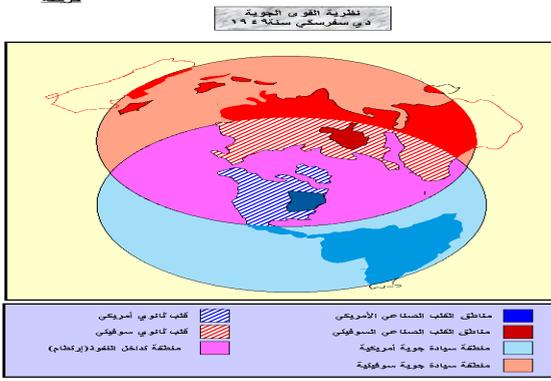
قوى النهر (Red)
 قوى البحر (Blue)
 داخلي/قاري (Orange)
 حديدية - إنتقالية (منطقة الإرتطاج Crush Zone) (Green)

<http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/lecture.aspx?fid=11&depid=1&lcid=38053>

قد استخلص ماهان مبدأ هام جداً ألا وهو "مبدأ تركيز القوة" (Concentration of Power) أعتبر ماهان وآراؤه أكثر من وضع الولايات المتحدة الأمريكية على طريق العظمة والقوة العملاقة، والذي أوحى للجيل الجديد من سياسة أمريكا بالتفكير بالقوة العالمية والرقعة الأعظم.

3- نظرية القوة الجوية (Air Force Theory):

يُعتبر (ألكسندر دي سفيرسكي Alexander de Seversky) (1894-1974م) الروسي المولد والأمريكي الجنسية أحد أبرز منظري نظريات القوة الجوية، إضافة إلى آخرين منهم الجنرال الإيطالي (جيوليو دو هيت Giulio Douhet) صاحب (نظرية القوة الجوية)، والذي ذكر بأن حروب المستقبل ستُكسب من الجو، وستكون طبيعتها هجومية، بينما ستبقى القوات الأرضية في وضع دفاعي (56). ويعد سفيرسكي من أوائل المفكرين بالرؤية الجيوبوليتيكية للعالم من منظور القوة الجوية، واعتمد في إثبات نظريته على خريطة رسمت مقياس سمّي (57) مركزها القطب الشمالي (أنظر الشكل 4). ومنها يتضح مدى التقارب بين كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي (السابق) كما أوضحت الخريطة مناطق الهيمنة الجوية لكل منها. واكتشف سفيرسكي منطقة يتداخلان فيها معاً وأطلق عليها (منطقة القرار)، ومن يتحكم في هذه المنطقة يستطيع التغلب على الآخر ومن ثم يتحكم في العالم (أنظر الشكل 5)، وإزاء ذلك استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية بناء محطات للرادار وقواعد جوية بالاشتراك مع كندا وذلك للدفاع عن نفسها من أي اعتداء قد يقوم به الاتحاد السوفيتي (السابق) (58).



(الشكل 4) نموذج
الخارطة التي رسمت
بالمقاس السمتي
)

<http://www.physics.csbsju.edu/as>

(tro/sky/sky.04.html)

(الشكل 5):

<https://www.britannica.com/biography/Giulio-Douhet>

ولم يستبعد سفيرسكي التلاقي والتصادم في مناطق النفوذ الجوي وكذلك في مناطق أخرى ومنها أوروبا الغربية إبان حقبة الحرب الباردة وشمال أفريقيا، وقد أعطى سفيرسكي عن أن نفوذ القوة الجوية الروسية كأكبر مثال بنموها المضطرد والتي استطاعت أن تغطي في مقدراتها أمريكا الشمالية، وكذلك بالمثل فقد تمكنت القوة الجوية الأمريكية من أن تغطي منطقة Heart Land ومنطقة الأوراسية (أوروبا وروسيا)، ولذا باتت مناطق النفوذ الجوي لتداخل السياتين الجويين والبرية والبحرية والتي عرّفها بمنطقة المصير (Area of Decision) وهي المنطقة التي تُعتبر منطقة الحسم في أية معركة بين القوتين، كما تُعتبر أكثر المناطق الجيوستراتيجية من ناحية الأهمية في العالم. وكذلك رأى سفيرسكي أن القوة الجوية تلعب دورها الحاسم في تحديد نتيجة الحرب، وفي الوقت نفسه تحقق فيه للدولة ميزة إضافية عن بقية الدول، وعبر عن ذلك من خلال مبدئين هما (59):

- من يمتلك السيادة الجوية يستطيع أن يسيطر على مناطق تدأخل النفوذ الجوي.
- من يسيطر على مناطق تدأخل النفوذ الجوي يصبح مصير العالم بيده.

ثالثاً: تأثير النظريات الجيوستراتيجية على منطقة الخليج العربي.

تُعتبر المعطيات الجغرافية السياسية من المقومات التي تصنع خصائص الدولة أو الإقليم والتي تتأثر بها الوحدات السياسية وتبرز أهميتها، سواء بالنسبة لكيانها الذاتي أو تعتمد أو تمتد لتشمل علاقاتها التفاعلية مع الوحدات السياسية الأخرى (دول الإقليم)، سواء التأثير بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على وجود الوحدة السياسية ومن ثم تحديد دورها في العلاقات الدولية. وكما يرى (بسمارك) فإن الجغرافيا هي العنصر الوحيد والدائم للسياسة (60).

ولقد امتازت منطقة الخليج العربي ومنذ العصور القديمة بكونها محط أنظار الدول الكبرى، وامتدت حتى العصور الحديثة، وذلك نظراً لموقعها الجغرافي والاستراتيجي وإشرافها على عدد من المسطحات المائية (الخليج العربي، خليج عُمان، بحر العرب)، وتَحَكُّمها في أهم الممرات المائية البحرية الدولية (مضيق هرمز، مضيق باب المندب)، الأمر الذي أدى إلى زيادة حدة التنافس الدولي على منطقة الخليج العربي من المنظور الجيوستراتيجي (61). وفي هذا الصدد تعرضت هذه المنطقة خلال القرون الخمسة الماضية لتدخلات خارجية تهدف إلى السيطرة عليها لأغراض ودواعٍ استراتيجية أو اقتصادية، فابتداءً من حملات البرتغاليين في بدايات القرن السادس عشر الميلادي، فالهولنديين والفرنسيين ثم البريطانيين تجاه المنطقة انفتح الباب لكل تلك التدخلات وأفضى إلى اشتعال الصراع بين تلك

القوى واحتدامه في ما بينها من جهة وما بينها وبين الشعب الخليجي من جهة أخرى رفضاً لذلك التدخل والتواجد(62). ومن هنا فقد عملت بريطانيا على فرض سيطرتها على منطقة الخليج العربي بما يخدم مصالحها ومنع وإبعاد القوى الأوروبية السابق ذكرها، فيما كانت المحصلة بأن هي التي ظفرت بأطول فترة تواجد لها في الخليج العربي واستطاعت ربط دُوله باتفاقيات الحماية السياسية من بدايات القرن التاسع عشر حتى العقد السابع من القرن العشرين(63)، ومنذ تواجدها في المنطقة لم تتعرض لأية منافسة حقيقية لتمتعها بطول النَّفس وهو ما مكَّنها من إزاحة المنافسين الآخرين باستثناء بعض المحاولات الألمانية والروسية في بدايات القرن العشرين ولكن دون تحقيق تواجداً فعلياً بسبب التواجد البريطاني(64) وفي ما يلي سوف نذكر تنافس القوتين الغربية والشرقية في ما بعد الحرب العالمية الثانية:

1- المنافسة الغربية ومن ثم الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية:

على مدى الوقت أدت سياسات التكالب على منطقة الخليج العربي إلى زيادة حدة المنافسة ما بين توسُّع بريطاني ومحاولة تدخُّل روسي وتطلُّع فرنسي واهتمام ألماني وعثماني ومن ثم أمريكي، إلا أن بريطانيا تمكنت أكثر من غيرها بفضل قوتها البحرية التي أدرك أن السيطرة على منطقة الخليج العربي يعني السيطرة على الشرق ككل، فسلكت بريطانيا عدة طرق بعضها السياسي والبعض الآخر عسكري لخدمة مصالحها من الاستئثار بالغنيمة وإبعاد المنافسين لها عن المنطقة والهيمنة عليها(65)، وكان لها ذلك منذ منتصف القرن التاسع عشر إذ أبدعت أية قوة أجنبية منافسة لها، وتثبيتت أقدامها في المنطقة، وأمنت على ذلك من خلال ربط دولها باتفاقيات الحماية السياسية والاتفاقيات البحرية معها، فضلاً عن الاتفاقيات في

الجانب الاقتصادي مع نهاية القرن التاسع عشر حتى عشرينيات القرن الماضي وهي الفترة التي تصاحب معها التنقيب عن النفط في كل دول المنطقة واستخراجه على فترات (66).

وفي بدايات القرن الماضي ومع تشكُّل التحالف الألماني العثماني شرعت بريطانيا بتشديد قبضتها على كل الطرق النافذة إلى المنطقة بإقامة قواعد بحرية وموانئ محصَّنة بهدف التصدي لمنافسيها ومنعهم من الوصول إليها بأي شكل أو إقامة نقاط نفوذ فيها. وكذلك كانت الاتفاقيات والمعاهدات المبرمة بين بريطانيا ودول منطقة الخليج العربي هي الأداة التي تبدو في ظاهرها اتفاقيات تعاون وصدقة وفي باطنها تكمن الرغبة في السيطرة والاستحواذ على مقدراتها وثرواتها ناهيك عن الاستفادة من الموقع الجغرافي، وفي الجملة تحقيق المصالح السياسية والاقتصادية والعسكرية لبريطانيا واستبعاد أية قوة أخرى منافسة لها (67).

ومما لاشك فيه أن منطقة الخليج العربي قد استأثرت بأهمية كبرى في العلاقات الدولية، وذلك راجع إلى موقعها الجغرافي الذي يتوسط العالم القديم في الكتلة الأوراسية باعتبار أنها الناقل لحضارات الشعوب الواقعة على ضفافه والقريبة منه كحضارة وادي الرافدين، فضلاً عن أن موقع الخليج العربي مثل همزة وصل وربط ما بين الغرب والشرق أي بين أوروبا والهند والشرقين الأقصى والأدنى، كما يعتبر الخليج العربي ممراً مائياً حيويًا يحوي مضيقاً دولياً مهماً هو (مضيق هرمز) ويحوز أهمية قصوى من الناحيتين العسكرية والاقتصادية (68). وإذا كانت العلاقات الدولية تستند إلى محددات معينة من أهمها الجغرافيا والاقتصاد فإن ما جعل منطقة الخليج العربي تحظى باهتمام بالغ في الاستراتيجيات العالمية ومن قبل الفاعلين الدوليين منذ القدم حتى عصرنا هذا، امتيازها بقيمة استراتيجية

وجيوبولتيكية وأمنية واقتصادية وعسكرية فريدة ومتميزة، الأمر الذي جعل منها إحدى الركائز الأساسية في التوازنات الدولية (69).

وفي ظل ما حظت به منطقة الخليج العربي من اهتمام عالمي وإقليمي كبير بحكم موقعها الجيوستراتيجي الذي تتمتع به وجعلها ساحة تنافس وصراع دولي وإقليمي لم تخف حدته ولاسيما في بدايات القرن العشرين وحتى ما بعد الحرب العالمية الثانية وبرز القوتين الدوليتين العظمتين اللتين شرعتا في التنافس بغية السيطرة على دول العالم الأخرى، وهما ما عُرفتا بالمعسكر الغربي الرأسمالي والمعسكر الشرقي الاشتراكي (الشيوعي) واللذان كان محور تنافسهما منصباً بالخصوص على العالم العربي وبالذات منطقة الخليج العربي بحكم موقعها الاستراتيجي كما أسلفنا، ونظراً لِمَا تَكشَّف عن احتوائها على كميات هائلة من النفط الذي صار منذ اكتشافه عصب الحياة والنمو والتطور في العالم. ومما زاد من وتيرة تنافسهما للسيطرة على المنطقة اعتبارها من أهم مناطق القواعد العسكرية في العالم (70)، ومما زاد من تلك الأهمية إلى الجانب الجيوستراتيجي برزت أهمية الجانب الاقتصادي والذي أخذ يتبوأ مكانته الرفيعة من ثلاثينيات القرن الماضي على أثر اكتشاف النفط وبغزارة كبيرة ومبشرة بمخزون احتياطي ضخم من النفط، يشير إلى أن 60٪ من احتياطي النفط العالمي يتواجد بالمنطقة، وبذلك تكون الهيمنة على هذه المنطقة أو التواجد فيها ومد جسور من التواصل والعلاقات مع دولها وحكوماتها من الموجبات والدواعي الملحة والمهمة ولاسيما أن هذه الأهمية ستزيد عندما يشح الإنتاج ويتقاصر في المناطق الأخرى من العالم ويعجز عن تلبية الطلب العالمي المتزايد على هذه السلعة ذات الأهمية البالغة والمتعاظمة (71).

ومع ما شهدته هيكلية القوى العالمية على الصعيد الدولي بعد الحرب العالمية الثانية أخذت بنية العالم في التغيُّر على نحو واضح، بحيث فقدت بريطانيا سطوتها كقوة عالمية متنفذة وفي المقدمة بلا منازع، بينما برزت الولايات المتحدة الأمريكية كقوة جديدة نظراً لدورها البارز في حسم نتيجة هذه الحرب لمصلحة الحلفاء، بحيث أصبحت منطقة الخليج العربي - كموقع استراتيجي وكيان ذي مورد ومخزون نفطي هائل - بالنسبة لها أكثر أهمية واعتباراً (72)، وأخذت الولايات المتحدة في البروز كقوة عالمية جديدة وقطب عالمي يُحسب حساباه وتُخشى سطوته، وهو ما مكَّنها من توسيع نفوذها في العالم وتركيز اهتمامها على منطقة الخليج العربي مما تطلَّب تواجدها عسكرياً في المنطقة، وعبرَ عن ذلك عبر الرئيس الأمريكي الأسبق فرانكلين روزفلت في تصريح له في 18 مارس 1943م (73) قال فيه "إن المملكة العربية السعودية أصبحت من الآن فصاعداً ذات ضرورة حيوية للأمن القومي للولايات المتحدة الأمريكية" (74).

وتمكنت الولايات المتحدة خلال عقدي الخمسينيات والستينات من القرن الماضي من تدعيم وتوسيع نفوذها الفاعل في منطقة الخليج العربي وعمل كل ما يمكن لمنع أية قوة دولية أو إقليمية من منافستها في تلك التوسع، ودون أن تغفل اعتماد النظريات الجغرافية من أجل المحافظة على تفوقها في المنطقة. هذا في حين إن المنطقة العربية شهدت في تلك الفترة زخماً من المد القومي العربي مكنها من إنهاء السيطرة الأجنبية فقد بدأت بعدها مرحلة الاستقلال السياسي والاقتصادي فكانت ولادة ميلاد الدولة الوطنية الذي تزامن مع تماسك داخلي كنتيجة للنضال المشترك ضد التواجد الأجنبي (75)، سعى فيه النظام العربي لتحقيق إنجازات بارزة تمثلت في نيل عدد من الدول العربية استقلالها وانحسار الاستعمار الأجنبي التقليدي، ونجحت تلك الدول في إحباط المحاولات المثارة من أجل ربطها بنظام

التحالفات الغربية أو بأنظمة دفاع التكتلات الإقليمية التي تخدم المصالح الأجنبية كحلف بغداد أو (CENTO) في تلك الفترة (76). وقد اعتمدت الولايات المتحدة منذ تلك الفترة ثلاثة مبادئ ارتكزت عليها في تواجدها بمنطقة الخليج العربي، وهي كالآتي:

أ- مبدأ أيزنهاور (77): وهدف هذا المبدأ للتصدي للمد الشيوعي بمنطقة الشرق الأوسط ومنطقة الخليج العربي ووقف تسربه وانتشاره ولاسيما بعد ظهور نفوذ صوري للاتحاد السوفيتي (السابق) - باعتبار نظامه نظاماً شيوعياً - في بعض الدول العربية وإيران. ويعد هذا المبدأ بعد فشل العدوان الثلاثي والذي شنته كل من (بريطانيا، فرنسا وإسرائيل) على أراضي الجمهورية المصرية في أكتوبر 1956م حيث خشى الأمريكيان تدخل الاتحاد السوفيتي عسكرياً في أعقاب الإنذار الذي وجهه (نيكولاي بولجانين) رئيس الوزراء السوفيتي لكل من بريطانيا وفرنسا و(إسرائيل) بقوله: "بهذا الفعل يعني قيام حرب عالمية جديدة" (78)، لذلك فقد أثار الرئيس الأمريكي الأسبق أيزنهاور مبدأ الدومينو وأوضح فكرته بقوله: "لديكم صف من أحجار الدومينو منصوبة فإذا أطحتم بأول حجر منها فإن الذي سيحدث إلى آخر حجر منها حتماً السقوط السريع" (79). وكان الرئيس أيزنهاور مصمماً على توقيع الاتفاقيات مع دول المنطقة لمنعها من أن تسقط تحت هيمنة الاتحاد السوفيتي كقطع الدومينو، واتبع مبدأً مبنياً على سياسة الاحتواء التي طبقها الرئيس الأمريكي الأسبق هاري ترومان (الرئيس الثالث والثلاثون للولايات المتحدة الأمريكية من 12 أبريل 1945 حتى 20 يناير 1953م) على دول أوروبا ضد التمدد الشيوعي، وهو ما كان يرمي إليه الرئيس أيزنهاور بالنسبة إلى دول الشرق الأوسط ودول الخليج بصفة خاصة (80).

ب- مبدأ نيكسون: أعلن الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون هذا المبدأ الذي عُرف باسمه عام 1969م من جزر غوام (Guam) الأمريكية في المحيط الهادي، وهو يختلف عن مبدأ آيزنهاور الذي سبقه بأنه يستبعد التدخل العسكري الأمريكي المباشر لمساعدة أية دولة حليفة في المنطقة وإنما دعم المنطقة بقوة جوية وبحرية متواجدة في منطقة الخليج العربي لصد أيّ عدوان تتعرض له دوله، مستبعداً بذلك التدخل العسكري، ودعم وتقوية حلفاء الولايات المتحدة بتسهيل حصولهم على الأسلحة والمعدات العسكرية الأمريكية سواء على شكل مساعدات أو مبيعات للأسلحة، علماً بأن إيران كانت في تلك الفترة من أبرز حلفاء واشنطن في حماية المنطقة من الأطماع السوفيتية(81).

ج- مبدأ كارتر: بعد فشل المبدأ السابق الذي استمر قرابة عشر سنوات ظهر مبدأ كارتر في يناير 1980م حين حصلت تداعيات جديدة في المنطقة والتي كان من أبرزها قيام الدولة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني في فبراير 1979 في أعقاب رحيل نظام الشاه محمد رضا بهلوي، والغزو السوفيتي لأفغانستان العام نفسه، ووصول اليساريين في إثيوبيا لسدة الحكم، وكذلك الدور السوفيتي في اليمن الديمقراطي (الجنوبي) بعد الإطاحة بنظام الرئيس سالم ربيع علي. وأكد الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر في خطابه بمناسبة إطلاق هذا المبدأ بقوله: "إن أية محاولة تقوم بها قوة خارجية للسيطرة على الخليج العربي ستُعتبر هجوماً ضد المصالح الحيوية الأمريكية، وسنرد عليها بكل الوسائل الضرورية بما في ذلك استخدام القوة المسلحة". هذا وبصدور هذا المبدأ فقد بدأت مرحلة جديدة من حالة الصراع الذي كان يمكن أن يأخذ منحى المواجهة الحقيقية ما بين القوتين الكُبريين حول منطقة الخليج العربي(82).

2- المنافسة الروسية القيصرية ومن ثم الاتحاد السوفيتي (السابق) بعد الحرب العالمية الثانية:

لقد جذبت منطقة الخليج العربي بوصفها ممراً للتجارة العالمية في ما بين الشرق والغرب أعضاء البعثات القنصلية والتجارية والطبية والهندسية الروسية التي وفدت إلى المنطقة لأغراض شتى، إذ لم تكن الجزيرة العربية ودول الخليج العربي غائبة عن الاهتمام الروسي بعموم المنطقة، ولا سيما مع تنامي النيات الروسية الرامية إلى إيجاد مناطق نفوذ لها مع إطلالة القرن التاسع عشر والمراد منها هو التغلغل في المنطقة، لكنها لقيت ممانعة ومعارضة من بريطانيا لذلك والتي كانت هي القوة صاحبة النفوذ والكلمة في المنطقة، وهو ما دعاها لانتهاج أساليب دبلوماسية من أجل الحد من الأنشطة الروسية، بل ولوّحت باستخدام القوة ضد الروس في حال تماديهم وإصرارهم على وضع قدم لهم في المنطقة(83).

وبعد قيام الثورة البلشفية في روسيا عام 1917م وسيطرة قادتها على البلاد وتكوينهم حكومة حاولت الحكومة السوفيتية التقرب من الشعوب العربية بإعلانها إنها حليفة للشعوب العربية المضطهدة والمستعمرة من البريطانيين والفرنسيين، وأشفعت ذلك بعقد مؤتمر لشعوب الشرق في مدينة باكو (عاصمة جمهورية أذربيجان حالياً) عام 1920م وبرعاية الاتحاد السوفيتي، في محاولة منها لكسب نفوذ لها في منطقة الشرق الأوسط ومنطقة الخليج العربي بالذات، وفي الوقت نفسه تقويض النفوذ البريطاني والفرنسي في المنطقة(84). وأدت تلك التطلعات الروسية للوصول إلى المياه الدافئة في منطقة الشرق الأوسط ومنطقة الخليج العربي بشكل خاص إلى زيادة حدة التنافس سواء السياسية أو العسكرية في المنطقة في مرحلة الحرب الباردة، فلهذا أصبح الهدف الاستراتيجي للاتحاد السوفيتي (السابق) هو الوصول لمنطقة الخليج العربي وبحر العرب والمحيط الهندي وبسط الهيمنة عليها

ومحاولة إزالة التواجد الغربي الأمريكي الذي أصبح يعيق أو يهدد تواجدهم هناك، فيما رأى السوفييت أن زيادة نفوذهم في منطقة الخليج العربي سيسهل عليهم تحقيق جميع أهدافهم الحيوية في المنطقة وأضعاف منافسيهم الأمريكي على منطقة الخليج العربي (85).

كانت السياسة السوفيتية في ذلك الوقت تدعو لتعزيز التقارب مع الدول العربية وتوثيق العلاقات معها، فقد شهدت سياسة الاتحاد السوفيتي اعتباراً من عام 1955م انفتاحاً كبيراً على منطقة الشرق الأوسط وبالأخص على كل من الجمهورية المصرية والجمهورية السورية من خلال صفقات الأسلحة التي شرعت الدولتان للتزود بهما من روسيا وحلفائها أو الحصول عليها مجاناً أو لقضاء فترات للتدريب في كبريات المعاهد العسكرية والفنية في موسكو فقد كان الاتحاد السوفيتي بالنسبة للعرب القطب الدولي الذي يساند ويقدم الدعم بمختلف صورته (86)، مما أتاح لموسكو نوعاً من التواجد في منطقة الشرق الأوسط. وتساوقاً مع ذلك الانفتاح سعى الاتحاد السوفيتي إلى تحقيق تواجد مماثل في المملكة العربية السعودية ومن ثم باقي دول الخليج العربي، إلا أن ذلك المسعى لم يُكْتَبْ له النجاح لأسباب عدة من أهمها معارضة دول الخليج العربي للمنهج والعقيدة الشيوعية المتبناة من قبل الاتحاد السوفيتي. واستمرت القطيعة طيلة عقود سابقة، إذ لم تشهد العلاقات تقارباً ووصلاً للعلاقات بينهما إلا في عام 1990م (87). ومما تجدر الإشارة إليه أن الاتحاد السوفيتي يعد أول دولة كبرى تعترف بالملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود سلطاناً على الحجاز ونجد وملحقاتها، فقد بادر الاتحاد السوفيتي إلى الاعتراف بالدولة الجديدة في السادس عشر من مارس 1926م وقد أقيمت علاقات دبلوماسية بدرجة فصلية (88).

وبحكم ما مثلته منطقة الخليج العربي من محل اهتمام وهدف استراتيجي للاتحاد السوفيتي (السابق) ومحط تنافس بين القوى العظمى، فقد شكّل انتهاء معاهدة الحماية السياسية البريطانية لدولة الكويت في 19 يونيو 1961م وإعلان استقلالها فرصة لتطلعات الروس لمد جسور مع دول المنطقة وإقامة علاقات دبلوماسية معها، علماً بأن الاتحاد السوفيتي عارض قبول دولة الكويت عضواً بهيئة الأمم المتحدة باستخدامه حق النقض (الفيتو) وذلك بحجة تواجد قوات عسكرية بريطانية في الكويت تزامناً مع تهديدات عبدالكريم قاسم زعيم العراق حينها ضد دولة الكويت عشية انتهاء معاهدة الحماية السياسية البريطانية والمتضمنة رغبته بضم الكويت للعراق بزعم أنها جزء منه! هذا وقد استبدلت القوات البريطانية لاحقاً بقوات عربية بموجب قرار مجلس الجامعة العربية رقم 76 (89).

ويكشف الموقف الروسي المعارض ذاك عن حدة التنافس بين القوى العظمى حول منطقة الخليج العربي وغيرها من مناطق التوتر في العالم بين المعسكرين الغربي والشرقي وهي الحالة التي وسمت فترة الحرب الباردة بينهما. على أن السوفيت الروس سرعان ما غيروا موقفهم وذلك في مارس 1963م إثر مبادر دولة الكويت بطلب إبرام علاقات دبلوماسية مع موسكو بدرجة سفارة (90).

ولقد عمل الاتحاد السوفيتي خلال فترة ستينيات وسبعينيات القرن الماضي على تطوير وتعميق علاقاته مع الكثير من الأقطار العربية، وذلك بدعمه لثورة 14 تموز (يوليو) 1958م في العراق، ومع سوريا بعد تولي حزب البعث (الذي يعتنق المبادئ الشيوعية) على السلطة أثر الانقلاب العسكري الذي جرى في مارس 1963م، ومع اليمن الجنوبي (عدن سابقاً) على أثر جلاء القوات البريطانية وسيطرة الجبهة القومية اليسارية على الوضع وإزاحة خصومها عام 1967م، والسودان مع تولي العقيد جعفر النميري الحكم في السودان بعد توليه السلطة أثر

قيامه بانقلاب عسكري عام 1969م، ومن ثم الصومال إثر انقلاب بقيادة محمد سياد بري عام 1969م و كليهما يتلقون دعماً من موسكو، وإثيوبيا عند استيلاء الماركسي منغستو هيلا مريام على الحكم في إثيوبيا منذ عام 1977م (91). وكذلك ذلك نجحت السياسة السوفيتية من التسرب جزئياً لبعض دول الخليج العربي وذلك من خلال بعض الطلبة الدّراسين في بعض الدول العربية (العراق، سوريا، مصر) والذين تأثروا بالأفكار والأيدولوجية التي كانت قائمة بالاتحاد السوفيتي السابق، وكان ذلك في البحرين والكويت منذ نهاية الخمسينيات (92). فيما أخذ هذا التسرب منحى عسكرياً مسلحاً في سلطنة عُمان من خلال ما عرف بالجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير عُمان والخليج العربي والتي اتخذت من ولاية ظفار مركزاً لها بسبب قربها من مدينة عدن عاصمة اليمن الجنوبي آنذاك، والتي كانت تمثل قاعدة للتواجد السياسي والعسكري السوفيتي، وقد انتهج المتممون لتلك الجبهة من العنف سبيلاً لتحقيق مآربهم عبر القيام بشن عدد من الهجمات على عدد من المواقع في عُمان الداخل (أزكي وعبري) وامتدت لاحقاً إلى العاصمة مسقط قبل أن توأد تلك الفتنة في منتصف عقد السبعينيات من القرن الماضي بفضل سياسة الاستحواذ التي اتبعتها السلطان قابوس بن سعيد سلطان عُمان (93).

وقد اشتدت المنافسة ما بين المعسكرين الغربي والشرقي لاسيما مع نهاية عقدي السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي، نظراً لتطور الأحداث في منطقة الشرق الأوسط ومن أهمها عندما قررت مصر الاستغناء عن الخبراء العسكريين السوفيت وتقرير خروجهم في يوليو 1972م على أثر تقاعس موسكو عن تزويد مصر بالمعدات العسكرية حسب الاتفاقيات المبرمة ولا سيما مع خطة الرئيس السابق محمد أنور السادات عام 1970م والتي أطلق عليها عام الحسم (94)، وعقد اتفاقية كامب ديفيد بين مصر و(إسرائيل) وبرعاية أمريكية عام 1978م،

وتمخض عن ذلك تخلي مصر عن تحالفها مع الاتحاد السوفيتي وتقليص علاقاتهما، ومن جهة أخرى قيام الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الخميني عام 1978م وإقصاء نظام الشاه محمد رضا بهلوي الموالي للغرب والذي كان حليفاً مهماً للولايات المتحدة الأمريكية، وكذلك الاحتلال السوفيتي لأفغانستان في ديسمبر 1979م، وما أعقب ذلك من ثم اندلاع الحرب العراقية الإيرانية في سبتمبر 1980م (95).

كل تلك الأحداث كان محورها التنافس ما بين تلك القوتين وبالذات حول منطقة الخليج العربي والذي أدى لبروز مبدأ كارتر سابق الذكر (96)، والذي أعقب الغزو السوفيتي لأفغانستان واحتلاله لها، ودون أن يغفلوا عن التوغل في منطقة الخليج العربي من أجل جني ثمار تمددهم نحو المياه الدافئة، متدثرين بالمبادرة التي طرحها حينها ليونيد بريجنيف سكرتير الحزب الشيوعي السوفيتي، والتي دعت إلى عدم التدخل في شؤون دول الخليج العربي من أية قوة كانت والالتزام بخمسة مبادئ رئيسية هي (97):

- عدم استخدام أو التهديد باستخدام القوة ضد دول الخليج العربية وعدم التدخل في شؤونها الداخلية.
- عدم إقامة قواعد عسكرية أجنبية في منطقة الخليج العربي وعدم وضع وتخزين أسلحة نووية فيها كذلك.
- احترام حق سيادة دول المنطقة على مواردها الطبيعية. وذلك في إشارة إلى الاتفاقيات النفطية بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية.
- احترام وضع عدم الانحياز الذي اختارته دول المنطقة وعدم جرّها إلى التكتلات العسكرية التي تشارك فيها الدول النووية.

- عدم خلق أية عقبات أو أخطار على التبادل التجاري الطبيعي، وذلك في إشارة إلى حق الاتحاد السوفيتي وحلفائه بالتبادل النفطي مع دول الخليج العربية.

غير أن الاتحاد السوفيتي لم يستطع تفعيل تلك المبادرة نظراً للكلفة الباهظة لاحتلاله لأفغانستان والتي لم يحقق منها أية مكاسب استراتيجية أو اقتصادية، بل على العكس من ذلك فقد أصبح غزوه عبئاً على موسكو فوق ما كانت تعانيه من مشاكل داخلية عديدة من أبرزها تراجع التنمية الاقتصادية والاجتماعية. ونتيجة لذلك شهد النصف الثاني من عقد الثمانينيات تراجعاً كبيراً على مستوى حدة التنافس في منطقة الخليج العربي ما بين القوتين العظميتين وبالخصوص بعد تولّي الرئيس ميخائيل غورباتشوف السلطة (1985-1991م) (98) والذي تبنّى استراتيجية جديدة دعت إلى تخفيف حدة المواجهة مع الولايات المتحدة الأمريكية، وشهد شهر فبراير عام 1986م تغييراً كبيراً في السياسة السوفيتية الخارجية بعد المؤتمر السابع والعشرين للحزب الشيوعي والذي كان من نتائجه إرساء نهج استراتيجي جديد من أجل تعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية والانشغال بشئون الداخل عبر انتهاج سياسة البيروسترويكا والغلاسنوست والتي تعني تغيير نمط السياسات السابقة والتخلي عن الايديولوجية الشيوعية تدريجياً (99)، وذلك على حساب التطلعات التوسعية الخارجية ودعم الدول والأنظمة الشيوعية مادياً، وأسفر عن ذلك بدء تساقط الدول الشيوعية التابعة له وانهار أنظمتها واحدة تلو الأخرى، وفي الوقت نفسه بدء مرحلة جديدة من التقارب مع الولايات المتحدة الأمريكية وباقي دول أوروبا الغربية، وصاحب ذلك تراجع عامل الصراع الأيديولوجي بين القوتين الرأسمالية والشيوعية في إدارة الصراع الدولي (100)، وهو ما يعني تراجع الحرب الباردة ثم نهايتها.

ولقد تمخضت نهاية الحرب الباردة عن انتصار المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية على المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي (السابق) وأعقب ذلك تفكيك الاتحاد السوفيتي إلى جمهوريات مستقلة (أذربيجان، تركمانستان، أوزبكستان، وغيرها)، فيما أخذت دول المعسكر الأخرى (ألمانيا الشرقية، تشيكوسلوفاكيا، المجر، بولندا وغيرها في التخلي من الهيمنة السوفيتية واتخاذها من المنهج الرأسمالي سبيلاً، ومن ثم توحد الألمانيتين الشرقية والغربية في دولة واحدة. وكل تلك الأحداث والتحويلات أدت إلى تزعم أمريكا للعالم (101).

وبموجب ما آل إليه الحال دولياً وإقليمياً فقد جرى طرح رؤية مختلفة لمنطقة الشرق الأوسط عما كانت عليه في زمن الحرب الباردة، وأنت على لسان الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش (الأب) عشية الغزو العراقي لدولة الكويت في 2 أغسطس 1990م وسميت بـ(النظام العالمي الجديد)(102). وصارت نظرة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الاتحاد السوفيتي (السابق) جمهورية روسيا الاتحادية اعتباراً من حقبة التسعينيات مختلفة عن السابق إذ لم تعد روسيا عدواً ولم تعد تشكل أي تهديد لها، بل انفتحت بينهما أبواب للتعاون في تلك الفترة.

أما روسيا ذاتها في حلتها الجديدة فقد اتجهت للعمل على محورين، هما:

- المحور الأول: تنشيط الدبلوماسية الروسية والتقارب مع الدول العربية ولاسيما دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية في المجالين التقني والاقتصادي، وكان من أبرزها قطاع الطاقة الذي يمثل أحد المجالات التي تتلاقى فيها المصالح الخليجية والروسية، حيث تنظر روسيا في هذا الصدد

إلى دول المجلس وعلى رأسها المملكة العربية السعودية كأكبر المنتجين للطاقة في العالم (103).

- المحور الثاني: التطلع الجيوبوليتيكي لروسيا الاتحادية الجديدة ولاسيما مع قدوم الرئيس الحالي فلاديمير بوتين للسلطة من أجل تقوية نفوذها في الجمهورية الإسلامية الإيرانية باعتبارها الشريك الوحيد لها في منطقة الخليج العربي والتي ستتيح لها الوصول إلى الخليج سياسياً أو منافسة الولايات المتحدة الأمريكية في نفوذها وذلك من خلال الدعم العسكري وتشديد المفاعل النووي في مدينة بوشهر المطلة على مياه الخليج العربي وغيرها في إيران (104).

أما عن الولايات المتحدة الأمريكية فإنها اعتبرت علاقتها مع دول المجلس مستمدة من الشراكة الاستراتيجية الطويلة المدى، وقد ركزت فيها على الضمانات الأمنية واستعدادها من أجل العمل المشترك مع دول المجلس ضد أي تهديد خارجي لوحدة أراضيها، وتقديم الضمانات العسكرية من معدات وأسلحة لمواجهة وصد ودحر التهديدات الجديدة التي بدأت تأخذ في البروز غير المواجهات العسكرية التقليدية، كمكافحة الإرهاب والهجمات السيبرانية، وتدريب القوات الخاصة والأمن البحري وحماية الممرات المائية والحفاظ على أمنها، وأبدت تعاوناً كبيراً لتطوير نظام الإنذار المبكر للصواريخ الباليستية وتغطية مجال دول المجلس الجوي بمظلة الدفاعات الجوية الصاروخية (105).

الاستنتاجات:

- يقع قلب العالم في القسم الأوروآسي في قارة آسيا فلذلك سوف يستمر صراع القوى من أجل الاستحواذ على الموقع الجغرافي والتنافس على التواجد الفعلي في تلك المنطقة.

- تسعى الولايات المتحدة الأمريكية بكونها قوة أبرز في عالمنا المعاصر للاستفادة من تلك النظريات الجيوستراتيجية للسيطرة على قلب العالم.
- زيادة حدة التنافس المستقبلي لدى الدول الكبرى في فرض تواجدها في مناطق تلك النظريات.
- إن منطقة الخليج العربي كانت ولا تزال واحدة من أهم المناطق الاستراتيجية في العالم وستبقى تتمتع بتلك الأهمية الكبيرة في خطط واستراتيجيات الدول الكبرى.
- لقد ساهمت الأحداث والتطورات التي شهدتها دول الشرق الأوسط ودول الخليج العربي أثناء فترة الحرب الباردة في رسم وتوجيه السياسات العالمية التي تبنتها القوتين العظميين في تلك الفترة.

التوصيات:

- ✓ تعتبر النظريات الجيوستراتيجية متجددة بذاتها بحيث مازالت هي صلب التطلعات الجيوستراتيجية للقوى الدولية فلا بد من تسليط الضوء عليها بتركيز وتمعن.
- ✓ مازال التنافس الدولي بين القوى يأخذ طابع التنافس المحموم وأن انتهت الأيدولوجيات السابقة كالشيوعية إلا أن الطابع التنافس مازال قائماً حتى الآن.
- ✓ تعتبر منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي من المناطق الأكثر أهمية وحساسية في العالم المعاصر.

- ✓ لقد نأت منطقة دول الخليج العربي بنفسها عن سباق الأيدولوجيات المتنافسة بعد الحرب العالمية الثانية.
- ✓ أخذت دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية دوراً مهماً ولاسيما مع مطلع الألفية الجديدة.

الخاتمة

إن تفسير ما يحدث من تفاعلات يعود بنا إلى النظريات والمقاربات الجيوبوليتيكية والتي كانت منتهجة في زمان سابق من قِبَل الدول الكبرى من أجل بسط سيطرتها العسكرية على مختلف دول ومناطق العالم، وكان لا بد من إعطاء لمحة عامة عن جوهر تلك النظريات.

ولا نفوتنا الإشارة هنا إلى أن القوات الثلاث البرية والبحرية والجوية يكمل كل منها الآخر، ولا يتحقق لدولة التفوق إلا بتعظيم قواتها في المجالات المشتركة الثلاث معاً، وهذا يعني أنه لتحقيق دولة ما التفوق في كل مجال على بقية دول العالم، ولأن هذا لم ولن يتحقق في الواقع العملي، إلا أن المقصود منه أن يكون إجمالي التفوق في الأصناف الثلاثة للقوة مجتمعة يفوق إجمالي تفوق أية دولة أخرى.

وباعتبار أن منطقة الخليج العربي تتمتع بأهمية كبيرة في الميزان السياسي الدولي وذلك راجع إلى ميزة الموقع الجيوستراتيجي الذي يتوسط العالم القديم، وباعتبار أن المنطقة تعد إحدى دوائر الصراع الدولي التي تسعى القوى العالمية إلى إيجاد مكانة استراتيجية لها عبر التواجد فيها وكسبيل مؤدٍ لتحقيق أهدافها والتي من أهمها أنها تعد استكمالاً للكتلة الأورو آسيوية، فقد اكتسبت منطقة الخليج العربي أهمية سياسية بالغة إبان الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي، وبالإضافة إلى ثقلها الاقتصادي المتمثل بمخزوناتها الغزيرة من النفط والغاز، وهو

ما جعلها محوراً للصراع، وما وضعها كأحد العناصر الرئيسية في التوازن الاستراتيجي الدولي وأبعاد توظيفه في نطاق الاستراتيجيات الشاملة للقوى الدولية ومن ثم تنافس وتصارع القوى الإقليمية.

فهرس المراجع و الهوامش:

- 1- محمد محمود الديب، الجغرافيا السياسية أسس وتطبيقات، ط5، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1978، ص10.
- 2- محمد رياض، الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا (مع دراسة تطبيقية على الشرق الأوسط)، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012، ص51.
- 3- إراتوستينس (276ق.م- 194ق.م) عالم رياضيات وجغرافي وفلكي وُلِد في مدينة الشحات بليبيا، وقد وضع نظاماً لخطوط الطُّول ودوائر العُرُض، كما عُرِف بكونه أول مَنْ قام بحساب محيط الأرض، وكذلك قيامه برسم خريطة مفصّلة للعالم بناء على المعلومات التي توافرت لديه في تلك الحقبة، وهو الذي أطلق كلمة (جغرافيا) على علم (الجغرافيا). وأطلق العرب عليه (إراتوسينس) (أراطنيس) و(أراطوس). وقد وصفه ابن جلدج قائلاً: "أراطوس المنجم الذي لم يكن أعلم منه". للمزيد يمكن الرجوع إلى: عبدالمنعم المحجوب، معجم تانيت (معجم الحضارة الليبية

- الفينيقية في شمال أفريقيا وحوض المتوسط)، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2013، ص107.
- 4- محسن عبد الصاحب المظفر، فلسفة المكان (الجغرافيا)، ط1، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، 2005، ص74.
- 5- نوري خليل البرازي وإبراهيم عبد الجبار المشهداني، الجغرافية الزراعية، ط2، جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، 2000، ص31.
- 6- عصر الاستكشافات هو الفترة التي صاحبت ظاهرة الاستعمار التاريخية والتي عمّت جميع أنحاء العالم، وقد بدأت دولة الاستعمار الحديثة أو الإمبريالية في القرن الخامس عشر الميلادي وقاد تلك الاستكشافات الجغرافية إلى تنافس البرتغاليين والإسبان لاحتلال قارتي الأمريكيتين وسواحل إفريقيا مروراً بالجزيرة العربية والخليج العربي وصولاً لشبه القارة الهندية وشرق آسيا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، فيما عكف الإنجليز والفرنسيون والهولنديون على تأسيس إمبراطورياتهم الخاصة فيما وراء البحار في الوقت التي ضعفت فيه البرتغال وانطوائها تحت التاج الإسباني، ثم خسران إسبانيا مستعمراتها مما أتاح لبريطانيا العظمى (Great Britain) بعد توحيد إنجلترا وأسكتلندا وويلز أن تصبح القوة الكبرى في العالم، وتتوسع في استعمارها مستفيدة من عصر الثورة الصناعية الثانية التي انبثقت في القرن التاسع عشر الميلادي. للمزيد يمكن الرجوع إلى: د. عبدالمقصود عبدالغني، دراسات في الفكر الإسلامي الحديث، القاهرة، مكتبة الزهراء، 1996، ص93-94.
- 7- مُعين حداد، الجيوبولتيكا.. قضايا الهوية والانتماء بين الجغرافيا والسياسة، ط1، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، 2006، ص11.

- 8- بيير سيليريه، الجغرافية السياسية والجغرافية الاستراتيجية، ترجمة: أحمد عبدالكريم، ط1، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، 1988، ص16.
- 9- مُصّر خليل العُمر ومحمد أحمد عقله المُومني، جغرافية المشكلات الاجتماعية، عمان، دار الكندي للنشر والتوزيع، 2000، ص13.
- 10- M. Hussain, Evolution of Geographical Thought, New Delhi, Rawat Publication, 1984, pp117.
- 11- فيدال دي لا بلاش، أصول الجغرافيا البشرية، ترجمة: شاكر خصباك، جامعة الموصل، 1984، ص11.
- 12- ليل ديوران، قمة الفلسفة، ترجمة: أحمد الشيباني، ط2، بيروت، دار القارئ العربي، 1994، ص698.
- 13- على أثر تقدم القوات الألمانية والبروسية في الأراضي الفرنسية والتي احرزت انتصارين في مقاطعتين هما "الألزاس واللورين" في معركة "سيدان" وبوصول أنباء الهزيمة إلى باريس والتي على ضوءها سقط النظام الإمبراطوري وأعلن قيام الجمهورية الفرنسية الثالثة (1870-1941م) شكلت بعد ذلك حكومة الدفاع الوطني المؤقتة، وبعد أن توالى الهزائم الفرنسية سقطت العاصمة الفرنسية باريس ثم أعلنت الهدنة من أجل وقف الحرب وأضطر "جول فافر" وزير الخارجية الفرنسي إلى مفاوضة بسمارك من أجل وقف الحرب، ومن جانبه فقد أصر بسمارك على فرض شروط قاسية على فرنسا ومنها: (أ)- أن تتنازل فرنسا عن مقاطعتي "الألزاس واللورين".
- (ب)- أن تدفع فرنسا غرامة مالية قدرها خمس مليارات خلال خمس سنوات.

- (ج)- أن تبقي فرنسا الشمالية تحت الاحتلال الألماني حتى يتم دفع الغرامة المالية.
- (د)- أن تتنازل فرنسا عن مقاطعتي ميز وستراسبورغ إلى بروسيا. للمزيد يمكن الرجوع إلى: جلال يحيى، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر الحرب العالمية الأولى، ج2، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2014، ص448-450.
- 14- ميلاد المقرحي، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الثانية، ط2، ليبيا، منشورات الجامعة المفتوحة، 2000، ص223.
- 15- فراس البيطار، الموسوعة السياسية والعسكرية، ج1، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2003، ص95.
- 16- محمد متولي ومحمد أبو العلا، الجغرافيا السياسية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1977، ص25-26.
- 17- عبدالرزاق عباس حسين، الجغرافية السياسية مع التركيز على المفاهيم الجيوبوليتيكية، بغداد، مطبعة أسعد، 1976، ص388.
- 18- محمد رياض، الأصول العامة في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكية مع دراسة تطبيقية على الشرق الأوسط، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012، ص15.
- 19- محمد عبدالغني سعودي، الجغرافيا السياسية المعاصرة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 2003، ص2.
- 20- كارل هوسهوفر (1869-1946م) وُلِد في مدينة ميونخ ودرس في أكاديمية الحرب، وكان عسكرياً ثم عُين أستاذاً للجغرافيا والعلوم العسكرية بعد الحرب العالمية الأولى في ميونخ، ثم أسَّس معهد ميونخ للجيوبوليتيك عام

1924م. وكان عالماً في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك، وأصبح أستاذاً للجغرافيا في جامعة ميونخ ما بين العامين (1921-1939م). كما شغل أيضاً رئاسة تحرير كبرى مجلات الجيوبوليتيك الألمانية وهي مجلة (زايتشرفت فور جيوبوليتيكا). للمزيد يمكن الرجوع إلى: محمد أحمد عقلة المومني، الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا في القرن الحادي والعشرين، عمان، دار الكتاب للثقافة، 2005، ص 80.

21- جغرافي أمريكي وُلِد في واترلو بمقاطعة أوناريو الكندية في 26 ديسمبر 1878م. ترأس عدة بعثات علمية إلى أمريكا الجنوبية. وقد رافق الرئيس الأمريكي الأسبق توماس ولسون إلى مؤتمر فرساي كمستشار لشئون تخطيط الحدود، ومن ثم أسندت إليه نفس المهمة في وزارة الخارجية خلال الحرب العالمية الثانية، ثم أصبح رئيساً لجامعة جونز هوبكنز في الفترة (1935-1948م). وتوفي في بالتيمور بالولايات المتحدة الأمريكية في 6 يناير 1950م. ومن أهم مؤلفاته: أمريكا الجنوبية في عام 1915م، جبال الأنديز في جنوب بيرو في عام 1916م، العالم الحديث مشاكل في الجغرافيا السياسية في عام 1922م.

22- سلام سالم عبد، هاتف لفته فتين، الازدواجية والتكامل بين الجغرافية العامة والجغرافية الإقليمية في الفكر الجغرافي الحديث والمعاصر (دراسة في الفكر الجغرافي)، مجلة (القادسية في الآداب والعلوم التربوية)، جامعة القادسية العراقية، كلية الآداب، قسم الجغرافية، المجلد: 18، العدد: 1، 2018، ص 160.

23- هاشم محمد الأمين، الصراع الدولي والإقليمي على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر وأثره على دول الجوار الأفريقي، مجلة (دراسات أفريقية)،

- جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم، العدد: الثاني والعشرون، ديسمبر 1999، ص 110.
- 24- محمد فتحي أبو عيانة، دراسات في الجغرافيا السياسية، القاهرة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1998، ص 45-46.
- 25- نافع القصاب وآخرون، الجغرافيا السياسية، بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 1986، ص 30.
- 26- صامويل فان فالنبرنج، جغرافي من مواليد هولندا في 14 سبتمبر 1891م، أمريكي الجنسية، عضو الجمعية الجغرافيا الأمريكية، وعمل في جامعات أمريكية عدة. من مؤلفاته عناصر الجغرافيا السياسية. وتوفي عام 1976م. وكذلك يمكن الرجوع إلى: Samuel Von Volkenburg and Carll. Stotz, Elements of Political Geography, Second Edition, New York, Prentice Hull Inc, 1957, PP93.
- 27- عبدالمنعم عبدالوهاب، جغرافيا العلاقات السياسية، الكويت، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، 1977، ص 19-20.
- 28- محمد عبدالمجيد عامر، دراسات في الجغرافيا السياسية والدولية أسس ونظريات، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1980، ص 165-171.
- 29- يحيى الفرحان ونعيم الظاهر، الجغرافيا السياسية، ط 1، فلسطين، جامعة القدس المفتوحة، 1995، ص 137-165.
- 30- الجغرافي نورمان باوندز من مواليد بريطانيا في 23 فبراير 1912م، قام بتأليف أكثر من 30 كتاباً في الجغرافيا والتاريخ الأوروبي وغيرها. تخرّج من جامعة كيمبرج عام 1931م، وأصبح مدرساً في الجامعة نفسها ما بين عامي 1935 و1944م. نال شهادة الدكتوراه عام 1945م من جامعة لندن،

- وتوقف عن التدريس عام 2004، وتوفي عام 2006 عن عمر ناهز 94 عاماً.
- 31- دولت أحمد صادق وآخرون، الجغرافيا السياسية، ط5، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، 1975، ص24.
- 32- أحمد محمد عبدالعال، التنمية مفهومها وإبعادها، المجلة العلمية لكلية الآداب، جامعة المنيا، القاهرة، المجلد: التاسع، 1991، ص116.
- 33- جون رودولف كيلين، عالم سياسي سويدي من مواليد 13 يونيو 1864م. يعتبر أحد مؤسسي مدرسة الجيوبوليتيكا الألمانية، وكانت أفكاره مؤازرة لراتزل ورايترز، كما كانت أفكاره أحد معتنقات كارل هوسهوفر. تخرّج من جامعة أوبسلا عام 1880م، وواصل فيها الدراسة لنيل الدكتوراه حتى عام 1891م. وأصبح محاضراً حتى عام 1893م. التحق بجامعة جوثنبرج حتى أصبح فيها بروفيسوراً عام 1916م، ثم أصبح عضواً في البرلمان السويدي لفترتين من عام 1905 حتى 1917م، له العديد من المؤلفات، وتوفي في 14 نوفمبر 1922م
- 34- عادل البديوي، الإدراك الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية.. دراسة في مبادئ الجيوبوليتيكا، عمان، دار الجنان للنشر والتوزيع، 2015، ص45.
- 35- عبدالقادر محمد فهمي، المدخل إلى دراسة الاستراتيجية، بغداد، دار الرقيم، 2005، ص53.
- 36- عبدالقادر محمد فهمي، المدخل إلى دراسة الاستراتيجية، ط1، عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، 2006، ص65.

- 37- فايز محمد العيسوي، الجغرافيا السياسية المعاصرة، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 2000، ص 68.
- 38- انقلاب بيرهول (Beer Hall Putsch) الذي قام به الزعيم النازي أدولف هتلر إذ حاولت قواته الانقلاب على الحكومة عام 1923م ولكنه فشل في هدفه من أجل الاستيلاء على السلطة في بافاريا وألمانيا، وبدأت المحاولة الانقلابية تلك مساء يوم 8 نوفمبر 1923م واستمرت حتى ظهر يوم 9 نوفمبر. للمزيد يمكن الرجوع إلى: شخصية القائد أدولف هتلر، معهد فلسطين للدراسات الاستراتيجية التابع لمؤسسة إبداع للأبحاث والدراسات والتدريب، غزة، 2013، ص 18.
- 39- ألكسندر دوغين، أسس الجيوبوليتيكا مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، ترجمة: عماد حاتم، ط 1، بيروت، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2004، ص 112.
- 40- خليل حمود عثمان، الدبلوماسية الألمانية وأساليبها في تحطيم التحالفات الأوروبية الأسس والنتائج 1933-1939م، مجلة الأستاذ، بغداد، العدد: 205، المجلد الأول، 2013، ص 415-420.
- 41- محمد صالح العجيلي، دولة الإمارات العربية المتحدة دراسة في الجغرافيا السياسية، سلسلة دراسات استراتيجية (45)، ابوظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2000، ص 13.
- 42- عُرفت الجيوستراتيجية بأنها التخطيط السياسي والاقتصادي والعسكري الذي يهتم بالبيئة الطبيعية من ناحية استخدامها في تحليل أو تفهّم المشكلات الاقتصادية أو السياسية ذات الصلة الدولية، وكذلك تبحث في المركز الاستراتيجي للدولة أو الوحدة السياسية سواء في الحرب أو السلم،

- وتتألف من عشرة عناصر هي: الموقع، الحجم، الشكل، الاتصال بالبحر، الحدود، العلاقة بالمحيط، الطبوغرافيا، المناخ، المواد، السكان. للمزيد يمكن الرجوع إلى: حداد معن، الجيوبوليتيكا قضايا الهوية والانتماء بين الجغرافيا والسياسة، مرجع سابق، ص 5-11.
- 43- نظرية إيران الرابعة (البدن)، ظافر العجمي، صحيفة (الوطن)، البحرين، العدد: 4379، الأربعاء 6 ديسمبر 2017، ص 28.
- 44- حسام الدين جاد الرب، الجغرافيا السياسية، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2009، ص 215-216.
- 45- نصري ذياب خطّار، الجغرافيا السياسية و الجيوبوليتيكا، عمان، الجنادرية للنشر والتوزيع، 2010، ص 52.
- 46- Francis P. Sempa, Geopolitics: From the cold war to the 21st century, 1editions, New jersey, Transaction Publisgers, 2002, pp127.
- 47- تاج الدين جعفر الطائي، استراتيجية إيران تجاه دول الخليج العربي، دمشق، مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، 2013، ص 177.
- 48- ليلي مرسي وأحمد وهبان، حلف شمال الأطلسي العلاقات الأمريكية الأوروبية بين التحالف والمصلحة (1945-2000م)، الإسكندرية، دار الجامعة الجديدة، 2001، ص 55-57.
- 49- محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان حرب الثلاثين سنة، ج1، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1988، ص 281.

- 50- مصطفى علوي سيف، استراتيجية حلف شمال الأطلسي تجاه منطقة الخليج العربي، ط1، أبوظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، سلسلة دراسات استراتيجية رقم: 129، 2008، ص7.
- 51- عمر عبدالعزيز ومحمد علي القوزي، دراسات في تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (1815-1950م)، ط1، بيروت، دار النهضة العربية، 1999، ص460.
- 52- نصري ذياب خطّار، الجغرافيا السياسية والجيوبوليتيكا، مرجع سابق، ص57-58.
- 53- إبراهيم الفقي، الجغرافيا السياسية، ط1، الرياض، مكتبة الراشد، 2007، ص103.
- 54 - فايز محمد العيسوي، الجغرافيا السياسية المعاصرة، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 2003، ص301.
- 55- صبري فارس الهيتي، دراسات في الجغرافيا السياسية الجيوبوليتكس، بغداد، دار الرشيد للنشر، 1981، ص208.
- 56- Gilulio Douhet, The Commend of The Air in Roots of Strategy, Book4ed, David Jablonski, Mechanicsburg,PA,stackpole Book, 1999, pp283.
- 57- الخارطة السمّية تأخذ مركزها من أعلى نقطة بالقطب الشمالي ويمكن تعريفها كالآتي: The Point on the Celestial Sphere Observer Vertically a above a given Position . للمزيد

- يمكن الرجوع إلى: مي قناوي علي، الأسباب الاستراتيجية لغزو العراق، القاهرة، المكتب العربي للمعارف، 2014، ص 51.
- 58- ماهر حمدي عيش، الجغرافيا السياسية والنظام الجيوبولتيكي العالمي المعاصر، القاهرة، الوثائق الجامعية للطباعة والنشر، 2005، ص 217-218.
- 59- فيليب رفلة وعز الدين فريد، جغرافية العالم السياسية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1982، ص 25-26.
- 60- مكسيم لوفيفر، السياسة الخارجية الأمريكية، ترجمة: حسين حيدر، ط 1، بيروت، عويدات للنشر والطباعة، 2006، ص 97.
- 61- عبدالله بن علي آل خليفة، السياسة الأمنية في دول مجلس التعاون الخليجي.. التحديات وآفاق المستقبل، ط 1، مملكة البحرين، مركز عيسى الثقافي، 2017، ص 54.
- 62- سليم طه التكريتي، المقاومة العربية في الخليج العربي، ط 1، بغداد، دار الرشيد للطباعة والنشر والتوزيع، 1982، ص 23.
- 63- أحمد مصطفى أبو حاكم، تاريخ الكويت، ج 2، ط 1، الكويت، مطبوعات ذات السلاسل، 1984، ص 211-220.
- 64- فتحية النبراوي ومحمد نصر مهنا، الخليج دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والإقليمية، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1977، ص 105.
- 65- محمد عدنان مراد، صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي جذوره التاريخية وأبعاده، دمشق، دار دمشق للطباعة والنشر، 1984، ص 179.

- 66- حسين محمد البحارنة، دول الخليج العربي الحديثة.. علاقاتها الدولية وتطور الأوضاع السياسية والقانونية والدستورية فيها، بيروت، شركة التنمية والتطوير (بروديكو)، 1973، ص 31-34.
- 67- رجب يحيى حلمي، مجلس التعاون لدول الخليج العربية (رؤية مستقبلية)، ط1، الكويت، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، 1983، ص 21.
- 68- فؤاد سعيد العابد، سياسة بريطانيا في الخليج العربي "خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر"، الكويت، منشورات ذات السلاسل، 1982، ص 18.
- 69- إسماعيل صبري مقلد، أمن الخليج وتحديات الصراع الدولي، ط1، الكويت، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، 1984، ص 9.
- 70- جاسم بن محمد القاسمي، التكامل الاقتصادي بين دول مجلس التعاون الخليجي.. إنجازاته وتحدياته، القاهرة، مؤسسة شباب الجامعة، 2000، ص 126-127.
- 71- روز ماري هوليس، أوروبا وأمن الخليج (المنافسة التجارية) من كتاب: أمن الخليج في القرن الحادي والعشرين من ضمن مجموعة الباحثين، ط1، أبوظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 1998، ص 113.
- 72- فاروق يوسف أحمد، ما هو الشرق الأوسط المعاصر: مدخل إلى إجابات متعددة، القاهرة، المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط، أوراق الشرق الأوسط، العدد:3، 1991، ص 71.

- 73- فرانكلين دي لانو روزفلت (30 يناير 1882-2 أبريل 1945م) رجل دولة وزعيم سياسي أمريكي شغل منصب الرئيس الثاني والثلاثين للولايات المتحدة الأمريكية من عام 1933م حتى وفاته عام 1945م.
- 74- رؤوف عباس، أمريكا والشرق العربي في الحرب العالمية الثانية من كتاب غسان سلامة وآخرين: السياسة الأمريكية والعرب، ط3، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1991، ص37-38.
- 75- أكوديبا نولي، الحكم والسياسة في إفريقيا، مراجعة: إبراهيم نصر الدين، المجلد الأول، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 2003، ص15.
- 76- حلف بغداد هو أحد الأحلاف التي شهدتها حقبة الحرب الباردة، حيث تم إنشاؤه عام 1955 للوقوف بوجه المد الشيوعي في الشرق الأوسط، وكان يتكون من تركيا والعراق وإيران وباكستان إلى جانب بريطانيا، عد هذا الحلف أحد أقل الأحلاف نجاحاً في فترة الحرب الباردة، إذ انسحب العراق من الحلف إبان إعلان ثورة 14 تموز/ يوليو 1958 بقيادة عبد الكريم قاسم والتي انقلب فيها على النظام الملكي وأعلن الجمهورية العراقية وقد كان لنوري السعيد دور كبير في إنشاء هذا الحلف، وقد بنى عبد الكريم قاسم سياسة محايدة وأقام علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي وانسحب من الحلف. فتم العدول عن اسم حلف بغداد Baghdad Pact وتم تبني اسم CENTO (اختصار Central Treaty Organization). كما نأى الحلف بنفسه عن الصراع العربي الإسرائيلي في فترة الستينات وامتنع عن تقديم العون لباكستان في نزاعها مع الهند. وبعد غزو تركيا لقبرص عام 1974 أوقفت أمريكا مساعداتها

العسكرية لتركيا. وبالنسبة للهدف الأساسي من وراء الحلف، فقد فشل في وقف نفوذ الاتحاد السوفيتي الذي وُطد ووسع علاقاته في الشرق الأوسط خلال تلك الفترة مع مصر والعراق وسوريا واليمن الجنوبي والصومال و مع اندلاع الثورة الإسلامية في إيران فقد تم حل الحلف عام 1979. للمزيد يمكن الرجوع إلى: ابتسام حمود محمد ومعزز حميد، تركيا والأحلاف العسكرية الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، العراق، جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، العدد: 12، المجلد: 16، ديسمبر 2009، ص 305-307. وكذلك: أحمد عبدالرحيم مصطفى، الولايات المتحدة والشرق العربي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة (4)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1978، ص 146.

77- في يناير عام 1957 ألقى الرئيس الأمريكي الأسبق آيزنهاور خطاباً أمام الكونغرس أوصى فيه باستخدام القوات الأمريكية لحماية الشرق الأوسط من الخطر الشيوعي، كما أوصى بالدعم المادي للدول المناهضة للشيوعية. ولقد عمّق مبدأ آيزنهاور سياسة الأحلاف العسكرية باعتبارها سياسة مهمة وفاعلة في خدمة الأهداف الأمريكية، حيث سعى إلى تشكيل حلف جنوب شرق آسيا (الستتو) وحلف بغداد، وجسّدها ثانية من خلال محاولة نقل تجربة الرئيس الأمريكي الأسبق هاري ترومان في أوروبا إلى منطقة الشرق الأوسط، وإلى جانب هاتين المحاولتين طرح استراتيجية الرد الشامل في مواجهة الاتحاد السوفيتي. يمكن الرجوع إلى كتاب (سليم الحسني، مبادئ الرؤساء الأمريكان)، بيروت، المركز الإسلامي للأبحاث السياسية، 1987.

- 78- ميسون عباس حسين الجبوري، موقف الولايات المتحدة الأمريكية من العدوان الثلاثي عام 1956 وتداعياته، قسم التاريخ، كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، الجمهورية العراقية، المجلد: 27، (5)، 2016، ص 1772. ونشير هنا أن في 27 مارس 1958 خلف نكيثا خروشوف سلفه نيكولاي بونجانين.
- 79- باون موني، من الحرب الباردة حتى الوفاق (1945-1980م)، ترجمة: صادق إبراهيم عودة، عمان، دار الشروق، 1984، ص 135.
- 80- AMIR SADEGHI ,HOSSEIN ,The Security Of The Persian Gulf, London Croom Helm 1981 , pp 73
- 81- مصطفى النجار وآخرون، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، العراق، جامعة البصرة، 1984، ص 243.
- 82- إسماعيل صبري مقلد، مبدأ كارتر، مجلة (اتجاهات إعلامية)، الكويت، العدد: الأول، المجلد: الأول، أبريل 1981، ص 198.
- 83- صبري فالح الحمدي، الخليج والجزيرة العربية في المصادر الروسية، ط 1، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2012، ص 42.
- 84- عماد يوسف وأروى الصباغ، مستقبل السياسات الدولية تجاه الشرق الأوسط، ط 1، عمان، مركز دراسات الشرق الأوسط، 1996، ص 69-70.

85- عادل محمد خضر، الصراع الدولي في الخليج العربي، بيروت، المؤسسة العربية، مجلة (قضايا عربية)، العدد:9-10، المجلد:8، سبتمبر- أكتوبر، 1981، ص53.

86- غانم محمد صالح، السياسة السوفيتية في الخليج العربي بين منطقتين العقيدة ومسلك المصلحة، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، العدد: الثامن، السنة: الثالثة، أغسطس 1990، ص36.

87- Talal Nizameddin, Russia and The Middle East: Towards a new Foreign Policy, U.K, C.Hurst&co.Publishers,1999,pp190.

75- Andrej Kreutz, Russia in The Middle East: Friend or Foe, United States, Greenwood Publishing, 2007, pp 124.

88- يلينا ميلكوميان، دراسات في تاريخ الكويت الحديث والمعاصر، ترجمة: ماهر سلامة، الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، 2010، ص124.

89- أحمد عدنان عبدالكريم الشكاكي، الأمم المتحدة وقوات حفظ السلام الدولية مع دراسة لبعثة الأمم المتحدة للمراقبة بين العراق والكويت، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، 1996، ص46.

90- طلعت يعقوب الغصين، خمس جنسيات والوطن واحد: من مذكرات طلعت يعقوب الغصين، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، 1981، ص404.

- 91- مصطفى النجار وآخرون، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص 241.
- 92- مسيرة البعث (1)، وسام السبع، جريدة (الوطن)، البحرين، العدد: 148، السنة الأولى، 26 يونيو 2006، ص 11.
- 93- مذكرات عبدالرحمن النعيمي، جريدة (الوسط)، البحرين، العدد: 2267، 19 نوفمبر 2008.
- 94- مسعد الششتاوي، حرب أكتوبر 1973 استراتيجية مصرية تأسست من واقع مرير، جريدة الأهرام اليومية، الخميس 5 أكتوبر 2017، السنة: 142، العدد: 47785.
- 95- آمال السبكي، تاريخ إيران السياسي بين ثورتين (1906-1979م)، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1999، ص 221.
- 96- إسماعيل صبري مقلد، مسألة أمن الخليج.. الأبعاد الاستراتيجية والسياسية، مجلة (السياسية الدولية)، القاهرة، مؤسسة الأهرام، العدد: 70، أكتوبر 1982، ص 220-222.
- 97- محمد السعيد إدريس، مبادرة بريجينيف الخليجية والصراع الدولي، مجلة (السياسة الدولية)، القاهرة، مؤسسة الأهرام، العدد: 64، إبريل 1981، ص 173.
- 98- ميخائيل سيرغيفيتش غورباتشوف (وُلد في 2 مارس 1931م)، في كراي ستافروبول لعائلة روسية-أوكرانية قروية، وفي مراهقته عمل مشغلاً لآلة الحصاد في الزراعة الجماعية. تخرج من جامعة موسكو الحكومية عام

1955م ونال شهادة بكالوريوس في القانون. وبينما كان في الجامعة انضم للحزب الشيوعي ومن بعدها أصبح فاعلاً فيه. وفي عام 1970م تم تعيينه سكرتيراً أول للحزب لإقليم ستافروبول، ثم عُيِّن في العام 1974م أول سكرتير للمجلس السوفيتي الأعلى. وعُيِّن عضواً في المكتب السياسي للحزب في عام 1979م. وخلال 3 سنوات بعد موت الرئيس ليونيد بريجنيف تبعته فترة وجيزة من ترتيب المناصب، رشَّح المكتب السياسي غورباتشوف ليتولى منصب الأمين العام للمجلس السوفيتي في عام 1985م. وشغل منصب رئيس الحزب الشيوعي السوفيتي بين عامي 1985 و1991م، ورئيس الدولة في الاتحاد السوفيتي السابق بين عامي 1988 و1991م. وكان يدعو إلى إعادة البناء أو (البريسترويكا). وساهم مع الرئيس الأمريكي رونالد ريغان في إنهاء الحرب الباردة. وحصل على جائزة نوبل للسلام عام 1990م. وقد آتت (البريسترويكا) ثمارها في 26 ديسمبر 1991م عندما توارى الاتحاد السوفيتي من صفحات التاريخ بعد توقيع الرئيس الروسي الراحل الأسبق بورييس يلتسن على اتفاقية حل اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية.

99- أمين الهويدي، البيروسترويكا وحرب الخليج الأولى، ط1، القاهرة، دار الشروق، 1997، ص63.

100- هنري كيسنجر، الدبلوماسية من الحرب الباردة إلى يومنا هذا، ترجمة: مالك فاضل البديري، القاهرة، الأهلية للنشر والتوزيع، 1995، ص539.

101- حيدر غيبة، ماذا بعد إخفاق الرأسمالية والشيوعية نحو أيديولوجية جديدة للتوازن الاقتصادي والاجتماعي، ط3، بيروت، شركة المطبوعات، 1995، ص362.

102- كمال سالم الشكري، مشروع الشرق أوسطية والأمن العربي، مجلة (جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية)، العدد: الأول، المجلد: 28، 2012، ص 516.

103- نورهان الشيخ، روسيا والتغيرات الجيواستراتيجية في الوطن العربي، أحمد سعيد نوفل وآخرون، التداعيات الجيواستراتيجية للثورات العربية، بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014، ص 303.

104- إيران وروسيا.. ما بعد الاتفاق النووي، د. معتصم صديق عبدالله، المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، الرياض، على الموقع الإلكتروني: <https://rasanah-iiis.org>. تاريخ الدخول: 29 سبتمبر 2018.

105- العلاقات بين الولايات المتحدة ومجلس التعاون الخليجي: سد فجوة المصداقية، مايكل آيزنشتات، معهد واشنطن، www.washingtoninstitute.org. تاريخ الدخول: 29 سبتمبر 2018.

Abstract:

The science of Geopolitics is one of the important topics in the field of political science and international relations which emerged at the end of the 19th century and the beginning of the 20th century. As scientists worked hard to develop the cognitive rules and accompanying curricula that are directly related to the field of Geopolitics as a unique and diverse science field . The science of Geopolitics may be considered a newborn in the academic studies, but this does not negate the fact that Geopolitics had ancient roots but with the development of its stages, especially in the twentieth century a new science was derived from its womb, it became known as Geopolitical science and became an important science that reflects the nature of our time in terms of international competition.

Key Words: Geopolitics- Political Theories- Arabian Gulf- International Competitiveness- Cold War.

ديار العرب من مخطوط (صور الأقاليم) لأبي زيد البلخي المتوفى سنة 322هـ/934م دراسة وتحقيق

د.خلود محمد الأحمدى

أستاذ التاريخ الإسلامى المشارك

كلية الاداب و العلوم الانسانية/ جامعة طيبة/المملكة العربية

السعودية)

medison.lir@hotmail.com

المستخلص

يهتم هذا البحث بدراسة ديار العرب من مخطوط (صور الأقاليم)، وهو مخطوط فريد اختلطت نسبته إلى مؤلفين اثنين من كُتّاب الجغرافيا التاريخية عند العرب والمسلمين. ويبيّن البحث أسباب ذلك الاختلاط والوهم، وأثبت من خلال القرائن والدلائل التاريخية أن مؤلف الكتاب هو أبو زيد البلخي وليس كما كان يُعتقد أنه للإصطخري. وقد أوضح البحث أن أهمية كتاب صور الاقاليم تتجلى بوضوح حينما يتصدى المؤلف للكتابة عن الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي، فتحدث عن جغرافية الماضي بجوانبه الطبيعية والبشرية، بمعنى انه لم يقتصر في دراسته على الظروف الطبيعية للماضي، وإنما اهتم بدراسة النشاط البشري، وهو مما يقع ضمن أهم مكونات الكتابة التاريخية. وقدّم البحث نبذة عن منهج المؤلف، ثم أرفق البحث بقطعة محققة من المخطوط للدلالة على أهميته وأهمية تحقيقه

كاملاً ونشره نشرة علمية معتبرة، ويعد هذا البحث أول إشارة علمية إلى ريادة هذا المخطوط وأهميته للكتابة التاريخية .

كلمات مفتاحية: مخطوط صور الأقاليم، أبو زيد البلخي، جغرافيا تاريخية، تحقيق.

أبو زيد البلخي وكتابه :

أبو زيد أحمد بن سهل البلخي مؤرخ وجغرافي ومفكر وعالم موسوعي في عدة علوم وفنون، وهو ذو اهتمامات كثيرة متنوعة. ولد في شامستان، إحدى قرى بلخ من بلاد أفغانستان الحالية، وأصل أبيه من سجستان. بدأ حياته معلماً للصبيان، وهي مهنة أبيه، ثم دخل العراق، وبقي ثماني سنوات يأخذ العلم من علمائها، وتلمذ على المفكر الكبير يعقوب بن إسحاق الكندي (ت 256هـ/869م)، فارتقى به علمه إلى مرتبة سامية(1). عاش البلخي عمراً مديداً ناهز الثمانين، وتوفي ببلخ سنة 322هـ/934م(2).

صنّف البلخي ما يقارب السبعين كتاباً في شتى الفنون والمعارف، منها: التاريخ، أقسام العلوم، أسماء الأشياء، شرائع الأديان، مصالح الأبدان والأنفس، نظم القرآن، غريب القرآن، كمال الدين، الذي قيل فيه: ما صنّف في الإسلام كتاب أنفع للمسلمين منه(3).

(1) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج 1، ص 374.

(2) ابن النديم، الفهرست ص 170-171.

(3) ابن النديم، الفهرست ص 170، ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج 1، ص 374.

وفي مجال الجغرافيا التاريخية بفروعها الكثيرة ألف كتباً منها: صفات الأمم، أخلاق الأمم، فضائل مكة على سائر البقاع، فضائل بلخ، محاسن أهل خراسان(1)، وصور الأقاليم موضوع بحثنا هذا.

ترجم له عدد من الكتاب لعل أهمهم: أبو إسحاق النديم (ت385هـ/995م) في الفهرست(2)، ومنهم ابن حجر (ت852هـ/1449م) في لسان الميزان(3). ويكاد ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م) أن يكون قد استوعب كل ما كُتب عنه(4).

لكن كتاب البلخي تكتفه مشكلة كبيرة، وهي تداخله مع كتابي (الأقاليم / المسالك والممالك) لأبي إسحاق الإصطخري المتوفى سنة 346هـ/957م، و(صورة الأرض) لابن حوقل المتوفى سنة 367هـ/977م. ومن أحد نصوص ياقوت الحموي تتأكد هذه المشكلة حيث يقول: «قرأت في الكتاب المتنازع بين أبي زيد البلخي وأبي إسحاق الفارسي الإصطخري في صفة البلدان...»(5).

ومن مقارنة نص الإصطخري بنص البلخي، ومن الاطلاع على خرائطهما، يتضح تأثر الإصطخري الشديد بالبلخي منهجاً وتصنيفاً وتبويباً، بل هو معول عليه في كثير من آرائه ومعلوماته وخرائطه، حتى يكاد كتابه أن يتطابق معه. ولم تكن

(1) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص374.

(2) ص170-171.

(3) ج1، ص479.

(4) معجم الأدباء، ج1، ص374.

(5) معجم البلدان، ج2، ص166.

له إضافات على نص البلخي الا في حالات نادرة ، بل اختصر في بعض المواضع مثل الحدود والمسافات في بعض الأقاليم. (1)

ثم جاء ابن حوقل، وهو نصيبي (من نصيبين) موصلبي بغدادي (ت367هـ/977م)، وسار على نهج الإصطخري، متأثراً به وبالبلخي قبله، وحتى عنوان كتابه (صورة الأرض) كان انعكاساً لكتاب البلخي (صور الأقاليم) بصورته المعدلة التي خرجت من تحت يد الإصطخري، وصرح هو نفسه بذلك حيث قال: "حتى اذا لقيت الاصطخري اخذت كتابه، واستغنيت عن غيره من الكتب" (2)، ونتج عن لقائه بالاصطخري مناقشات حول الكتاب حيث قال: «ولقيت أبا إسحاق الفارسي (الإصطخري)، وقد صور هذه الصورة لأرض الهند، فخلطها وصور فارس فجودها، وكنت قد صورت أذربيجان التي في هذه الصفة فاستحسنها والجزيرة، فاستجادهما وأخرج التي لمصر فاسدة، وللمغرب أكثرها خطأ، وقال: قد نظرت في مولدك وأثرك، وأنا أسألك إصلاح كتابي هذا، حيث ضللت، فأصلحت منه غير شكل، وعزوته إليه، ثم رأيت أن أنفرد بهذا الكتاب وإصلاحه وتصويره أجمعه وإيضاحه، من غير أن ألم بتذكرة الكتاب، لكن استقبحت الاستكثار بما تعب فيه سواي ونصب فيه غيري» (3).

ويتضح من هذا النص أن كتاب ابن حوقل نسخة منقحة ومعدلة من كتاب الاصطخري ، ففيها تصويبات وإضافات هامة أضافها ابن حوقل، وخاصة في وصف

(1) اعتمدنا طبعة ليدن من كتاب الاصطخري، اما البلخي فاعتمدنا النسخ المخطوطة التي سيأتي ذكرها.

(2) ابن حوقل، صورة الارض، ص 320 .

(3) المصدر نفسه، ص 320 .

الأجزاء الغربية من العالم الإسلامي (1). جاءت نتيجة لرحلاته المتعددة، كما صرح هو بذلك في مقدمة كتابه حيث قال: «وكان أكثر ما حداني على هذا الكتاب وتأليفه على هذه الصورة أني كنت في حال الحداثة شغفًا بأخبار البلدان، والوقوف على حال الأمصار، كثير الاستعلام والاستخبار لسافرة النواحي، ووكلاء التجار، وقرءاء الكتب المؤلفة فيها، وكنت إذا لقيت الرجل الذي أظنه صادقًا وإخاله بما أسأله عنه خيرًا، فأجده عالمًا عند إعادة الخبر الذي اعتقد فيه صدقه، وقد حفظت نسقه، وتاملت طرقه ووصفه، وأكثر ذلك باطلاً، وأرى الحاكي بأكثر ما حكاها جاهلاً، ثم أعاوده الخبر الذي أتمسه منه والذكر، ليسمع الذي استوصفته، وأطالع معه ما صدر مع غيره في ذلك بعد رؤية، وأجمع بينهما وبين حكاية ثالثٍ بالعدل والسوية، فتتنافر الأقوال وتتنافى الحكايات، وكان ذلك داعية إلى ما كنت أحسه في نفسي بالقوة على الأسفار، وركوب الاخطار، ومحبة تصوير المدن، وكيفية مواقع الأمصار، وتجاور الأقاليم والأصقاع" (2).

وتؤكد نصوص بعض المؤرخين ان الكتاب للبلخي وليس لغيره ، حيث ظل معروفًا بنسبته للبلخي إلى القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي (3) على أقل تقدير .

وخلاصة القول : ان كتاب البلخي هو ما أخرجة الاصطخري بتغييرات طفيفة ، وهو ذاته ما أخرجہ ابن حوقل بتصويبات واطافات من عنده .

(1) اعتمدنا طبعة منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1979 من كتاب ابن حوقل

(2) ابن حوقل، صورة الأرض، ص 320.

(3) انظر ص 386 من هذا البحث.

محتوى المخطوط

وضع البلخي كتاب (صور الأقاليم) في وصف المعمور من العالم القديم المعروف آنذاك وتقسيماته الجغرافية والإدارية. وبسط الكلام في أقاليم الأرض وتضاريسها، ومظاهرها الجغرافية والبيئية وممالكها. وقسم العالم المعروف إلى أقاليم، وشرح ما بكل إقليم من البحار والأنهار والجبال والمدن وغير ذلك مما يدخل في مسمى الجغرافيا التاريخية. وكانت الأقاليم عنده: بلاد العرب، بلاد المغرب، مصر، الشام، الروم، الجزيرة الفراتية، العراق، خوزستان، فارس، كرمان، بلاد السند والهند، أرمينية وأذربيجان، الجبال، الديلم، بحر الخزر، المفازة التي بين فارس وخراسان، سجستان، خراسان، بلاد ما وراء النهر (1)

قصد البلخي من وضع هذا الكتاب وكما قال في المقدمة تفصيل الأقاليم، فذكر حدود كل إقليم وما يجاوره وشكله ومدنه وقراه والمسافات بين المدن الكبرى(2)، لكي يستوفي القارئ الصورة الصادقة عن الجغرافية التاريخية للأقاليم. وابتدأ كتابه بالحديث عن ديار العرب لأنها تحتوي مكة والقبلة كما قال(3)، مما يؤكد اعتقاده بمركزية الكعبة، أي أن له بعداً دينياً في التقسيم الجغرافي. وحدد حدود ديار العرب بالوصف الواضح التام(4).

(1) البلخي، مخطوط صور الأقاليم، ورقة 77 أ.

(2) البلخي، صور الأقاليم، ورقة 6أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(3) المصدر نفسه، ورقة 10أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(4) المصدر نفسه، ورقة 6أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

ومفهوم الإقليم عنده المنطقة الجغرافية ذات المظاهر الطبيعية الخاصة التي تكسيها شخصية مستقلة، مع الاهتمام بالنظام السياسي القائم في كل إقليم تحدث عنه وتبعيته إلى أي كيان سياسي، وطبيعة التشكيل الإداري، مما يدخل كتابه في إطار المصادر الجغرافيا السياسية، ويتضح ذلك من قوله على سبيل المثال: " ويتصل بأرض العرب بناحية أيلة بريّة تُعرف بتيه بني إسرائيل، وهي وإن كانت متّصلة بديار العرب فليست من ديارهم، وإنّما كانت بريّة من أرض العمالقة واليونانية، وأرض القبط ليس يُعرف بها ماءٌ ولا عين، فلذلك لم ندخلها في ديارهم" (1).

وتقسيم الأقاليم عنده متسلسل حيث يذكر الإقليم بحدوده وصفاته، ثم يشرح ما فيه من تقسيمات داخلية يمكن أن نسميها فرعية، وخير مثال على ذلك ما قاله في بداية النص المحقق المرفق بهذا البحث: «...فهذا هو شرقي ديار العرب وجنوبها وشيء من غربها، ثم...» (2)، وقوله: «... وهو تمام الشرقي والجنوبي وبعض الغربي، وما بقي من حدّ الغربي من أيلة إلى بالس فمن الشام» (3).

وقد حرص على ذكر ما إذا كان الإقليم يطل على بحر أو نهر، وذكر مصادر المياه: أمطار، آبار، عيون، بحيرات، جداول، وغير ذلك مما يستغله الإنسان في الشرب أو التنقل، ومما له أثره الواضح في الحياة الاقتصادية، كقوله: « فليس بمكّة ماءٌ جارٍ إلّا منى، بلغني بعد خروجي عنها أنّه أجري إليها من عينٍ قد كان عمل فيها

(1) البلخي، صور الأقاليم، ورقة 6أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(2) المصدر نفسه، ورقة 15ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(3) المصدر نفسه، ورقة 16أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

بعض الولاة، فاستمرت إلى أيام [المقتدر أمير المؤمنين]. ومياهم من السماء، والماء الذي كانوا يشربون منه أظنها بئر زمزم، ولا يمكن الإدمان على شربه (1).
كما حرص على إيراد وصف الجبال في الأقاليم التي ذكرها مما يعني اهتمامه بالجغرافيا التضاريسية أو شكل الإقليم، وكان حريصاً على ذكر الجبال وأماكنها ووصف بيئتها كما في حديثه عن الطائف التي قال عنها تقع على ظهر جبل غزوان وهو أبرد مناطق الحجاز (2)، وحديثه عن جبل أبي قبيس المشرف على الكعبة (3)، وكذلك الحجر ديار ثمود، فقد رأى جبالها والبيوت المنحوتة فيها وأسمى تلك الجبال بالأثالب (4)، وكذلك جبل أحد (5) وجبل رضوى وقد رآه وهو يزهو بالخضرة (6). ومثال ذلك قوله عن الطائف: «وليس بالحجاز - فيما علمته - مكان هو أبرد من رأس هذا الجبل، ولذلك اعتدل هواء الطائف، وبلغني أنه ربّما جمد الماء في ذروة هذا الجبل، وليس بالحجاز مكان يجمد فيه الماء سوى هذا الموضع فيما علمته» (7).

وأعطى أهمية خاصة للأظمة الاقتصادية في الأقاليم التي ذكرها وما يتصل بها من ظواهر الطبيعة والمناخ والغطاء النباتي والثروة الحيوانية والمنتجات الزراعية، والسلع التجارية والمصنوعات المحلية وغير ذلك من مصادر الرزق، فقد نوه إلى

(1) المصدر نفسه، ورقة 12أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(2) المصدر نفسه، ورقة 20أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(3) المصدر نفسه، ورقة 22ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(4) المصدر نفسه، ورقة 16أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(5) المصدر نفسه، ورقة 30ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(6) البلخي، صور الأقاليم، ورقة 6أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(7) المصدر نفسه، ورقة 20ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

شجر البادية وبعض النباتات والشجيرات غير المثمرة بمكة (1) ونخيل المدينة وزروعها (2) وتمور البحرين الكثيرة (3) وزبيب الطائف وفواكهها (4) ومراعي الجحفة (5) وكثافة زروع خيبر ، وخضرة جبل رضوى (6) ومزارع المذيخرة ونباتها ونباتها المشهور الورد (7) وفواكه عُمان (8) وذكر تجارات جدة وأهميتها (9) وتجارَات صُحار (10) وقرود اليمن وصفتها (11)، وإبل بلاد المَهْرَة (12) ونوه (12) ونوه بأن صعدة مجمع التجار والأموال (13). قال عن العيص: «حصنٌ صغير بين يَنْبُعِ والمَرْوَةِ والعشيرة حصنٌ صغيرٌ بين يَنْبُعِ والمَرْوَةِ تفضّلُ تمرُّها على سائر تُمور الحجاز إلا الصَّيحاني بخيبر والبرني والعَجوة بالمدينة» (14). والجلود الجيدة المدبوغة في نجران وجرش والطائف (15).

- (1) المصدر نفسه، ورقة 18أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (2) المصدر نفسه، ورقة 16أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (3) المصدر نفسه، ورقة 19أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (4) المصدر نفسه، ورقة 25ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (5) المصدر نفسه، ورقة 18أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (6) المصدر نفسه، ورقة 19أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (7) المصدر نفسه، ورقة 28ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (8) المصدر نفسه، ورقة 19أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (9) المصدر نفسه، ورقة 15أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (10) المصدر نفسه، ورقة 26أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (11) المصدر نفسه، ورقة 30ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (12) المصدر نفسه، ورقة 34أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (13) المصدر نفسه، ورقة 26أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (14) المصدر نفسه، ورقة 21أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (15) المصدر نفسه، ورقة 12أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

وكذلك أورد أخباراً عن الثروات المعدنية للأقاليم فقد أوضح أن في جبل رضوى حجر المسن الجيد الذي يحمل إلى البلدان الأخرى لجودته (1)، وذكر العقيق والجزع اللذين ينتجان في اليمن (2)، ومغاصات اللؤلؤ في عدن التي قال عنها «مدينة صغيرة، وإنما شهرتها لأنها فرضة على البحر، ينزلها السائرون في البحر، وبها معادن اللؤلؤ». (3)، ومعدن النقرة في بادية العراق (4).

واهتم بذكر عناصر البيئة مما يدخل في الجغرافيا الطبيعية فجاء على ذكر برودة طقس الطائف وانجماد مائها (5)، واعتدال هواء صنعاء وبها تتقارب ساعات الشتاء الشتاء والصيف (6). حيث قال عنها: «وبلغني أنّها من اعتدال الهواء بحيث لا يتحوّل الإنسان عن مكان واحد شتاء ولا صيفاً عمره، وتتقارب بها ساعات الشتاء والصيف» (7).

ويشدد على تحديد ما إذا كانت البلدان التي يذكرها عامرة أم خراباً، فيصف بعض المدن بال عمران مثل ضحار التي قال عنها: «وهي أعمر مدينة بعمان وأكثرها مالا، ولا تكاد تعرف على شاطئ بحر فارس بجميع بلاد الإسلام مدينة أكثر عمارة ومالاً من ضحار، وبها مدن كثيرة، وبلغني أن حدود أعمالها نحو من ثلثمائة

-
- (1) المصدر نفسه، ورقة 15 ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
 - (2) البلخي، صور الأقاليم، ورقة 6أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
 - (3) المصدر نفسه، ورقة 22أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
 - (4) المصدر نفسه، ورقة 24 ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
 - (5) المصدر نفسه، ورقة 26أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
 - (6) المصدر نفسه، ورقة 7 ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
 - (7) المصدر نفسه، ورقة 14 أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

فرسخ»(1). وكقوله عن الجحفة. «فإنّها منزلٌ عامر، وبينها وبين البحر نحو من ميلين. وهي في الكبر ودوام العمارة نحو من فيد، وليس بين المدينة ومكّة منزلٌ يستقلّ بالعمارة والأهل جميع السنة إلاّ الجحفة، ولا بين المدينة والعراق مكانٌ يستقلّ بالعمارة والأهل جميع السنة مثل فيد»(2). في حين يصف بلدان أخرى بالخراب مثل بلاد المَهْرَة، «فإن قصبته تسمى الشَّحْر، وهي بلاد قفرة ألسنتهم مستعجمة جداً، لا يكاد يوقف عليها، وليس ببلادهم نخيل ولا زرع»(3)، ووادي ستارة، وطول هذا الوادي نحو من يومين، لا يكون الإنسان منه في مكانٍ من بطن هذا الوادي لا يرى فيه نخلاً»(4). وقال عن أحد: «غير أن أكثر هذه الضياع خراب وكذلك حوالي المدينة ضياع كثيرة وأكثرها خراب»(5).

وانطلاقاً من هذا المبدأ، وهو (عمارة الأرض) ذي الأصول الدينية، يركز البَلخي على ذكر خطط المدن والتشكيلات السكانية فيها، وهي تشكيلات قبلية في غالبها، تعكس النظام الاجتماعي الذي كان سائداً، كما سجل مادة مهمة عن المجتمعات القائمة في تلك الأقاليم مبدياً اهتماماً ملحوظاً في كل نواحي الحياة اليومية لسكان تلك الأقاليم، فعند حديثه عن الجزيرة الفراتية حدد الخارطة السكانية فيها بقوله: «وقد سكن طوائف من العرب من ربيعة ومُضَرّ الجزيرة، حتى

(1) المصدر نفسه، ورقة 32ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(2) المصدر نفسه، ورقة 25أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(3) المصدر نفسه، ورقة 27أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(4) المصدر نفسه، ورقة 26أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(5) المصدر نفسه، ورقة 30أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

صارت لهم بها دياراً ومراعي» (1)، وقوله: «وبغزوان ديارٌ بني سعدٍ وسائر قبائل هذيل» (2) وأوضح من ذلك قوله مفصلاً «وأما ما بين القادسيّة إلى الشقوق في الطول والعرض من قرب السماوة إلى حدّ بادية البصرة فسكانها قبائل من بني أسد، فاذا جرت الشقوق فأتت في ديار طيّء إلى أن تجاوز معدن التّقرة في الطول وفي العرض، من وراء جبلي طيّء محاذياً لوادي القرى، إلى أن تتصل بحدود نجد من اليمامة والبحرين. ثمّ اذا جرت المعدن عن يسار المدينة فأتت في سُلَيْم، وإذا جزته عن يمين المدينة فأتت في جُهَيْنة. وفيما بين المدينة ومكّة بكر بن وائل في قبائل من مُضَر. وأما نواحي مكّة فإنّ الغالب على نواحيها ممّا يلي المشرق بنو هلال وبنو سعد في قبائل من هذيل ومُضَر. وفي غربيها مدلج وغيرها من قبائل مُضَر. وأما بادية البصرة فإنّها أكبرُ هذه النواحي أحياءً وقبائل، وأكثرها تميم حتى يتصل بالبحرين واليمامة، ثمّ من ورائهم عبد القيس» (3).

في مجال العمران نجد أن ذكر المدن هو الذي يستغرق جزءاً كبيراً من كتابه، فيتناول المدينة وموقعها ومبانيها وجبالها وما بها من مرافق، وغالبا ما يستهل البلخي فقرات كتابته بتوضيح موقع المدن مثل عدن حيث ذكر أنها "مدينة صغيرة، وإنما شهرتها لأنها فرضة على البحر، ينزلها السائرون في البحر، وبها معادن اللؤلؤ، وباليمن مدن كثيرة هي أكبر منها وليست بمشهوره" (4).

(1) البلخي، صور الأقاليم، ورقة 6أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(2) المصدر نفسه، ورقة 26أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(3) المصدر نفسه، ورقة 29ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(4) المصدر نفسه، ورقة 33أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

يعقد البلخي المقارنه بين المدن من حيث الحجم والأهمية ومسافاتها ، وأوضح مثال على ذلك قوله : " وليس بالحجاز مدينة بعد مكة، والمدينة أكبر من اليمامة، ويليهما في الكبر وادي القرى، وهي ذات نخيل كثيرة وعيون. والجار فُرْضة المدينة، وهي على ثلاث مراحل من المدينة على شطِّ البحر، وهي أصغر من جُدَّة" (1).

كان البلخي يطيل في وصفه لأمهات المدن ، مثل : مكة والمدينة(2)، ويوجز أحياناً من هذا الوصف مثل : صفين وتبوك (3)

كما كان له اهتمام واضح بالتخطيط العمراني وما بكل إقليم من مدن وقرى ونواحي، ونوعية المساكن وأنماط السكن. فمكة - على سبيل المثال - «أبنيتها حجارة، والمسجد في نحو الوسط منها، والكعبة في وسط المسجد، وباب الكعبة مرتفع من الأرض نحو قامة، وهو مصراعٌ واحد، وأرض البيت مرتفعة عن الأرض مع الباب، والباب بحذاء قبة زمزم»(4). وعن جبل رضوى: «بقربه فيما بينه وبين ديار جُهينة وبلي وساحل البحر دياراً للحسينيين حُزرت بيوتُ الشعر التي يسكنونها نحو من سبع مائة بيت» (5). وفي صفين: «قبر عمّار بن ياسر، هو بيت المال الذي

(1) المصدر نفسه، ورقة 25ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(2) البلخي، صور الأقاليم، ورقة 6أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(3) المصدر نفسه، ورقة 8أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(4) المصدر نفسه، ورقة 12ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(5) المصدر نفسه، ورقة 25ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

كان يُجمع فيه الفقيه لعلي بن أبي طالب» (1)، وفي صنعاء «بناء عظيم قد خرب فهو
تل كبير يُعرف بغمدان كان قصر ملوك اليمن، وليس باليمن بناء أرفع منه» (2).
واهتم بوصف بنية المدينة وذكر مرفقاتها الوظيفية والوحدات العمرانية
وخاصة الدينية كالجوامع، ويتضح ذلك جلياً في وصف مكة بطبيعة الحال (3)،
و«مسجد الخيف في أقل من الوسط ممّا يلي مكة». وعن أحد: «وبها مسجد
جامع» (4). كما يذكر بعض الحصون، «وهو حصن به عين» (5) على سبيل المثال.
المثال. والأسوار (سور المدينة مثلاً) (6). ويذكر أيضاً مواضع البيوت المشهورة
مثل «وهو بيوت مجمع الأنصار يشبه القرية» (7). ويذكر القبور المشهورة أيضاً
كقبر الصحابي عمار بن ياسر (8) وقبر النبي هود (9). وبعض المباني الإدارية المهمة
المهمة كدار الإمارة في مكة (10)، وبيت المال في صفين (11).

ويهتم بذكر بعض الحوادث التاريخية المهمة ولو كانت باختصار، حيث إن
كتابه ليس كتاب روايات وأخبار. وفي النص المحقق المرفق شواهد على أهمية

- (1) المصدر نفسه، ورقة 26أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (2) المصدر نفسه، ورقة 28ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (3) المصدر نفسه، ورقة 30ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (4) المصدر نفسه، ورقة 35ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (5) المصدر نفسه، ورقة 26ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (6) المصدر نفسه، ورقة 22ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (7) المصدر نفسه، ورقة 27أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (8) المصدر نفسه، ورقة 29ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (9) المصدر نفسه، ورقة 22ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (10) المصدر نفسه، ورقة 25ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
- (11) المصدر نفسه، ورقة 25ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

المخطوط التاريخية، مثل تحديد منطقة تيه بني إسرائيل، وتحديد معالم مكة والمشاعر المقدسة، والحديث عن سبأ وسد مأرب (1)، وديار ثمود (2) وأصحاب (2) وأصحاب الأبي (3). وتجارات جُدَّة، والبستان الذي ينسب لنبي صلى الله عليه عليه وسلم في تبوك، وأوقاف علي بن أبي طالب، وفرقة الكيسانية (4)، وصناعة أحجار المسنّ، ومنازل بعض قبائل العرب، ودولة بني الرُّسَيْب اليمَن (5)، وعاصمة وعاصمة دولة بني مناخ من آل جعفر (6) وقصر غمدان (7)، وحروب أهل عُمان عُمان مع ولاة العباسيين (8)، وبعض أخبار القرامطة (9)، وبني العليص الذين وافقوهم (10)، والبئر الذي استقى منها النبي موسى لسائمة النبي شعيب (11)، وشيء عن معركة صفين (12) وحروب الحسينيين ضد الجعفريين (13) وغير ذلك.

-
- (1) البلخي، صور الأقاليم، ورقة 6أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
 - (2) المصدر نفسه، ورقة 25ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
 - (3) المصدر نفسه، ورقة 26أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
 - (4) المصدر نفسه، ورقة 26أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
 - (5) المصدر نفسه، ورقة 27ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
 - (6) المصدر نفسه، ورقة 27ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
 - (7) المصدر نفسه، ورقة 25ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
 - (8) المصدر نفسه، ورقة 26أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
 - (9) المصدر نفسه، ورقة 35ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
 - (10) المصدر نفسه، ورقة 34أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
 - (11) المصدر نفسه، ورقة 25ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
 - (12) المصدر نفسه، ورقة 26أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
 - (13) المصدر نفسه، ورقة 33ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

ولم يفته تدوين الحياة الفكرية والدينية للأقاليم التي ضمنها كتابه وطبيعة الأديان والأفكار والمعتقدات السائدة، فأوضح مذاهب الناس وفرقهم. (1) وفي نهاية حديثه عن كل إقليم يعقد فصلاً عن طرق ذلك الإقليم وخاصة بين مدنه الرئيسية أو الكبرى، ويحدد المسافات (2) ويوضح حالة كل طريق، ما إذا كانت كانت سالكة أم غير سالكة، ومثال ذلك قوله عن أحد طرق المديخرة: «وهو منيع لا يسلك إلا من طريق واحد» (3). «وأما ما بين البحرين وعبّادان فغير مسلوكة وهو قفر، والطريق فيها على البحر» (4).

منهج أبي زيد البلخي

من قراءة مخطوط (صور الأقاليم) يستطيع الباحث أن يلتقط بعض أساسيات منهج البلخي في الكتابة، ويمكن إجمالها بالنقاط الآتية:

1. اتبع البلخي المنهج الوصفي مع التركيز على الجوانب الاجتماعية والإقتصادية والفكرية مما استعرضناه في محتوى المخطوط. (5)
2. تفرد البلخي عن الذين سبقوه من الجغرافيين، إذ كان أول جغرافي قسم الأرض إلى عشرين إقليمًا، وقد تجلّى ذلك من خلال وضعه إحدى وعشرين خريطة أرفقها في كتابه معزراً بها التفصيل الذي ساقه في الكتاب.

(1) المصدر نفسه، ورقة 33ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(2) المصدر نفسه، ورقة 35ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(3) المصدر نفسه، ورقة 35ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(4) المصدر نفسه، ورقة 35ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(5) انظر ص 373-379 من هذا البحث.

وقال: «جعلت كل قطعة أفردتها مفردة بصورة تحكي موضع ذلك الإقليم؛ ثم ذكرت ما يحيط به من الأماكن وما في أضعافه من المدن والبقاع المشهورة والبحار والأنهار»(1).

3. ركز على العلاقات المكانية من خلال ذكر حدود الإقليم الخارجية أو الإطار المكاني للإقليم، وقد يأتي هذا التحديد مفصلاً ودقيقاً للغاية على نحو ما حدد ديار العرب(2).

4. كان مهتماً بما كان يسمى المنازل والمراحل أو المسالك والممالك، وقدم توضيحات عن تلك المجالات المكانية وخاصة الطرق والمسافات. (3)

5. ربط البلخي بين الوصف والخريطة، وجعل بينهما صلة وثيقة، فبعد أن ينتهي من شرح كل إقليم، يلحقه بخريطة توضح أبعاده وأماكنه ومظاهره الجغرافية، وتدعم أقواله وآراءه. (4)

6. من منهجه أنه اعتمد الرحلة والمشاهدة الشخصية لتدوين المعطيات الجغرافية التي اهتم بها، فقد حرص على أن يعاين معظم ما تحدث عنه بنفسه، فمن مقومات منهج كتاب (صور الأقاليم) أن مؤلفه أبا زيد البلخي كان يدون مشاهداته الشخصية وملاحظاته الخاصة. ويمكن التقاط تلك الإشارات المهمة من خلال قراءة متأنية للمخطوط. وفي النص المحقق

(1) البلخي، مخطوط صور الأقاليم، ورقة 73 أ.

(2) المصدر نفسه، ورقة 6 أ.

(3) المصدر نفسه، ورقة 35 أ.

(4) انظر علي سبيل المثال الخريطة التي الحقها البلخي بإقليم ديار العرب والتي نشرها هنا في هذا البحث ص

المرفق بهذا البحث إشارات تؤكد وجوده في المكان الذي يكتب عنه. وهذه

الإشارات هي:

- «وأما الحرم فلم أر بها...». (1)

«والحجر قرية صغيرة قليلة السكّان، وهي من وادي القرى على يوم بين جبال، وبها كانت ديار ثمود الذين قال الله فيهم: ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾، ورأيتُ تلك الجبال ونحتهم الذي قال الله فيه: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾، ورأيتها بيوتًا مثل بيوتنا» (2).

وكان يستخدم ألفاظًا تدل على المشاهدة العيانية كقوله في بعض المواضع:

«رأيتُه أنا» (3) أو «رأيت تلك الجبال» (4) أو «لم أر بها» (5).

7. كما كان يعتمد على مصادر شفوية يثق بها، حيث يأخذ من شهود عيان،

كقوله: «فليس بمكة ماءٌ جارٍ إلا منى، بلغني بعد خروجي عنها...» (6).

ويستخدم ألفاظًا من مثل: «بلغني» (7) «أخبرني» (8) دون التصريح

بصاحب الرواية. ويستعمل في مواضع أخرى اللفظ «حدثني» (9) في رواية

(1) البلخي، صور الأقاليم، ورقة 6أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(2) المصدر نفسه، ورقة 28أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(3) المصدر نفسه، ورقة 25ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(4) المصدر نفسه، ورقة 33أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(5) المصدر نفسه، ورقة 22ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(6) المصدر نفسه، ورقة 25أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(7) المصدر نفسه، ورقة 26ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(8) المصدر نفسه، ورقة 24أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(9) المصدر نفسه، ورقة 5أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

- رواية الأخبار التي يسوقها. وقد يسوق أخباراً أخرى بألفاظ غير تلك، وذلك بقوله: «ويزعم الناس» (1) أو «تزعم بعض الناس في رواية أخبار» (2). وقد يستعمل ألفاظاً من غير ذلك فيقول في بعض المواضع: «في المواضع: «في ما علمنا» (3)، أو «ولا أعلم» (4)، أو «ويُحكى» (5). وإذا لم «ويُحكى» (5). وإذا لم يتيسر له التفصيل في رأيه فيقول: «وأخبرني من طاف في شعبه أنه به مياه كثيرة وأشجاراً» (6). ويصرّح في بعض المواضع بعدم يقينه من المعلومة، كما في قوله: «وبلغني أن بمكان منها بعيد عن البحر ربما وقع ثلج دقيق، ولم أر أحداً شاهد ذلك إلا بالإبلاغ» (7).
8. يظهر البلخي بعقلية العالم المنطقي، فلا يسجل كل ما يسمع، وقد يرفض بعض ما يسمعه من مثل: «ويُحكى عن الغيلان بها من الأعجوبة ما لا أستجيز حكايته» (8).
9. كما كان يعتمد مصادر مكتوبة وإن لم يشر إلى أسمائها صراحة كقوله: "على أن من العلماء من قسم هذه الديار " (9)

(1) المصدر نفسه، ورقة 12أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
(2) المصدر نفسه، ورقة 13ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
(3) المصدر نفسه، ورقة 19أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
(4) المصدر نفسه، ورقة 25ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
(5) المصدر نفسه، ورقة 32ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
(6) المصدر نفسه، ورقة 26أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
(7) البلخي، صور الأقاليم، ورقة 6أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
(8) المصدر نفسه، ورقة 27أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.
(9) المصدر نفسه، ورقة 29أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

10. يعزز قوله في بعض الأحيان بآيات من القرآن الكريم يستشهد بها

كي يؤكد رأياً أو يدلل على أمر، كما في حديثه عن بيوت ثمود المنحوتة
بالجبال(1)، أو إنهيار سد مأرب(2).

11. يهتم بذكر بعض التفاصيل. ومن أمثلة ذلك:

أ. في التقسيمات الإدارية للأقاليم نجده يشير إلى التقسيمات المحلية التي
تدل على بعض الخصائص السياسية مثل (أجناد الشام)(3).

ب. في النواحي الاجتماعية نجده يهتم بذكر أوصاف السكان وألوانهم ولغاتهم
وأديانهم وملابسهم وخلقهم وخلقهم وطباعهم والأمراض المنتشرة. مع
التركيز على انتماءاتهم العرقية والقبلية وأنواع مساكنهم ومواضع
سكنهم(4).

ج. في النواحي الاقتصادية نراه يحرص على ذكر مصادر المياه والثمار
والمحاصيل والمعادن المتوفرة والأحجار الثمينة وأنواع الحيوانات
والنباتات والعملية المتداولة(5).

د. في النواحي البيئية نراه مهتماً بتدوين الحالة المناخية للأقاليم فيصف
هواءها وماءها وبردها وحرها وثلوجها إن وجدت وتربته ومناسبتها
للزراعة وخلوها أو عدم خلوها من الأوبئة والأمراض(1).

(1) المصدر نفسه، ورقة 131أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(2) المصدر نفسه، ورقة 25ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(3) المصدر نفسه، ورقة 12أ.

(4) المصدر نفسه، ورقة 16ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(5) المصدر نفسه، ورقة 35ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

12. اعتمد البُلخي اسلوباً أدبياً مباشراً واضحاً لا لبس فيه، وكانت لغته سلسلة، اعتمد فيها على قصر الجمل ذات الدلالات المحددة البعيدة عن التكلف والإنشاء، ومثال على ذلك قوله: "وليس بالحجاز مدينة بعد مكة، والمدينة أكبر من اليمامة، ويليهما في الكبر وادي القرى، وهي ذات نخيل كثيرة وعيون. والجار فُرْضة المدينة، وهي على ثلاث مراحل من المدينة على شطّ البحر، وهي أصغر من جُدّة"(2) وهذا من أهم مميزات منهجه العلمي السليم.

أهمية نص أبي زيد البُلخي

ان أهمية كتاب صور الاقاليم تتجلى بوضوح حينما يتصدى المؤلف للكتابة عن الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي، فتحدث عن جغرافية الماضي بجوانبه الطبيعية والبشرية، بمعنى انه لم يقتصر في دراسته على الظروف الطبيعية للماضي، وإنما اهتم بدراسة النشاط البشري(3)، وهو مما يقع ضمن أهم مكونات الكتابة التاريخية.

تأتي أهمية نص البُلخي من أصالته وجدّته ومن كونه شاهد عيان على ما يكتب ويدون من معلومات(4)، وقد كان معيناً لمن جاء بعده من الجغرافيين، نهلوا منه، وأفادوا من منهجه، واقتبسوا مادته وخرائطه(5)، ومن محاولة تقصي تلك النقول

(1) المصدر نفسه، ورقة 26ب، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(2) البُلخي، صور الأقاليم، ورقة 10أ، وكذلك النص المحقق من هذا البحث.

(3) انظر ص 373-379 من البحث.

(4) انظر ص 380 من البحث.

(5) انظر ص 383-384 من البحث

نجد أنها تبدأ بعد وضعه لكتابه بقليل، فصاحب كتاب (حدود العالم) وهو جغرافي مجهول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي كانت بيده نسخة من كتاب البلخي (1).

كما كان كتاب البلخي مورداً لياقوت الحموي حينما ألف موسوعته (معجم البلدان)، وقد استطعت رصد بعض المواد التي أخذ فيها عن البلخي، وهي:

1. أنطاليا (2).
2. جُدَّة (3).
3. جنابة، وفيها معلومة مهمة وهي: «قرأت في الكتاب المتنازع بين أبي زيد البلخي وأبي إسحاق الإصطخري في صفة البلدان، فقال...» (4).
4. قرنين (5).
5. قعيقعان (6).
6. القلزم (7).

وليس الجغرافيون وحدهم من أخذ عنه، بل نقل عنه المؤرخون أيضاً، فقد كانت نسخة من كتاب البلخي بين يدي ابن العديم (ت 660هـ) حينما وضع كتابه (بغية الطلب في تاريخ حلب)، وأفاد منه كثيراً، فقد نقل منه في 30 موضعاً على

(1) انظر مقدمة محقق حدود العالم، ص 12.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص 30.

(3) المصدر نفسه، ص 45.

(4) المصدر نفسه، ص 90.

(5) المصدر نفسه، ص 40.

(6) المصدر نفسه، ص 45.

(7) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص 45.

الأقل. وأهم ما يلاحظ في نقول ابن العديم: عنوان كتاب البلخي، فهو يذكره بأشكال متعددة، كما يظهر من هذه النصوص.

وهذه النصوص هي:

1. «وقال أبو زيد أحمد بن سهل البلخي في كتاب (صورة الأرض والمدن):
وقنسرين مدينة تنسب الكورة إليها»(1).
2. «قال أبو زيد أحمد بن سهل البلخي في كتاب (صورة الأرض والبلدان):
«وأما منبج فهي...»(2).
3. «وقال أبو زيد البلخي في جند قنسرين...»(3).
4. «وقال أبو زيد البلخي في كتابه: وأما بالس...»(4).
5. «وقد ذكرها(شيزر)أبو زيد أحمد بن سهل البلخي في كتاب (صورة
الأرض والمدن)...»(5).
6. «وقرأت في كتاب أبي زيد أحمد بن سهل البلخي في صفة الأرض
والمدن...»(6).
7. «وقرأت في كتاب أبي زيد أحمد بن سهل البلخي في صفة الأرض والمدن

(1) ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص74.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص107.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص117.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص19.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص147.

(6) المصدر نفسه، ج1، ص151.

قال: والمصيصة مدينتان...» (1).

8. «ذكر أبو زيد أحمد بن سهل البلخي في كتابه الذي ذكر فيه صورة الأرض والمدن وما تشتمل عليه: قال فيه: وعين زربه...» (2).
9. «ونقلتُ من كتاب أبي أحمد بن سهل البلخي في كتاب (صورة الأرض والمدن) وما تشتمل عليه، قال: وأذنة مدينة خصبة...» (3).
10. «وقال أبو زيد في كتابه: والكنيسة حصدٌ فيه منبر...» (4).
11. «قرأت في كتاب (صفة الأرض والأقاليم وما تشتمل عليه) تأليف أبي زيد أحمد بن سهل البلخي قال: وطرسوس...» (5).
12. «وقال أبو زيد أحمد بن سهل البلخي في كتاب (صورة الأرض والمدن وما تشتمل عليه): وأولاس حصن...» (6).
13. «قال أبو زيد البلخي في كتابه: والهارونية...» (7).
14. «وقال أبو زيد البلخي: والاسكندرونة حصن...» (8).
15. «وقال أبو زيد أحمد بن سهل البلخي، وبياس...» (9).

(1) المصدر نفسه، ج1، ص159.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص167.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص171.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص173.

(5) ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص177.

(6) المصدر نفسه، ج1، ص218.

(7) المصدر نفسه، ج1، ص219.

(8) المصدر نفسه، ج1، ص220.

(9) المصدر نفسه، ج1، ص221.

16. «وقال أبو زيد البلخي: والتينات...» (1).
17. «وقال أبو زيد البلخي: والمثقب حصن...» (2).
18. «وقد ذكرها (الصخرة) أبو زيد البلخي في ذكر المدن والحصون عقيب ذكر أنطاكية» (3).
19. «وقد ذكرها (مرعش) أبو زيد البلخي في كتابه، فقال...» (4).
20. «وذكرها (زبطرة) أبو زيد أحمد بن سهل البلخي في كتابه» (5).
21. «وذكره (حصن منصور) أبو زيد أحمد بن سهل البلخي في كتابه، فقال...» (6).
22. «وقد ذكرها أبو زيد أحمد بن سهل البلخي في كتاب (صفة الأرض والأقاليم والمدن وما تشتمل عليه)، قال: وملطية...» (7).
23. «وقال أبو زيد أحمد بن سهل البلخي في ذكر صفة الأرض والمدن وما تشتمل عليه: وأما سميساط...» (8).
24. «وقال أبو زيد البلخي في تاريخه: ويخرج نهر حلب من حدود دابق...»

(1) المصدر نفسه، ج1، ص223.

(2) المصدر نفسه، ج1، ص224.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص230.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص235.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص247.

(6) المصدر نفسه، ج1، ص249.

(7) المصدر نفسه، ج1، ص252.

(8) المصدر نفسه، ج1، ص257.

(1).

25. «وقال أبو زيد البلخي في تاريخه: ومخرج الفرات من أرض الروم» (2).

26. «وقد قيل إن مكان الملوك العجم يقال له: جم شاد، هو الذي حفر الفرات، فإن البلخي ذكر في تاريخه، وقال: وفي كتب العجم.....» (3).

27. «ذكر أبو زيد البلخي في تاريخه. قال: وزعموا أن الفرات مدّ فرمى برمانه شبه البعير المبارك» (4).

28. «وقال أبو زيد البلخي جيحان يخرج من بلد الروم...» (5).

29. «قرأت في كتاب أبي زيد أحمد بن سهل البلخي في كتاب (صورة الأرض) قال: وسيحان...» (6).

30. «وقرأت في تاريخ أبي زيد البلخي قال: وأهل الكتاب يزعمون أن أربعة أنهار تخرج...» (7).

ويبدو أن هذا الأثر المهم ظل موجوداً حتى وقت متأخر، فوجدناه في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي عند ابن رشيد الفهري وهو المتوفى سنة 721هـ/1321م، حيث أخذ عنه نصاً عن عرفة، فقال: «قال أبو زيد البلخي: عرفة

(1) المصدر نفسه، ج1، ص 348.

(2) ابن العديم، بغية الطلب، ج1، ص 359.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص 363.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص 367.

(5) المصدر نفسه، ج1، ص 373.

(6) المصدر نفسه، ج1، ص 380.

(7) المصدر نفسه، ج1، ص 387.

ما بين وادي عرنة إلى حائط ابن عامر...»(1).

وهذا دليل دامغ على أن النص للبلخي وليس لغيره.

وبعد أكثر من قرن، نقل عنه كذلك سبط ابن العجمي (ت 884هـ / 1479م)،
«وقال أبو زيد البلخي: ويخرج نهر حلب من حدود دابق...». ثم أردف: «وقال ابن
حوقل النصيبي...»(2).

وهذا دليل آخر من القرن التاسع الهجري.

وآخر ما أمكننا التقاطه من إشارات عن كتاب (صور الأقاليم) ما ذكره مرتضى
الزبيدي (ت 1205هـ / 1790م) حينما شرح كتاب (إحياء علوم الدين) للغزالي،
فقد اعتمد عليه وهو مدرك لنسبه الكتاب للبلخي، قال: «وقال أبو زيد البلخي: عرنة
ما بين وادي عرنة إلى حائط ابن عامر...»(3). وهو يؤكد نسبة الكتاب إلى صاحبه
الحقيقي أبي زيد، ويؤكد بقاءه معروفاً إلى القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر
الميلادي، على أقل تقدير.

النسخ المستخدمة في التحقيق:

اعتمدت في تحقيق هذا القسم من المخطوط على ثلاث نسخ، هي التي
استطعت الحصول عليها، وهي:

1. نسخة المدينة المنورة / مكتبة عارف حكمت، برقم (3) جغرافيا. وتتكون

من 112 ورقة، وتحتوي على الخرائط. لكن لا يوجد اسم ناسخها. ويبدو

(1) الفهري، ملء العيبة، ص 99.

(2) سبط بن الجوزي، كنوز الذهب، ص 563.

(3) الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، ج 4، ص 402.

- من خطها أنها مكتوبة في القرون الهجرية الأولى. وسأرمز لها بالحرف (م).
2. نسخة كانت جامعة بغداد / كلية الآداب تحتفظ بها وعلى صفحة العنوان منها: (كتاب صور الأقاليم تأليف الشيخ المتبحر أبو (كذا) زيد أحمد بن سهل البلخي) وعليها ختم مديرية الآثار العامة / حيازة المخطوطات برقم 44806 بتاريخ 28/4/1988 معبارة عن 58 ورقة، ولا تحتوي على الخرائط وهي مجهولة النسخ أيضاً.
3. نسخة النجف / مكتبة الحكيم العامة، برقم 632، تتكون من 154 ورقة، وتحتوي على الخرائط. نسخها ناسخ مجهول عن نسخة المدينة المنورة، كما صرح في الخاتمة. وسأرمز لها بالحرف (ن).
- وقد تحررت أن أخرج نصاً صحيحاً مفيداً، فاقتصرت بالتعليقات واقتصرت في ذكر اختلافات النسخ على المهم فقط، دون الإشارة إلى الفروق البسيطة، والتصحيحات الواضحة، وسهو النساخ، وذلك كي لا أثقل الهوامش بما لا يفيد البحث.

النص المحقق

ديار العرب

من مخطوط (صور الأقاليم)

لأبي زيد البلخي المتوفى سنة 322هـ/934م

قصدت في كتابي هذا تفصيل بلاد الإسلام إقليمًا إقليمًا، حتى يُعرف كل إقليم من مكانه، وما يجاوره من سائر الأقاليم، [و] (1) فيه هذه الصورة التي جمعت سائر

(١) إضافة يقتضيها السياق.

الأقاليم، ولم يتسع ذلك لما يستحقّه كل إقليم في صورته من مقدار الطول والعرض والاستدارة والتربيع والتثليث والتقويس، وما يكون عليه أشكالها، غير أنّا جعلنا لكل إقليم مكاناً يُعرف به موضعه وما يُجاوره من سائر الأقاليم. ثمّ أفردنا لكل إقليمٍ منها بصورةً على حدة، فبيّنا فيها شكل ذلك الإقليم، وما يقع فيه من المدن، وسائر ما يحتاج إلى علم، ممّا نأتي على ذكره في موضعه إن شاء الله.

وابتدأتُ بديار العرب لأن فيها مكّة والقبلة، وهي أمّ القرى وبلد العرب(1) وأوطانهم التي لم يشركهم في سُكناها غيرهم، والذي يُحيط بها بحر فارس من عبّادان، وهو مصبّ ماء الدّجلة في البحر، فيمتدّ على البحرين حتى ينتهي إلى عُمان، ثمّ يعطف على سواحل مهرة وحضرموت وعدن، حتى ينتهي إلى سواحل اليمن إلى جدّة، ثمّ يمتدّ على الجار ومدّين، حتى ينتهي إلى أيلة(2). ثمّ قد انتهى حينئذٍ[حدّ](3) ديار العرب من هذا البحر.

وهذا المكان من البحر له لسانٌ يُعرف ببحر القلزم، فينتهي إلى تاران وجبيلان(4) إلى القلزم، وينقطع(5)، فهذا هو شرقي ديار العرب وجنوبيها وشيء(6) من غربيها. ثمّ يمتدّ(7) عليها من أيلة على مدينة قوم لوط، والبحيرة

(1) في ب: الغرب.

(2) أيلة هي العقبة الآن في المملكة الأردنية الهاشمية.

(3) إضافة من: الإصطخري، المسالك الممالك، ص13؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص27 (المطبوعين).

(4) في ب: مادان وجبلان.

(5) في ب: ويقطع.

(6) في ب: فهي.

(7) في ب: فيمتد.

المنتنة (1) التي تُعرف ببحيرة زُغَر، إلى الشُّراة والبلقاء، وهي من عمل فلسطين وأذرعَات وحوران والبشينة (2) والغوطة ونواحي بَعْلَبك، وذلك من عمل [دمشق وتَدْمُر وسَلَمِيَّة، وهما من عمل] (3) حِمَص ثمَّ الحُناصِرَة وبالس، وهما من عمل قَنَسرين، وقد انتهينا إلى الفرات. ثمَّ يمتدُّ الفرات على ديار العرب حتى ينتهي إلى (4) الرِّقَّة وقَرَقِيسيا والرَّحبة والدَّالية وعانة والحديثة وهيت والأنبار إلى الكوفة ومستفرغ مياه الفرات إلى البطائح. ثمَّ تمتدُّ ديار العرب على نواحي الكوفة والحيرة على الحَوَزَنق، ثمَّ من الكوفة إلى حدِّ واسط، [فتصاقب ما قارب دجلة] (5) عند واسط مقدار مرحلة، ثمَّ تمتدُّ على سواد البصرة وبتائحها، حتى تنتهي إلى عبَّادان. [فهذا الذي يحيط] (6) بديار العرب، فما كان من عبَّادان إلى أيلة فإنَّه بحر فارس ويشتمل على نحو من ثلاثة أرباع ديار العرب، وهو تمام الشرقي والجنوبي وبعض الغربي، وما بقي من حدِّ الغربي من أيلة إلى بالس فمن [السَّام، وما كان من بالس إلى عبَّادان فهو الحدُّ الشمالي، فمن بالس إلى أن [تجاوز الأنبار من] (7) حدِّ الجزيرة، ومن الأنبار إلى عبَّادان من حدِّ العراق.

ويتَّصل بأرض العرب بناحية أيلة برِّيَّة تُعرف بتيه بني إسرائيل، وهي وإن كانت متَّصلة بديار العرب فليست من ديارهم، وإنَّما كانت برِّيَّة من أرض العمالقة

(1) في ب: الميته. وهي قراءة لها وجه.

(2) في ب: الحوران والبشينة.

(3) ساقط من ب.

(4) في ب: علي.

(5) في ب: فساقط ماء الفرات في الدجلة.

(6) في ب: وليست أرض القبط.

(7) في ب: يحاذي عبَّادان.

واليونانية، وأرض القبط ليس يُعرف بها ماءً ولا عين، فلذلك لم ندخلها في ديارهم .
وقد سكن طوائف من العرب من ربيعة ومُضَرّ الجزيرة، حتى صارت لهم بها
دياراً ومراعي، فلم نذكر الجزيرة في ديار العرب، لأن نزولهم(1) بها وهي وديار
لفارس(2) والرُّوم في أضعاف قرى معمورة، ومُدُن لها أعمالٌ عريضة، فنزلوا على
خفارة فارس والرُّوم، حتى أنّ(3) بعضهم تنصّر ودان بدين الرُّوم، مثل: تغلب من
ربيعة بأرض الجزيرة، وغسّان وبَهْرَاء وتَنُوخ من اليمن بأرض الشام(4).
وديار العرب هي: الحجاز الذي يشتمل(5) على مكّة والمدينة، واليمامة
ومخاليقها، ونجد الحجاز المتّصل بأرض البحرين، وبادية العراق، وبادية الجزيرة،
وبادية الشام، واليمن المشتملة على تهامة ونجد اليمن وعمّان ومَهْرَة وحضرموت
وبلاذ صنعاء وعدن وسائر مخاليق اليمن، فما كان من حدّ السّرين(6) حتى ينتهي
إلى ناحية يَكْمَلَم، ثم على ظهر الطّائف، ممتدّاً على نجد اليمن، إلى بحر فارس
مشرقاً، فمن اليمن؛ فيكون ذلك ليس من ديار العرب. وما كان من حدّ السّرين(7)
السّرين(7) على بحر فارس إلى قرب مَدْيَن راجعاً في حدّ المشرق على الحجر، إلى
إلى جبلي(8) طيّء، ممتدّاً على ظهر اليمامة إلى بحر فارس فمن الحجاز ومَدْيَن.

(1) في ب: لأتو وهم.

(2) في ب، وعند ابن حوقل أيضاً: الفارس.

(3) من م فقط.

(4) انظر عن هذا الموضوع: خريسات، دور العرب المنتصرة في الفتوحات (ضمن بحوث المؤتمر الدولي
الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، عمان، 1987).

(٥) في ب: التي تشتمل.

(٦) في ب: السرير. والسرير الآن ضمن محافظة الليث في المملكة العربية السعودية.

(٧) في ب: السرير.

(٨) في ب: جبل. وهما أجا وسلمى.

وما كان من حدّ اليمامة إلى قريب المدينة راجعاً إلى بادية البصرة، حتى يمتدّ على
البحرين من نجد. وما كان من حدّ عبّادان إلى الأنبار مواجهاً [لنجد والحجاز] (1)
على أسد وطبيّ وتميم (2) وسائر قبائل مُضَرّ فمن بادية العراق. وما كان من حدّ
الأنبار إلى بالِس مواجهاً لبادية الشام بتيماء قرية إلى قرب وادي القرى والحجر
فمن بادية الجزيرة. وما كان من بالِس [إلى أيلة مواجهاً للحجاز] (3) على بحر
فارس ناحية مَدِين معارضاً لأرض تبوك حتى يتّصل بديار طيِّى فمن بادية الشام.
على أنّ من [ال]علماء من قسم (4) هذه الديار من زعم أنّ المدينة من نجد
لقربها منها، وأنّ مكّة من تهامة اليمن لقربها منها. وهذه صورة ديار العرب (5):

(١) ساقط من ب.

(٢) في ب: اسرطي ونمير.

(٣) من ن فقط.

(4) عند الإصطخري: بتقسيم.

(٥) الخريطة ليست في ب.

المسافات المسلوكة بها.

ولا أعلم بأرض العرب نهراً ولا بحراً يحمل سفينة لأن البحيرة [المنتنة التي تُعرف] (2) ببخيرة زُغَر وإن كانت مُصاقبة للبادية، فليست منها، ومجمع الماء [الذي بأرض اليمن في ديار سبأ] (3) إنما كان موضع [مسيل ماء بني في وجهه سد] (4) فكان يجتمع فيه مياه كثيرة يستعملونها في القرى [والمزارع، حتى كفروا بعد] (5) أن كان الله تعالى [جعل لهم عمارات قرى] (6) متصلة إلى الشام، فسَلَطَ الله عزَّ وجلَّ على ذلك الماء آفة؛ فكان لا يمسك (7) وهو قوله تعالى: (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴿8﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴿9﴾ فبطل ذلك الماء إلى يومنا هذا. قلتُ: أمَّا الجداول والعيون والسواقي والآبار فإنَّها كثيرة.

ونبتدي (10) من مدن ديار العرب بمكة زادها الله شرفاً وتعظيماً، وهي مدينة فيها الكعبة. وهي فيما بين شعاب الجبال، وطول مكة من المعلاة إلى المسفلة نحو من ميلين، من الحد الجنوبي إلى الشمالي، ومن أسفل أجياد إلى ظهر قُعيقَعان (11)

(١) في ب: وجوامعاً.

(٢) فراغ في ب.

(٣) فراغ في ب.

(٤) فراغ في ب.

(٥) فراغ في ب.

(٦) فراغ ب.

(7) في ب: تمسك.

(٨) سورة سبأ، من الآية 18.

(٩) سورة سبأ، من الآية 18.

(١٠) في ب: ويبتدي.

(١١) في ب: فيتعان.

نحو الثلثين من هذا.

وأبنيها حجارة، والمسجد في نحو الوسط منها، والكعبة في وسط المسجد، وباب الكعبة مرتفع من الأرض نحو قامة، وهو مصراعٌ واحد، وأرض البيت مرتفعة عن الأرض مع الباب، والباب بحذاء قبة زمزم والمقام على خطِّ محاذ للباب أيضاً، [وبين يدي] (1) الكعبة ممّا يلي المغرب حائط مبني مدور وهو (2) من البيت، إلاّ إنّّه لم يدخل فيه، وهو الحجر، والطواف يحيط به وبالبيت. وينتهي إلى هذا الحجر من البيت ركنان [أحدهما] (3) يُعرف بالركن العراقي، والآخر بالركن الشامي، والركنان الآخران أحدهما عند الباب والحجر الأسود كان فيه على أقلّ من قامة، والركن الآخر يعرف باليماني.

وسقاية الحاجّ التي تعرف بسقاية العباس بن عبد المطلب على ظهر زمزم، وزمزم فيما بينها وبين البيت، ودار الندوة بين المسجد وهي المسجد الحرام في غربيّه، وهي خلف دار الإمارة مشرعة إلى المسجد، وهو مسجدٌ قد جُمع إلى المسجد الحرام، وكان في الجاهليّة مجتمعاً لقريش.

والصفا مكان (4) مرتفع من جبل أبي قبيس، وبينها وبين المسجد الحرام عرض الوادي، وهو طريق وسوق، ومن وقف على الصفا كان بحذاء الحجر الأسود، والسعي ما بين الصفا والمروة، والمروة حجر من جبل حدّ قعيقعان (5)،

(1) فراغ في ب.

(2) مكانها فراغ في ب.

(3) فراغ في ب.

(4) في ب: فكان.

(5) في ن: قعيقعان.

ومَن وقف عليها كان بحداء الركن العراقي، إلا أن الأبنية قد سترت (1) ذلك
الموضع من (2) الركن عن الرؤية.

وأبو فُبَيْس هو الجبل المشرف على الكعبة من شرقية، وَقَعَيْعَان هو الجبل
الذي عن غربي الكعبة، وأبو فُبَيْس أعلى وأكبر منه، ويقال: إن حجارة البيت من
قُعَيْعَان.

ومنى (3) على طريق عرفات من مكة، وبينها وبين مكة ثلاثة أميال، ومنى
شعبٌ طولُه نحو ميلين وعرضُه يسير، وبه أبنيةٌ كثيرة لأهل كلِّ بلدٍ من بلدان
الإسلام. ومسجد الخيف في أقل من الوسط ممّا يلي مكة، وجمرة العقبة في آخر منى
ممّا يلي مكة، وليست لجمرة العقبة التي تنسب إليها الجمرة [من] (4) منى،
والجمرة الأولى والوسطى هما جميعاً فوق مسجد الخيف إلى ما يلي مكة.
والمزدلفة مبيتٌ للحاجّ، ومجمعٌ للصلاة إذا صدروا من عرفة. وهو مكانٌ من بطن
محسّر والمازمين، فأما بطن محسّر فهو واد بين منى ومزدلفة، وليس من منى ولا من
المزدلفة، المازمان هو شعبٌ بين جبلين يفضي آخره إلى بطن عرنة (5)، وهو واد
بين المازمين وبين عرفة، وليس من عرفة. وعرفة ما بين وادي عرنة (6) إلى حائط
بني (7) عامر إلى ما أقبل على الصّخرات التي يكون بها موقف الإمام، وإلى طريق

(1) في م: سر.

(2) في ب: مكان.

(3) في ب أينما وردت: منا.

(4) إضافة يقتضيها السياق.

(5) في ب: عرفة.

(6) ساقطة من ب.

(7) في ن: أبي.

حصن(1)، وحائط بني عامر عند عرفة، وبقربه المسجد الذي يجمع فيه [الإمام بين] (2) الصلاتين: الظهر والعصر، وهو(3) حائط نخيل(4) وبه عين، ويُنسب إلى إلى عبد الله بن عامر بن كُريز، وليس عرفات من الحرم، وإنما حدّ الحرم إلى المازمين، وإذا جزتهما (5) إلى العلمين المضروبين فيما وراء العلمين فمن الحلّ، وكذلك التّنعيم الذي يعرف بمسجد عائشة ليس من الحرم، والحرم دونه. وحدّ الحرم نحو عشرة أميال في مسيرة يوم، وعلى الحرم كلّ منار مضروب(6) يتميّز به من غيره، فأما حدود الحرم من طريق المدينة ثلاثة أميال، ومن طريق جُدّة عشرة أميال، ومن طريق يمن ستة أميال، ومن طريق الطّائف أحد عشر ميلاً، ومن طريق العراق عشرة أميال.

فليس بمكّة ماءٌ جارٍ إلّا منى، بلغني بعد خروجي عنها أنّه أجري إليها من عينٍ قد كان عمل فيها بعض(7) الولاية، فاستمرت إلى أيّام [المقتدر أمير المؤمنين] (8). (8). ومياههم من السماء، والماء الذي كانوا يشربون منه أظنها بئر زمزم، ولا يمكن يمكن الإدمان على شربه، وليس بجميع مكّة فيما علمته شجرٌ مثمر(9) إلّا شجر البادية، فإذا جرت الحرم فهناك عيون وفيها عمارات كثيرة وأودية ذات خضرٍ

(١) في ب: حصر.

(٢) في ب: الأيام من.

(3) في م: وهي.

(٤) في ب: بجبل.

(٥) في م: احرم.

(٦) في ب: ومضروب.

(7) ساقطة من ب.

(٨) ساقط في ب. وفي هذا الموضوع ينظر: الفاسي، الزهور المقتطفة، ص 158 وما بعدها.

(٩) في م: مثمرة.

ومزارع، وتتحلّى بنخيلات يسيرة متفرقة. وأما الحرم فلم أرَ بها ولم أسمع أنّ بها شجراً، إلا نخيلات رأيتها بفخّ، ونخيلات يسيرة متفرقة.

وأما ثبير فهو جبلٌ مشرفٌ يُرى من منى والمزدلفة، وكانت الجاهليّة لا تدفع من المزدلفة إلا بعد طلوع الشمس إذا أشرقت على ثبير، وبالمزدلفة المشعر الحرام (1)، وهو مصلى الإمام يصلي فيه المغرب والعشاء والصبح، والحديبية بعضها في الحلّ وبعضها في الحرم، وهو مكانٌ صدّ فيه المشركون رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلّم - عن المسجد الحرام، وهو أبعد الحلّ إلى البيت، وليس هو في طول الحرم ولا في عرضه، إلا أنه في مثل زاوية الحرم، ولذلك صار بينها وبين مكّة أكثر من يوم.

وأما المدينة فهي أقلّ من نصف مكّة، وهي في حرّة سبخة الأرض، ولها نخيلٌ كثيرة، ومياه نخيلهم وزروعهم من الآبار يسقون منها العبيد، وعليها سور، والمسجد في نحو وسطها، وقبر النبيّ - صلى الله عليه وآله وسلّم - من المسجد في شرقيّه قريباً من القبلة، وهو الجدار (2) الشرقي من المسجد، وهو بيتٌ مرتفع ليس ليس بينه وبين سقف المسجد إلا (3) فُرجة، وهو مسدودٌ لا باب له، والقبر فيه قبر رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلّم - وأبي بكر وعمر، والمنبر الذي كان يخطب عليه رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلّم - قد غشي بمنبر آخر، والرّوضة أمام المنبر بينه وبين القبر، ومصلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلّم - كان يصلي فيه الأعياد في غربي المدينة داخل الباب.

(1) في ب: والمزدلفة والمشعر الحرام.

(2) في ب: الحدان.

(3) ساقطة من ن.

وبقيع العَرَقْد خارج باب البقيع في شرقي المدينة، وقُباء خارج المدينة على نحو ميلين إلى ما يلي القبلة، وهو مجمعُ بيوت الأنصار يشبه القرية. وأحد جبلٍ في شمالي المدينة، وهو أقرب الجبال إليها على مقدار فرسخين، وبقرها مزارع فيها ضياعٌ لأهل المدينة، ووادي العقيق فيما بينها وبين الفرع، والفرع من المدينة على أربعة أيام في جنوبيها، وبها مسجدٌ جامع، غير أن أكثر هذه الضياع خراب، وكذلك حوالي المدينة ضياع كثيرة وأكثرها خراب. والعقيق وادٍ من المدينة في قبليها على أربعة أميال في طريق مكة، وأعدب مياه تلك الناحية آبار العقيق.

وأما اليمامة فإنّ مدينتها دون مدينة الرسول، وهي أكثر تمرّاً ونخلاً من المدينة ومن سائر الحجاز.

وأما البحرين فإنّها في ناحية نجد، ومدينتها هَجْر، وهي أكثر تموراً، إلا أنّها ليست من الحجاز، وهي على شطّ بحر فارس، وهي ديار القرامطة، ولها قرى كثيرة وقبائل من مُضَرّ ذوو عددٍ قد احتفّوها.

وليس بالحجاز مدينة بعد مكة، والمدينة أكبر من اليمامة، ويليهما في الكبر وادي القرى، وهي ذات نخيلٍ كثيرة وعيون. والجار فُرْضة المدينة، وهي على ثلاث مراحل من المدينة على شطّ البحر، وهي أصغر من جُدّة.

وجُدّة فُرْضة أهل مكة على مرحلتين منها على شطّ البحر، وهي عامرة⁽¹⁾ كثيرة التجارات والأموال، ليس بالحجاز بعد مكة أكثر مالاً وتجارة منها، وقوام

(1) في م، ن: عمارة.

تجاراتها بالفرس (1).

والطائف مدينة صغيرة نحو وادي القرى، إلا أن أكثر ثمارها الزبيب، وهي طيبة الهواء، وأكثر فواكه مكة منها، وهي على ظهر جبل غزوان، وبغزوان ديار بني سعد وسائر قبائل هذيل. وليس بالحجاز - فيما علمته - مكان هو أبرد من رأس هذا الجبل، ولذلك اعتدل هواء الطائف، وبلغني أنه ربما جمد الماء في ذروة هذا الجبل، وليس بالحجاز مكان يجمد فيه الماء سوى هذا الموضع فيما علمته.

والحجر قرية صغيرة قليلة السكّان، وهي من وادي القرى على يوم بين جبال، وبها كانت ديار ثمود الذين قال الله فيهم: **وَتُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ** (2)، ورأيت تلك الجبال ونحتهم الذي قال الله: **﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾** (3)، ورأيتها بيوتاً مثل بيوتنا في أضعاف جبال، وتسمى تلك الجبال: الأثالب، وهي جبال في العيان متصلة، حتى إذا توسّطتها رأيت كل قطعة منها قائمة بنفسها، يطوف بكل قطعة منها الطائف، وحواليها رمل لا يكاد يرتقي إلى ذروة كل قطعة منها أحد إلا بمشقة شديدة. وبها بئر ثمود التي قال الله في الناقة: **﴿نَاقَةٌ لَهَا شُرْبٌ وَلَكُمْ شُرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾** (4).

وتبوك بين الحجر وبين أول الشام على أربع مراحل نحو نصف طريق الشام. وهو حصن به عين ونخيل وحائط يُنسب إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ويقال: إن أصحاب الأيكة الذين بُعث إليهم شعيب كانوا بها، ولم يكن شعيب

(1) في ن: تجارتها بالفرس.

(2) سورة الحجر، الآية 9.

(3) سورة الشعراء، الآية 149.

(4) سورة الشعراء، من الآية 155.

منهم وإثما كان من مَدَيْنَ. ومَدَيْنَ على بحر القلزم محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل، وهي أكبر من تبوك، وبها البئر التي استقى منها موسى عليه السلام لسائمة شعيب، ورأيت هذه البئر مغطاة قد بُني عليها بيت. وماء أهلها من عين تجري لهم. ومَدَيْنَ اسم القبيلة التي كان منها شعيب، وإنما سُميت القرية بهم، ألا ترى أن الله يقول: ﴿طَوَّأْتُ لِي مَدَيْنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ (1).

وأما الجحفة فإنها منزلٌ عامر، وبينها وبين البحر نحو من ميلين. وهي في الكبر ودوام العمارة نحو من فيد(2)، وليس بين المدينة ومكة منزلٌ يستقل بالعمارة والأهل جميع السنة إلا الجحفة، ولا بين المدينة والعراق مكانٌ يستقل بالعمارة والأهل جميع السنة مثل فيد. وفيه في ديار طيِّ، وجبال طيِّ منها على مسيرة يومين، وفيها نخيلٌ وزرعٌ قليل لطيّ، وبها ماء قليل، يسكنها باديةٌ من طيِّ يتقلون عنها في بعض السنة للمراعي.

وجبله حصن(3) في آخر وادي ستارة، ووادي ستارة بين بطن مرّ وعسفان عن يسار الذهاب إلى مكة، وطول هذا الوادي نحو من يومين، لا يكون الإنسان منه في مكانٍ من بطن هذا الوادي لا يرى فيه نخلاً، وعلى ظهر هذا الوادي وإدٍ مثل هذا يُعرف بساية وآخر يُعرف بالسائرة. وبجبله كانت وقعةٌ لبني تميم في بكر بن وائل. وفي جرف(4) منها(5) - قيل - هلك لقيط بن زرارة أخو حاجب.

(1) سورة العنكبوت، من الآية 36.

(2) من ب فقط.

(3) في ب: خضر، ن: طيء.

(4) في ب: حرب، ن: حرف.

(5) في ن: منه.

خبر حصن ذات نخيل كثيرة وزروع. وَيُنْعُ حصنٌ بها نخيل وماء وزروع، وبها وقوفٌ لعلي بن أبي طالب عليه السلام يتولّأها أولاده.

والعيصُ حصنٌ صغيرٌ بين يَنْعٍ والمَرّوة والعشيرة حصنٌ صغيرٌ بين يَنْعٍ والمَرّوة تفضّلُ تمورُها على سائرِ تمورِ الحجاز إلا الصّيحاني بخير والبرّني (1) والعجوة بالمدينة.

وبقرب يَنْعٍ جبل رَضوى، وهو جبلٌ منيف ذو شعاب وأودية ورأيته من يَنْعٍ أخضر. وأخبرني مَنْ طاف في شعابه أنّ به مياهاً كثيرة وأشجاراً، وهو الجبل الذي زعم طائفةٌ يُعرفون بالكيسانية أنّ محمّد بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - حيّ مقيم به (2).

ومن رَضوى يُحمل حجر المسنّ (3) إلى سائر الآفاق، وبقره فيما بينه وبين ديار جُهينة وبلي وساحل البحر ديارٌ للحسينيين حُزرت بيوت (4) الشعر التي يسكنونها نحو من سبع مائة بيت. وهم باديةٌ مثل الأعراب ينتقلون في المرعى والمياه انتقال الأعراب، لا تميّز بينهم في خلق ولا خلق، وتتصل ديارهم فيما يلي المشرق بوّدان. ووّدان (5) هذه من الجُحفة على مرحلةٍ وبينها وبين الأبواء التي على طريق

(1) في الأصل: البردي، والبرّني من أجود أنواع التمور عند العرب.

(2) هو المعروف بابن الحنفية، ويعبر عن هذا الرأي الشاعر كُثير عزة بقوله:

وسبّط لا يذوق الموت حتى يقود الخيلَ يقدمها اللّواءُ
تغيّب لا يُرى عنهم زماناً برضوى عنده غسلٌ وماءُ

ديوانه، ص 37؛ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج 2، ص 160.

(٢) في ب: المسان.

(4) ساقطة من ب.

(5) ساقط من ب.

طريق الحاج في غربها ستة أميال، وبها كان في أيام مقامي بها رئيس (1) الجعفرين أعني أولاد (2) جعفر بن أبي طالب (3)، ولهم بالفرع والسائرة ضياع كثيرة وعشيرة وأتباع. وبينهم وبين الحسينيين حروبٌ ودماء حتى استولت (4) طائفة من اليمن يُعرفون ببني حَرْبٍ على ضياعهم، فصاروا حزباً لهم، فضعفوا.

وتيماء حصنٌ أعمر من تبوك، وهي في شمالي تبوك وبها نخيل، وهي ممتار (5) ممتار (5) البادية، وبينها وبين أول الشام ثلاثة أيام. ولا أعلم فيما بين العراق والشام والشام واليمن مكاناً إلا وهو في ديار طائفةٍ من العرب ينتجعونه في مراعيهم ومياههم، إلا أن يكون بين اليمامة والبحرين وبين عُمان من وراء عبد القيس بريّة خالية من الآبار والسكان والمراعي قفرة لا تُسلك ولا تُسكن.

وأما ما بين القادسيّة إلى الشقوق في الطول والعرض من قرب السماوة إلى حدّ بادية البصرة فسكانها (6) قبائل من بني أسد، فاذا جرت الشقوق فأنت في ديار طيّ إلى أن تجاوز معدن النقرة في الطول وفي العرض، من وراء جبلي طيّ محاذياً لوادي القرى، إلى أن تتصل بحدود نجد من اليمامة والبحرين. ثم إذا جرت المعدن عن يسار المدينة فانت في سُليم، وإذا جزته عن يمين المدينة فأنت في جُهينة. وفيما بين المدينة ومكة بكر بن وائل في قبائل من مُصر.

(1) في ب: وبنس.

(2) من م فقط.

(3) في ب: جعفر بن امطالب.

(4) في ب: استولى.

(5) في ب: ممتاز.

(6) في ب: وسكانها.

(1) وأما نواحي مكة فإنَّ الغالب على نواحيها ممَّا يلي المشرق بنو هلال وبنو سعد في قبائل من هذيل ومُضَر. وفي غربيها مدلج (2) و(3) غيرها من قبائل مُضَر. وأما بادية البصرة فإنَّها أكثر (4) هذه النواحي أحياءً وقبائل، وأكثرها تميم (5) تميم (5) حتى يتصل (6) بالبحرين واليمامة، ثمَّ من ورائهم (7) عبد القيس. وأما بادية الجزيرة فإنَّ بها أحياء من ربيعة واليمن، وأكثرهم كلب اليمن، وفي قبيلةٍ منهم يُعرفون ببني العُليص (8) خرج صاحب الشام الذي قُتل (9) جيوش مصر (10) وأوقع (11) بأهل الشام حتى قصده (12) المكتفي إلى الرقة بنفسه وأخذه (13).

(١) قبلها في ب: وأما نواحي مكة فإنَّ زمن الحسين والجعفرين وقبائل من مضر.

(٢) في ب: مدح.

(٣) في ب: أو.

(٤) في ب: أكبر.

(٥) في ب: تميم. (وأكثرها تميم) ساقطة من ن.

(٦) في م، ن: يتصلوا.

(٧) في ب: وراء.

(٨) في النسخ: الغليظ.

(٩) في ب: قبل، م: قتل.

(10) في ب: مضر.

(11) في ب: ووقع.

(12) في ب، م: قصد.

(13) قال الطبري في أحداث سنة 289هـ: وفيها ظهر بالشام رجل جمع جموعاً كثيرة من الأعراب وغيرهم، فأتى بهم دمشق، وبها طغج بن جف من قبل هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون على المعونة (الشرطة)، فكانت بين طغج وبينه وقعات كثيرة قُتل فيها خلقٌ كثير.

وكانت جماعةً من كلب تخفر الطريق على البرِّ بالسَّماوة فيما بين الكوفة ودمشق على طريق تدمر وغيرها، وتحمل رسالة السلطان وأمتعة التجار على إبلها، فأرسل زكرويه - زعيم القرامطة - أولاده إليهم، فبايعوهم وخالطوهم، ثم دَبُّوا فيهم بالدعاء إلى رأي القرامطة، فلم يقبل ذلك أحدٌ من الكلبيين إلا الفخذ المعروفة ببني العليص، ابن ضمضم بن عدي بن جناب، ومواليهم خاصَّة. انظر

وبادية السّماوة ودومة الجندل(1) إلى عين التّمّر(2) وبرّيّة خُساف(3) من بادية الجزيرة، وبرّيّة خُساف فيما بين الرّقة وبالس عن يسار الذهاب إلى الشام. وصفين أرض من هذه البادية بقرب الفرات ما بين الرّقة وبالس، وهو الموضع الذي كان به حرب عليّ ومعاوية، والحرب تُنسب إليه. ورأيت هذا الموضع من بُعد. وأخبرني مَنْ رأى به قبر عمّار بن ياسر، هو بيت المال الذي كان يُجمع فيه الفياء لعلّي بن أبي طالب عليه السلام(4).

وأما بادية الشام فإنّها ديارٌ لفزارة ولخّم وجذام وبليّ وقبائل مختلطة من اليمن وربيعة ومُضَر وأكثرها يمن. والرمل المذكور بالحجاز هو الرمل الذي عرضه من الشقوق إلى الأجر وطوله من وراء جبليّ طيّئ إلى أن يتصل مشرقاً بالبحر، وهو رملٌ أصفر لئِن المسّ ويكاد بعضه يحكي الغبار. وأما تهامة فإنّها قطعة من اليمن، وهي جبالٌ مشتبكة أولها مشرفٌ على بحر القلزم ممّا يلي غربيّها وشرقيّها بناحية صعدة وجرش ونجران، وشماليّها حدود مكّة، وجنوبيّها من صنعاء على نحو عشر مراحل، وقد صورت(5) جبال تهامة في صورة ديار العرب وبلاد خيوان تشتمل على قرى و[مزارع و](6) مياه معمورة بأهلها وهي مفترشة، وبها أصناف من قبائل اليمن.

تفصيلات ذلك في تاريخ الطبري، ج 10، ص 95.

(١) في ب: الحملد.

(٢) في ن، م: اليمن.

(٣) في ب، ن: خساف.

(٤) في ب: عليه وسلم.

(٥) ساقط من ب.

(٦) ساقط من ب.

ونَجْران وجرش ومدينتان متقاربتان في الكبر بهما نخيل، وتشتملان على أحياء من اليمن كثيرة. وصعدة أكبر وأمر منهما وبها يتخذ ما كان بصنعاء من الأدم، ويتخذ بنجران وجرش والطائف أدم كثير غير أن أكثر ذلك يرتفع من صعدة، وبها مجمع التجار (1) والأموال. والحسني المعروف بالرسي (2) بها مقيم وليس بجميع اليمن مدينة أكبر ولا أكثر مرافقاً وأكثر أهلاً من صنعاء. وبلغني أنها من اعتدال الهواء بحيث لا يتحوّل الإنسان عن مكان واحد شتاء ولا صيفاً عمره، وتتقارب (3) بها ساعات الشتاء والصيف، وبها كانت ديار ملوك اليمن فيما تقدّم، وبها بناء عظيم قد خرب فهو تل كبير يُعرف بغمدان كان قصر ملوك اليمن، وليس باليمن بناء أرفع منه.

والمذيخرة جبل للجعفري (4)، بلغني أن أعلاه نحو عشرين فرسخاً، فيها مزارع ومياه ونباتها الورس. وهو منيع لا يسلك إلا من طريق واحد، حتى تغلب عليه القرمطي الذي كان خرج باليمن، يُعرف بمحمد بن الفضل (5). وشبام جبل منيع جداً فيه قرى ومزارع وسكان كثيرة، وهو مشهور من جبال اليمن.

(1) في ب: البحار.

(2) ن. العرسني. وهو عبد الله بن الحسين، ولد في جبل الرّس في المدينة المنورة، فنسب إليه. عنه وعن خلفائه ودولتهم، انظر: ابن خلدون، كتاب العبر، ج 4، ص 142.

(3) في ب، م: وتقارب.

(4) جعفر بن إبراهيم بن محمد ذو المثلة من بني مناخ الحميريين، وهو الذي اختط مدينة المذيخرة. قتل سنة 292هـ/904م على يد علي بن الفضل في واقعة وادي نخلة. انظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص 199؛ جازم، ارتفاع الدولة المؤيدية، ص 243.

(5) الخنفري الجيشاني الحميري، وهو الذي أسقط دولة بني مناخ، وأعطى ولاءه للفاطميين. ثم أعلن تمرده عليهم واستقل باليمن. مات سنة 303هـ/915م على يد طبيب فصدّه بمشرط مسموم، دسّه عليه أحد خصومه السياسيين، لعله أسعد بن أبي يعفر الحوالي صاحب صنعاء. انظر: الحمزي، كنز الأخيار، ص 61؛ العاصمي، سمط النجوم العوالي، ج 3، ص 542، ج 4، ص 190.

ويرتفع من اليمن العقيق والجزع(1)، وهما حجران إذا حُكَّا خرج منهما الجزع والعقيق، لأن وجه الحجر كالغشاء. وبلغني أنهما يكونان في صحارى فيها حصى فيلتقط من بين الحجارة.

وعَدَن مدينة صغيرة، وإنما شهرتها لأنها فرضة على البحر، ينزلها السائرون في البحر، وبها معادن اللؤلؤ. وباليمن مدن كثيرة هي أكبر منها وليست بمشهوره. وبلاد الإباضية بقرب خيوان، وهي أعمار بلاد تلك النواحي مخاليف ومزارع وأغزرها مياهها.

وحضرموت في شرقي عَدَن بقرب البحر، وبها رمال كثيرة تعرف بالأحفاف، وحضرموت في نفسها مدينة صغيرة ولها أعمال عريضة، وبها قبر هود النبي عليه السلام، وبقربها برهُوت(2) بئر عميقة لا يكاد يستطيع أحد أن ينزل إلى قعرها. وأما بلاد مَهْرَة فإن قصبته تسمى الشَّحْر، وهي بلاد قفرة ألسنتهم مستعجمة جداً، لا يكاد يوقف عليها، وليس ببلادهم نخيل ولا زرع، وإنما أموالهم الإبل، وبها نجب(3) من الإبل تفضل في السير على سائر النجب(4)، واللُّبان الذي يحمل إلى الآفاق من هناك؛ وديارهم(5) مفترشة، وبلادهم بَوَادٍ نائية، ويقال إنها من عُمان.

(1) الجزع من أنواع العقيق (onyx) تتقاطع فيه ألوان كثيرة وخاصة الأصفر والأحمر والأسود.
(2) في ب: بلهوت. والصواب ما ضبطته. تدور حولها إلى الآن كثير من الأساطير والأسرار التاريخية. انظر القزويني، آثار البلاد، ص 38.

(٤) ن: نوع، م: بخت.

(٤) ن: الأنواع، م: البخت.

(٤) ن: بلادهم.

وعُمان مستقلة بأهلها، وهي كثيرة النخيل والفواكه الجرومية⁽¹⁾ من الموز والرمان والنبق ونحو ذلك، وقصبتها صُحار وهي على البحر، وبها متاجر البحر وقصد⁽²⁾ المراكب، وهي أعمر مدينة بعمان وأكثرها مالا، ولا تكاد تعرف على شاطئ بحر فارس بجميع بلاد الإسلام مدينة أكثر عمارة ومالاً من صُحار، وبها مدن كثيرة، وبلغني أن حدود أعمالها نحو من ثلثمائة فرسخ. وكان الغالب عليها الشُّراة⁽³⁾، إلى أن وقع بينهم وبين طائفة من بني سامة ابن لؤي - وهم من كبراء تلك النواحي - حروب، فخرج منهم رجل يعرف بمحمد بن القاسم السامي إلى المعتضد فاستنجده، فبعث معه بابن ثور⁽⁴⁾ ففتح عُمان للمعتضد، وأقام بها الخطبة له، وانحاز الشُّراة إلى ناحية لهم تعرف بنزوة، وإلى يومنا هذا إمامهم وبقية مالهم وجماعتهم. وعُمان بلاد حارة جداً، وبلغني أن بمكان منها بعيد عن البحر ربما وقع ثلج دقيق، ولم أر أحداً شاهد ذلك إلا بالابلاغ⁽⁵⁾.

وبأرض سبأ من اليمن طوائف⁽⁶⁾ من حمير وكذلك بأرض حضرموت.

(1) في ن: الأجرومية، ولا يصح، والصواب ما ضبطته. الجروم هي البلاد الحارة، ويعكسها الصرود الباردة.

(2) ن: تقصدها.

(3) يقصد الإباضية الذين يُصنّفون على أنهم إحدى طوائف الخوارج الذين كانوا يصفون أنفسهم بالشراة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَهَمُ الْجَنَّةِ ۖ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۖ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۖ فَاسْتَبِيرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۖ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ سورة التوبة، الآية 11.

(4) في بعض المصادر: نور، وهو والي الخليفة المعتضد على عُمان، ويسميه العُمانيون محمد بن بور لأنه دمر بعض المنشآت المائية في محاولة لنزع فتيل الثورات والفتن. انظر: تاريخ الطبري، ج 5، ص 607؛ ابن الأثير، الكامل، ج 6، ص 477.

(5) م: بالبلاغ.

(6) ن: طريق.

وأما ديار هَمْدان وأشعر وكندة وخولان فإنها مفترشة في أعراض اليمن، وفي أضعافها مخاليف وزروع، وبها بَوادٍ (1) وقرى تشتمل (2) على بعض تهامة وبعض نجد اليمن من شرقي تهامة، وهي قليلة الجبال مستوية البقاع؛ ونجد اليمن غير نجد الحجاز، غير أن جنوبي نجد الحجاز يتصل بشمالي نجد اليمن، وبين البحرين وبين عُمان برية ممتنعة.

وباليمن قرود كثيرة جداً (3)، بلغني أنها تكثر حتى لا تطاق إلا بجمع عظيم، وإذا اجتمعت كان لها كبير تتبعه مثل اليعسوب للنحل. وبها دابة تُسمى العُدار (4)، بلغني أنها تطلب الإنسان فتقع عليه، فإن أصابت منه ذلك تدود (5) جوف الإنسان فانشق. ويحكى عن الغيلان بها من الأعجوبة ما لا أستجيز حكايته.

وأما المسافات بديار العرب فإن الذي يحيط بها: من عبّادان إلى البحرين نحو من 15 مرحلة، ومن البحرين إلى عُمان نحو من شهر، ومن عُمان إلى أرض مَهْرَة نحو من شهر، وإلى حضرموت من مَهْرَة نحو من شهر، ومن أقصى حضرموت إلى عَدَن نحو من شهر، ومن عَدَن إلى جُدَّة نحو من شهر. ومن جُدَّة إلى ساحل الجحفة نحو من 5 مراحل، ومن ساحل الجحفة إلى الجار نحو من 3 مراحل، ومن الجار إلى أَيْلَة نحو من 20 مرحلة، ومن أَيْلَة إلى بالس إلى من 20 مرحلة، ومن

(١) ن: أودية.

(٢) ن، م: مشتملة.

(٣) من م فقط.

(4) ن: المعدان. والعُدار في أساطير اليونان: حية عظيمة قتلها هرقل، زعموا أن كان لها تسعة رؤوس كلما كلما قطع رأس منها نبت آخر. وفي أساطير العرب: دابة في اليمن لها شيء أعظم من رؤوس عُدار اليونان. معلوف، معجم الحيوان، ص 129.

(٥) م، ن: دخلت.

بالس ومن بالس لي الكوفة نحو من 20 مرحلة، ومن الكوفة إلى البصرة نحو من 12 مرحلة، ومن البصرة إلى عبّادان نحو من مرحلتين، فهذا هو الدور الذي يحيط بها.

أما طرقها، فإن من الكوفة إلى المدينة نحو من 20 مرحلة، ومن المدينة إلى مكة نحو من 10 مراحل؛ وطريق الجادة من الكوفة إلى مكة أقصر من هذا الطريق بنحو من 3 مراحل، وإذا انتهى إلى معدن النقرة عدل عن المدينة، حتى يخرج إلى معدن بني سُليم إلى ذات عرق حتى ينتهي إلى مكة. وأما طريق البصرة فهو إلى المدينة نحو من 18 مرحلة، ويلتقي مع طريق الكوفة بقرب معدن النقرة، وأما طريق البحرين إلى المدينة فنحو من 15 مرحلة، وأما طريق الرقة إلى المدينة فنحو من نحو 20 مرحلة، وكذلك من دمشق إلى المدينة نحو من 20 مرحلة، ومن مصر إلى المدينة على الساحل نحو من 20 مرحلة.

ولم نفرّد لمصر والمغرب طريقاً لأنه يلتقي بأئلة مع طريق أهل فلسطين، فيصير الطريقان سواء، وهو أول حد البادية، وإنما يتفرق قبل دخول البادية، ولأهل مصر وفلسطين إذا جاوزوا مديّن طريقان:

- أحدهما إلى المدينة على بدا وشغب - قرية بالبادية كان بنو مروان أقطعوها الزُّهري(1) المحدثّ وبها قبره - حتى ينتهي إلى المدينة على المروة.
- وطريق يمضي على ساحل البحر حتى يخرج بالجحفة، فيجتمع بها طريق أهل العراق ودمشق وفلسطين ومصر.

(1) أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله القرشي المعروف بابن شهاب الزُّهري. فقيه محدث من التابعين. توفي سنة 124هـ/741م. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 5، ص 98، ص 326.

وأما طريق البصرة والرقعة، فهما لا يُسلكان وقد تعطلتا، وسائر الطرق مسلوكة. ومن عدن إلى مكة نحو من شهر، ولها طريقان: إحداهما على ساحل البحر وهو أبعد، والآخر يأخذ على صنعاء وصعدة وجرش ونجران والطائف حتى ينتهي إلى مكة، ولهم طريق على البوادي وتهامة هو أقرب من هذين الطريقين، إلا أنه على أحياء اليمن ومخاليفها، تسلكه الحواس منهم. وأما أهل حضرموت ومهرة فإنهم يقطعون عرض بلادهم حتى يتصلوا بالجادة التي بين عدن وبين مكة، والمسافة منهم إلى الاتصال بهذه الجادة ما بين عشرين مرحلة إلى خمسين مرحلة. وأما طريق عُمان فهو طريق يصعب سلوكه في البرية، لكثرة القفار بها وقلة السكان، وإنما طريقهم في البحر إلى جدة، فإن سلكوا على السواحل من مهرة وحضرموت إلى عدن، أو إلى طريق عدن بعد عليهم، وقل ما يسلكونه، وكذلك ما بين عُمان والبحرين فطريق شاق، يصعب سلوكه لتمام العرب فيما بينهم بها، وأما ما بين البحرين وعبادان فغير مسلوكة وهو قفر، والطريق فيها على البحر، ومن البصرة إلى البحرين نحو من 18 مرحلة في قبائل العرب ومياهم مسلوكة عامر، غير أنه مخوف. فهذه جوامع المسافات التي يحتاج إلى علمها. فأما ما بين ديار العرب لقبائلها من المسافات فقلما تقع الحاجة لغير أهل البادية إلى معرفتها.

خاتمة ونتائج

إن كتاب (صور الأقاليم) من المدونات الأولى في الجغرافيا التاريخية العربية. وكان له أثر كبير فيمن جاء بعده من البلدانيين والجغرافيين والمؤرخين والمشتغلين بعلم الخرائط. وقد وصل هذا البحث إلى عدة نتائج:

- 1- كتاب (صور الأقاليم) لأبي زيد البلخي، وليس كما ظن بعض المؤرخين، وقد أثبت البحث هذه الحقيقة، من خلال المقارنة والدلائل التاريخية، وكذلك من خلال النص المحقق.
- 2- ان كتاب البلخي هو ما أخرجه الاصطخري بتغييرات طفيفة، وهو ذاته ما أخرجه ابن حوقل بتصويبات وإضافات من عنده.
- 3- تفرد البلخي عن الذين سبقوه من الجغرافيين، إذ كان أول جغرافي قسم الأرض إلى عشرين إقليمًا، وقد تجلّى ذلك من خلال وضعه إحدى وعشرين خريطة أرفقها في كتابه معززاً بها التفصيل الذي ساقه في الكتاب
- 4- كان مهتمًا بما كان يسمى المنازل والمراحل أو المسالك والممالك، وقدم توضيحات عن تلك المجالات المكانية وخاصة الطرق والمسافات
- 5- ركز على العلاقات المكانية من خلال ذكر حدود الإقليم الخارجية أو الإطار المكاني للإقليم.
- 6- ربط البلخي بين الوصف والخريطة، وجعل بينهما صلة وثيقة، فبعد أن ينتهي من شرح كل إقليم، يلحقه بخريطة توضح أبعاده وأماكنه ومظاهره الجغرافية، وتدعم أقواله وآراءه.
- 7- كان كتاب (صور الأقاليم) مصدرًا أساسيًا لكثير من كُتّاب الجغرافيا التاريخية عند العرب المسلمين.
- 8- لمخطوط (صور الأقاليم) أهمية كبيرة بسبب ما حواه من مادة ومعلومات ضافية عن الأرض والإنسان.

- 9- وضع البلخي كتاب (صور الأقاليم) في وصف المعمور من العالم القديم المعروف آنذاك وتقسيماته الجغرافية والإدارية.
- 10- مفهوم الإقليم عند البلخي يعني المنطقة الجغرافية ذات المظاهر الطبيعية الخاصة التي تكسيها شخصية مستقلة، مع الاهتمام بالنظام السياسي القائم في كل إقليم تحدث عنه وتبعيته إلى أي كيان سياسي، وطبيعة التشكيل الإداري، مما يدخل كتابه في إطار المصادر الجغرافيا السياسية.
- 11- أعطى البلخي أهمية خاصة للأنظمة الاقتصادية في الأقاليم التي ذكرها وما يتصل بها من ظواهر الطبيعة والمناخ والغطاء النباتي والثروة الحيوانية والمنتجات الزراعية، والسلع التجارية والمصنوعات المحلية وغير ذلك من مصادر الرزق
- 12- وانطلاقاً من هذا المبدأ، وهو (عمارة الأرض) ذي الأصول الدينية، يركز البلخي على ذكر خطط المدن والتشكيلات السكانية فيها، وهي تشكيلات قبلية في غالبيتها، تعكس النظام الاجتماعي الذي كان سائداً.
- 13- في مجال العمران نجد أن ذكر المدن هو الذي يستغرق جزءاً كبيراً من كتاب البلخي، فيتناول المدينة وموقعها ومبانيها وجبالها وما بها من مرافق.
- 14- اهتم البلخي بتدوين الحياة الفكرية والدينية للأقاليم التي ضمنها كتابه وطبيعة الأديان والأفكار والمعتقدات السائدة، فأوضح مذاهب الناس وفرقهم
- 15- ان أهمية كتاب صور الاقاليم تتجلى بوضوح حينما يتصدى المؤلف

للكتاب عن الجغرافيا التاريخية للعالم الاسلامي ، فتحدث عن جغرافية الماضي بجوانبه الطبيعية والبشرية ، بمعنى انه لم يقتصر في دراسته على الظروف الطبيعية للماضي ، وإنما اهتم بدراسة النشاط البشري، وهو مما يقع ضمن أهم مكونات الكتابة التاريخية.

16- كتاب (صور الأقاليم) وثيقة تاريخية مهمة، حيث كان من اوائل النصوص الجغرافية التاريخية، وقد حفظ لنا معارف كثيرة من العصر الذي دُون فيه وهو من أهم عصور تاريخ الحضارة الإسلامية، كما تعبر هذه المدونة عن ثقافة المؤلف الكبيرة وريادته في هذا العلم، وقد ظهرت بعض هذه الأهمية من خلال النص المحقق. وخاصة تحديده لحدود الجزيرة العربية.

17- البلخي شاهد عيان على ما يكتب في كثير من المواضع، وإن لم يكن شاهداً، فإنه يعتمد مصادر شفوية موثوقة لديه، مما أضفى بعداً مهماً على مادته .

18- أثبت أبو زيد البلخي من خلال كتاب (صور الأقاليم) أهمية الجغرافيا التاريخية، وأهمية دراستها وتحقيق مصادرها.

19- كتاب (صور الأقاليم) بحاجة إلى تحقيق علمي، ونشره كاملاً نشرة لائقة بمكانته وأهميته وإعادة الاعتبار له . ويعد هذا البحث أول إشارة علمية الى ريادته وأهميته للكتابة التاريخية .

بسم الله الرحمن الرحيم
 في إتمام هذا العمل
 من قبل المؤلفين
 في شهر ربيع الأول سنة ١٢٠٠
 في إتمام هذا العمل
 من قبل المؤلفين
 في شهر ربيع الأول سنة ١٢٠٠



المحرقة مبداء نعم ولي العبد والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين
 وبعد فاقدرت في كتابي هذا الاقاليم الارض على الممالك وقد عتدتها بلدا ولا سلام
 بتفصيل مدنها وتقسيم ما يفرق بالاعمال المجموعة اليها ولم اقتصد الاقاليم السبعة التي
 قسمت الارض بل جعلت كل نظمة افردها مفردة لعمدة تعلية ووضع ذلك الاقليم
 ثم ذكرت ما يحيط به من الاماكن وما في بعضها من المدن والبقاع المشهورة والنجار والبلاد
 وما يحتاج الى معرفة وجماع ما يشمل عليه ذلك الاقليم وما استقيمت في الذكر
 الاطالة التي تؤدي الى الملل في ذكره ولان الغرض من كتابي هذا تصوير هذه الاقاليم التي
 لم يذكرها احد علمته اما ذكر مدنها وجبالها وانهارها وبحارها والمضافات اليها وما
 ما انا ذاكرة فقد يوجد في الاضمار ولا يتعذر على من اراد تفصيحي حتى في ذلك من اهل كل
 بلد فذلك يجوزنا في ذكر المسافات والملا وسائر ما نذكره فانخذت جميع الارض التي
 عليها البحر المحيط الله لا تسلك صورة اذ انظر اليها ناظر على مكان كل اقليم من الارض حتى اذا
 رأى كل اقليم في ذلك مفصلا على مرتفع من هذه الصور فلهذا لم تسع هذه الصورة
 التي جمعت سائر الاقاليم لما يتقنه كل اقليم في صورته من مقدار الطول والعرض
 والاستدارة والتربع والتقليب على الجنوب والشمال فاذا اخذت من المشرق الى الخليج
 الذي باختر من البحر المحيط بارض الصين الى الخليج الذي باختر من هذا البحر المحيط بارض المغرب
 وباردين لا ندس في هذه سمت الارض ضمير دخلت هذه القسمة ياخذ في بحر الصبيحة
 يقطع بحر الهند ووسط هذه مملكة الاسلام حتى يمتد الى بار مصر الى المغرب
 فما كان في حد الشمال من هذين القسمين فاصلها بيض وكلماتها عدوا في الشمال
 ازدادوا بياضا وهي اقاليم باردة وما كان شمالا في الجنوب من هذين القسمين
 فاصلها سواد وكلماتها عدوا في الجنوب ازدادوا سوادا واعدت هذه الاقاليم
 في الخط المستقيم وما قاربه وسند ذكر في كل اقليم من الارض ما يعرف قربه من
 من الاقليم الذي جناه فيه فانما مملكة الاسلام فان شريفه ارض الهند
 وعزمها

المصادر والمراجع

المصادر:

1. ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري (ت630هـ/1232م). الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، 1997.
2. الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي (ت341هـ). المسالك والممالك، باعثناء دي خويه، بريل، ليدن، 1927 (صورة دار صادر).
3. البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل (ت322هـ)، صور الاقاليم، مخطوط في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم (3)، وكذلك في جامعة بغداد برقم (44806)، وكذلك في مكتبة الحكيم العامة بالنجف برقم (632).
4. ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (ت852هـ). لسان الميزان، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2002.
5. الحمزي، عماد الدين إدريس بن علي بن عبد الله (ت714هـ). تاريخ اليمن عن كتاب كنز الأخبار في معرفة السير والأخبار، تحقيق عبد المحسن المدعج، الطبعة الأولى، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، 1992.
6. ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي النصيبي الموصلبي البغدادي (ت367هـ). صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979.
7. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت808هـ). كتاب العبر

- وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مختلف المحقق، دار القيروان، تونس، مختلف سني الطبع.
8. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت 748هـ/1347م). سير أعلام النبلاء، مختلف المحقق بإشراف شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985.
9. الزبيدي، مرتضى محمد بن محمد الحسيني (1205هـ). إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1994.
10. سبط ابن العجمي، أحمد بن إبراهيم بن خليل (ت 884هـ). كنوز الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، حلب، 1417هـ.
11. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت 310هـ). تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).
12. العاصمي، عبد الملك بن حسين بن عبد المكي (ت 1111هـ). سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخر، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998.
13. ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي (ت 660هـ). بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، (د.م)، (د.ت).
14. الفاسي، محمد بن أحمد (832هـ)، الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق مصطفى الذهبي، مكتبة نزار الباز، الرياض، 1418هـ.

15. الفهري، محمد بن عمر بن محمد بن رشيد السبتي (ت721هـ). ملء العيبة بما جُمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيبة إلى الحرمين مكة وطيبة، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
16. ابن قتيبة، عبيد الله بن مسلم الدِّينَوْرِي (ت276هـ). عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ.
17. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ). آثار البلاد وأخبار العباد، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، 1380هـ.
18. كُثَيِّرُ عَزَّة، كُثَيِّرُ بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي (ت107هـ). ديوان كُثَيِّرُ عَزَّة، شرح قدري مايو، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، 1995.
19. مجهول، (من القرن الرابع الهجري). حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ترجمه وحققه يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2002.
20. المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء البشاري (ت336هـ). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بريل، ليدن.
21. النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت380هـ). الفهرست، تحقيق إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، 1997.
22. الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف (ت334هـ). صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الأكوع، دار اليمامة، الرياض، 1974.
23. ياقوت، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت626هـ). معجم الأدباء، الطبعة الأولى، دارالكتب العلمية، بيروت، 1991.

24. _____ . معجم البلدان، دار صادر، الطبعة الثانية، بيروت، 1995.
25.

المراجع

26. البعلبكي، منير. المورد، دار العلم للملايين، بيروت، 1991.
27. بلفقيه، محمد. الجغرافيا القول عنها والقول فيها، الطبعة الأولى، دار نشر المعرفة، الرباط، 2002.
28. جازم، محمد عبد الرحيم، ارتفاع الدولة المؤيدية: جباية بلاد اليمن في عهد السلطان المؤيد داود بن يوسف، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الإجتماعية، صنعاء، المعهد الألماني، صنعاء، 2008.
29. حلاق، حسن. مقدمة في مناهج البحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات بين النظرية والتطبيق، دار النهضة العربية، بيروت، 1986.
30. خريسات، محمد عبد القادر. دور العرب المنتصرة في الفتوحات، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، عُمان، 1987.
31. خضر، عبد العليم. المسلمون وعلم الجغرافيا، الطبعة الثالثة، الدار العربية للنشر، (د.ت.).
32. الدوري، عبد العزيز. أوراق في التاريخ والحضارة (الأعمال الكاملة)، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، 2009.
33. دوس، فرانسوا. التاريخ المفتت من الحوليات إلى التاريخ الجديد، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربية.

بيروت، 2009.

34. كراتشكوفسكي، أغناطيوس يوليانوفتش. تاريخ الأدب الجغرافي العربي،
ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية،
(د.ت).
35. معلوف، أمين. معجم الحيوان، الطبعة الثالثة، دار الرائد، بيروت، 1985.

The Arab countries section

*From (Suwar al – Aqalim =Thecountries shapes)
manuscript*

of Abu Zaid Al Balkhi(died in 322 H /934 BC)

Studying and editing

Abstract

This research is concerned about the study of (Suwar al – Aqalim= the countries shapes) manuscript, which is considered unique and was been intertwined with two Arab and Muslim historical geography authors. The research explains the reasons behind the uncertainty, illusion and mixing of the book relevance. It has also presented a briefing about the author's approach and its importance in studying the historical geography in the Islamic culture. In addition, the research has proved through evidence that the book's author is Abu Zaid Al Balkhi and not al - Istakhri as it was previously believed.

The research is a ccompanioalwith an edited piece of manuscript to indicate its importance, authenticity and to be issued in aconsiderable scientific publication.

Key words: Suwar al – Aqalim manuscript, Abu Zaid Al Balkhi, Historical geography, Editing.

رابعاً:
علم المعلومات
ومصادر التعلم

Evaluating the effectiveness of a university web site design based hierarchical information architecture technique

Dr. Chokri Barhoumi
Taibah University

barhoumichokri@yahoo.fr

Abstract

Purpose – The objective of this study is to explore the effectiveness of hierarchical information architecture technique used for designing hyperlinks of academic university web site to meet informational needs of students.

Design/methodology/approach – In this study, the information architecture of the web site of an academic university: Taibah University was analyzed form students viewpoints. The web site is available at the URL address: <https://www.taibahu.edu.sa/Pages/EN/Sector/Sectors.aspx>.

Furthermore, in the present study, the descriptive quantitative approach, which included 213 surveyed students to explore the effectiveness of the university web site based hierarchical information architecture.

Findings – Students feedback was positive and revealed positive attitudes toward the university web site. Indeed, the item, “Perceived ease of using the web site based hierarchical information architecture techniques” ranks first in the rubric “attitudes of students toward the web site and its adoption”, with an arithmetic mean of 4.561 and a

standard deviation of 0.585. The item, “general satisfaction of students by the web site based hierarchical information architecture techniques” ranks first in the rubric “General criteria of satisfaction”, with an arithmetic mean of 4.580 and a standard deviation of 1.02.

Hierarchical information architecture used in designing web site pages is a greater innovation has a significant impact on students' trust and satisfaction and easiness of retrieving information.

Originality/value –This article examined how college and university web sites meet the informational needs of students to propose a satisfaction model.

Keywords: academic web sites, information retrieval, hierarchical information architecture, organizing information.

1. Introduction

In today's highly developed academic societies, universities have recognized the importance of having websites to be able to benefit from appropriate academic communications. Having an inviting website that is easy to navigate and provides necessary and useful information is vital to any university. In addition, students' satisfaction from a university web site shows to some extent university's web success.

New electronic service-based assistive information technologies are strategies academic institutions can adopt to better support learning and information research (Barhoumi, 2016b).

With the creation of new technologies to design web sites, today, we speak frequently about organizing to facilitate information retrieval when using a web site-based

hierarchical information architecture and visual representation of information and knowledge, which is an assistive technology that attaches great importance to user's information retrieval from web sites, a facet that allows for the easy find information in websites (Barhoumi, 2016a). The hierarchical information architecture used in designing systems is an innovation influencing user's satisfaction. Also users' trust increases as they perceive the system is usable (Barhoumi & Rossi, 2013).

The objective of this research is to explore the effectiveness of organizing for information retrieval when designing the academic universities web sites-based hierarchical information architecture using e-map for designing hyperlinks.

The present study aims also to investigate the importance of university's web site innovation and to propose a satisfaction model.

Accordingly, the degree of guiding students in the university web site, and their attitudes toward hierarchical information architecture based e-map used for designing hyperlinks of academic university web site are the components of the web site evaluation.

2. Overview of the literature

2.1 Definition of hypertext systems

In his review, Balasubramanian (1994) defines hypertexts as management systems of the information stored in a network of interconnected concepts. The concepts contain text, graphs, sound, video, programs and other types of data. The hypertext systems allow access to the information in a non-

sequential and extremely flexible manner by incorporating the flexible navigation of the information resources and its presentation, which is adapted to the user.

The hypertext concept is comprised of concepts and links, whereby the concepts are connected by links. The concept that is at the origin of a link is called the reference, and the concept at which the link arrives is called the anchor or the referent. The contents of a concept are displayed by activating the link. The link has two functions, namely, it is the bridge between two concepts, and it represents the semantic relation between the two concepts. However, certain authors, including Halasz (1987), consider that these characteristics are not sufficient to define a hypertext and that, instead, the components of desirable bases include:

- A graphic user interface (GUI) that allows navigation inside the informative space to meet informational need of users.
- An author system that allows one to create and manage concepts and links in the map.
- An information retrieval system (IRS) to research information.
- A hypermedia engine that manages information regarding the concepts and provides this during requests.
- A storage system of files or database.

2.2 The Foundation: Complex, Open, and Flexible Habits of Mind

The most important aspect of promoting flexible thinking is the adoption of more appropriate flexible habits of mind, such as worldviews, ideas, and similar types of knowledge

built by an individual. Individuals often adopt the position of a knowledge stance, which, described as a reductive worldview, is comprised of a number of reductive biases (Spiro *et al.*, 1987, 2006). In many cases, individuals prefer information and knowledge that is described as summarized and is dependent on organization to facilitate information retrieval. This represents a tendency to see the world as made up of events and phenomena that are orderly, predictable, decomposable into additive elements, non-contingent, and well structured. When these habits of mind are prevalent, the result is structures of information and knowledge that are more closed and, as a result, inflexible in operation.

The alternative, which is necessary in complex and less structured arenas of information and knowledge, counters the tendencies just described with approaches that foster the building of information and knowledge and is characterized by hierarchical information architecture, multiple representations, interconnectedness, and contingency. All types of openness built into cognitive flexibility hypertexts are intended to shift habits of mind from closed to open and build specific content knowledge that consists of various forms of openness (Spiro, Collins, & Ramchandran, 2006).

2.3 Hierarchical information architecture based e-maps

Hierarchical information architecture based e-mind mapping technique, which was introduced by English scholar Tony Buzan, is a method used to generate, visualize, structure, and classify ideas to support human memorization and facilitate information retrieval by users (Grabowik, Knosala, 2003).

As such, a mind map is used to visually represent or outline structured information architecture. It is a powerful graphic technique used to translate the contents of an individual's mind into a visual picture. Since mind mapping works as the brain does, it allows users to organize, understand and retrieve information faster and better through the visual representation of knowledge (Spiro, Collins, & Ramchandran, 2006). Hierarchical information architecture based e- map, as an expression of radiant thinking, helps unlock the potential of the brain, and accordingly, hierarchical information architecture design enables users to easily sort through various details and recognize relationships among these details.

There are essential characteristics of mind mapping that must be acknowledged and remembered when creating mind maps. First, mind-mapping users must identify and place the central topic at the center of the mind map, i.e., the principal subject presented to users. This serves as the central image or the focal point of the map. Second, the main themes of the central topic radiate from the central image, which is why mind mapping is known to be the expression of radiant thinking. Third, the second-level topics form the branches of the mind map. Forming a connected nodal structure, these branches indicate that the structure is profoundly interconnected by information organized in a flexible network. The simple mind-mapping design described by Spiro and his research group defines how mind mapping works.

Figure 1 demonstrates the interconnection between abstract concepts and sub-concepts in the mind mapping technique.

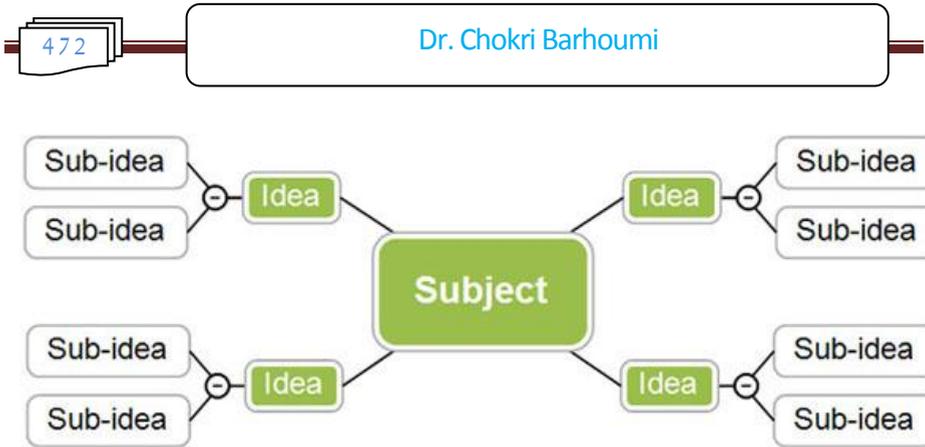


Figure 1. Example of a map showing hierarchical information architecture

Hierarchical information architecture has additional advantages. This simple, practical tool enhances creative thinking and enables users to become more productive and efficient.

- Creating hierarchical information architecture in designing web sites is an excellent way to sort through ideas as doing so allows users to quickly generate creative and unique ideas in less time and provides users freedom when brainstorming so the flow of ideas is not blocked or hampered, as it is in linear thinking.
- The use of different colors, images, and keywords in maps of the web site aids in enhancing the users' memory retrieval and retention processes. Many find it easier to retrieve and remember information this way rather than reading long sentences. The use of colors, images, and keywords also makes learning more interesting and fun, which may motivate users to remember important details.
- Abstract concepts are introduced in cases designed to show the application of theoretical information as information in use.

- Multiple information interconnectedness in hierarchical architecture demonstrates the structure of the profound interconnectedness of information structured within the network of information that uses the power of hypertext systems to facilitate information retrieval in the web site.
- Conceptual variability in the hierarchical information architecture is one of the first moves in a conceptual variability search. By clicking on a concept or theme, one finds a variety of real-world examples that illustrate the theme and facilitate the retrieval of information (Spiro, Collins, & Ramchandran, 2006).
- Multiple higher-order conceptual themes in hierarchical information architecture employ multiple ideas and provide users with multiple entry points to facilitate access to and retrieval of information in web sites (Spiro, Collins, & Ramchandran, 2006).

2.4 Related studies on Designing university web sites based hierarchical information architecture

A study of ([Rezaeean](#), [Bairamzadeh](#), [Bolhari](#), 2012) investigate the importance of university's web site innovation to propose a satisfaction model. The survey was conducted among 270 university students. Results of the empirical analysis revealed that greater innovation has a significant impact on users' trust and satisfaction. More than that, innovation is the most important factor influencing the satisfaction. Also students' trust increases as they perceive the system is usable. Finally, trust has a positive influence on satisfaction.

A study of ([Khan](#), Ahmed, [Mahmood](#), [Bin Naeem](#), 2013) aims to present an improved and better understanding of

important web site design components, satisfaction of users, and their interaction with academic library web site in an online environment. The findings of this study will help to design effective web sites and improved usability components. Survey has been used to identify important factors that appear to influence perceptions about web sites including web surfing activities, good graphics, number of links, amount of text and use of animations. The results specify that academic library web site users tend to prefer interactive web sites having the presence of basic elements and free from pop-up advertisements. Overall the study contributes to good library web site designing techniques, use of sophisticated features, standard components and implications for web site designers while developing academic library web sites.

According to Morville (2102), the purpose of information architecture (IA) is to help users understand where they are and to facilitate information retrieval with respect to what they have found, what is around them, and what to expect. As a result, the IA informs the content strategy by identifying word choice and informing the design of the user interface, which plays a role in the wire-framing.

Rosenfeld and Morville suggested that to be successful when using an effective IA, we need a diverse understanding of the theories and the industry standards for creating, storing, accessing, presenting and retrieving information. In their book, *Information Architecture for the World Wide Web*, Rosenfeld and Morville summarized the main components of IA.

- **Organizing schemes and structures:** How information resources using theory to guide information architecture are categorized and structured.
- **Labeling systems:** How information is represented.
- **Navigation systems:** How users browse or move through information.
- **Search systems:** How users look for information.

2.5 Research questions of the study

Two research questions guided the present study are:

- Can the university web site design based hierarchical information architecture improve the easiness and the usefulness of the web site and hence the positive attitudes toward it and its adoption?
- Are students generally satisfied with the university web site based hierarchical information architecture techniques ?

3. Research method

In this study, a quantitative descriptive research method was used to answer the research questions. The evaluation process of the web site-based hierarchical information architecture techniques was based on 8 criteria.

Attitudes of Students toward the web site based hierarchical information architecture techniques and its adoption

- Ease of using the web site
- Usefulness of the web site

General criteria of satisfaction by the web site based hierarchical information architecture techniques

- Degree of interactivity of the web site
- Degree of organizing web pages of the web site
- Guidance in navigating the web site
- Easiness of retrieving information
- Meeting the informational needs of students
- General satisfaction

3.1 Sample

The sample was composed of 213 students from our university who were surveyed to explore their attitudes toward using the web site of the university based hierarchical information architecture techniques to facilitate information retrieval.

Data sources

- The questionnaire was developed based on the content validity established by a group of university teachers. The questionnaire was used to evaluate the attitudes of students in the sample toward the use of the university web site based hierarchical information architecture techniques. The questionnaire was based on students' navigation experiences. Students' attitudes were evaluated using metrics that included Ease of using the web site, usefulness of the web site, degree of interactivity of the website, degree of organizing web pages of the web site, the easiness of information retrieval, guidance in navigating the website, easiness of information retrieval in the website, meeting the informational needs of students general satisfaction. The questionnaire is available at the URL address:

https://docs.google.com/forms/d/e/1FAIpQLSdFGJ94zhJWWzhTqSUBiDV2_YWe87UEvoN6oBTr4XiJmwAzqw/viewform

To develop the questionnaire, the researcher used a Likert scale (Likert, 1932) with five typical levels, namely, strongly agree, agree, neutral, strongly disagree and disagree, with scores of 5, 4, 3, 2, and 1, respectively.

The Statistical Package for Social Sciences (SPSS) was used to analyze the data, i.e., arithmetic means and standard deviations.

Table 1 presents the elements of the questionnaire distributed to the sample of students.

Table 1. Structure of questionnaire: Students' attitudes regarding university web site design based hierarchical information architecture techniques

Variable	Attitudes of Students toward the web site and its adoption	
s	1	Ease of using the web site
	2	Usefulness of the web site
	General criteria of satisfaction	
	1	Degree of interactivity of the web site
	2	Degree of organizing web pages of the web site
	3	Guidance in navigating the web site
	4	Easiness of retrieving information
	5	Meeting the informational needs of students
	6	General satisfaction
Items	I agree strongly, I agree, Neutral, I disagree, I disagree strongly	
N	213	

3.2 Justification of measures

The following criteria were used to evaluate the university web site design based hierarchical information architecture technique.

- The attitudes of students toward the use of university web site-based hierarchical information architecture technique were analyzed to answer the first research question. This finding is an imperative indicator of the adoption of the university web site based hierarchical information architecture by students.
- The general satisfaction of students by the university web site design was analyzed to answer the second research question. This general satisfaction was based on some criteria (degree of interactivity of the web site, degree of organizing web pages of the web site, guidance in navigating the web site, easiness of retrieving information, meeting the informational needs of students, frequency of access to the web site and general satisfaction).

In this research, the attitudes and the general satisfaction of the sampled students were gauged using a questionnaire that was distributed online at the URL address.

https://docs.google.com/forms/d/e/1FAIpQLSdFGJ94zhJWWzhTqSUBiDV2_YWe87UEvoN6oBTr4XiJmwAzqw/viewform

3.3 The model of hierarchical information architecture technique to structure and retrieve information in web site of the University

Figure 5 shows the basis of the model of hierarchical information architecture technique to structure and retrieve information in web site of the university.

- The first level of information architecture technique is the homepage of the university begins with an e-map similar to a grid and is used to present all sectors of the university (college, vices-presidencies, institutes, committee, deanships, centers, departments) linked by a hypertext node. In figure 5 we choose the concept (college) to detail its principal sub-concepts (departments) in e-map of second level.
- The map clearly shows the architecture of the e-mind map in the web page and allows for random access to the information.

In the e-map of the web page, the interconnections among concepts are similar to a network of complex knowledge. Indeed, the interconnections among concepts are structured through the hypertext system.

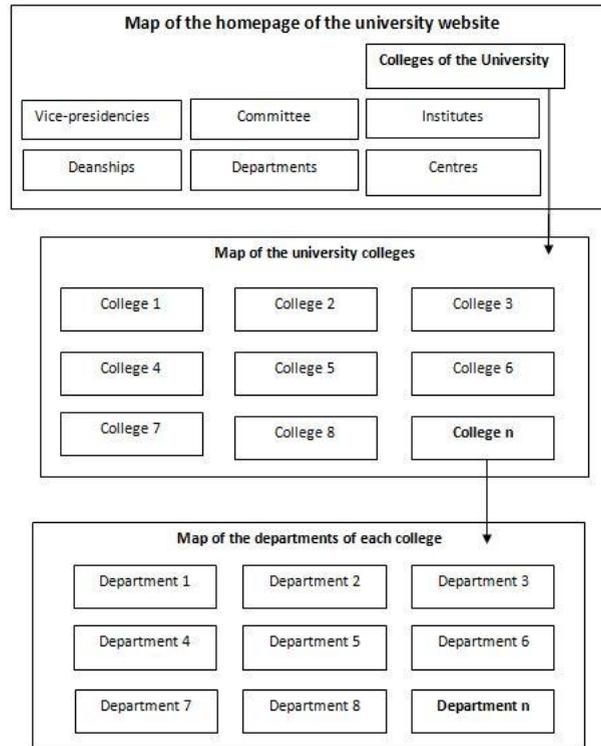


Figure. 5 *The basis of the model of hierarchical information architecture technique to structure and retrieve information in the web site of the university*

3.4 The application of the model of hierarchical information architecture technique to structure and retrieve information in web site of the University

This research article is based on the following experimental factors:

- The homepage of the university sectors begins with an e-map to show all sectors of the university. It is a picture similar to a grid and is used to present all sectors of the university (college, vices-

presidencies, institutes, committee, deanships, centers, departments) linked by a hypertext node.

- The map clearly shows the architecture of the e-mind map in the web page and allows for random access to the information.
- In the e-map, the interconnections among concepts are similar to a network of complex knowledge. Indeed, the interconnections among concepts are structured through the hierarchical hypertext system.

Figure 6 presents the structure of the web page based e-map presenting major sectors of the university

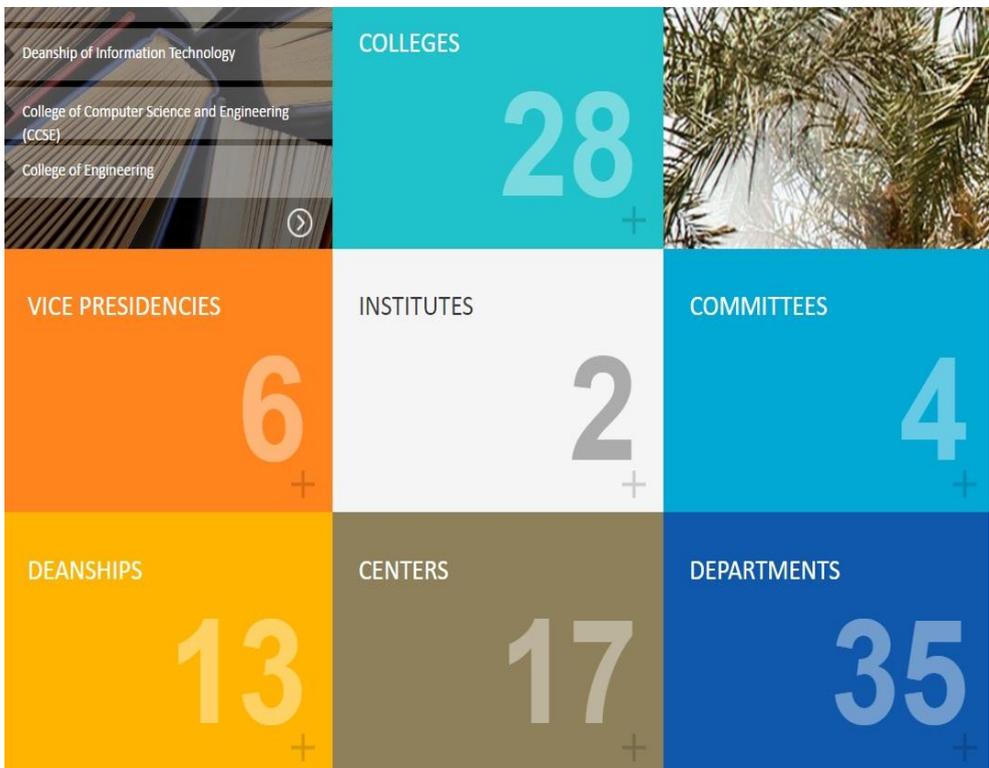


Figure. 6 The university sector web page based hierarchical information architecture technique

Figure 7 shows the university colleges web pages based hierarchical information architecture technique. All colleges of the university are mapped in a single map similar to a grid and is used to present all colleges linked by a hypertext node. The map clearly shows the architecture of the e-mind map in the web page and allows for random access to the information. In the e-map, the interconnections among concepts are similar to a network of complex knowledge and the interconnections among concepts are structured through the hypertext system.

College of Medical Rehabilitation Sciences	. College of Applied Medical Sciences	. College of Applied Medical Sciences (Yanbu Campus)
College of Applied Medical Sciences, Al-Ola	. College of Arts And Humanities	. College of Business Administration
	. College of Business Administration in , yanbu	. College of Community , AL-Ola . College of Community , Badur
. College of Community	. College of Community, Al-Mahd	. College of Community, Hinakiyah
. College of Computer Science and Engineering (CCSE)	. College of Dentistry	. College of Education
	. College of Engineering	. College of Engineering, Yanbu
. College of Family Sciences	. college of Law	. College of Medicine
. College of Pharmacy	. College of Science	. College Of Science And arts at Al-Ola
. College of Science and Computer Engineering, Yanbu	. College Of Scinces, Yanbu	. Commuinity College - Khaybar
	. College of Arts And Humanities , Yanbu	. College of Nursing

Figure. 7 The university college's web pages based hierarchical information architecture technique

Figure 8 shows a map based hierarchical information architecture technique. Web pages are mapped in a single map similar to a grid and is used to present quick access, public services, useful link, university in brief, contact, contract with university sector, enquiring about transaction, employee directory, calendar and news portal linked by a

hypertext node. The map clearly shows the architecture of the e-mind map in the web page and allows for random access to the information. In the e-map, the interconnections among concepts are similar to a network of complex knowledge and the interconnections among concepts are structured through the hypertext system.

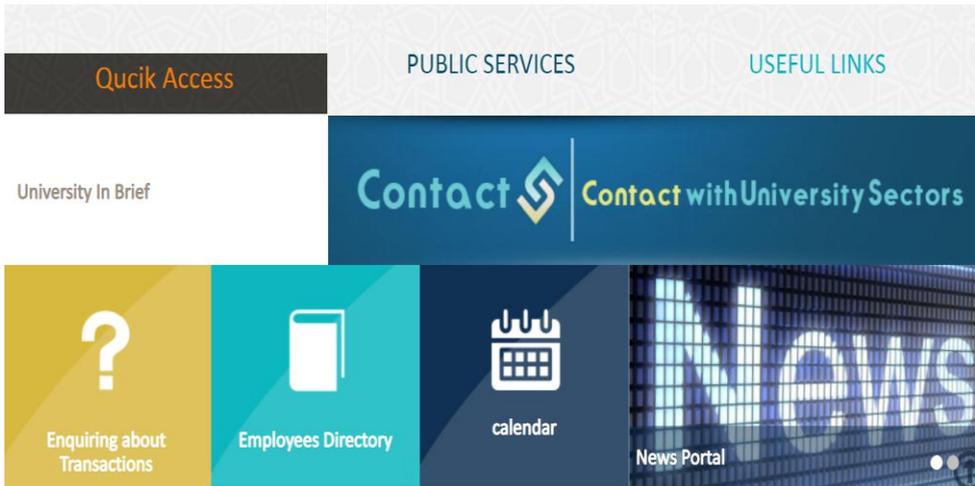


Figure. 7 Part of the homepage of the university web site based hierarchical information architecture technique

4. Findings

4.1 Students' attitude toward the e-learning resource course-based mind maps

Table 10 presents the results of the questionnaire that measured the satisfaction of the sampled students toward the learning resource-based e-mind maps. These results are based on the students' perspective and use the six variables as described in the Table 2.

Table 2. Arithmetic means (AMs) and standard deviations (SDs)

Rank	Variables	Strongly Agree (%)	Agree (%)	Neutral (%)	Disagree (%)	Strongly Disagree (%)	Arithmetic mean and	
							AM	SD
Attitudes of Students toward the web Site and its adoption								
1	Perceived ease of using the web site	58	38.7	1.9	0.9	0.5	4.561	0.585
2	Perceived usefulness of the web site	57.1	35.4	2.8	1.4	3.3	4.415	0.885
General criteria of satisfaction								
1	General satisfaction	81.1	8.0	2.8	3.8	4.2	4.580	1.02
2	Easiness of retrieving information	74.5	13.7	3.8	4.7	3.3	4.514	1.004
3	Degree of interactivity of the Website	55.7	37.3	0.9	3.8	2.4	4.401	0.878
4	Guidance in navigating the web site	55.7	34.9	2.8	5.2	1.4	4.382	0.881
5	Degree of organizing web pages of the Website	55.2	35.8	2.4	4.7	1.9	4.377	0.891
6	Meeting the informational needs of students	54.7	35.4	3.3	4.2	2.4	4.358	0.915

5. Discussion

The arithmetic means of the results from the questionnaire that gauged the students' satisfaction with and their attitudes toward the university web site design based hierarchical information architecture technique are organized in descending order in Table 2.

Attitudes of Students toward the web site and its adoption

The Technology Acceptance Model (TAM) developed by Davis (1989) studies the adoption of an information system in terms of its perceived ease of use and perceived usefulness on the basis of the intentions of behavior and belief in the electronic services (Harker and Van Akkeren, 2002). Perceived usefulness and ease of use determine the development of a particular attitude toward the use of innovations (Davis et al.; 1989). This attitude reflects favorable or unfavorable feelings toward the use of the information system (Lederer et al.; 1998). Perceived usefulness is defined as "the degree to which a person believes that the use of a particular service could improve his or her performance of the work". Perceived ease of use is defined as "the degree to which a person believes that the use of a particular service will be exempt from effort" (Davis, 1989).

Results of the study indicate that the majority of students agreed strongly and agreed that the web site design of Taibah university based hierarchical information architecture technique is easy to use and useful.

- The item, "Perceived ease of using the Website based hierarchical information architecture techniques" ranks first, with an arithmetic mean of 4.561 and a standard deviation of 0.585. Perceived ease of use determines the development of a particular attitude toward the use of innovations (Davis et al.; 1989). In the present study, this attitude reflects favorable feelings toward the use of the university Website based hierarchical information architecture techniques.
- The item, "Usefulness of the Website based hierarchical information architecture techniques" ranks second, with an arithmetic mean of 4.415 and a standard deviation of 0.885. Perceived usefulness determine the development of a particular attitude toward the use of innovations (Davis et al.; 1989). In the present study, this attitude reflects favorable feelings toward the use of the university Website based hierarchical information architecture techniques.

The standard deviation of the variables "Perceived ease of using the web site " and "Perceived ease of using the web site " are equal to 0.585 and 0.885 respectively. These SDs are inferior to the value 1 and hence indicates that more of the data is clustered about the mean and show a long age of the sample and the possibility of generalizing the results to the entire student community.

Based on the results of the easiness and the usefulness of the web site, we answer the first research question, "Can the University web site design based hierarchical information architecture improve the easiness and usefulness of the web

site and hence the positive attitudes toward it and its adoption?"

General criteria of student's satisfaction

The item, "General satisfaction of students by using the university web site based hierarchical information architecture techniques" ranks first, with an arithmetic mean of 4.58 and a standard deviation of 1.02. The item, "Easiness of retrieving information" ranks second, with an arithmetic mean of 4.514 and a standard deviation of 1.004. The item, "Degree of interactivity of the web site" ranks third, with an arithmetic mean of 4.401 and a standard deviation of 0.878. The item, "Guidance in navigating the web site" ranks fourth, with an arithmetic mean of 4.382 and a standard deviation of 0.881. The item, "Degree of organizing web pages of the web site" ranks fifth, with an arithmetic mean of 4.377 and a standard deviation of 0.891. The item, "Meeting the informational needs of students" ranks sixth, with an arithmetic mean of 4.358 and a standard deviation of 0.915.

Web pages in the university web site is organized in the hierarchical information architecture in such a way that exploits the power of structured hypertext, which is adopted for designing the web site and has a remarkably positive effect on student's satisfaction by navigating in the web site. The university web site design based hierarchical information architecture techniques has a positive effects on the easiness of retrieving information from the web site. Students of the sample are satisfied by the degree of interactivity of the university web site. Results show that students are guided in navigating the web site and understand where they are, what they have found, what is around them, and what to expect. Results show also that

web pages of the university web site are well structured and organized hierarchically.

Based on the results of general criteria of student's satisfaction by the university web site, we answer the second research question, "re students generally satisfied with the University web site based hierarchical information architecture techniques?"

Results of General criteria of student's satisfaction by the university web site design based hierarchical information architecture techniques conform to the recommendations of Spiro *et al.*, (2006) indicating that in many cases, individuals prefer information and knowledge that is described as summarized and is dependent on organization to facilitate information retrieval.

Results of the study conform to study of [Rezaeean](#), [Bairamzadeh](#), [Bolhari](#) (2012) investigating the importance of university's web site innovation to propose a satisfaction model for students. The survey was conducted among 270 university students. Results of the empirical analysis revealed that greater innovation in designing web sites has a significant impact on users' trust and satisfaction.

Results of general criteria of student's satisfaction conform to the recommendations of Grabowik and Knosala (2003) suggesting that hierarchical information architecture based e-mind mapping technique, which was introduced by English scholar Tony Buzan, is an effective method used to generate, visualize, structure, and classify ideas to support human memorization and facilitate information retrieval by users.

The results of the effectiveness of using the university web site based hierarchical information architecture techniques are in accordance with the recommendation of Jamieson (2012), which suggests that organizing information in resources and systems is effective for meeting specific informational needs. The hierarchical information architecture techniques can be used effectively by web site designers as a tool to facilitate information retrieval by students and to meet their informational needs. The major advantage of this approach is the intuitive visual representation of knowledge achieved through the use of the information architecture techniques applied to the resources and system, e.g., web sites, Blackboard, Moodle, etc., (Jamieson, 2012).

Additionally, all results of the present study conform to the recommendations of Morville (2012) in his study of the information architectures and their use in helping users understand where they are, what they have found, what is around them, and what to expect. By playing an important role in the wire-framing and prototyping processes, the information architecture informs the content strategy by identifying word choice and informing user interface design and online interaction design (Morville, 2012).

Results of the study shows that hierarchical information architecture applied to designing university web sites is a great way to organize concepts in the web site to facilitate information retrieval by students. By using a single map that presents abstract concepts of a resource, map designers and developers of web sites can place a huge amount of information in the map and verify its connections to facilitate its retrieval by online users. It is easier to make connections because users access all of the information

about a particular topic in a single glance. It can even help users of the web site discover new relationships among seemingly unrelated ideas and information.

Results show also that hierarchical information architecture in designing web sites increases creativity and productivity. It is an excellent tool for generating more ideas in the structure of information, identifying relationships among the various pieces of information from a resource, and effectively improving users' memory and information retrieval and retention abilities.

6. Conclusion

This paper investigates the reality of the web site design based hierarchical information architecture technique. Based on the results of the experiments and the attitudinal data, this article reveals the effective role of web site design based hierarchical information architecture in creating well organized and structured university web site that support instructional information retrieval and that have become important due to the increasing influence of new technologies and alternative study modes. As a result of the present study, the researcher suggests the adoption of information structure-based hierarchical architecture and their application in designing university web site.

Currently, the hierarchical information architecture technique is suitable for structuring web pages and hyperlinks of the university web sites, as its effectiveness is demonstrated by students' positive attitudes toward the university web site based hierarchical information architecture technique.

By using the hierarchical information architecture technique to organize the web pages within the university

web site, students can acquire the capacity to quickly advance from one type of data processing to another and then easily memorize and retrieve information. All pages of the university web site have the same probability of being accessed by students.

This article helps university web site designers the highest provide a solution to create a university web site based hierarchical information architecture technique

7. Bibliography

- Barhouni , C., (2016a), "Studying the impact of blended learning that uses the online PBwiki guided by activity theory on LIS students' knowledge management", *Reference Services Review*, Vol. 44 Iss: 3, pp.341 - 361.
- Barhouni, C., (2016b), "User acceptance of the e-information service as information resource: A new extension of the Technology Acceptance Model", *New Library World*. DOI (10.1108/NLW-06-2016-0045)
- Barhouni, C., (2015), "The Effectiveness of WhatsApp Mobile Learning Activities Guided by Activity Theory on Students' Knowledge Management. *Contemporary Educational Technology*, 6(3), 221-238.
- Balasubramanian, V. (1994), "State of the Art Review on Hypermedia Issues and Applications", Online document at the URL: <http://eies.njit.edu/~333/review/hyper.html>
- Badley, A. (1993), "La mémoire humaine. Théorie et pratique", *Presses universitaires de Grenoble*, pp. 343-381.
- Chin Wei Chong., Yee Yen Yuen and Geok Chew Gan, (2014), "Knowledge sharing of academic staff", *Library Review*, Vol. 63 Iss 3 pp. 203 – 223
- Davis, F. D. (1989), "Perceived usefulness, perceived ease of use, and user acceptance of information technology", *MIS Quarterly*, Vol. 13 No.3, pp. 319–340.
- Davis, F. D., Bagozzi, R. P. et Warshaw, P. R., (1989), "User Acceptance of Computer technology: A Comparison of two Theoretical Models", *Management Science*, Vol. 35, August 8.
- Dominic Pates, Neal Sumner, (2016) "E-learning spaces and the digital university", *The International Journal of Information and Learning Technology*, Vol. 33 Issue: 3, pp.159-171, <https://doi.org/10.1108/IJILT-10-2015-0028>
- Grabowik, C., Knosala, R. (2003), "The method of knowledge representation for a CAPP system", *Journal of Materials Processing Technology*, Vol. 133 N. (1-2). 90-98.

- Harker, D. et Van Akkeren, J., (2002), "Mobile Data Technologies and SME Adoption and Diffusion: An Empirical Study on Barriers and Facilitators", *The Australian Journal of Information Systems, AJIS Editions*, Vol. 9, No. 2.
- Halasz, F., (1988), " Reflections on NoteCards: Seven issues for the next generation of hypermedia systems", *CACM*, Vol.31 No. 7, pp.836-852.
- Hoda Baytiyeh, (2017) "The flipped classroom model: when technology enhances professional skills", *The International Journal of Information and Learning Technology*, Vol. 34 Issue: 1, pp.51-62, <https://doi.org/10.1108/IJILT-07-2016-0025>
- John Akeroyd, (2005), "Information management and e-learning: Some perspectives", *Aslib Proceedings*, Vol. 57 Iss: 2, pp.157 - 167
- Jonassen, D.H. (1991), "Hypertext as instructional design", *Educational Technology: Research and Development*, Vol. 39.
- Jonassen, D.H. and Wang, S. (1993), "Acquiring structural knowledge from semantically structured hypertext", *Journal of Computer-Based Instruction*, Vol. 20.
- Jacobson, M.J., Maouri, C., Mishra, P. and Kolar, C. (1995), "Learning with hypertext learning environments: theory, design and research", *Journal of Educational Multimedia and Hypermedia*, Vol. 4, PP. 321-364.
- Jamieson, P. (2012), "Using modern graph analysis techniques on mind maps to help quantify learning. In Frontiers in Education Conference (FIE). DOI: 10.1109/FIE.2012.6462222.
- Khan, Amjid; Ahmed, Shamshad; Mahmood, Yassir; and Naeem, Salman Bin, (2013), "A Study of the Usability and Design Components of Academic Libraries Websites in Pakistan". *Library Philosophy and Practice (e-journal)*. 982
- Kedaj, Pavlíček, Hanzlík. (2014), "Effective Mind Maps in E-learning", *Acta Informatica Pragensia*, Vo.3 Iss. 3, PP. 239–250
- Laura Patricia Pate, (2016) "Technology implementation: impact on students' perception and mindset", *The International Journal of Information and Learning Technology*, Vol. 33 Issue: 2, pp.91-98, <https://doi.org/10.1108/IJILT-10-2015-0033>
- Lindsay et Norman. (1980), "Traitement de l'information et comportement humain", *Ed. Etudes Vivantes*.
- Leonie Steyn, Johannes C. Cronjé, Theo J.D. Bothma, (2008), "E-learning: a nutrition and HIV/AIDS information tool", *Aslib Proceedings*, Vol. 60 Iss: 4, pp.364 - 382
- Likert, Rensis. (1932), "A Technique for the Measurement of Attitudes", *Archives of Psychology*, Vol. 140, PP. 1–55.

- Lederer, A. L., Maupin, D.J., Sena, M.P., and Zhuang, Y. (2000), "The technology acceptance model and the world wild web", *Decision Support Systems*, Vol. 29, No. 3, pp. 269-282.
- Peter Morville. (2012), "Understanding Information Architecture". *alpha 0.1*.
<http://www.usability.gov/what-and-why/information-architecture.html>.
- Spiro, R. J., & Jehng, J. C. (1990), "Cognitive flexibility and hypertext: Theory and technology for the nonlinear and multidimensional traversal of complex subject matter". In Nix, D. & Spiro, R. J. (Eds.), *Cognition, education and multimedia*, Hillsdale: Erlbaum, 163–205.
- Spiro, R. J., Vispoel, W. P., Schmitz, J. G., Samarapungavan, A., and Boerger, A. E. (1987), "Knowledge acquisition for application: Cognitive flexibility and transfer in complex content domains", In B. K. Britton, and S. M. Glynn (Eds.), *Executive control processes in reading*, pp. 177-199, Hillsdale, NJ: Erlbaum.
- Spiro, Collins, & Ramchandran, (2006), "Modes of Openness and Flexibility in Cognitive Flexibility Hypertext Learning Environments", chapter book, Idea Group Inc.
- Yixiang Zhang, Yulin Fang, Kwok-Kee Wei, Zhaohua Wang, (2012) "Promoting the intention of students to continue their participation in e-learning systems: The role of the communication environment", *Information Technology & People*, Vol. 25 Iss: 4, pp.356 – 375.

المستخلص:

الهدف من الدراسة - تهدف الدراسة الحالية إلى استكشاف فعالية معمارية المعلومات المعتمدة على البنية الهرمية المستخدمة في تصميم المواقع الإلكترونية للجامعات الأكاديمية عموماً عبر دراسة الموقع الإلكتروني لجامعة طيبة خصوصاً وذلك من أجل تلبية الإحتياجات من المعلومات للمستخدمين.

التصميم/المنهجية - في هذه الدراسة تم تحليل تصميم الموقع الإلكتروني لجامعة طيبة المعتمد على معمارية المعلومات وذلك لمعرفة مدى تلبية الإحتياجات المعلوماتية للمستخدمين من وجهة نظر عينة من طلبة جامعة طيبة. وتم هذا التقييم إعتياداً على معاينة الموقع الإلكتروني للجامعة عبر الرابط:

<https://www.taibahu.edu.sa/Pages/EN/Sector/Sectors.aspx>

تعتمد الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي وشملت عينة الدراسة 213 طالباً وطالبة من جامعة طيبة تم إختيارهم بطريقة عشوائية وتم الإعتياد على مجموعة المعايير لإستطلاع آرائهم في فعالية توظيف موقع الجامعة لمعمارية المعلومات في تصميم الصفحات والروابط بينها من أجل سهولة إستخدام الموقع وأهمية محتواه وتسهيل إسترجاع المعلومات منه من طرف المستخدمين.

بعض النتائج - أثبتت نتائج الدراسة تميز الموقع الإلكتروني لجامعة طيبة في توظيف معمارية المعلومات وقدرته على تلبية إحتياجات المستخدمين من المعلومات، حيث أن مواقف أفراد عينة الدراسة إيجابية في أغلبها حول فعالية توظيف موقع جامعة طيبة لمعمارية المعلومات. وبلغ المتوسط الحسابي في معيار "سهولة استخدام

الموقع " 4.561 وبلغ الإنحراف المعياري لنفس المعيار 0.585. وبلغ المتوسط الحسابي في معيار "رضا الطلبة عن تصميم الموقع المعتمد على معمارية المعلومات" 4.580 وبلغ الإنحراف المعياري لنفس المعيار 1.02 .

أظهرت نتائج الدراسة أهمية توظيف معمارية المعلومات في تصميم صفحات وروابط موقع جامعة طيبة وهو نوع من الابتكار الذي له تأثير إيجابي في سهولة استخدام الموقع وسهولة الوصول إلى المعلومات وإسترجاعها في اسرع وقت ممكن.

الاصالة/ القيمة - تكمن اصالة وقيمة الدراسة الحالية في إبراز اهمية تصميم مواقع ويب الجامعات بالإعتماد على معمارية المعلومات لتلبية إحتياجات المستخدمين من المعلومات في اسرع وقت من خلال الموقع.

الكلمات المفتاحية: مواقع ويب الجامعات، إسترجاع المعلومات، معمارية المعلومات، تنظيم المعلومات.